

تفسير

المسيح الموعود عليه السلام

للقرآن الكريم

(المجلد الأول)

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: عبد المجيد عامر

تفسير المسيح الموعود عليه السلام للقرآن الكريم - المجلد الأول
الطبعة الأولى: ٢٠٢٦م الموافق لـ ١٤٤٨ هـ

An Arabic rendering of

Tafseer Hazrat Masih-e-Mauood ^{as} (Urdu)

A Collection of the Commentary of the Holy Quran

Compiled from the writings and sayings of

Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (peace be on him),
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya
Muslim Community

Volume:1

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir

First Arabic translation published in the UK in 2026

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed at:

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

www.alislam.org
www.islamahmadiyya.net

ISBN: 978-1-83596-402-6 (Set of Vol: 1-8)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	كلمة الناشر
ج	مقدمة الطبعة الأولى الأردنية
خ	مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة
١	الاسم الأول للفاحة: "فاحة الكتاب" وسبب هذه التسمية
٢	الاسم الثاني للفاحة: "سورة الحمد"
٢	الاسم الثالث للفاحة "أم القرآن"
٢	الاسم الرابع للفاحة "أم الكتاب"
٣	الاسم الخامس للفاحة "السبع المثاني"
٤	مزايا سورة الفاحة
٤	مزايا موجودة في سورة الفاحة كوجودها في الورد
٩	مزية سورة الفاحة العظيمة
١٠	ليس للإنسان أن ينافس مزايا السورة الفاحة
١٠	الأدلة الأخرى على كون سورة الفاحة عديمة النظر
١٤	إثبات صفات سورة الفاحة العظيمة
١٧	تأثير عظيم لسورة الفاحة
١٧	سورة الفاحة معجزة
١٨	التواتر في ثبوت سورة الفاحة
١٨	المنطق في سورة الفاحة

١٨	فضيلة سورة الفاتحة
١٨	الرد على الآريين
١٩	الرد على معتقدات ديانة "سناتن"
١٩	ضرورة الأعمال والمجاهدات
٢٠	وسيلة الحماية من النار
٢٠	سورة الفاتحة تحيط بكل علم ومعرفة
٢٠	شجرة تعطي أكل المعرفة
٢١	سورة الفاتحة وأثره في تنوير الباطن
٢١	سورة الفاتحة تُظهر الأنوار الإلهية
٢٢	عظمة سورة الفاتحة
٢٢	سورة الفاتحة حصن حصين
٢٤	إشراك بني البشر جميعا في دعاء سورة الفاتحة
٢٤	تأثير تكرار سورة الفاتحة في الدعاء
٢٥	حكم الاستعاذة والحكمة فيها
٢٦	ذكر قتل الدجال في كلمة "الرجيم"
٢٦	أبيات حول معنى الرجم
٢٦	زمن قتل الدجال
٢٧	لن يُقتل الدجال إلا بفضل الله
٢٧	ليس المراد من الدجال شخص واحد
٢٧	الحكمة في تسمية الشيطان رجيمًا
٤٠	رد على اعتراض على بسم الله
٥٦	الرحمن
٥٨	الرحيم
١٥٤	نبينا ﷺ مظهر لصفات الله

١٥٥	نجاح الصحابة في الدنيا
١٥٦	صراطُ الإسلام المعتدلُ
١٥٧	سورة الفاتحة تدحض الآريين وأتباع ديانة سناتن
١٦٠	سورة الفاتحة تدحض الأديان الباطلة
١٦٣	فرعان لأوامر الله
١٦٧	العبر في سورة الفاتحة
١٦٧	المقارنة بين دعاء الإنجيل ودعاء سورة الفاتحة
١٧١	حقيقة عرش الله وانكشاف وجوده الخفي من خلال سورة الفاتحة
١٧١	واجبات مَنْ يدخل الجماعة الأحمديّة
٣٢٨	بعض التفاسير الوجيزة لسورة الفاتحة
٣٢٩	دعاء رائع
٣٥٩	فهرس المواضيع



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر



غير خاف على من اطلع على كتابات وأقوال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المباركة ما تضمنته من دقائق معرفية لا يكاد أي مجتهد ينالها إلا بشق الأنفس، ثم لا يبلغ منها إلا قدر ما تحمله إبرة دقيقة تُغمس في بحر مؤاج.

وإذا شئنا أن نقدم دعوة المسيح الموعود عليه السلام في كلمات موجزة سنقول إنها تعليم الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وهل جاء سيدنا محمد بغير القرآن؟! فدعوة المسيح الموعود عليه السلام بما تضمنته من كتابات منشورة وملفوظات ومواقف مسجلة وسيرة حياتية عملية، كانت تفسيراً واضحاً للقرآن الكريم المنزّل من لدن حكيم خبير على قلب أكمل الخلق قاطبة، محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

وثمة اتفاقٌ ضمنيٌّ بين الناس عموماً والمسلمين خصوصاً أن الوحي لا يمكن الإحاطة بدلالته القطعية إلا بوحي، ويفهم هذا من قول الله جل في علاه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وما دام قائل الكلام هو خير من يحيط بدلالته على الوجه الأكمل والأتم، كان تفسير القرآن الكريم مهمة مستحيلة، إلا أن يكون مفسره مؤيَّداً من منزل القرآن نفسه، الله عز وجل، وذلك لأن الله تعالى هو نفسه القائل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٨-٢٠)

وإننا على مستوى التلقي الطبيعي للقرآن الكريم نجد أن من يجب هذا الكتاب الكريم، ويبدل من أجله كل نفيس ورخيص، بغاية صونه والدفاع عنه، فإن الله عز وجل

يفتح أمامه سبل العرفان، ويؤتيه كنوز معارف الفرقان، فيكون أقدر الناس على فهم هذا الكتاب العظيم، فإنه كتاب لا يعلم تأويله إلا الله العليم، ولا يمسه إلا المطهرون بيد الله الكريم، وهو وحده سبحانه الذي يستطيع أن يؤتي ذلك التأويل الصحيح، والتفسير الفصيح، لمن شاء من عباده الذين ملأ حب القرآن قلوبهم، وأنار بنوره الوضاء ظاهريهم وباطنهم.

ولكي يُبَرِّهنَ سيدنا أحمد عليه السلام على صدقه مقابل تكذيب الخصوم إياه، وأنه قد قام فعلاً بأمر الله تعالى، وأن الله تعالى قد جعله من المطهرين، الذين آتاهم سبحانه علوم القرآن المبين، فقد دعا العلماء من الهند وديار العرب أن يباروه في تقديم تفسير لأولى سور القرآن، أي الفاتحة التي هي أم الكتاب. لا يسعنا القول إلا أن المسيح الموعود عليه السلام في ذلك الحين ما كان ينافس إلا نفسه، فما كان لأي من علماء الدين ومشايخه أن ينبري لخوض تحدٍ الخصم فيه مبعوث من الله. فكتب عليه السلام تفسيراً لهذه السورة الجامعة، فكان التفسير ظلاً لكلام الله تعالى، بما حواه من معان لم يُشر إليها أحد من قبل في كافة التفاسير المنشورة. ويتضح منه كيف أنه يستنتج المعاني العميقة، من الكلمات التي طالما نتلوها خلال إقامة صلواتنا المفروضة والمسنونة، دون أن يفطن أحد إلى أنها تشتمل على تلك الالئ من المعاني وكنوز الحكم، فأثبت بما لا يدع للعقل المنصف مجالاً للاعتراض أنه مبعوث من الله تعالى، فكان مطهراً بيد الله من كل شائنة وشائبة، وليكون مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٨-٨٠)، ومن هذا المنطلق وحده يثبت تلقائياً صدق كافة ادعاءات المسيح الموعود عليه السلام، بعد أن ثبتت طهارته، وذلك حكم القرآن نفسه، والذي من المفترض أن تخضع له رقبة كل مسلم. وفي المقابل يثبت تهافت التهمة الداحضة التي افترهاها أهل الدنيا وتجار الدين ضد المسيح الموعود عليه السلام من أنه جاء، والعياذ بالله، بكتاب غير القرآن، وقد دعوه بـ "الكتاب المبين"، بهتاناً منهم وزوراً، فكانت تفاسير المسيح الموعود عليه السلام المنشورة

في كتب وملفوظات حضرته بمثابة صفعات تلو الصفعات على أقفية هؤلاء الكذابين المكذّبين المزورين، بما شعت بنور الصدق واليقين.

إن تناول المسيح الموعود عليه السلام للآية القرآنية لا يُضاهيه عنايةً تناوُلُ أمهر المنقّبين عن الكنوز وأبرع صاغة المجوهرات، وهو عليه السلام يتعامل بالفعل مع أي التنزيل الحكيم كجواهر ثَمَانٍ ووُرُودٍ حسان، حتى إنه في معرض حديثه في "البراهين الأحمدية" عن مزايا القرآن وبراهين صدقه وحقّيته بإزاء سائر الكتب المقدسة الأخرى، قد وصف سورة الفاتحة بالوردة. لم يكن هذا الوصف مجرد تعبير أدبيٍّ مُغرِقٍ في الخيال، بل كان هو عين الحق والحقيقة، إذ تتصف سورة الفاتحة بكل الصفات التي تتصف بها الوردة، وذلك على مستوى الحقيقة الروحانية التي هي الأصل والغاية.

ومما نَجَّبُ الإشارة إليه أنَّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لم يُصنّف كتابًا في تفسير القرآن، وكل مادة هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء اليوم، إنما هي مجموعة من ثنايا كتب حضرته ومقالاته وإعلاناته وملفوظاته في شتى المواقف، وذلك خلال فترة زمنية امتدت من قُبَيْلِ وقت بعثته المباركة إلى يوم وفاته عليه السلام في السادس والعشرين من مايو عام ١٩٠٨ م.

وقد حظي بعرف تعريب الأجزاء المكتوبة بغير العربية الأستاذ الداعية عبد المجيد عامر، وعاونوه في المراجعة فريق من الإخوة الأفاضل، ونخص بالذكر السادة: المهندس خالد عزام، غسان النقيب (رحمه الله)، جمال أغزول، الدكتور وسام البراقي، الداعية مرزا خليل أحمد بيك، والسيد معتز القزق، والمهندسة لبنى أمة الخير الجاوي، والدكتورة نور البراقي. نسأل الله تعالى أن يجزي كل من أسهم بمجهود في إخراج هذا العمل حسن الثواب، ونسأله تعالى أيضًا لمن يقبل عليه راغبًا في دُرِّهِ ومعارفه عظيم الفائدة، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الطبعة الأولى الأردنية



عندما تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ١٩٠٠/٧/٢٠ م معارضيه لكتابة تفسير القرآن الكريم، قال:

"يثبت من القرآن الكريم أن الذين هم عباد الله في الحقيقة يحالفهم تأييد الله من ثلاثة أنواع... (منها) أنهم يُعطون من علم معارف القرآن ما لا يُعطى غيرهم كما تشهد عليه الآية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾".

إن معارف القرآن الكريم هذه مذكورة في كتب المسيح الموعود عليه السلام بالأردنية والعربية والفارسية التي يربو عددها على ٨٠ كتاباً. وفي عام ١٩٦٧ م أمر سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله بجمع هذه المعارف القرآنية والنقاط التفسيرية المنعشة للأرواح، فأنجز المولوي سلطان أحمد الفاضل (البير كوتي) هذا العمل القيم في وقت قصير جداً ببذل الجهود المضنية والمتواصلة وقدم المسودة لحضرته رحمه الله في كانون الثاني عام ١٩٦٨ م.

وفي حزيران عام ١٩٦٩ م نُشر المجلد الأول من هذه السلسلة، وها نحن نقدم المجلد الأخير بمناسبة اليوبيل المئوي للجماعة.

وقد حثّ سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله في ١٩٨٠/٣/٧ م على أن تكون جميع مجلدات هذا التفسير في كل بيت.



بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم
وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة



يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد أُعطيتُ آية بيان حقائق القرآن الكريم ومعارفه، ولا يقدر أحد على مبارزتي فيها." (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية المجلد ١٣، ص ٤٩٦)

لقد تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه في كتابة تفسير سورة الفاتحة ولكن لم يبارزه أحد. ثم كتب عليه السلام تفسيرها بحسب الشروط ونشره وقال: "ما كتبتُه من حولي، وإني ضعيف وكمثلي قولي، بل الله وألطافه أغلاق خزائنه، ومن عنده أسرارٌ دفائنه. جمعتُ فيه أنواع المعارف وربّنتُ." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٥-٥٦)

إن حقائق القرآن الكريم ومعارفه التي بيّنها المسيح الموعود عليه السلام مذكورة في كتبه وملفوظاته، وقد جُمعت منها وطُبعت للمرة الأولى بصورة كتاب في ٨ مجلدات بعنوان: "تفسير المسيح الموعود عليه السلام".

وعند الطبعة الثانية نُشرت تلك المجلدات الثمانية في أربعة مجلدات، وكانت قد طُبعت بالأسلوب التقليدي القديم الذي تبدو الكتابة فيه كخط اليد.

ثم أمر سيدنا الخليفة الخامس أيده الله تعالى بنصره العزيز بطباعة تفسير المسيح الموعود عليه السلام تنصيذاً على الحاسوب. ولما رأى، نصره الله، كبر حجم المجلدات الأربعة وصعوبة التعامل معها عند القراءة، مع ضرورة أن يكون هذا التفسير قيد

القراءة لدى القراء باستمرار، وجّه نصره الله إلى بسط محتوى المجلدات الأربعة في ثمانية مجلدات.

١- لقد قمنا للتثبت من صحة المقتبسات، بمقارنتها مجدداً مع الطبقات الأولى لكتب المسيح الموعود عليه السلام.

٢- كانت النصوص من قبل مصحوبة باسم الكتاب ورقم الصفحة، أما الآن فقد أضيفت إليها كلمة: "الخزائن الروحانية" أو "الملفوظات" أيضاً.

٣- وأثناء العمل عثرنا على بعض المقتبسات الأخرى أيضاً قأضفناها إلى الطبعة الحالية.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إن القرآن هو الذي قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما ما سواه فليس إلاّ ظلّ له، لذلك فاقروا القرآن بتدبرٍ، وأحبّوه حبّاً جمّاً، حبّاً ما أحببتموه أحداً، لأن الله تعالى قد خاطبني وقال: "الخيرُ كُلُّه في القرآن". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٧)

ووفقنا الله جميعاً لنجعل هذه النصيحة جزءاً من حياتنا لا يتجزأ ولنعمل بها باستمرار، ووفقنا أيضاً لتنوير قلوبنا بمعارف القرآن الكريم وأنواره الروحانية. وجزى الله تعالى خير الجزاء الدعاة الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، آمين.



بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

تفسير سورة الفاتحة



الاسم الأول للفاتحة: "فاتحة الكتاب" وسبب هذه التسمية

"اعلم أن هذه السورة لها أسماء كثيرة، فأولها فاتحة الكتاب، وتُسمَّى بذلك لأنه يُفتتح بها في المصحف وفي الصلاة وفي مواضع الدعاء من ربّ الأرباب. وعندني أنها تُسمَّى بها لما جعلها الله حكماً للقرآن، ومُلِّئ فيها ما كان فيه من أخبار ومعارف من الله المتأن. وإنها جامعة لكل ما يحتاج الإنسان إليه في معرفة المبدأ والمعاد كمثال الاستدلال على وجود الصانع وضرورة النبوة والخلافة في العباد. ومن أعظم الأخبار وأكبرها أنها تبشّر بزمان المسيح الموعود وأيام المهدي المعهود، وسنذكره في مقامه بتوفيق الله الودود. ومن أخبارها أنها تبشّر بعمر الدنيا الدنيّة، وسنكتبه بقوة من الحضرة الأحديّة.

وهذه هي الفاتحة التي أخبر بها نبي من الأنبياء، وقال إني رأيت ملكاً قوياً نازلاً من السماء، وفي يده "الفاتحة" على صورة الكتاب الصغير، فوقع رجله اليمنى على البحر واليسرى على البر بحكم الرب القدير، وصرخ بصوت عظيم كما يَزَار الضُرغام، وظهرت الرعود السبعة بصوته وكلٌّ منها وُجد فيه الكلام، وقيل: اختِم على ما تكلمت

به الرعود، ولا تكتب، كذلك قال الرب الودود. والملك النازل أقسم بالحي الذي أضاء نوره وجه البحار والبلدان، أن لا يكون زمان بعد ذلك الزمان بهذا الشأن. وقد اتفق المفسرون أن هذا الخبر يتعلق بزمان المسيح الموعود الرباني، فقد جاء الزمان وظهرت الأصوات السبعة من السبع المثاني. وهذا الزمان للخير والرشد كآخر الأزمنة، ولا يأتي زمان بعده كمثله في الفضل والمرتبة. وإنّا إذا ودّعنا الدنيا فلا مسيح بعدنا إلى يوم القيامة، ولا ينزل أحدٌ من السماء ولا يخرج رأسٌ من المغارة، إلا ما سبق من ربي قولٌ في الذرّة^١. وإنّ هذا هو الحق، وقد نزل من كان نازلاً من الحضرة، وتشهد عليه السماء والأرض ولكنكم لا تطلعون على هذه الشهادة، وستذكرونني بعد الوقت، والسعيد من أدرك الوقت وما أضاعه بالغفلة." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٧٠ - ٧٣)

الاسم الثاني للفاتحة: "سورة الحمد"

"إن للفاتحة أسماء أخرى، منها سورة الحمد، بما افتُتح بحمد ربنا الأعلى.

الاسم الثالث للفاتحة "أم القرآن"

ومنها أمُّ القرآن بما جمعت مطالبه كلها بأحسن البيان، وتأبّطت كصدفٍ دُرّر الفرقان، وصارت كعُشٍّ لطير العرفان. فإن القرآن جمع علوماً أربعة في الهدايات: (١) علم المبدأ، (٢) وعلم المعاد، (٣) وعلم النبوة، (٤) وعلم توحيد الذات والصفات. ولا شك أن هذه الأربعة موجودة في الفاتحة، وموودة في صدور أكثر علماء الأمة، يقرأونها وهي لا تتجاوز من الحناجر، لا يفجّرون أنهارها السبعة بل يعيشون كالفاجر." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٧٤ - ٧٥)

الاسم الرابع للفاتحة "أم الكتاب"

اسمها أم الكتاب أيضاً لأن فيها ملخص تعليم القرآن الكريم عطره. (أيام الصلح،

الخزان الروحانية المجلد ١٤، ص ٢٤٦ - ٢٤٧)

^١ الحاشية: إليه إشارة في قوله عليه السلام: "يتزوج ويولد له". منه.

"ومن الممكن أن يكون تسمية هذه السورة بأَمَّ الكتاب، نظرًا إلى غاية التعليم في هذا الباب، فإن سلوك السالكين لا يتم إلا بعد أن يستولي على قلوبهم عزّة الربوبية وذلة العبودية، ولن تجد مرشدًا في هذا الأمر كهذه السورة من الحضرة الأحدية. ألا ترى كيف أظهر عزّة الله وعظمته بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، إلى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ثم أظهر ذلة العبد وهوانه وضعفه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ومن الممكن أن يكون تسمية هذه السورة به نظرًا إلى ضرورات الفطرة الإنسانية، وإشارة إلى ما تقتضي الطبائع بالكسب أو الجواذب الإلهية، فإن الإنسان يحب لتكميل نفسه أن يحصل له علم ذات الله وصفاته وأفعاله، ويحب أن يحصل له علم مرضاته بوسيلة أحكامه التي تنكشف حقيقتها بأقواله. وكذلك تقتضي روحانيته أن تأخذ بيده العناية الربانية، ويحصل بإعانتته صفاء الباطن والأنوار والمكاشفات الإلهية. وهذه السورة الكريمة مشتملة على هذه المطالب، بل وقعت بحسن بياها وقوة تبيانها كالجالب. " (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٧٥ - ٧٧)

الاسم الخامس للفاتحة "السبع المثاني"

"ومن أسماء هذه السورة "السبع المثاني". وسبب التسمية أنها مثنى، نصفها ثناء العبد للرب ونصفها عطاء الرب للعبد الفاني.

وقيل إنها سُميت المثاني بما أنها مستثناة من سائر الكتب الإلهية، ولا يوجد مثلها في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الصحف النبوية. وقيل إنها سُميت مثاني لأنها سبع آيات من الله الكريم، وتعدل قراءة كل آية منها قراءة سبع من القرآن العظيم. وقيل سُميت سبعًا إشارة إلى الأبواب السبعة من النيران، ولكل منها جزء مقسوم يدفع شواظها بإذن الله الرحمن. فمن أراد أن يمرّ سالمًا من سبع أبواب السعير، فعليه أن يدخل هذه السبع ويستأنس بها ويطلب الصبر عليها من الله القدير. وكل ما يدخل

في جهنم من الأخلاق والأعمال والعقائد، فهي سبع موبقات من حيث الأصول، وهذه سبع لدفع هذه الشدائد.

ولها أسماء أخرى في الأخبار، وكفاك هذا فإنه خزينة الأسرار. ومع ذلك حصر هذا التعداد إشارة إلى سنوات المبدأ والمعاد، أعني أن آياتها السبع إيماء إلى عمر الدنيا فإنها سبعة آلاف، ولكل منها دلالة على كيفية إيلاف. والألف الأخير في الضلال كبير، وكان هذا المقام يقتضي هذا الإعلام كما كفلت الذكر إلى معاد من اثتفاف. (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٧٧-٧٩)

مزايا سورة الفاتحة

فليكن واضحاً أنه إذا كان الكلام مطابقاً تماماً لشيء من الأشياء التي صدرت من الله وحُلفت بيد قدرته، بمعنى أنه لو اجتمعت فيه العجائب الظاهرية والباطنية كما اجتمعت في أيٍّ من خلق الله ﷻ لقليل في تلك الحالة أن ذلك الكلام يحتل مرتبة تعجز القوى الإنسانية عن الإتيان بنظيره، لأن الشيء الذي كان مسلماً به عند الخواص والعوام -دون خلاف ونزاع- أنه عديم النظر أو صادر من الله تعالى، ثم شاركه شيء آخر في أوجه كونه عديم النظر، لثبت بلا أدنى شك أن الشيء الأخير أيضاً عديم النظر. فمثلاً لو تطابق شيء تماماً مع شيء آخر طوله عشرة أمتار لعلم عن الأول أيضاً بعلم صحيح وقاطع يفيد يقيناً جازماً أن طوله أيضاً عشرة أمتار.

مزايا موجودة في سورة الفاتحة كوجودها في الورد

والآن أقدم كمثال؛ خلقاً لطيفاً من خلق الله.. وهو الورد، وأسرد عجائبه الظاهرية والباطنية التي بسببها عُدد حائزاً على عظمة تعجز قوى الإنسان عن الإتيان بنظيره. ثم سأثبت أيضاً أن عجائب سورة الفاتحة وكمالاتها تعادل تلك العجائب كلها، بل كفة كمالاتها راجحة. والسبب في اختيار هذا المثل هو أنني رأيت ذات مرة بعين الكشف سورة الفاتحة في يدي مكتوبةً على ورق، وهي من الجمال وروعة الشكل

وكأن الورق الذي كُتبت عليه سورة الفاتحة مليء بالورود الحمراء والناعمة التي لا حصر لها. وكلما قرأت آية من آياتها طارت منها ورود كثيرة إلى الأعلى مع صوت رخيم. وكانت الورد لطيفة جدا وكبيرة الحجم ورائحة الجمال وطرية نضرة وذات رائحة زكية جدا. وعند صعودها إلى الأعلى تعطر القلب والذهن إلى أقصى الحدود، وخلقت عالماً من النشوة؛ وكانت تنقّر من الدنيا وما فيها بشدة متناهية نتيجة جذب متعتها العديدة المثال.

فهمت من هذا الكشف أن للورد علاقة روحانية بسورة الفاتحة، وبسبب هذه المماثلة اخترتُ هذا المثال. ورأيت من المناسب أن أكتب أولاً عجائب الورد الظاهرية والباطنية على سبيل المثال -لكي يتم العمل أيضاً بما أُشير إليه في الكشف بكتابة هذا المثال- ثم أكتب مقابلهما عجائب سورة الفاتحة الظاهرية والباطنية ليعلم القراء المنصفون أن الميزات التي توجد في الورد ظاهراً وباطناً، التي بسببها عدّ الإتيان بنظيره مستحيلاً عادةً؛ موجودة نفسها بل أفضل منها في سورة الفاتحة.

فليكن معلوماً أنه من المسلّم به عند كل عاقل دون أدنى تردد أو ارتياب أن الورد أيضاً يجمع في طياته مثل مخلوقات الله الأخرى ميزات مثلى لا يقدر الإنسان على الإتيان بنظيرها. وتلك الميزات تنقسم إلى قسمين: أولاً تلك التي توجد في صورته الظاهرية؛ ألا وهي أن لونه جميل جداً، بل أجمل ما يكون، وأن رائحته لطيفة وتنعش القلوب وتسحرها، وكيانه الظاهري ناعم جداً وفيه النضرة والنضارة واللين والرقّة والصفاء. وثانياً ما أودع الله الحكيم القدير فيه من الميزات الباطنية فمنها أنه يُفرّج القلب ويقويه ويهدئ مادة الصفراء، كما يقوّي القوى والأرواح كلها، ومقشّع للصفراء والبلغم الرقيق أيضاً، وكذلك يقوّي المعدة والكبد والكليّة والأمعاء والرحم والرئة. وهو مفيد جداً في الخفقان الحاد والغشي وضعف القلب، بالإضافة إلى كثير من الأمراض الجسدية الأخرى. فقد اعتُقد بناءً على تلك الميزات من النوعين المذكورين بأنه يحتل مرتبة الكمال؛ بحيث لا يسع أحداً قط أن يصنع زهرة تماثل

الورد في جمال لونه وطيب رائحته ونضارته ونعومته ورّفته وصفائه في صورته الظاهرية، وتملك خواص الورد الباطنية.

وإذا طُرِح سؤال: لماذا ظُنَّ أن القوى البشرية عاجزة عن الإتيان بنظير الورد؟ ولماذا لا يمكن أن يصنع أحد وُرداً مثله ويخلق في الورد الزائف الميزات الموجودة في الورد الحقيقي ظاهراً وباطناً؟

فجوابه أن صنع مثل هذا الورد مستحيل على العموم، ولم يتمكن إلى يومنا هذا طبيب أو فيلسوف من إيجاد أدوية يمكن أن يؤدي مزجها إلى تكوين شيء يحمل من حيث الظاهر والباطن الصفات التي يملكها الوردُ سيرةً وصورةً.

واعلموا يقيناً أن كل هذه الأوجه لكون شيء عديم المثال توجد في سورة الفاتحة أيضاً، بل في كل جزئية صغيرة من القرآن الكريم تقل عن أربع آيات. أولاً انظروا إلى صورته الظاهرية تروا ملاحظة عباراته وحلاوة بيانه وجودة كلماته. كلامه يتسم بكمال السلاسة والرقّة والرونق والبهاء واللطافة، كما يتجلى فيه لوازم حسن الكلام على أكمل وجه لدرجة لا يُتصوّر المزيد عليه. وهو سالم وبريء تماماً من وحشة الكلمات وتعقيد التركيبات. وكل جملة من جُمْلِه فصيحة وبلغّة للغاية، وكل تركيب من تركيباته جاء في محله المناسب تماماً. وقد رُوِيَ فيه كل أسلوب يزيد في حسن الكلام ويكشف رونق العبارة. وكل ما يمكن تصوّره من علو مرتبة البلاغة وحسن البيان فهو موجود وملحوظ فيه على أكمل وجه. وكل ما يُحتاج إليه من حسن البيان بُغية ترسيخ المراد في القلوب فهو مهياً فيه كله. وإلى جانب بلاغة المعاني والالتزام بحسن الكلام بوجه كامل مليء بشذى الصدق والحق. لا توجد فيه مبالغة يشوبها الكذب قيد ذرة، ولا توجد فيه عبارة محبّرة استُخدمت فيها نجاسة الكذب أو رائحة الهزل الكريهة، ولغو الحديث مثل الشعراء. فعلى عكس ما يكون كلام الشعراء مليئاً برائحة الكذب والهزل ولغو الحديث الكريهة، مُلئ هذا الكلام بشذى لطيف للصدق والحق والطيبة. وإلى جانب هذا الشذى جُمع فيه حسن البيان وجودة

الألفاظ ورونق العبارة ونزاهتها، كما جُمعت في الورد ملاحظة لونه وصفافؤه إلى جانب شذاه الطيب. هذه هي الميزات الفريدة الظاهرية. أما خواص سورة الفاتحة الباطنية فمنها أنها تشمل علاجاً ناجعاً للأمراض الروحانية المستعصية، وفيها وسائل كثيرة لتكميل القوة العلمية والعملية، وتصلح مفاصل كبيرة. وقد ذُكرت فيها المعارف والدقائق والطائف العظيمة التي ظلت خافية عن أعين الحكماء والفلاسفة. وبقراءتها يزداد قلب السالك يقيناً، ويُشفى من مرض الشك والشبهة والضلال. إن مضمونها المبارك زاخر بأنواع الصدق العظيم والحقائق الدقيقة الكثيرة التي لا بد منها لتكميل النفس. وواضح أن اجتماع تلك الكمالات في كلام الناس مستحيل كاستحالة إتيان أحد بكمالات الورد. وإن هذه الاستحالة ليست نظرية، بل بديهية؛ لأن الله تعالى قد بيّن الدقائق والمعارف السامية في كلامه الفصيح والبلغ عند الضرورة الحقّة، وأظهر الميزات الظاهرية والباطنية على أحسن وجه مُبلِّغاً كلا الجانبين "الظاهر، والباطن" أعلى مراتب الكمال مع مراعاة الشروط الهامة. بمعنى أنه سجل أولاً المعارف السامية والضرورية التي اندرست معالمها وعُفّت من التعاليم السابقة، ولم يسبق حكيماً أو فيلسوف إلى تلك المعارف العالية. ثم لم يسجلها ﷺ من غير ضرورة أو عبثاً، بل بينّها حين كانت الحاجة لبيانها ملحّة لإصلاح العصر، وكان من شأن عدم بيانها أن يجلب الدمار والهلاك للدهر، كذلك لم يسجّل تلك المعارف العالية بصورة ناقصة أو غير مكتملة، بل جاءت على أكمل وجه كيفاً وكمّاً، بحيث ليس لعاقل أن يقدّم حقيقة دينية بقيت خارج نطاقها، ولم تبق شبهة مُبطلٍ لم تُدخض في هذا الكلام. إن الإتيان بكمالات الفصاحة والبلاغة هذه التي لا يُتصوّر أكثر منها، مع التزام جميع كمالات الحقائق والدقائق هذه التي ترتبط من ناحية ثانية بالضرورات الحقّة؛ عمل جبار جداً ويفوق قوى البشر بالبداهة. ولكن الإنسان غرّ تعوزه البراعة؛ فلو أراد أن يكتب حتى الأمور الأدنى والبسيطة -التي لا علاقة لها بالحقائق السامية- بعبارة محبّرة وفصيحة مع التزام صدق المقال وقول الحق، لما أمكنه

ذلك أيضا. كما هو بديهي تماما عند كل عاقل أنه إذا كان هناك صاحب محلّ مثلا، وهو في الوقت نفسه شاعر وأديب من الدرجة الأولى، وأراد أن يكون حديثه الذي يضطر له كل يوم مع زبائنه المختلفين وأصحاب العلاقة معه متسما بكمال البلاغة والعبارة المحبّرة، وأن يراعي في كلامه مقتضى الحال أيضا؛ بمعنى أنه إذا كان بحاجة إلى حديث وجيزٍ أوجزه، وإن دعت الحاجة للإسهاب أسهب، وإذا اضطر للنقاش مع زبون سلك مسلكا يضمن كسب النقاش لصالحه فيستحيل أن يبلغ مراده. أو أن يكون هناك حاكم مثلا وشغلّه تسجيل إفادات الفريقين والشهود بدقة، والقيام بالنقد والطعن اللازم فقط عند كل إفادة، كما يُشترط لتنقيح القضية وبما يناسب التحقيق في الأمر المتنازع فيه، وأن يطرح السؤال حين تقتضي الحاجة للسؤال ويسجل الجواب في حينه، وأن يبين الأوجه القانونية على أحسن وجه وفق القانون كلما اقتضت الحاجة للبيان، وإذا وجب كشف الأحداث بحسب الترتيب كشفها مراعيًا الترتيب والصحة، ثم يبين بكمال الصحة رأيه وجميع الأوجه التي تؤيد هذا الرأي، وأن يكون كلامه إلى جانب كل هذه الالتزامات على درجة عليا من الفصاحة والبلاغة التي لا يسع أحدا الإتيان بأفضل منها؛ فمن المستحيل عليه بالبدهة أن يوصل كلامه هذه الدرجة من البلاغة. هذه هي حالة فصاحة الإنسان؛ فهو لا يستطيع أن يخطو خطوة واحدة دون لغو الكلام وعابثه وما لا لزوم له. ولا يتفوه الناس بشيء بغير الكذب والهزل، وإذا تفوهوا كان كلامهم ناقصا. فمثلهم في ذلك كمثّل رسم صورة، فلو رسموا فيها أنفًا أسقطوا أذنا، وإذا رسموا الأذن فقدت العين. بمعنى أنه إذا صدقوا القول ضاعت الفصاحة، وإذا اهتموا بالفصاحة جمعوا كومة من الكذب ولغو الكلام. وكان مثله كمثّل البصلة التي هي مجموعة قشور لا شيء بداخلها.

فما دام العقل السليم يحكم بصراحة تامة أنه لا يمكن بيان الأمور البسيطة والأحداث الواهية أيضا بعبارات محبّرة وبليغة وبالتزام الصدق والضرورة الحقة،

فما أسهل فَهَمُّ أن بيان المعارف السامية بعبارة محبرة في قمة الفصاحة والصفاء وبالتزام الضرورة الحقة، هو أمر خارق للعادة وبعيد عن قدرة البشر كل البُعد. وكما أنه من المستحيل أن تُصنع زهرة تشبه الورد ظاهرا وباطنا، كذلك يستحيل تماما ما ذكرناه آنفا، لأنه ما دامت التجربة الصحيحة تشهد في الأمور البسيطة، وأن الفطرة السليمة أيضا تقبل أنَّ الإنسان لو أراد أن يبيّن كلامه الضروري والسديد - سواء أكان يتعلق بأمر من أمور البيع والشراء أو تقصّيات المحكمة وغيرها - بصورة أصح وأنسب، لاستحال أن يكون كلامه مناسبا وموزونا دائما ومسجّعا وفصيحا وبلغيا ومحتلا أعلى درجات الفصاحة والبلاغة وأن يكون إضافة إلى التزامه بالصدق والحق زائرا بمعارف الصدق والحقائق العالية، وأن يصدر عن ضرورة حقة، ويحيط بالحقائق الواقعة، ولا يقصّر أدنى تقصير في مهمته لإصلاح الحالة السائدة وإتمام الحجة وإفحام المنكرين، وأن يراعي كافة جوانب المناظرة والبحث كما هو حقها، ويشمل جميع الأدلة الضرورية والبراهين المهمة والتعليم الضروري والأسئلة والأجوبة الضرورية، فأنى لكلام البشر أن يجمع في طياته - مع وجود المشاكل المعقدة التي تزداد على الحالة الأولى بمئات المرات - كل هذه الأمور مع التزام الفصاحة والبلاغة التي لا نظير لها ولا مثيل؛ بحيث لا يمكن بيان ذلك الموضوع بعبارة أفصح من ذلك؟

مزية سورة الفاتحة العظيمة

فهذه هي الأوجه التي توجد في سورة الفاتحة والقرآن الكريم، وتتطابق كليا مع الورد في ميزاته. وبالإضافة إلى ذلك هناك ميزة عظيمة أخرى في سورة الفاتحة والقرآن الكريم خاصة بهذا الكلام المقدس وحده؛ وهي أن قراءته بتركيز وإخلاص تطهّر القلب وتزيل الأغشية المظلمة وتشرح الصدر وتجذب طالب الحق إلى الله تعالى وتجعله مورد الأنوار والتأثيرات التي يجب وجودها في المقربين إلى الله تعالى، ولا يسع أحدا أن يناها بجيلة أو خطة أخرى قط. وقد أثبت في هذا الكتاب وجود ذلك

التأثير الروحاني أيضا. وإذا كان هناك طالب حق فأنا جاهز أن أثبت له ذلك وجها لوجه، ومستعد أيضا أن أثبته في كل حين وآن.

ليس للإنسان أن ينافس مزايا السورة الفاتحة

ويجب التذكر جيدا أن كون القرآن الكريم عديم النظير والمثال من حيث كلامه لا يقتصر على الأدلة العقلية فقط، بل إن التجربة الصحيحة الممتدة على زمن طويل أيضا تؤيد وتصدق ذلك؛ فمع أن القرآن الكريم لا يزال يُقدّم ميزاته منذ ١٣٠٠ عام على التوالي ويعلن بأعلى صوته: "هل من معارض؟" ويتحدى الدنيا كلها بأعلى صوته بأنه عديم النظير والمثيل من حيث صورته الظاهرية وخواصه الباطنية، ولا يقدر جنٌّ ولا إنسٌ على مواجهته أو منافسته؛ فمع ذلك ما وسع نفسا منقوسة أن تنبس مقابله ببنت شفة، بل لم يقدر أحد على مواجهة الميزات الظاهرية والباطنية حتى لسورة قصيرة منه كسورة الفاتحة. فآية معجزة أوضح وأكثر بداهة من أن يتبين كون هذا الكلام المقدس فوق القوى البشرية عقلا أيضا؟ كذلك تشهد التجربة الصحيحة الممتدة على زمن طويل على مرتبته المعجزة. وإذا كان هناك أحد لا يقبل هاتين الشهادتين اللتين بلغتا مبلغ الثبوت من حيث العقل والتجربة الممتدة على زمن طويل، بل يعتز بعلمه وبراعته أو يثق ببراعة إنسان أنه يستطيع أن يصوغ كلاما مثل القرآن الكريم، فأسجل هنا على سبيل المثال، كما وعدتُ سابقا، بعضا من حقائق سورة الفاتحة ودقائقها، ويجب على المنكر أن يقدم كلامه مقابل ميزات سورة الفاتحة الظاهرية والباطنية. (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٣٩٤ - ٤٠٣ الحاشية رقم ١١)

الأدلة الأخرى على كون سورة الفاتحة عديمة النظير

إن في سورة الفاتحة -مثل القرآن الكريم- ميزتين فريدتين؛ أي الظاهرية والباطنية. الميزات الظاهرية ... هي أن عباراتها محبّرة وفيها رونق وبهاء ونعومة ولطافة وبلاغة وحلاوة وسلاسة ويتجلى فيها حسن البيان وحسن الترتيب بحيث

لا يمكن أداء هذه المعاني في عبارة أخرى أفصح منها أو مثلها. ولو اجتمع الأدباء والشعراء من العالم كله وأرادوا أن يكتبوا الموضوع نفسه من عند أنفسهم بعبارات أخرى تعادل عبارة سورة الفاتحة أو أفضل منها، لاستحال ذلك حتماً؛ لأن القرآن الكريم يدّعي على الملأ تفرّده منذ ١٣٠٠ عام. فلو أمكن لمعارض لتصدى له حتماً، علماً أن عدم التصدي لمثل هذا الادّعاء يُثبت هوان المعارضين جميعاً وخزيهم، ويدل على عظمة القرآن الكريم وشوكته. فلما لم يُقدّم أحد من المعارضين عبارة مثل القرآن الكريم منذ ١٣٠٠ عام؛ فإنّ عجز جميع المعارضين عن تقديم المثل، وقبولهم لأنفسهم كافة أنواع الإهانة والندامة واللعنة التي تقع على الكاذبين الذين لا يُسعفهم جوابٌ أثناء هذه المدة الطويلة كلها، يدل بصراحة تامة على أن قدرتهم العلمية عاجزة عن المواجهة. وإن لم يقبل أحد هذا الأمر فعليه تقع مسؤولية الإتيان بنظير عبارة القرآن الكريم بنفسه أو طلب ذلك من أحد أنصاره. فيمكنه مثلاً أن يصوغ انطلاقا من مضمون سورة الفاتحة عبارة فصيحة تساويها كمالاتها وفصاحة وبلاغة. وما لم يفعل ذلك، فلا يمكن بحال من الأحوال تضييف جواب أهل الحق الذي في أيديهم نتيجة صمت المعارضين ووجومهم منذ ١٣٠٠ عام. بل إن سكوت المعارضين إلى مئات السنين وعدم قدرتهم على الجواب، قد أوصله إلى مرتبة الثبوت الكامل التي لا يبلغها الورد وغيره أيضاً من حيث كونه عديم النظر، لأنه لم يتم ترغيب حكماء الدنيا وصنّاعها إلى هذا الحد في مواجهة أيّ شيء آخر، ولم يتم تخويفهم أيضاً بأنه سوف يحل بهم أنواع الدمار والهلاك في حالة عجزهم عن الإتيان بمثله.

فمن الواضح أن البداهة والرونق والبهاء الذي يثبت به كون بلاغة القرآن الكريم وفصاحته فوق قوى البشر، لا تثبت بالمستوى نفسه للورد ميزاته وجمال لونه قط. فهذا بيان موجز لميزات سورة الفاتحة والقرآن الكريم الظاهرية، وبواسطته قد ثبت أنه عديم النظر والمثال ويفوق قدرات البشر؛ وذلك من خلال عجز المعارضين.

والآن أعيد ذكر الميزات الباطنية أيضا لكي تترسخ جيدا في أذهان المتدربين. فليكن معلوما أنه كما أودع الله الحكيمُ القدير الوردَ منافع متنوعة لجسد الإنسان؛ منها أنه يقوّي القلب والقوى والروح، ويفيد في أمراض عديدة، كذلك أودع ﷺ سورة الفاتحة شفاء للأمراض الروحانية، مثل القرآن الكريم كله. وفيه علاج للأسقام الباطنية لا يوجد في غيره مطلقا، لأنه مليء بالحقائق الكاملة التي كانت قد اندرست من وجه الأرض ولم يعد لها في الدنيا أثر قط؛ فلم يأت هذا الكلام المقدس إلى الدنيا عبثا أو دون جدوى، بل تجلّى هذا النور السماوي حين كانت الدنيا بأمسّ الحاجة إليه. وقد جاء بالتعاليم التي كان نشرها في العالم كان ضروريا لإصلاحه. فالتعاليم المطهّرة التي مسّت الحاجة لها، والمعارف التي ألحّت الضرورة لنشرها فقد بيّنها هذا الكلام عند الحاجة بفصاحةٍ وبلاغةٍ عديمة المثال وفي الوقت المناسب تماما. وبالإضافة إلى الالتزام بذلك، لم يترك شيئا ولا قيد شعرة مما كان بيانه ضروريا لهداية الضالين وإصلاح الحالة السائدة. أما ما كان غير ضروري وسخيفا وعبثا، فلم يتطرق منه شيء إلى أية جملة إطلاقا.

باختصار، إن العظمة والبركة الكبرى للأنوار والحقائق المقدسة - إلى جانب الشأن العظيم الذي تملكه، لكونها معارف عالية - هي أنها ما أظهرت للعيان عبثا ودون فائدة، بل قد أظهرت تلك الحقائق في وقت الضرورة تماما بكل قوة وشدة كالغيث المغيث لنشر النور ورفع كل نوع من الظلمة المنتشرة في الدنيا، وإزالة كل نوع من الجهل والفساد الذي ساد العالم في الأمور العلمية والعملية والعقدية. والحق أنه كان هو الغيث المغيث الذي نزل من السماء لإنقاذ المصابين بالظمأ الشديد. والحق أن حياة الدنيا الروحانية كانت تعتمد على أن ينزل من السماء ماء الحياة هذا، ولم تكن هناك قطرة واحدة منه إلا وكانت دواء لمرض من الأمراض السائدة. وقد برهنت حالة الدنيا السائدة بشبوتها على ضلالها المعهود إلى مئات السنين أنها لا تجد من تلقاء نفسها علاجا لهذه الأسقام إلا بنزول هذا النور، ولا تقدر على

رفع ظلماتها بنفسها، بل هي بحاجة إلى نور سماوي من شأنه أن ينور الدنيا بأشعة صدقه ويصير الذين لم يبصروا قط، ويفهم الذين لم يفهموا قط. فإن هذا النور لم يقدّم إلى العالم الأنوار الحقّة الضرورية فحسب التي لم يكن قد بقي لها أثر، بل ملأ أيضاً بقوته الروحانية صدوراً كثيرة بجواهر الحق والحكمة، وجذب إلى وجهه الجذاب والباهر قلوباً كثيرة، وأوصل الكثيرين بتأثيره القوي إلى مرتبة عليا من العلم والعمل.

فالميزات، من كِلا النوعين المذكورين، التي توجد في سورة الفاتحة والقرآن الكريم كله تمثل أدلة نيّرة لإثبات تفرد كلام الله كمثل ميزات الورد التي عُدت عند الجميع فوق قدرات البشر. بل الحق أنه ليس في الورد قط مثل هذه الميزات في خرقها للعادة وفي كونها فوق قدرة البشر بداهة. إن عظمة تلك الميزات وشوكتها وندرتها تتبين بجلاء حين يتأمل فيها الإنسان بصورتها الشاملة ويتدبر كیفيتها الكلّية بنظرة شاملة.

فمثلاً، لو تخيّل الإنسان كلاماً تبلغ عبارته درجة عليا من الفصاحة والبلاغة واللطافة والحلاوة والسلاسة وحسن البيان والعبارة المحبّرة، بحيث لو أراد أحد أن يصوغ من عنده عبارة مثلها تشتمل المعاني نفسها بالتمام والكمال، فلا يمكن على الإطلاق أن تبلغ عبارته تلك الدرجة من البلاغة والحلاوة. ثم لو تخيل الإنسان فكرة ثانية بأن يكون مضمون تلك العبارة محتوي على الحقائق والدقائق التي تمثل حقائق عظيمة في الحقيقة ولا توجد فيها جملة أو لفظ أو حرف لا يحتوي على بيان حكيم، ثم تخيل فكرة ثالثة بأن تكون تلك الحقائق من النوع الذي يحتاج إليها الزمن بشدة متناهية، ثم تخيل فكرة رابعة بأن تكون تلك الحقائق فريدة من نوعها لا يُعثر على حكيم أو فيلسوف يكون قد كشفها بفكره وتدبره، ثم تخيل إضافة إلى ذلك فكرة خامسة بأن تظهر تلك الحقائق في زمن ظهورها كمثل نعمة متجددة كان الناس قبل ظهورها يجهلون ذلك الصراط المستقيم كلياً، ثم تخيل فكرة سادسة بأن تتحقق في ذلك الكلام بركة سماوية إذا تبعه طالب حقّ أدى إلى نشوء علاقته الوطيدة وأنسه الحقيقي بالله تعالى، وأن تلمع فيه الأنوار التي يجب لمعانها في رجال الله. فهذه المجموعة كلها

تلاحظ متحققة بحيث يحكم العقل السليم دون أدنى تردد أن احتواء كلام البشر على كل هذه المراتب الكاملة مستحيل ومحال وخارق للعادة. ومما لا شك فيه أن النظرة الشاملة إلى جميع تلك الفضائل الظاهرية والباطنية تؤدي إلى حالة مهيبة تؤكد للعاقل أن تحقّق هذه المجموعة كلها بقوى البشر يفوق إدراك العقل والقياس. ولا توجد هذه الحالة المهيبة في الورد قط، لأن في القرآن الكريم ميزة إضافية أن صفاته المذكورة التي هي مدار تفرّده بديهيّة الثبوت بكل المعايير. ولهذا السبب، عندما يعرف المعارض أن ليس في كلامه ولو حرف واحد ينحرف عن جادة الحق والحكمة، ولا توجد جملة واحدة غير ضرورية أشد الضرورة لإصلاح الدهر، وكذلك حين يرى كمال بلاغته بأنه ليس ممكنا بحال من الأحوال استبدال سطر واحد منه بسطر آخر؛ يستولي على قلبه هيبة شديدة بمشاهدته هذه الكمالات البديهيّة. (البراهين الأحمديّة، الخزائن الروحانية، المجلد ١ ص ٤٠٣-٤٠٩، الحاشية رقم ١١)

إثبات صفات سورة الفاتحة العظيمة

أما الجاهل الذي لم يفكر بهذه الأمور قط فقد يطرح لجهله سؤالاً: ما الدليل على أن كل هذه الميزات ثابتة ومتحققة في سورة الفاتحة وفي القرآن الكريم كله؟ فليكن واضحاً أن الدليل على ذلك هو أن الذين فكروا في كمالات القرآن الكريم النادرة ووجدوا عباراته على درجة عليا من الفصاحة والبلاغة بحيث عجزوا عن الإتيان بنظيره، ثم رأوا حقائقه ودقائقه على مرتبة سامية لم يجدوا نظيرها في العالم كله، وشاهدوا فيه من التأثيرات العجيبة التي لا تلاحظ في كلمات الإنسان قط، ثم رأوا فيه صفة طيبة وهي أنه لم ينزل على سبيل الهزل والعبث، بل جاء في وقت الضرورة الحقّة بعينها؛ اعترفوا عفويا بعظمته النادرة عند مشاهدتهم هذه الكمالات. أما الذين ظلوا محرومين من نعمة الإيمان لشقاوتهم الأزلية، فقد استولى على قلوبهم أيضا رعب هذا الكلام عديم النظير وهيئته، حتى قالوا مبهورين: "إن هذا إلا سحر مبين".

ثم يجد المنصف دليلا قويا وإثباتا واضحا على أن القرآن عديم النظر من خلال أمر آخر أيضا؛ وهو أنه مع أن القرآن الكريم لا يزال يثير غيرة المعارضين وحاسهم للمواجهة منذ ١٣٠٠ عام، ويسمي المعارضين الذين ينكرونه -مع عدم قدرتهم على الجواب- أشرا ونجسين وملعونين وأهل جهنم؛ إلا أن المعارضين مع ذلك قبلوا لأنفسهم كل إهانة وذلة وخزي بكمال الوقاحة كالعينين والمختنئين، ورضوا بأن يسمّوا كذابين وأذلاء ووقحين وخبثاء ونجسين وأشرارا وملحدين وأهل جهنم، ولم يقدروا على مبارزة سورة قصيرة، ولم يتمكنوا من أن يجدوا عيبا في الميزات والصفات والعظمة والحقائق التي قدمها كلام الله ﷻ. بينما كان ولا يزال واجبا على معارضينا إذا كانوا لا يريدون أن يتخلوا عن كفرهم وإلحادهم، أن يأتوا بنظير لسورة من سور القرآن الكريم ويقدموا لنا من باب المواجهة كلاما يحمل في طياته كافة الميزات الظاهرية والباطنية التي تتحلى بها أقصر سورة من سور القرآن الكريم؛ أي أن تكون عبارته على درجة عليا من البلاغة مع التزام الصدق والحق والضرورة الحقة، بحيث يستحيل تماما لأي بشر الإتيان بتلك المعاني بعبارة فصيحة أخرى مثلها، وأن يكون مضمونه محتويا على حقائق عليا لم تُكتب عبثا بل أوجبت الحاجات الملحة تحريرها، وكانت الدنيا كلها تجهلها تماما قبل ظهورها للعيان، وأن يكون ظهورها نعمة بديعة. ثم يجب أن تتحلى إلى جانب كل تلك الميزات بخاصية روحانية بأن تتوفر فيها -مثل القرآن تماما- التأثيرات الواضحة التي أثبتتها في هذا الكتاب وما زلتُ جاهزا لإثباتها لكل طالب صادق في كل حين. وما لم يأت معارض بمثلها، فإنّ عجزه عن ذلك يؤكد أن القرآن الكريم عديم النظر. وإنّ أوجه تفرد القرآن الكريم التي سجلتها هنا قد ذكرتها بإيجاز شديد.

ولو جعلنا ميزاته الأخرى كلها أيضا شرطا واجبا للإتيان بنظيره كأُن نقول للمعارضين: عليكم أن تستخرجوا لنا من كلامكم المنافس الميزات التي توجد في القرآن الكريم مثل شمولية المعارف الدينية -إذ ما من حقيقة دينية بقيت خارجه-

والإحاطة بمغات الأمور الغيبية والتنبؤ بأمور دالة على القدرة المطلقة التي تنبئ عن مكرمه وذلة الأعداء، وازدهاره ودمار الأعداء، وانتصاره وهزيمة الأعداء، فإن هذا الشرط سوف يجلب لهم دمارا على دمار، وموتا بعد موت. ولكن لما كانت ميزات القرآن الكريم التي سجلناها من قبل كافية لإفحام العدو العَمِه وإدانتة وإثبات عجزه، وستجلب على معاندينا حالة سيكونون بسببها أسوأ من الميتين؛ فإن تقديم جميع الميزات القرآنية بُغية طلب نظيره ليس ضروريا. كذلك إن تحرير جميع الميزات سيزيد صفحات الكتاب كثيرا، فاكثفيتُ بهذا القدر فقط وعَدَدْتُ ذلك سلاحا ماضيا لقتل المؤذي. ومع أي قد طلبت من المعارضين نظير أقصر سورة من القرآن الكريم تخفيفا عليهم وشفقة بهم، فمع ذلك فإنه معلوم لدى كل خبير أنهم ظلوا عاجزين منذ القدم وما زالوا عاجزين عن المبارزة والمواجهة ولم يجد أحد منهم مجالا لأن ينبس ببنت شفة مع شدة حرصهم على ذلك، ومع شدة عنادهم ومعارضتهم وعداوتهم من الدرجة القصوى. ومع أن عجزهم عن المواجهة يُثبت أنهم أذلاء مهانون ومن أهل جهنم ويُطلق عليهم لقب الكفار والملحدين ويسميههم وقحين وعديمي الحياء. ومع ذلك لم يصدر من أفواههم صوت، وكأنهم ميّتون. وإن في قبولهم كل نوع من الذلة الناتجة عن عدم تمكّنهم من الجواب، وتسليمهم بإطلاق كافة أنواع الأسماء الحقيرة على أنفسهم، وقبولهم كل نوع من الوقاحة وعدم الحياء دليلا بيّنا على أنه لا تقوم لهؤلاء الخفافيش الدينية قائمة أمام شمس الحقيقة هذه. فما دامت أشعة شمس الصدق هذه تصدر من كل حذب وصوب بحيث يعمر أمامها أعداؤنا أصحاب السيرة الخفّاشية، فمن مكابرتهم وجهلهم الشديد في هذه الحالة أن يعدّوا القوى البشرية عاجزة عن الإتيان بنظير ميزات الورد - وهي أضعف وقليلة الثبوت مقابل ميزات القرآن الكريم العديمة النظير - ويظنّوا أن البشر قادرون على الإتيان بنظير ميزات القرآن الكريم العظيمة التي هي أفضل وأسمى كثيرا من ميزات الورد الظاهرية

والباطنية، وقوية الثبوت. وما دام الإنسان غير قادر على أن يصنع نظيرا للورد الذي يُرى نضرا ويسر الناظرين لسويعات معدودة ثم يذبل ويسوء منظره ويبهت لونه الجميل أيضا وتتناثر أوراقه وتسقط، فأئى له أن يواجه ذلك الورد الحقيقي الذي قدّر له الله المالك الأزلي عليه السلام ربعا مستديما وحفظه إلى الأبد من صدمات ريح الخريف، والذي لا تقلّ نضرتة ونضارته وطراوته ونعومته وجماله ولطافته أبدا، ولا يتطرق إلى وجوده المبارك ذبول ولا خمول، بل كلما مرّ عليه الدهر تبيّنت نضارته وطراوته أكثر من ذي قبل، وانكشفت عجائبه أكثر فأكثر، وتبينت للناس حقائقه ودقائقه باستمرار وكثرة؛ أفليس إنكار الفضائل العظيمة لهذا الورد الحقيقي ومراتبه أقصى درجات العماية الباطنية؟

على أية حال، إذا كان هناك شخص عمّة إلى هذه الدرجة ولا يُدرك عظمة شأن هذه الميزات لعماء، فعليه تقع مسؤولية الإتيان بنظير كلام الله الذي أثبتنا من أوجهٍ متنوعة أن هذا الكلام المقدس عديم النظر ويفوق على قدرات البشر. وعليه أن يُرى في كلام بشرٍ من الكمالات الظاهرية والباطنية ما أثبتنا وجوده في كلام الله. (البراهين الأحمديّة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٠٩-٤١٤، الحاشية رقم ١١)

تأثير عظيم لسورة الفاتحة

من معاني الفاتحة التي تفتح وتفصل، وتجعل المؤمن مؤمنا والكافر كافرا، أي أنها تميز بينهما بوضوح، وتفتح القلب وتشرح الصدر، لذا يجب ترديد الفاتحة كثيرا والتدبر في هذا الدعاء جيدا. (جريدة الحُكم، المجلد ٤، رقم ٤٦، عدد: ١٢/٢٤/١٩٠٠م، ص ١-٢)

سورة الفاتحة معجزة

إن سورة الفاتحة معجزة، ففيها الأمر والنهي والنبوءات أيضا. القرآن الكريم بحر عظيم، من أراد أن يستخرج منه شيئا فليتبدر سورة الفاتحة كثيرا لأنها أم الكتاب فمن بطنها تخرج مضامين القرآن الكريم.

التواتر في ثبوت سورة الفاتحة

لا شك أن هناك تواتراً في كل نقطة من نقاط القرآن أما سورة الفاتحة فثبتت بتواتر عظيم إذ تُقرأ في كل ركعة في الصلاة كل يوم.

المنطق في سورة الفاتحة

إن أهل المنطق يفصلون الجنس وغيره عند التعريف كما يقال: الإنسان حيوان ناطق. فهذا الأمر موجود في سورة الفاتحة أيضاً. إذ قال: الحمد لله، ثم قال بعد ذلك: رب العالمين. ثم جاء تفصيله أي الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين وقد بلغ منتهاه فلا يوجد مدح وثناء أكثر من ذلك. (جريدة الحكم، مجلد ٥، رقم ٥، ١٠/٢/١٩٠١م، ص ١٢)

فضيلة سورة الفاتحة

لقد ذكرت كل المعتقدات إشارةً في سورة الفاتحة التي تُقرأ في كل ركعة من الصلوات الخمس، كما قال ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أي جميع المحامد تليق بالله الذي خلق العالمين كلها. «الرَّحْمَنُ» هو الخالق بغير الأعمال، ويهب دون أي مقابل من الأعمال. «الرَّحِيمُ» أي معطي ثمار الأعمال «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» أي مالك يوم الجزاء والعقاب، ففي هذه الصفات الأربعة بيان لأديان العالم كله.

الرد على الآريين

بعض الناس ينكرون كون الله خالق العالمين كلها، ويقولون أن "جيو" أي الأرواح و"برمانو" أي الذرات موجودة من تلقاء نفسها، وكما أن البرميشور موجودٌ منذ القدم تلقائياً، كذلك هي أيضاً من تلقاء نفسها، وأن الأرواح وجميع قواها والخواص والمزايا التي سُجلت في سجلات كثيرة، هي من تلقاء نفسها. ورغم أنها تتمتع بقوة الاتصال والانفصال تلقائياً، فهي بحاجة إلى برميشور لربطها. باختصار، قد أشار الله إلى هذه الفئة في قوله "رب العالمين".

الرد على معتقدات ديانة "سناتن"

والفرقة الثانية هي ما أشير إليها في كلمة "الرحمن"، وهي فرقة "سناتن"، فمع أنهم يؤمنون بأن كل شيء قد صدر من برميشور نفسه، لكنهم يقولون أن لا فضل لله في شيء، وإنما هو يهب ثمار الأعمال، حتى أن الذي خُلق رجلاً فبأعماله، وكذلك إذا كانت هناك امرأة فبنتيجة أعمالها. وإذا وُجدت الأشياء المهمة من الحيوانات والنباتات وغيرها فهي أيضاً نتيجة أعمالها. باختصار، إن هؤلاء ينكرون صفة الله الرحمن، فالله الذي خلق الأرض والشمس والقمر والنجوم وغيرها، وخلق الهواء لتنفس، ونسمع صوت بعضنا بعضاً، وخلق الشمس والقمر وغيرها من الأشياء للضوء، وخلقها في زمن لم يكن للمتفلسين أي أثر فيه؛ فهل يمكن أن يقول أحد إن كل هذه الأشياء خُلقت بسبب أعمالنا فقط؟ فهل يمكن لأحد أن يتباهى بأعماله، وهل يمكن أن يدّعي أحد أن الشمس والقمر والنجوم والهواء قد خُلقت ببركة أعمالنا؟ باختصار، إن صفة الله الرحمن تردُّ على الذين لا يؤمنون بأن الله يرزق دون مقابل، أي دون جهودنا وأعمالنا.

ضرورة الأعمال والمجاهدات

بعده بيان صفة الله الرحيم، أي الذي يُظهر النتائج للجهود والمساعي، والأعمال الحسنة.

هذه الصفة تردُّ على الفرقة التي تعدُّ الأعمال لاغية وعبثاً أصلاً، فيقولون ما الصلاة وما الصيام؟ إذا أنزل الله الغفور الرحيم فضله فسوف ندخل الجنة وإلا فجهنم. وأحياناً ينطق هؤلاء بعبارات من قبيل: هل سنصبح أولياء بالعبادة! إذا أنجزنا شيئاً فحيد وإن لم نفعل فلا بأس. فالله سبحانه يفند مزاعم هؤلاء بقوله: "الرحيم" ويقول: إن الذي يجتهد ويتفاني في عشق الله وحبه، يتميز عن الآخرين ويُعدّ من أحبّاء الله. فالله سبحانه يرشد مثل هؤلاء بنفسه، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)، أي أن الذين يجاهدون من أجلنا نريهم سبلنا

أخيراً، فكل الأولياء والأنبياء والصلحاء الذين خلّوا إلى الآن حين قاموا بمجاهدات كبيرة في سبيل الله، فتح الله عليهم أبوابه في نهاية المطاف. أما الذين لا يؤمنون بصفة الله هذه، فهم يقولون عادة: ما الذي تفيد مساعيها وجهودنا؟ فالذي كُتب في القدر والقضاء سلفاً من اليوم الأول لا محالة نافذ، فلا داعي لبذل الجهود، فسيحدث ما هو حادثٌ تلقائياً. ولعل للصّوص وقطّاع الطرق والأوباش الآخرون أيضاً يدينون بهذا الدين في دخيلة نفوسهم. (الحكم مجلد ١٢، رقم ١، عدد: ١٩٠٨/١/٢، ص ٤-٦)

وسيلة الحماية من النار

لقد جعل الله سورة الفاتحة سبع آيات، لأنّ لجهنم أيضاً سبعة أبواب، وكل آية منها تقوي من كل باب من أبواب جهنم. (جريدة الحُكم، المجلد ٥، رقم ٦، عدد: ١٩٠١/٢/١٧، ص ٧)

سورة الفاتحة تحيط بكل علم ومعرفة

"فالحق أن الفاتحة أحاطت كل علم ومعرفة، واشتملت على كلّ دقيقةٍ حقٍّ وحكمة، وهي تجيب كل سائل، وتذيب كل عدو صائل، ويطعم كلّ نزيلٍ إلى التضيّف مائل، ويسقي الواردين والصادرين. ولا شك أنها تزيل كل شك خيب، وتجيح كل هم شيب، وتعيد كلّ هُدُوّ تغيّب، وتُخجّل كلّ خصيم نيب، ويشر الطالبين. ولا معالج كمثلته لسمّ الذنوب وزيف القلوب، وهو الموصل إلى الحق واليقين." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٤٥)

شجرة تعطي أكل المعرفة

"إنها شجرة طيبة تؤتي كلّ حين أكلًا من المعرفة، ويروي من كأس الحق والحكمة، فمن فتح باب قلبه لقبول نورها، فيدخل فيه نورها، ويطلع على مستورها، ومن غلق الباب فدعا ظلمته إليه بفعله، ورأى التباب ولحق بالهالكين." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٤٥-١٤٦)

سورة الفاتحة وأثره في تنوير الباطن

فمن جملة تلك الخواص السنيّة خاصّةً روحانية في سورة الفاتحة؛ وهي أن قراءتها في الصلوات بخشوع القلب وترسيخ تعليمها في القلب إيقانا بصدقها فعلا، له دور كبير في تنوير القلوب.. أي أن ذلك يؤدي إلى انشراح الصدر وإزالة ظلمة النفس ونزول فيوض مبدأ الفيوض على الإنسان، ويؤدي إلى أن تحيط به أنوار القبول في حضرة الله، فيظل يتقدم في هذ المجال حتى يتشرف بمخاطبات الله تعالى على الوجه التام ويحظى بالكشوف الصادقة والإلهامات الواضحة، ويدخل في المقربين إلى الله تعالى، وتظهر على يده عجائب الإلقاء الغيبي، والكلام الذي لا ريب فيه، وعجائب استجابة الأدعية وكشف الغيوب وتأيد قاضي الحاجات بما لا نظير له في غيره. (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ٦٢٦ - ٦٢٩، الحاشية رقم ١١)

سورة الفاتحة تظهر الأنوار الإلهية

أقول بناء على تجربتي الشخصية: إن سورة الفاتحة مظهر الأنوار الإلهية في الحقيقة. وقد لاحظتُ عند قراءتها عجائبها الكثيرة التي تُعلم من خلالها مرتبة كلام الله المقدس ومنزلته. وبركة هذه السورة المباركة والالتزام بتلاوتها، بلغ كشف الغيب مبلغا كُشِفَتْ به مئات الأخبار الغيبية قبل وقوعها. وبقراءة سورة الفاتحة عند كل مصيبة أزيل الحجاب دائما بشكل عجيب. وأذكر قرابة ثلاثة آلاف كشف صحيح ورؤيا صادقة رأيتهَا إلى الآن، وتحققت أيضا كانبلاج الفجر. ففي أكثر من مئتي مرة رأيت علامات استجابة الدعاء بوضوح تام عند مواقف حرجة، وذلك حين لم يكن هناك أي احتمال لحل المشكلة. وظلت أنواع العجائب من قبيل كشف القبور وغيرها تظهر بالالتزام بورد هذه السورة، ولو وقع أدنى ظل لها على قلب قسيس أو بانديت لاستعد فوراً للتضحية بروحه من أجل قبول الإسلام قاطعا علاقته بحب الدنيا.

وكذلك إن النبوءات الصادقة التي كُشِفَتْ لي بواسطة الإلهامات الصادقة - وقد تحققت ولا يزال يتحقق بعضها أمام أعين المعارضين - لا تقل عن حجم إنجيلين

لكثرتها بحسب رأيي. لقد حظيتُ - بركة اتباعي لسيدنا الرسول الأكرم ﷺ - بمخاطبات الله التي أوردتُ نورا يسيرا منها كنموذج في إلهامات بالعربية وغيرها، وذلك في حاشية الحاشية رقم ٣. ولقد خصني الله تعالى بمخاطباته وشرفني بعلومه اللدنية ببركة اتباع ذلك الرسول المقبول ﷺ وحبّه، وببركة اتباع كلامه ﷺ المقدس، وأطلعني على أسرار خفية كثيرة، وملاً صدري بكثير من الحقائق والمعارف، وأخبرني مرارا وتكرارا أن هذه العطايا والأفضال والتفضلات والمنن والألطف والتوجهات والإنعامات والتأييدات وكل هذه المكالمات والمخاطبات إنما هي ببركة اتباع سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ وحبّه. (البراهين الأحمدية، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٤٢ - ٦٤٦ الحاشية رقم ١١)

عظمة سورة الفاتحة

إن دقائق سورة الفاتحة ومعارفها وخواصها التي كتبناها إلى الآن إنما هي عديمة المثال والنظير بالبداية. فمثلا لو تدبّر أحد بالإنصاف المرتبة العالية التي تحتلها الحقائق الموجودة في سورة الفاتحة، ثم نظر إلى الدقائق والنقاط التي تشملها هذه السورة الكريمة، ثم لاحظ حسن البيان وإيجاز الكلام أنه كيف ملئ بمعان واسعة وكثيرة في كلمات قليلة، ثم نظر إلى رونق العبارة وبهائها وكم فيها من السلاسة والنقاء والنعومة وكأنها ماء في غاية النقاء والصفاء يجري بهدوء، ثم فكّر في نفسه عن تأثيراتها الروحانية التي تطهر القلوب من الظلمات البشرية بوجه خارق للعادة، وتجعلها محط أنوار الله تعالى التي أثبتّها في هذا الكتاب في كل مكان لتبين له علو شأن القرآن الكريم - الذي لا يسع القوى البشرية مبارزته - بجلاء لا يتصوّر أكثر منه. (البراهين الأحمدية، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٠ - ٦٥١ الحاشية رقم ١١)

سورة الفاتحة حصن حصين

"إن الفاتحة حصن حصين، ونور مبين، ومعلّم ومُعِين. وإنها يحصن أحكام القرآن من الزيادة والنقصان كتحصين الثغور بإمرار الأمور. ومثلها كمثّل ناقة تحمل كل ما

تحتاج إليه، وتوصل إلى ديار الحبِّ مَنْ ركب عليه، وقد حُمِّل عليها مِنْ كل نوع الأزواد والنفقات، والثياب والكسوات. أو مثلها كمثل بركةٍ صغيرٍ، فيها ماء غزير، كأنها مجمعُ بحار، أو مجرى قَلْهَدمٍ زخارٍ. وإني أرى أن فوائد هذه السورة الكريمة ونفائسها لا تُعدُّ ولا تُحصى، وليس في وَسع الإنسان أن يحصيها وإنْ أنفَدَ عمرًا في هذا الهوى. وإن أهل الغيِّ والشقاوة ما قدروها حق قدرها من الجهل والغباوة، وقرأوها فما رأوا طِلَوتها مع تكرار التلاوة. وإنها سورة قويُّ الصول على الكفرة، سريعُ الأثر على الأفئدة السليمة، وَمَنْ تَأَمَّلَهَا تَأَمَّلَ المنتقد، ودانها بفكر منير كالمصباح المتقد، أَلْفَاها نورَ الأبصار ومفتاح الأسرار. وإنه الحق بلا ريب، ولا رَجْمٍ بالغيب. وإن كنتَ في شكٍّ فقمْ وجربْ واترك اللغوب والأين، ولا تسأل عن كيف وأين. ومن عجائب هذه السورة أنها عَرَّفَ الله بتعريف ليس في وَسع بشرٍ أن يزيد عليه. فندعو الله أن يفتح بيننا وبين قومنا بالفاتحة، وإنَّا توكلنا عليه. آمين يا رب العالمين." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية المجلد ١٨، ص ٧٩-٨١)

إن قراءة سورة الفاتحة ضرورية. وهي دعاء بجد ذاتها، ويتبين منها بكل صراحة أن الدعاء الحقيقي هو في الصلاة فقط. فقد علَّم الله تعالى هذا الدعاء على النحو التالي: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ... إلخ. أي من الضروري قبل الدعاء أن نحمد الله ونثني عليه، لكي يتولَّد في الروح حماس، ويتولَّد حبُّ الله تعالى أيضًا. لذا فقد قال تعالى: الحمد لله رب العالمين الذي هو خالق الجميع ومربيهم. الرحمن: الذي يعطي الإنسان بغير عمل وطلب منه. الرحيم: أي يجازي على العمل في هذه الدنيا وفي الآخرة أيضًا. مالك يوم الدين: الجزاء كله بيده. الخير والشر كله بيد الله. يصبح الإنسان موحدًا كاملاً حين يؤمن بالله مالك يوم الدين. إن اعتبار الحكام كل شيء عند مقابلتهم ذنب يستلزم الشرك. غير أنه لا بد من طاعتهم ما دام الله تعالى قد جعلهم حكامًا، ولكن يجب ألا تتخذوهم آلهة أبدًا. بل أعطوا الإنسان حقه وأعطوا الله حقه. ثم قولوا: إياك نعبد وإياك نستعين. إهدنا الصراط المستقيم:

صراط الذين أنعمت عليهم. المنعم عليهم هم حزب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. ففي هذا الدعاء نطلب الفضل والإنعام الذي أنعم به على هذه الأحزاب كلها. وأنقذنا يا ربنا من صراط المغضوب عليهم وصراط الضالين. (الحكم رقم ٢٣، مجلد ٦، عدد: ١٩٠٢/٦/٢٤، ص ٢)

إشراك بني البشر جميعا في دعاء سورة الفاتحة

يجب الانتباه إلى ثلاثة أمور بحق الدعاء في هذه السورة (١) أن يشارك المرء فيه بني البشر كلهم (٢) يشارك المسلمين كلهم. (٣) يشارك المصلين جميعا الذين حضروا الصلاة. فهذه النية يشترك الجميع في الدعاء وهذه هي مشيئة الله تعالى. (مكتوب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إلى شيخ غلام نبي ﷺ نقلا عن الحكم، رقم ٢٠ و ٢١، مجلد ٤٠، ١٩٣٧/٧/٢٨ م إلى ١٩٣٧/٨/٧ م ص ٣)

تأثير تكرار سورة الفاتحة في الدعاء

إن لتكرار سورة الفاتحة في الدعاء تأثيرا عظيما. مهما عانى المرء من عدم الخشوع والمتعة يجب عليه الاستمرار في هذا العمل أي تكرار الآية: إياك نعبد وإياك نستعين. وأحيانا يجب أن يكرر الآية: اهدنا الصراط المستقيم، ويكرر في السجدة يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. (الحكم، رقم ١، مجلد ٢، عدد: ١٨٩٨/٢/٢٠، ص ٩)

إن تكرار سورة الفاتحة في الصلاة مستحسن، والأفضل أن يكرر المرء الآية: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم، في صلاة التهجد بخضوع القلب ويعرض قلبه لتنزل الأنوار الإلهية عليه. وفي بعض الأحيان يجب أن يكرر الآية: إياك نعبد وإياك نستعين. إن تكرار هاتين الآيتين سيكون سببا لتنوير القلب وتركيز النفس بإذن الله. (الحكم، رقم ٢٣، مجلد ٧، عدد: ١٩٠٣/٦/٢٤، ص ٣)

"ثُمَّ اعْلَمَ أَنَّ آيَاتِ هَذِهِ السُّورَةِ (الْفَاتِحَةِ) سَبْعٌ وَالنُّجُومُ سَبْعٌ فَقَدْ حَادَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَجْمًا لِيَكُونَ كُلُّهَا لِلشَّيْطَانِ رَجْمًا." (سجل محاورات العرب، تدوين سيدنا المسيح الموعود عليه السلام)

إن أربع سورة من القرآن الكريم تُقرأ بكثرة، وفيها ذكر جماعة المسيح الموعود. (١) سورة الفاتحة التي تُقرأ في كل آية، وفيها دليل على ادعائي كما سُتبت في التفسير. (٢) سورة الجمعة التي فيها ذكر جماعة المسيح الموعود في ﴿آخِرِينَ مِنْهُمْ﴾ وهي تُقرأ كل يوم الجمعة. (٣) سورة الكهف التي أوصى النبي ﷺ بقراءتها. وفي آياتها العشرة الأولى والأخيرة ذكر الدجال. (٤) سورة القرآن الأخيرة التي سُمي فيها الدجال خناسا. وهذه هي الكلمة نفسها التي وردت في التوراة العبرية للدجال أي النحاش נחש، كذلك ذُكر بكثرة في أماكن أخرى أيضا في القرآن الكريم. (الحكم، مجلده، رقم ٣، عدد: ١٩٠١/١/٢٤م، ص ١١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

حكم الاستعاذة والحكمة فيها

"اعلم يا طالب العرفان، أنه مَنْ أَحَلَّ نفسه محلَّ تلاوة الفاتحة والفرقان، فعليه أن يستعيز من الشيطان، كما جاء في القرآن، فإن الشيطان قد يدخل جَمِي الحُضرة كالسارقين، ويدخل الحَرَمَ العاصم للمعصومين، فأراد الله أن ينجي عباده من صَوْلِ الخَنَاسِ عند قراءة الفاتحة وكلام رب الناس، ويدفعه بحربة منه ويضع الفأس في الرأس، ويخلص الغافلين من النُعاس؛ فعَلَّمَ كلمةً منه لطرد الشيطان المدحور إلى يوم النشور. وكان سرّ هذا الأمر المستور، أن الشيطان قد عادى الإنسان من الدهور، وكان يريد إهلاكه من طريق الإخفاء والدُّمُور، وكان أحبَّ الأشياء إليه تدمير الإنسان، ولذلك ألزَمَ نفسه أن تصغي إلى كل أمر ينزل من الرحمن لدعوة الناس إلى الجِنان، ويبذل جهده للإضلال والافتتان. فقدّر الله له الخبيّة والقوارع ببعث الأنبياء، وما قتله بل أنظره إلى يوم تُبعث فيه الموتى بإذن الله ذي العزة والعلاء. وبشّر بقتله في قوله: ﴿الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، فتلك هي الكلمة التي تُقرأ قبل قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ذكر قتل الدجال في كلمة "الرجيم"

وهذا الرجيم هو الذي ورد فيه الوعيد، أعني الدجال الذي يقتله المسيح المنيّد. والرجمُ القتلُ كما صُرح به في كتب اللسان العربية. فالرجيم هو الداجل الذي يُغال في زمان من الأزمنة الآتية. وعدُّ من الله الذي يخول على أهله ولا تبديلَ للكلمِ الإلهية. فهذه بشارة للمسلمين من الله الرحيم، وإيماءٌ إلى أنه يقتل الدجال في وقتٍ كما هو المفهوم من لفظ الرجيم.

أبيات حول معنى الرجم

ومعنى الرّجْمُ في هذا المقام كما عُلِّمْتُ مِنْ رَبِّ الْأَنَامِ
هو الإِعْضَالُ إِعْضَالُ اللَّئَامِ وإِسْكَاتُ الْعِدَا كَهَفِ الظَّلَامِ
وضَرْبٌ يَخْتَلِي أَصْلَ الْخِصَامِ ولا نَعْنِي بِهِ ضَرْبَ الْحُسَامِ

زمن قتل الدجال

وقد أتى زمان تَهْلُكُ فيه الأباطيل ولا تبقى الزور والظلام، وتغنى الملل كلها إلا الإسلام، وتُمَلَأُ الأرضُ قسْطاً وعدلاً ونوراً، كما كانت مُلثت ظلمًا وكفرًا وجورًا وزورًا، فهناك تقتل مَنْ سبق الوعيد لتدميره، ولا نعني من القتل إلا كسر قوّته وتنجية أسيره.

فحاصل الكلام أن الذي يقال له الشيطان الرجيم، هو الدجال اللّقيم والخنّاس القديم، وكان قتله أمرًا موعودًا، وخطبًا معهودًا، ولذلك ألزم الله كافّة أهل الملّة، أن يقرأوا لفظ "الرجيم" قبل قراءة الفاتحة وقبل البسملة، ليتذكر القارئ أن وقت الدجال لا يجاوز وقت قومٍ ذُكروا في آخر آية من هذه الآيات السبعة. وكان قدرُ الله كُتِبَ من بدء الأوان أنه يقتل الرجيم المذكور في آخر الزمان، ويستريح العبادُ من لدغ هذا الثعبان. فالיום وصل الزمان إلى آخر الدائرة، وانتهى عمر الدنيا كالسبع المثاني إلى السابعة من الألوف الشمسية والقمرية. اليوم تجلّى الرجيم في مظهرٍ هو له كالحلل

البروزية، واختتم أمر الغي على قوم اختتم عليه آخر كلم الفاتحة. ولا يفهم هذا الرمز إلا ذو القريحة الوقادة.

لن يُقتل الدجال إلا بفضل الله

ولا يُقتل الدجال إلا بالحربة السماوية، أي بفضل من الله لا بالطاقة البشرية، فلا حرب ولا ضرب ولكن أمر نازل من الحضرة الأحدية. وكان هذا الدجال يبعث بعض ذراريه في كل مائة من مئتين، ليضل المؤمنين والموحدين والصالحين والقائمين على الحق والطالبين، ويهدد مبائى الدين، ويجعل صحف الله عريضاً. وكان وعد من الله أنه يُقتل في آخر الزمان، ويغلب الصلاح على الطلاح والطغيان، وتبدل الأرض ويتوب أكثر الناس إلى الرحمن، وتشرق الأرض بنور ربها، وتخرج القلوب من ظلمات الشيطان. فهذا هو موت الباطل وموت الدجال وقتل هذا الثعبان.

ليس المراد من الدجال شخص واحد

أم يقولون إنه رجل يُقتل في وقت من الأوقات؟ كلا.. بل هو شيطان رجيم أبو السيئات، يُرجم في آخر الزمان بإزالة الجهلات، واستيصال الخزعبيلات. وعد حق من الله الرحيم، كما أشير في قوله: ﴿الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ﴾ فقد تمت كلمة ربنا صدقاً وعدلاً في هذه الأيام، ونظر الله إلى الإسلام، بعدما عنت به البلايا والآلام، فأنزل مسيحه لقتل الخناس وقطع هذا الخصام.

الحكمة في تسمية الشيطان رجيماً

وما سُمي الشيطان رجيماً إلا على طريق أنباء الغيب، فإن الرجم هو القتل من غير الريب. ولما كان القدر قد جرى في قتل هذا الدجال عند نزول مسيح الله ذي الجلال، أخبر الله من قبل هذه الواقعة تسلياً وتبشيراً لقوم يخافون أيام الضلال.

(إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٨١ - ٨٩)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

المعنى: إن الإله الذي اسمه الله يستحق جميع أنواع المحامد، وهو وحده الجدير
بكل ثناء لأنه رب العالمين ورحمن ورحيم ومالك يوم الدين. نحن نعبدك وحدك (يا
صاحب هذه الصفات الكاملة) وبك وحدك نستعين، اهْدِنَا الصراط المستقيم الذي
هو صراط الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، واجْتُنِبْنَا سُبُلَ الَّذِينَ حَلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُكَ فِي هَذَا
العالم فِي صورة الطاعون وغيره من أنواع الغضب، واجْتُنِبْنَا أَيْضًا سُبُلَ الَّذِينَ ابْتَعَدُوا
عَنْ طَرِيقِ النِّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ وَسَيُوجِهُونَ الْعَذَابَ أَخِيرًا وَإِنْ لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِمْ أَيْ غَضَبُ
فِي هَذَا الْعَالَمِ. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية المجلد ١٤، ص ٢٤٦)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

هذه هي الآية الأولى من آيات هذه السورة، وقد وردت البسملة في بداية سور
أخرى أيضا في القرآن الكريم، كما وردت في مكان آخر أيضا في القرآن الكريم. ولم
تُكْرَرْ آية أخرى في القرآن مثل تكرار هذه الآية. ولأن المسنون في الإسلام أن هذه
الآية تُقْرَأَ تَيْمُّنًا واستعانة في بداية كل عمل أُريدَ فيه الخير والبركة، لذا فقد اشتهرت
هذه الآية بين الأعداء والأصدقاء، والصغار والكبار لدرجة أنه إذا كان هناك شخص
يجهل الآيات القرآنية كلها، فمع ذلك يُؤْمَلُ أملا قويا ألا يجهل هذه الآية.

وإليكم الآن ما تحويه هذه الآية من الحقائق الكاملة. فمن جملتها أن الهدف
الحقيقي من نزولها أن يُعَلَّمَ العباد الضعفاء والغافلون أن الاسم الأعظم لذات واجبة
الوجود؛ وهو "الله" بحسب المصطلح الرباني المذكور في القرآن الكريم، يُطْلَقُ عَلَى

الذات الجامعة لجميع الصفات الكاملة والمنزهة عن جميع الرذائل؛ وهو المعبود الحق والواحد الذي لا شريك له ومبدأ جميع الفيوض. ولهذا الاسم الأعظم صفات كثيرة، وقد ذُكرت اثنتان منها في البسملة، وهما: "الرحمن" و"الرحيم"؛ وهاتان الصفتان اقتضتا نزول كلام الله وصدور أنواره وبركاته. وبيان ذلك أن نزول كلام الله المقدس في الدنيا وإطلاع العباد عليه إنما هو مقتضى صفة "الرحمن". لأن كيفية صفة الرحمانية - كما سأفصل ذلك لاحقا أيضا - هي أنها تعمل عملها بمحض فضل الله وجوده وعطائه دون أن يسبقها عمل عامل، كما خلق الله تعالى الشمس والقمر والماء والهواء وغيره لصالح الناس. فإن هذا الجود والعطاء كله هو نتيجة صفة الرحمانية، وليس لأحد أن يدّعي أنها خلقت جزاء على عمل من أعماله. كذلك إن كلام الله الذي نزل لإصلاح العباد وهدايتهم فقد نزل نتيجة هذه الصفة، وما من نفس منقوسة يسعها الادّعاء أن كلام الله المقدس الذي يشمل شريعته ﷺ، قد نزل جزاء عمل من أعماله أو مجاهدة من مجاهداته أو أجرًا على طهارته الباطنية. لذا فإن كلام الله الكامل والمقدس الذي جاء إلى الدنيا بفرائضه ﷺ وأحكامه وأطلع خلق الله على مشيئته، قد نزل في الوقت المناسب تماما حين كانت الحاجة لنزوله ملحّة، مع أنه قد خلا إلى يومنا هذا آلاف من الذين ادّعوا الطهارة الباطنية وعاشوا عيش الزهد والعبادة. بيد أنه من المحتوم تماما ألا ينزل كلام الله المقدس إلا على الأطهار الذين يحتلون مكانة عليا في القدسية والطهارة الباطنية، لأنه لا انسجام ولا علاقة بين الطيب والنجس. ولكن ليس ضروريا على الإطلاق أن تستلزم القداسة والطهارة الباطنية نزول كلام الله دائما، بل إن نزول شريعة الله الحقّة وتعليمه مرتبط بالضرورات الحقّة. فحيثما نشأت الضرورات الحقّة وبدا نزول كلام الله لإصلاح الزمن واجبا، أنزل الله الحكيم القدير كلامه في ذلك الزمن. وإن كان هناك مئات الآلاف من الناس متصفين بصفة التقوى والطهارة في أيّ زمن آخر، ومهما كانوا متحلين بالقدسية والطهارة الباطنية، فلا ينزل عليهم كلام الله الكامل الذي يشمل

الشريعة الحقّة قط. غير أن بعضاً من هؤلاء الأطهار باطنياً يحضون بمكالمات الله تعالى ومخاطباته، وذلك أيضاً إذا كانت لها ضرورة حقّة بحسب حكمة الله ﷻ. والفرق بين كلا النوعين من الضرورات هو أن الشريعة الحقّة تنزل حين ينحرف الناس عن جادة الاستقامة بسبب الضلال، وتكون هناك -لإعادتهم إلى الصراط المستقيم- حاجة لشريعة جديدة تستطيع أن تتدارك جيّدا آفاتهم السائدة، وترفع ظلّمتهم وظلامهم بنورها كلياً ببيانها الكامل والمقنع، وتقدر بواسطة بيانها القوي على القيام بمعالجة مطلوبة لحالة الزمن الفاسدة. أما المكالمات والمخاطبات التي يحظى بها أولياء الله فلا ضرورة في أغلب الأحيان للحاجة العظمى المذكورة آنفاً، بل يكون المراد من تلك المكالمات أن يُخلّع على الولي لباس الصبر والاستقامة عند المصيبة أو المحنة، أو يُبشّر عند غلبة الهمّ والحزن. أما الكلام الكامل والمقدس الذي ينزل على أنبياء الله ورسله فينزل، كما بيّنت قبل قليل، عندما تطرأ الضرورة الحقّة حين يكون البشر بحاجة ماسة إلى نزوله.

باختصار، إن الموجب الحقيقي وراء نزول كلام الله ﷻ هو الضرورة الحقّة؛ فعندما يظلم الليل كله ولا يبقى للضوء أثر، تُدركون فوراً أن طلوع الهلال الجديد قريب. كذلك حين تغلب على الدنيا ظلمة الضلال بشدة يرى العقل السليم أن طلوع هذا الهلال الروحاني قريباً جداً. كذلك حين تسوء حالة الناس بشدة بسبب إمساك المطر، يتربّب العقلاء نزول الغيث قريباً جداً. وكما حدد الله تعالى بعض الشهور لهطول الأمطار في قانونه المادي (أي الشهور التي يكون فيها خلق الله تعالى بأمس الحاجة إلى المطر في الحقيقة) فلا يُستنتج من المطر الذي يهطل في تلك الأشهر أن الناس في تلك الأشهر المعينة يكسبون الحسنات أكثر، ويتورطون في أشهر أخرى في الفسق والفجور، بل يجب أن يُفهم من ذلك أن الزرع تكون بحاجة إلى المطر في تلك الأشهر، وإن نضرة بقية أشهر العام وخضرتها تعتمد على نزول الأمطار في تلك الأشهر بالذات. كذلك إن طهارة أحد أو تقواه ليس مدعاة لنزول كلام الله

وَعَلَيْكَ، بمعنى أنه لا يمكن أن تكون العلة الموجبة لنزول ذلك الكلام الإلهي أن فلانا كان مقدسا وطيب الباطن جدا أو كان متعطشا للصدق وحريصا عليه، بل كما قلنا مرارا: إن الموجب الحقيقي لنزول الكتب السماوية هو الضرورة الحقة.. أي الظلمة التي تسود العالم وتقتضي نورا سماويا لينزل ويزيل الظلام. فإلى ذلك أشار الله تعالى في كلامه المجيد إشارة لطيفة فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ٢).. فمع أن هذه الليلة هي ليلة عظيمة بحسب معناها المتداول، ولكن يبدو من إشارات القرآن الكريم أن حالة الدنيا المظلمة أيضا في حكم ليلة القدر من حيث ميزات الخافية، وأن للصدق والصبر والزهد والعبادة في هذه الأيام المظلمة قدرا عظيما عند الله تعالى. وإنها لتلك الحالة من الظلمة التي بلغت أوجها في زمن بعثة النبي ﷺ واقتضت نورا عظيما. فبالنظر إلى تلك الحالة المظلمة وترحما على العباد الذين يعيشون فيها هاجت صفة الرحمانية، فتوجهت البركات السماوية إلى الأرض. فصارت تلك الحالة المظلمة مباركة للدنيا فنالت حظا من الرحمة العظيمة فجاء لهداية الدنيا الإنسان الكامل وسيد الرسل الذي لم ولن يولد مثله أبدا، وجاء للدنيا بكتاب منير لم تر عين مثله. فكان تجليا عظيما لكمال رحمانية الله ﷻ إذ أنزل في وقت الظلمة والظلام نورا عظيما اسمه الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، والذي أحق الحق وأفنى الباطل، ونزل على الأرض حين كانت الأرض قد ماتت ميتة روحانية، وظهر فساد كبير في البر والبحر، فقد حقق بنزوله مهمة عظيمة أشار الله تعالى إليها بنفسه قائلا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الحديد: ١٨)؛ أي كانت الأرض قد ماتت، والآن يحييها الله من جديد.

يجب الانتباه جيدا إلى أن نزول القرآن الكريم لإحياء الأرض كان نتيجة هياج صفة الرحمانية. إنها الصفة نفسها التي تهيج أحيانا ماديا وتُسعف الذين أصابهم القحط، فتُمطر الغيث على الأرض اليابسة، وأحيانا أخرى تهيج الصفة نفسها روحانيا وترحم الجياع والمتعطشين الموشكين على موت الضلال، ولا يبقى لديهم

غذاء الحق والصدق الذي هو مدعاة للحياة الروحانية. فكما يهيئ الرحمن القديرُ غذاءً للجسم عند حاجته إليه، كذلك يهيئ بمقتضى رحمته الكاملة غذاءً روحانياً أيضاً عند الضرورة الحقة. غير أنه صحيح تماماً أن كلام الله تعالى إنما ينزل على الأصفياء فقط الذين يرضى عليه السلام عنهم، ويكلّم الله ويخاطب الذين يحبهم فقط. ولكن ليس صحيحاً قط أن مَنْ كان الله تعالى راضياً عنه ينزل عليه كتاباً دون ضرورة حقة، أو أنه عليه السلام يكلّم أحداً حتماً ودائماً بغير ضرورة حقة نتيجة التزامه بالطهارة فقط. بل الحق أن كتاب الله تعالى إنما ينزل حين تمس الحاجة لنزوله في الحقيقة.

فملخص الكلام أن الموجب الحقيقي لنزول وحي الله هو رحمانية الله تعالى وليس عمل عامل. وإنه لصدقٌ عظيم يجمله معارضونا البرهمو وغيرهم.

ثم ليكن معلوماً أيضاً أن استفاضة أحد من الناس من كلام الله تعالى على وجه الحقيقة ووصوله إلى الغاية المنشودة بعد أن يحظى ببركاته وأنواره، وأن ينال ثمرة سعيه وجهده؛ إنما يحدث نتيجة تأييد صفة الرحيمية. لذلك فقد ذكر الله تعالى صفة الرحيمية بعد الرحمانية ليُعلم أن وقوع تأثيرات كلام الله في النفوس البشرية يكون نتيجة تأثير صفة الرحيمية. وبقدر ما يكون أحد منزّها عن الإعراض الظاهري والمعنوي، وعلى قدر ما يتولد في قلبه إخلاص وصدق، وبقدر ما يتمسك بالاتباع بجهد وسعي؛ تقع تأثيرات كلام الله عليه السلام في قلبه ويحظى بأنواره بالقدر نفسه، وتتولد فيه العلامات المتميزة للمتقبّلين عند الله تعالى.

والحقيقة الثانية المودعة في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هي أن هذه الآية نزلت لافتتاح القرآن الكريم، والهدف من وراء قراءتها هو الاستعانة بذات جامع لجميع الصفات الكاملة الذي من صفاته "الرحمن"، فهو يخلق لطالب الحق أسباب الخير والبركة والرشد بمحض فضله ومنتته.

والصفة الثانية هي أنه "الرحيم"؛ أي لا يُضيع عمل عامل ولا يُهدر سعي ساعٍ، بل يثمر جهوده بثمرات حسنة، ويرزقه ثمرات مساعيه. ولا يمكن أن يتم عملٌ سواء

أكان دينويا أم دينيا بغير هاتين الصفتين؛ أي الرحمانية والرحيمية. لو تأملت في الموضوع لتبين أن هاتين الصفتين تعملان عملهما في كل حين وآن لإنجاز مهمات الدنيا كلها. إن رحمانية الله تعالى لا تزال تتجلى منذ زمن لم يكن الإنسان قد خلق فيه بعد. فإن الرحمانية تهيب للإنسان أسبابا تفوق قدرته، ولا يستطيع أن ينالها بحيلة أو طريقة قط. ولا تُعطى هذه الأسباب نتيجة عمل، بل توهب على سبيل الفضل والمنة، وذلك مثل بعثة الأنبياء، ونزول الكتب، وهطول الأمطار، وتسخير الشمس والقمر والهواء والسحاب وغيرها، ومجيء الإنسان نفسه إلى هذه الدنيا مشرفاً بأنواع القوى وأصناف القدرات، ثم نواله عمرا مديدا بالصحة والفراغ والأمن؛ فكل هذه الأمور تأتي إلى حيز الوجود بمقتضى صفة الرحمانية. كذلك إن رحيمية الله تعالى أيضا تتجلى حين ينشط الإنسان قواه التي وهبها الله تعالى إياه لإنجاز عمل ما - بعد نيله جميع أنواع التوفيق منه - ويذل قوته وقدرته قدر استطاعته. فقد جرت عادة الله في هذه الحالة أنه **وَعَجَّلَ** لا يدع مساعيه تذهب أدراج الرياح، بل يثمرها بثمرات حسنة. فإنها رحيميته المحضة التي تنفث الحياة في مساعي الإنسان الميتة.

وليكن معلوما الآن أن المراد من تعليم هذه الآية الشريفة هو طلب العون والبركة عند افتتاح القرآن الكريم برحمانية الله الجامع للصفات الكاملة ورحيميته. والهدف من وراء طلب البركة من صفة الرحمانية هو أن ييسر ذلك الإله الكامل برحانيته وبمحض لطفه وإحسانه جميع الأسباب التي يقتضيها الجهد في اتباع كلامه **وَعَجَّلَ**؛ مثل طول العمر والتمتع بالصحة والفراغ ووقت الصفاء وسلامة القوى والقدرات، وعدم مواجهة ما من شأنه أن يوقع الخلل في الراحة والأمن، وعدم حيلولة مانع يمنع القلب من التركيز. فإن نوال التوفيق من كل نوع يتسنى نتيجة الرحمانية.

والهدف من وراء طلب البركة من صفة الرحيمية هو أن يثمر ذلك الذات الكامل مساعي الإنسان بثمرات حسنة برحيميته وينقذ جهوده من الضياع، ثم يبارك في أعماله بعد مساعيه وجهوده. إذن، فإن التبرك والاستعانة بصفتي الله

تعالى الرحمانية والرحيمية كليهما عند افتتاح كلام الله عز وجل، بل عند كل أمر ذي بال؛ حقيقة ناصعة بدرجة عليا تؤدي بالإنسان إلى الحصول على حقيقة التوحيد، فيطلع المرء على جهله وعدم علمه وقلة فهمه وضلاله وعجزه وهوانه بيقين كامل، ويتمركز نظره على عظمة مبدأ الفيض وجلاله، ويرى نفسه مفلسا تماما ومسكينا وضعيفا وشيئا لا يُذكر، فيطلب من الله القادر القدير بركات رحانيته ورحيميته. ومع أن هاتين الصفتين من صفات الله تعالى تعملان عملهما من تلقائهما، ولكن الله الحكيم القدير قد وضع للناس في قانون الطبيعة منذ القدم أن لدعائه واستعانه دورا كبيرا في النجاح. إن الذين يدعون ربهم بصدق القلب في مهماتهم ويبلغ دعاؤهم مبلغ الإخلاص الكامل، يتوجه الفيض الإلهي إلى حل مشاكلهم حتما. كل من ينتبه إلى نقاط ضعفه ويتنبه إلى تقصيراته، لا يقوم بعمل تاركا الحبل على الغارب ومُعجبا بنفسه، بل توجه العبودية الحقة إلى أنه لا بد من الاستعانة بالله القادر القدير. يوجد هذا الحماس للعبودية الصادقة في كل قلب ثابت على بساطته الفطرية ومطلع على ضعفه.

إذن، فإن الصادق الذي لم يتأصل الكبر والعجب في روحه وهو مطلع جيدا على ضعفه وعلى أنه ليس شيئا يجدر بالذكر، ولا يرى نفسه قادرا على إنجاز عمل ما، ولا يجد في نفسه قوة ولا قدرة حين يبدأ بأي عمل، فإن روحه الضعيفة تتطلب قوة من السماء دون أدنى تصنع، ويرى الله القادر المقتدر بكماله وجلاله أمام عينيه كل حين وأن، ويرى رحانيته عز وجل ورحيميته مدار إنجاز كل عمل، فيستعين بالله بدعاء: "بسم الله الرحمن الرحيم" عفويا قبل استخدام قوته الناقصة وقدرته المتداعية. وبسبب هذا التواضع والانكسار يصبح جديرا بأن ينال قوة من قوة الله وقدرته من قدرته عز وجل وعلمنا من علمه ويفوز في مراداته. لا أرى حاجة لإثبات هذا المبدأ بأدلة متكلف فلسفية أو منطقية، بل إن في روح كل إنسان قدرة على فهمه، كما تشهد بالتواتر تجارب عارف صادق على صدقه. وإن استعانة العبد بالله تعالى ليس عملا

لغوا أو مزيفًا أو مبنيًا على أفكار لا أصل لها بحيث لا تترتب عليه نتيجة معقولة، بل هذه الحقيقة سارية المفعول منذ قديم الزمان بحسب سنة الله القديمة -الذي هو قيوم العالم في الحقيقة، والذي بالاستناد إليه تجري أمور الدنيا كلها- أن الذين يستعينون بالله في أمورهم حاسبين أنفسهم محتقرين أذلاء ويبدأون أعمالهم باسمه ﷻ يعينهم الله ﷻ. وعندما يتوجهون إليه بكامل التواضع والعبودية تحالفهم تأييداته. فالاستعانة باسم مبدأ الفيض "الرحمن الرحيم" عند بدء كل عمل، إنما هو طريق الأدب والعبودية والفناء والزهد، وهو طريق في غاية الأهمية؛ إذ تبدأ به الدرجة الأولى للتوحيد في الأعمال، وبالالتزام به يتواضع الإنسان كالصبيان، ويتطهر من مختلف أنواع الزهو الذي تمتلئ به قلوب الذين يدعون التعقل والمتكبرين من أهل الدنيا. ويقينه الكامل بضعفه ونصرة الله ﷻ ينال المرء نصيبا من المعرفة التي يُعطّاها أهل الله فقط. ومما لا شك فيه أنه كلما التزم المرء بهذا المبدأ وفرض على نفسه العمل به، ورأى في نبذه هلاكه.. أصبح توحيده صافيا ومقدسا وتنزّه من شوائب العُجب والأنانية، وزال عن وجهه سواد التكلف والتصنع، ولمع في وجهه نور البساطة والطيبة والبراءة. فهذا هو الصدق الذي يوصل الإنسان إلى مرتبة الفناء في الله رويدا رويدا، حتى يرى المرء أن كلّ ما يملكه ليس من عنده، بل ينال كل شيء من الله تعالى. وكلما اعتصم المرء بهذا المبدأ بدأت نسمات شذى التوحيد تصله دفعة واحدة، وتعطر قلبه وذهنه بشرط ألا تكون حاسة شمه فاسدة.

فمن أجل الالتزام بهذا الصدق، يحتاج الطالب الصادق للاعتراف بضعفه وكونه حقيرا ولا قيمة له، ويضطر للإدلاء بشهادة أن الله جلّ شأنه هو المتصرف والقدير ومبدأ الفيوض كلها. وإن كلا هذين الأمرين هما الغاية المنشودة لطالب الحق، وشرط أساسي للوصول إلى مرتبة الفناء. ويكفي لفهم هذا الشرط الضروري مثال أن ماء المطر لا يسقط إلا على من يقوم في المطر أثناء نزوله، حتى لو كان المطر نازلا على مستوى العالم. فمن طلب أعطي ومن جدّ وجد. أما الذين يعتمدون على عقلهم

أو براعتهم أو قوتهم عند الشروع في عمل، ولا يتوكلون على الله فهم لا يقدرّون الله القادر القدير الذي تحيط قيوميته بالعالم كله، ويكون إيمانهم كغصن يابس ليس له علاقة بشجرته الخضراء النضرة، بل قد ييس ولم يعد له أدنى نصيب من نضرة شجرته ولا من ثمارها أو أزهارها، وليس له مع الشجرة إلا علاقة ظاهرية يمكن أن تُقطع بهزة هوائٍ خفيفةٍ أو بتحريك من أحد. فهذا هو مثل إيمان الفلاسفة المتمسكين بظواهر الأمور، الذين لا يتوجهون إلى الاستعانة بقيوم العالم، ولا يحسبون لطرفة عين أو دائما أنهم بحاجة لله تعالى الذي هو مبدأ الفيوض. فإن هؤلاء القوم بعيدون عن التوحيد الحقيقي بُعد الظلام عن النور. لا يفقهون أن اعتبار المرء نفسه حقيرا وشيئا لا يُذكر، وطرحه نفسه على عتبات قوة عظمى للقادر القدير هو النقطة النهائية لمراتب العبودية، والمقام الأعلى للتوحيد؛ الذي منه تتدفق عين الفناء الأتم، ويتعد الإنسان من نفسه ومشيتته كليا، ويؤمن بقدرة الله ﷻ بصدق القلب. وفي هذا المقام ينبغي عدم الاعتداد بمقولة فلاسفة ماديين القائلة بأنه لا حاجة للاستعانة بالله تعالى عند الشروع في العمل، لأن الله تعالى قد زود فطرتنا مسبقا بالقوى، لذا فإن الاستمداد من الله مع وجود تلك القوى إنما هو تحصيل حاصل.

فأقول: لا شك أن الله تعالى قد أعطانا بعض القوى لإنجاز بعض الأعمال، ومع ذلك لم تتخلّ عنا سلطة قيوم العالم ذلك ولم يتعد ﷻ عنا، ولم يُرد أن يحرمانا من عونهِ، ولم يرض بحرماننا من فيوضهِ غير المتناهية. إن ما أعطانا الله إياه محدود، أما ما يُطلب منه ﷻ فلا نهاية له، وكذلك ما أُعطينا قوة لإنجاز أعمال لا طاقة لنا بها. فلو تأملتم الآن جيدا وتدبرتم بنظرة فلسفية، لتبين أننا لا نملك قوة كاملة من أي نوع. فمثلا إن قوانا الجسدية تتوقف على صحتنا، وصحتنا تعتمد على أسباب كثيرة أخرى؛ منها سماوية ومنها أرضية، وكلها تفوق قدراتنا تماما. ما قلته آنفا إنما هو كلام بسيط على قدر فهم عامة الناس، وإلا؛ فكيفية إحاطة قيوم العالم - لكونه علة العلل - بظاهرها وباطنها وأولنا وآخرنا وبما فوقنا وبما تحتنا وبيميننا

وبيسارنا وبجميع قوى قلوبنا وأرواحنا ونفوسنا؛ قضية دقيقة لا تدرك العقول البشرية كنهها، ولا أرى حاجة إلى تفهيمها هنا أيضاً، بل ما كتبتة آنفاً يكفي لإفحام المعارضين وإتمام الحجة عليهم.

فالطريق الوحيد للفوز بفيوض قيوم العالم هو أن يطلب المرء حمايته بكل ما أُعطيته من قوة وقدرة. وإن هذا الطريق ليس بجديد، بل هو الطريق نفسه الذي لزم فطرة بني آدم منذ القدم. والذي يريد أن يسلك مسلك العبودية فإنه يختار هذا الطريق نفسه، والذي يطلب فيوض الله تعالى يخطو على الطريق نفسه، والذي يريد أن يكون مورد رحمة الله تعالى فهو يعمل بهذه القوانين الأزلية. إن هذه القوانين ليست ببدعة، وليست بأمر مستحدث مثل إله المسيحيين. بل هو قانون الله المحكم الذي ظل على حاله منذ قديم الزمان، وسنة الله الجارية منذ الأزل التي صدقها واضح على كل طالب صادق من خلال كثرة التجارب. وكيف لا يكون واضحاً! فكل عاقل يُدرك حالة ضعفنا وافتقارنا إلى القوة، وكم نحن عديمو الحيلة دون نصرة الله ﷻ وعونه. لو لم يكن هناك قادر وقدير يرعانا في كل لحظة وآن، ولو لم تتولَّ رحمانيته ورحيميته لدُمِّرت جميع أمورنا، بل لهلكنا نهائياً. إذن، فإن افتتاح أعمالنا، وخاصة قراءة الكتاب السماوي -وهي أدق وألطف الأعمال- باسم الله القادر القدير الرحمن الرحيم بنية التيمُّن والاستعانة، هي حقيقة بديهية ننجذب إليها عفويًا، فالحق أن كل بركة تأتي من التوجُّه أولاً وقبل كل شيء إلى ذلك الذات الذي هو القادر وعلة العلل ومبدأ الفيوض كلها واسمه "الله" في مصطلح القرآن الكريم، ويُجَلَّى أولاً صفته "الرحمن" ويُعطي كلّ ما يُحتاج إليه قبل ظهور السعي بمحض فضله وإحسانه وبغير واسطة العمل. وعندما تكبِّل رحمانيته مهمَّتها بالتمام والكمال ويؤدِّي الإنسان حق جهده وسعيه نتيجة التوفيق، عندها يُجَلَّى الله تعالى صفته الرحيمية وينقذ جهود الإنسان ومساعدته من الضياع ويثمرها بثمرات طيبة ويعطيه مرامه. فقد قيل انطلاقاً من هذه الصفة الثانية: من جدَّ وجد، ومن سأل أعطي، ومن طرق

فُتح له؛ أي لا يُضيع الله تعالى سعي ساعٍ وجهد جاهد من منطلق صفته "الرحيم"، فكل من جال نال.

باختصار، هذه الحقائق واضحة جدا بحيث يستطيع كل شخص أن يعرف صدقها من خلال تجربته الشخصية، ولا يمكن أن تبقى هذه الحقائق البديهية خافية على أحد إذا كان يملك شيئا من العقل. ولكن هذا الأمر لا ينكشف على الذين تبقى نظرتهم مركزة على الأسباب المعروفة فقط نتيجة قسوة قلوبهم وغفلتها، ولا يعلمون التصرفات اللطيفة لله تعالى المتصرف في الأسباب، ولا يملكون عقلا واسعا حتى يفكروا أن هناك آلافا، بل ما لا يُعدّ ولا يُحصى، من الأسباب السماوية والأرضية التي هي ضرورية لتزيين جسد الإنسان، وأن الحصول عليها ليس في قدرته، بل هناك ذات واحد جامع لجميع الصفات الكاملة؛ الذي يخلق جميع الأسباب من فوق السماوات إلى تحت الأرضين ويملك التصرف والقدرة عليها من كل النواحي. أما الذين يعقلون، فيفهمون هذا الأمر دون تردد ويدركونه بالبداهة، بل الذين وصلوا مراتب عليا منهم -وهم أصحاب التجربة- قد بلغوا منه مرتبة حق اليقين. أما الشبهة: لماذا لا تنفع هذه الاستعانة، بل تكون بلا جدوى في بعض الأحيان، ولماذا لا تتجلى رحمانية الله ورحيمته عند الاستعانة في كل الأحيان؟ فالحق أن هذه الشبهة ناتجة عن سوء فهم الحقيقة، لأن الله تعالى يستجيب حتما الأدعية التي يدعوها الإنسان بإخلاص، ويعين المستعنين به كما يراه مناسبا. ولكن يحدث أيضا أن استعانة الإنسان ودعاءه يكون خالياً من الإخلاص أحيانا، إذ لا يستعين بالله تعالى بتواضع القلب، ولا تكون حالته الروحانية على ما يرام، بل يكون الدعاء على شفتيه، بينما الغفلة أو الرياء في قلبه. وفي أحيان أخرى يسمع الله تعالى دعاءه، ولكن يعطي الداعي ما يراه الأصلح والأنسب له بحسب حكمته وَعَلَى الكاملة. ولكن الجاهل لا يدرك ألطاف الله الخفية هذه، فيشتكي نتيجة جهله وعدم إمامه بالأمر، ولا يفهم

مضمون الآية: ﴿عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧).

فقد تبين من بياننا هذا كله كم تحمل الآية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في طياتها صدقا عظيما، وأن فيها أسبابا عظيمة للتزقي في التوحيد الحقيقي والعبودية والإخلاص بحيث لا يوجد لها نظير في أي كتاب آخر. وإذا زعم أحد أنه يوجد لها نظير فليستخرج لنا تلك الحقيقة مع ذكر كافة الحقائق الأخرى التي سأسجلها أدناه.

رد على اعتراض على بسم الله

لقد وجه بعض الأعداء قصيرو الفهم في هذا المقام اعتراضا إلى بلاغة البسملة. فمن هؤلاء المعارضين قسيس يدعى عماد الدين الذي أورد في كتابه "هداية المسلمين" اعتراضا سيلبي ذكره. والمعارض الثاني هو "باوا نرائن سنغ" المحامي الأمرتسري؛ الذي عدَّ اعتراض القسيس صحيحا، وأثار في مجلته "وديا بركاشك" الاعتراض السخيف نفسه نتيجة عناده القلبي. فأرى من المناسب أن أنقل هنا اعتراضه مع الجواب ليعلم المنصفون إلى أية درجة من العمى والعمى أوصل فرط التعصب والتعنّت معارضينا، إذ يرون النور الساطع ظلّاما، ويزعمون أزكى الشذى رائحة كريهة.

فليكن معلوما أنهم يعترضون على بلاغة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بأن كلمتي: "الرحمن الرحيم" اللتان وردتا في البسملة ما وردتا بأسلوب فصيح، بل إذا ورد "الرحيم الرحمن" لكان أسلوبا فصيحاً وصحيحاً؛ لأن اسم الله "الرحمن" هو من منطلق الرحمة التي نطاقها واسع وعام. أما لفظ "الرحيم" فيأتي -مقارنة بالرحمن- لبيان رحمة قليلة وخاصة، ومن مقتضى البلاغة أن ينتقل المعنى من القلة إلى الكثرة وليس العكس. هذا هو الاعتراض الذي وجهه هذان الشخصان مغمضين عينيهما عن كلام اعترف ببلاغته جميع أهل اللغة من العرب بمن فيهم فحول الشعراء، على الرغم من معارضتهم الشديدة. بل قد استغرب لعظمة شأن هذا الكلام كبار المعاندين أيضا

أما استغراب. بل معظم الذين كانوا يدركون جيدا أساليب فصاحة الكلام وبلاغته وكانوا ملّمين بمذاق الحديث وكانوا منصفين أيضا، حين وجدوا أسلوب القرآن الكريم فوق قدرة البشر آمنوا به موقنين بأنه معجزة عظيمة، وشهاداتهم مسجلة في القرآن الكريم في عدة آيات. أما الذين كانوا عمهين بشدة فقالوا - وإن لم يؤمنوا به بأنفسهم- في حالة من الذعر والحيرة: إنه سحرٌ عظيم لا يمكن مواجهته. وبيّانهم هذا أيضا مذكور في عدة أماكن في القرآن الكريم. أما اليوم فيعترض على الكلام المعجز نفسه أناسٌ، ومنهم شخصٌ لا يقدر على كتابة سطرين بالعربية بصورة صحيحة وبليغة، ولو صدّق أن حدّث أحداً من أهل اللغة فلن يقدر على التفوه إلا ببضع جمل مكسّرة خاطئة وغير مترابطة، وإذا شك أحد في ذلك فليجرب.

أما المعارض الثاني فهو يجهل العربية نهائيا وليس لديه إلمام ملحوظ بالفارسية أيضا. ومن المؤسف أن القسيس المذكور لا يدري أن المثقفين من مرشديه وكباره من أوروبا -الذين ذكرهم "John Davenport" وغيره من الإنجليز- يعترفون ببلاغة القرآن الكريم العظيمة. وعلى العاقل أن يفكر أكثر؛ كيف يكون محل اعتراض كتاب نزل على واحد من أهل اللغة أصلا، واعترف بكمال بلاغته أهل اللغة جميعا، بل الشعراء أيضا أمثال أصحاب المعلقات السبع. فهل يمكن أن يكون الكلام المسلّم الثبوت مثله محل اعتراض نتيجة إنكار أجنبي جاهل معقود اللسان ومحروم تماما من فن الحديث ومن التوغل في علوم العربية، بل يعجز عن الحديث حتى مع عربي عادي وبسيط؟ بل إن هؤلاء الذين يتفوهون بكلام يفوق مقامهم يفضحون جهلهم بأنفسهم، ولا يدرون أن الطعن خلاف شهادة أهل اللغة وفحول الشعراء إنما يفضح جهلهم وطبيعتهم مثل الحمار. فليحاول القسيس "عماد الدين" الحديث ساعة أو نصفها مقابل شخص عربي في قضية دينية أو دنيوية لينكشف للناس بدايةً فيما إذا كان قادرا على حديث عادي وبحسب أسلوب العرب ومذاقهم أم لا. وأنا على يقين أنه ليس قادرا على ذلك، وعلى يقين كذلك أننا لو جئنا بعربي للحديث معه

لما قدر على بيان حكاية قصيرة كالعرب وعلى مذاقهم، بل سيبقى متورطا في وحل الجهل. وإذا كان أحد يشك في ذلك فأناشده بالله أن يجرب. وأنا أتحمل المسؤولية بأنه إذا طلب مني القسيس عماد الدين ذلك فسأحضر شخصا عربيا وسأعقد جلسة في يوم محدد يحضرها بعض الهندوس المثقفين وبعض المشايخ المسلمين، وسيكون من واجب القسيس عماد الدين أن يحضر معه بعضا من إخوته المسيحيين. ويجب على عماد الدين أن يقص أولا وقبل كل شيء بالعربية أمام الحضور قصة يُخبر بها آنذاك. ثم يُطلب من الشخص العربي الحاضر هنالك أن يقص القصة نفسها بلسانه هو. ولو حكم المنصفون أن عماد الدين ألقى خطابا لطيفا ورائعا بحسب مذاق العرب تماما، لا اعترف أن طعنه في أهل اللغة ليس مما يدعو إلى الاستغراب، بل سأدفع له في الحال خمسين روبية نقدا جائزة. ولكن لو نشر عماد الدين رائحة كريهة لبيانه الخاطئ بلسانه المعقود بدلا من الخطاب الفصيح والبلغ، أو خاف ولم يطلعنا بواسطة جريدة من الجرائد أنه جاهز لهذه المواجهة، فما عسانا أن نقول إلا: لعنة الله على الكاذبين.

وليكن معلوما أيضا أن عماد الدين لا يقدر على مواجهة أهل اللغة ولو وُلد من جديد. فما دام لا يقدر على أن ينبس بينت شفة بجذاء العرب، بل هو جاهز ليخرس؛ فأسف ألف أسف ونلعن أُلقي لعنة على فهم هؤلاء المسيحيين والآريين الذين يعترضون -معتمدين على تأليف هذا الغبي- على بلاغة الكتاب الذي لا نظير له، والذي نزل على سيد العرب، وجعل فصحاء العرب وبلغاءهم جميعا يعترفون بعظمة شأنه. وأزيجت بنزوله المعلقات السبع من باب مكة، وآمن به دونما إبطاء شاعر كان حيا آنذاك من شعراء المعلقات السبع.

والسبب الثاني للتأسف هو أن هذا المسيحي الجاهل لا يدري إلى الآن أن البلاغة الحقيقية لا تنحصر في أن يُقدّم الكثير على القليل دائما وفي كل الأحوال دون مبرر معقول، بل إن قاعدة البلاغة هي أن يعكس الكلام واقع الأمر ويكون مناسباً

بحسب مقتضى الحال. فهنا أيضا جاء الكلام - بتقديم "الرحمن" على "الرحيم" - واقعيا ومناسبا ومرتبًا بحسب مقتضى الأمر. وسيأتي ذكر هذا الترتيب الطبيعي الآن في تفسير آيات سورة الفاتحة. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤١٤ - ٤٣٥، الحاشية رقم ١١)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

"اعلم، وهب لك الله علم أسمائه، وهداك إلى طرق مرضاته وسبل رضائه، أن الاسم مشتق من الوسم الذي هو أثر الكيّ في اللسان العربية، يقال: "اتَّسَمَ الرجلُ" إذا جعل لنفسه سِمَةً يُعَرَفُ بها ويُتَّيَزُّ بها عند العامة، ومنه: سَمْتُ البعيرِ ووسامُهُ عند أهل اللسان، وهو ما وُسِمَ به البعير من ضُروب الصور لِيُعَيَّنَ للعرفان. ومنه ما يقال: إني تَوَسَّمتُ فيه الخير وما رأيت الضَّيْرَ، أي تَفَرَّستُ فما رأيت سِمَةً شَرًّا في حَيَّاه، ولا أثر خبثٍ في حَيَّاه. ومنه الوُسْمِيُّ الذي هو أوَّلُ مطر من أمطار الربيع، لأنه يَسِمُ الأرضَ إذا نزل كالينابيع، ويقال: "أرض موسومة" إذا أصابها الوسمي في إِبَّانِه، وسكَنَ قلوب الكُفَّار بجرِيانِه. ومنه موسم الحج والسوق وجميع مواسم الاجتماع، لأنها معالم يُجْتَمَعُ إليها لنوع غرض من الأنواع. ومنه الميسَم الذي يُطلق على الحسن والجمال، ويُستعمل في نساء ذات ملاحظة في أكثر الأحوال. وقد ثبت من تتبّع كلام العرب ودواوينهم، أنهم كانوا لا يستعملون هذا اللفظ كثيرًا إلا في موارد الخير من دنياهم ودينهم.

وأنت تعلم أن اسم الشيء عند العامة ما يُعَرَفُ به ذلك الشيء، وأما عند الخواص وأهل المعرفة فالاسم لأصل الحقيقة الفَيِّء، بل لا شك أن الأسماء المنسوبة إلى المسمَّيات من الحضرة الأحديّة، قد نزلت منها منزلة الصُّور النوعيّة، وصارت كوكُناتٍ لطُيُورِ المعاني والعلوم الحِكْمِيّة. وكذلك اسمُ الله والرحمن والرحيم في هذه الآية المباركة، فإن كل واحد منها يدل على خصائصه وهويّته المكتومة.

والله اسمٌ للذات الإلهية الجامعة لجميع أنواع الكمال، والرحمن والرحيم يدلّان على تحقُّق هاتين الصفتين لهذا الاسم المستجمع لكل نوع الجمال والجلال.

ثم للرحمن معنى خاص يختص به ولا يوجد في الرحيم، وهو أنه مُفيضٌ لوجود الإنسان وغيره من الحيوانات بإذن الله الكريم، بحسب ما اقتضى الحِكمُ الإلهية من القديم، وبحسب تحمُّلِ القوابل لا بحسب تسوية التقسيم. وليس في هذه الصفة الرحمانية دخلٌ كسبٍ وعملٍ وسعيٍّ من القوى الإنسانية أو الحيوانية، بل هي مِنَّةٌ من الله خاصَّةٌ ما سبقها عملٌ عامل، ورحمةٌ من لدنه عامَّةٌ ما مسَّها أثرٌ سعيٍّ من ناقصٍ أو كامل. فالحاصل أن فيضان الصفة الرحمانية ليس هو نتيجة عملٍ ولا ثمرة استحقاق، بل هو فضل من الله من غير إطاعة أو شقاق. وينزل هذا الفيض دائما بمشيئة من الله وإرادة، من غير شرطٍ إطاعة وعبادة وثقاة وزهادة. وكان بناءً هذا الفيض قبْلَ وجود الخليقة وقبل أعمالهم، وقبل جهدهم وقبل سؤالهم، فلأجل ذلك توجد آثار هذا الفيض قبل آثار وجود الإنسان والحيوان، وإن كان ساريًا في جميع مراتب الوجود والزمان والمكان والطاعة والعصيان. ألا ترى أن رحمانية الله تعالى وسَّعت الصالحين والظالمين، وترى قمره وشمسه يطلَّعان على الطائعين والعاصين، وأنه أعطى كلَّ شيء خَلْقَهُ وكفَّلَ أمرَ كُلِّهم أجمعين. وما من دابةٍ إلا على الله رزقها ولو كان في السماوات أو في الأرضين، وأنه خلق لهم الأشجار وأخرج منها الثمار والزهر والرياحين. وإنها رحمة هيأها الله للنفوس قبل أن يبرأها وإن فيها تذكرة للمتقين. وقد أعطى هذه النعم من غير العمل ومن غير الاستحقاق، من الله الراحم الخلاق. ومنها نعماء أخرى من حضرة الكبرياء، وهي خارجة من الإحصاء، كمِثل خلق أسباب الصحة وأنواع الحيل والدواء لكل نوع من الداء، وإرسالِ الرسل وإنزال الكتب على الأنبياء. وهذه كلها رحمانية من ربنا أرحم الرحماء، وفضلٌ بحثِّ ليس من عمل عامل ولا من التضرُّع والدعاء.

وأما الرحيمية فهي فيضٌ أخصُّ من فيوض الصفة الرحمانية، ومخصوصة بتكميل النوع البشري وإكمال الخلقة الإنسانية، ولكن بشرط السعي والعمل الصالح وترك

الجذبات النفسانية، بل لا تنزل هذه الرحمة حقَّ نزولها إلا بعد الجهد البالغ في الأعمال، وبعد تزكية النفس وتكميل الإخلاص بإخراج بقايا الرياء وتطهير البال، وبعد إثارة الموت لابتغاء مرضات الله ذي الجلال. فطوبى لمن أصابه حظٌّ من هذه النعم، بل هو الإنسان وغيره كالنعم.

وهنا سؤالٌ عُضال نكتبه في الكتاب مع الجواب، ليفكر فيه من كان من أولي الألباب، وهو أن الله اختار من جميع صفاته صفتي الرحمن والرحيم في البسملة، وما ذكر صفة أخرى في هذه الآية، مع أن اسمه الأعظم يستحق جميع ما هو من الصفات الكاملة، كما هي مذكورة في الصحف المطهرة، ثم إن كثرة الصفات تستلزم كثرة البركات عند التلاوة؛ فالبسملة أحقُّ وأولى بهذا المقام والمرتبة، وقد ندب لها عند كل أمرٍ ذي بال كما جاء في الأحاديث النبوية، وإنها أكثرُ وردًا على ألسن أهل الملة، وأكثرُ تكرارًا في كتاب الله ذي العزة. فبأي حكمة ومصلحة لم يُكتب صفات أخرى مع هذه الآية المباركة؟

فالجواب أن الله أراد في هذا المقام، أن يذكر مع اسمه الأعظم صفتين هما خلاصة جميع صفاته العظيمة على الوجه التام، وهما الرحمن والرحيم، كما يهدي إليه العقل السليم. فإن الله تجلّى على هذا العالم تارة بالحبوبية ومرة بالمُحِبَّة، وجعل هاتين الصفتين ضياءً ينزل من شمس الربوبية على أرض العبودية. فقد يكون الرب محبوبًا والعبد مُحِبًّا لذلك المحبوب، وقد يكون العبد محبوبًا والرب مُحِبًّا له وجاعله كالمطلوب. ولا شك أن الفطرة الإنسانية التي فطرت على المحبة والخلة ولوعة البال، تقتضي أن يكون لها محبوبًا يجذبها إلى وجهه بتجليات الجمال والنعم والنوال، وأن يكون له مُحِبًّا مواسيًا يتدارك عند الأهوال وتشتت الأحوال، ويحفظها من ضيعة الأعمال، ويوصلها إلى الآمال. فأراد الله أن يعطيها ما اقتضتها ويؤتم عليها نعمه بجوده العميم، فتجلّى عليها بصفته الرحمن والرحيم. ولا ريب أن هاتين الصفتين هما الوصلة بين الربوبية والعبودية، وبهما يتم دائرة السلوك والمعارف الإنسانية، فكل صفةٍ بعدهما داخلة في أنوارهما، وقطرة من بحارهما.

ثم إن ذات الله تعالى كما اقتضت لنفسها أن تكون لنوع الإنسان محبوبةً ومُحِبَّةً، كذلك اقتضت لعباده الكُمل أن يكونوا لبني نوعهم كمثل ذاته خُلُقًا وسيرةً، ويعملوا هاتين الصفتين لأنفسهم لباسًا وكسوةً، ليتخلَّق العبوديةً بأخلاق الربوبية، ولا يبقى نقص في النشأة الإنسانية. فخلَق النبيين والمرسلين، فجعل بعضهم مظهر صفته الرحمن وبعضهم مظهر صفته الرحيم، ليكونوا محبوبين ومُحِبِّين ويعاشروا بالتحابب بفضله العظيم، فأعطى بعضهم حظًا وافراً من صفة المحبوبة، وبعضاً آخر حظاً كثيراً من صفة المُحِبَّة، وكذلك أراد بفضله العميم، وجُوده القديم. ولما جاء زمن خاتم النبيين، وسيدنا محمد سيد المرسلين، أراد هو سبحانه أن يجمع هاتين الصفتين في نفسٍ واحدةٍ، فجمعهما في نفسه عليه أَلْفُ أَلْفِ صلاةٍ وتحيّة، فلذلك ذكر تخصيصاً صفة المحبوبة والمحبّة على رأس هذه السورة، ليكون إشارةً إلى هذه الإرادة، وسمّى نبينا محمّداً وأحمد كما سمّى نفسه الرحمن والرحيم في هذه الآية، فهذه إشارة إلى أنه لا جامعَ لهما على الطريقة الظليّة إلا وجودُ سيّدنا خير البريّة.

وقد عرفت أن هاتين الصفتين أكبر الصفات من صفات الحضرة الأحدية، بل هما لبُّ اللُّباب وحقيقة الحقائق لجميع أسمائه الصفاتية، وهما معيارُ كمالٍ كلّ مَنْ استكمل وتخلَّق بالأخلاق الإلهية، وما أُعطي نصيباً كاملاً منهما إلا نبينا خاتم سلسلة النبوة، فإنّه أُعطي اسمين كمثل هاتين الصفتين: أوّلهما محمد والثاني أحمد، من فضل رب الكونين. أما محمد فقد ارتدى رداء صفة الرحمن، وتجلّى في حلل الجلال والمحبوبة، ومُحمّد لِبَرٍّ منه والإحسان. وأما أحمد فتجلّى في حُلّة الرحيمية والمحبّية والجمالية، فضلاً من الله الذي يتولى المؤمنين بالعون والنصرة. فصار اسماً نبيناً بجذائِ صفتيّ ربّنا المتّان، كصُورٍ منعكسةٍ تُظهرها مرآتان متقابلتان.

وتفصيل ذلك أن حقيقة صفة الرحمانية عند أهل العرفان هي إفاضة الخير لكل ذي روح من الإنسان وغير الإنسان، من غير عملٍ سابق بل خالصاً على سبيل الامتنان. ولا شك ولا خلاف أن مثل هذه المنة الخالصة، التي ليست جزاءً لعملٍ

عامل من البرية، هي تجذب قلوب المؤمنين إلى الثناء والمدح والمحمدة، فيحمدون المحسنَ ويشنون عليه بخلوص القلوب وصحة النية، فيكون الرحمن محمدًا يقينًا من غير وهمٍ يجرّ إلى الريبة. فإن المنعم الذي يحسن إلى الناس من غير حقّ بأنواع النعمة، يحمده كلُّ من أنعم عليه، وهذا من خواص النشأة الإنسانية. ثم إذا كُمل الحمد بكمال الإنعام، جذب ذلك إلى الحب التام، فيكون المحسن محمدًا ومحبوبًا في أعين المحيِّين. فهذا مألُ صفة الرحمن، ففكّرْ كالعاقِلين. وقد ظهر من هذا المقام لكل من له عرفان، أن الرحمن محمد وأن محمدًا رحمن، ولا شك أن مآلهما واحد، وقد جهل الحقّ مَنْ هو جاحدٌ.

وأما حقيقة صفة الرحيمية، وما أُخفيَ فيها من الكيفية الروحانية، فهي إفاضة إنعامٍ وخيرٍ، على عملٍ من أهل مسجدٍ لا من أهل دَيْرٍ، وتكميلُ عملِ العاملين المخلصين، وجبرُ نقصانهم كالمُتلافين والمُعِينين والناصرين. ولا شك أن هذه الإفاضة في حُكم الحمد من الله الرحيم، فإنه لا يُنزل هذه الرحمة على عاملٍ إلا بعد ما حمده على نُهجه القويم، ورضيَ به عملاً ورآه مستحِقًّا للفضل العميم. ألا ترى أنه لا يقبل عملَ الكافرين والمشركين والمرائين والمتكبرين، بل يُحبِط أفعالهم ولا يهديهم إليه ولا ينصرهم، بل يتركهم كالمخذولين. فلا شك أنه لا يتوب إلى أحدٍ بالرحيمية ولا يكمل عمله بنصرة منه والإعانة، إلا بعد ما رضيَ به فعلاً وحمده حمداً يستلزم نزولَ الرحمة. ثم إذا كُمل الحمد من الله بكمال أعمال المخلصين، فيكون الله أحمدَ والعبْدُ محمدًا، فسبحان الله أوّلَ المحمّدين والأحمدين. وعند ذلك يكون العبد المخلص في العمل محبوبًا في الحضرة، فإن الله يحمده من عرشه، وهو لا يحمّد أحدًا إلا بعد المحبة.

فحاصل الكلام، أن كمال الرحمانية يجعل الله محمدًا ومحبوبًا، ويجعل العبدَ أحمدَ ومُحبًّا يستقري مطلوبًا، وكمال الرحيمية يجعل الله أحمدَ ومُحبًّا، ويجعل العبدَ محمدًا وحِبًّا. وستعرف من هذا المقام شأنَ نبيِّنا الإمام الهمام، فإن الله سمّاه محمدًا وأحمدَ، وما سمّى بهما عيسى ولا كليمًا، وأشركه في صفتيه الرحمن والرحيم بما كان فضله

عليه عظيمًا. وما ذكر هاتين الصفتين في البسملة إلا ليعرف الناس أنهما لله كالاسم الأعظم وللنبي من حضرته كالحلعة، فسمّاه الله محمدًا إشارةً إلى ما فيه من صفة المحبوبة، وسمّاه أحمدًا إيماءً إلى ما فيه من صفة المحيية. أمّا محمد فلاجل أن رجلاً لا يحمده الحامدون حمدًا كثيرًا إلا بعد أن يكون ذلك الرجل محبوبًا، وأمّا أحمد فلاجل أن حامدًا لا يحمّد أحدًا بحمدٍ كثيرٍ إلا الذي يُحبّه ويجعله مطلوبًا. فلا شك أن اسم محمد يوجد فيه معنى المحبوبة بدلالة الالتزام، وكذلك يوجد في اسم أحمد معنى المحيية من الله ذي الأفضال والإنعام. ولا ريب أن نبينا سُمّي محمدًا لما أراد الله أن يجعله محبوبًا في أعينه وأعين الصالحين. وكذلك سمّاه أحمدًا لما أراد سبحانه أن يجعله مُحِبَّ ذاته ومُحِبَّ المؤمنين المسلمين. فهو محمد بشأن وأحمد بشأن. واختصَّ أحد هذين الاسمين بزمان والآخر بزمان، وقد أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿دَنَى فَتَدَلَّى﴾، وفي: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم: ٩ - ١٠).

ثم لما كان يُظنُّ أن اختصاص هذا النبي المطاع السَّجَّاد بهذه المحامد من رب العباد، يُجرُّ إلى الشرك كما عبَدَ عيسى لهذا الاعتقاد، أراد الله أن يُورثهما الأُمة المرحومة على الطريقة الطَّيِّبة، ليكونا للأُمة كالبركات المتعدّية، وليزول وَهْمُ اشتراك عبدٍ خاصٍ في الصفات الإلهية. فجعل الصحابة وَمَن تبعهم مَظْهَر اسم محمد بالشؤون الرحمانية الجلالية، وجعل لهم غلبةً ونصرهم بالعنايات المتوالية. وجعل المسيح الموعود مَظْهَر اسم أحمد وبعثه بالشؤون الرحيمية الجمالية، وكتب في قلبه الرحمة والتحنُّن وهذَّبه بالأخلاق الفاضلة العالية.

فذلك هو المهدي المعهود الذي فيه يختصمون، وقد رأوا الآيات ثم لا يهتدون، ويصرون على الباطل وإلى الحق لا يرجعون. وذلك هو المسيح الموعود ولكنهم لا يعرفون، وينظرون إليه وهم لا يبصرون. فإن اسم عيسى واسم أحمد متّحدان في الهوية، ومتوافقان في الطبيعة، ويدلّان على الجمال وترك القتال من حيث الكيفية. وأمّا اسم محمد فهو اسم القهر والجلال، وكلاهما للرحمن والرحيم كالأطلال. ألا ترى

أن اسم الرحمن الذي هو منبع للحقيقة المحمدية، يقتضي الجلال كما يقتضي شأن المحبوبة؟ ومن رحاميته تعالى أنه سخر كل حيوان للإنسان، من البقر والمعز والجمال والبغال والضأن، وأنه أهرق دماء كثيرة لحفظ نفس الإنسان، وما هو إلا أمرٌ جلالي ونتيجة رحمانية الرحمن. فثبت أن الرحمانية يقتضي القهر والجلال، ومع ذلك هو من المحبوب لطف لمن أراد له النوال. وكم من دُود المياه والأهوية تُقتل للإنسان، وكم من الأنعام تُذبح للناس إنعامًا من الرحمن.

فخلاصة الكلام.. أن الصحابة كانوا مظاهر للحقيقة المحمدية الجلالية، ولذلك قتلوا قومًا كانوا كالسباع ونعم البادية، ليخلصوا قومًا آخرين من سجن الضلالة والغواية، ويجزّوهم إلى الصلاح والهداية. وقد عرفت أن الحقيقة المحمدية هو مظهر الحقيقة الرحمانية، ولا منافاة بين الجلال وهذه الصفة الإحسانية، بل الرحمانية مظهر تام للجلال والسطوة الربانية. وهل حقيقة الرحمانية إلا قتل الذي هو أدنى للذي هو أعلى؟ وكذلك جرت عادة الرحمن مُد خلق الإنسان وما وراءه من الورى. ألا ترى كيف تُقتل دودُ جرح الإبل لحفظ نفوس الجِمال، وتُقتل الجِمال لينتفع الناس من لحومها وجلودها، ويتخذوا من أوبارها ثياب الزينة والجمال. وهذه كلها من الرحمانية لحفظ سلسلة الإنسانية والحيوانية. فكما أن الرحمن محبوب كذلك هو مظهر الجلال، وكمثله اسمُ محمدٍ في هذا الكمال.

ثم لما ورث الأصحاب اسمَ محمدٍ من الله الوهاب، وأظهروا جلال الله وقتلوا الظالمين كالأنعام والدواب، كذلك ورث المسيح الموعود اسمَ أحمد الذي هو مظهر الرحيمية والجمال، واختار له الله هذا الاسم لمن تبعه وصار له كالآل. فالمسيح الموعود مع جماعته مظهر من الله لصفة الرحيمية والأحمدية، ليتّم قوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾، ولا رادّ للإرادات الربانية، ولتتّم حقيقة المظاهر النبوية. وهذا هو وجه تخصيص صفة الرحمانية والرحيمية بالبسملة، ليدل على اسمي محمدٍ وأحمد ومظاهريهما الآتية، أعني الصحابة ومسيح الله الذي كان آتيًا في حلل الرحيمية والأحمدية.

ثم نكرّر خلاصة الكلام في تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فاعلم أن اسم الله اسمٌ جامد لا يعلم معناه إلا الخبير العليم، وقد أخبر - عزّ اسمه - بحقيقة هذا الاسم في هذه الآية، وأشار إلى أنه ذاتٌ متّصفة بالرحمانية والرحيمية، أي متّصفة برحمة الامتنان ورحمةٍ مقيدةٍ بالحالة الإيمانية، وهاتان رحمتان كماءٍ أصفى وغذاءٍ أحلى من منبع الربوبية. وكل ما هو دونهما من صفات فهو كشعْبٍ لهذه الصفات، والأصلُ رحمانية ورحيمية وهما مظهرُ سرِّ الذات. ثم أُعطيَ منهما نصيبٌ كامل لنبيّنا إمام النهج القويم، فجعل اسمه محمّداً ظلَّ الرحمن، واسمه أحمدُ ظلَّ الرحيم. والسرُّ فيه أن الإنسان الكامل لا يكون كاملاً إلا بعد التخلّق بالأخلاق الإلهية وصفات الربوبية، وقد علّمت أن أمر الصفات كلها تؤول إلى الرحمتين اللتين سمّيناها بالرحمانية والرحيمية. وعلمت أن الرحمانية رحمةٌ مطلقة على سبيل الامتنان، ويردُّ فيضاًها على كل مؤمن وكافر بل كل نوع الحيوان، وأمّا الرحيمية فهي رحمةٌ وجوبية من الله أحسن الخالقين، وجبت للمؤمنين خاصة من دون حيوانات أخرى والكافرين. فلزم أن يكون الإنسان الكامل.. أعني محمّداً.. مظهرَ هاتين الصفتين، فلذلك سُمّي محمّداً وأحمدَ من رب الكونين، وقال الله في شأنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، فأشار الله في قوله: ﴿عَزِيزٌ﴾ وفي قوله: ﴿حَرِيصٌ﴾ إلى أنه عليه السلام مظهرُ صفته الرحمن بفضله العظيم، لأنه رحمة للعالمين كلهم ولنوع الإنسان والحيوان وأهل الكفر والإيمان.

ثم قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فجعله رحماً ورحيماً كما لا يخفى على الفهيم، وحّمده وعزا إليه خُلُقاً عظيماً من التفخيم والتكريم، كما جاء في القرآن الكريم. وإن سألنا ما خُلقه العظيم فنقول إنه رحمن ورحيم، ومُنح هو - عليه الصلاة - هذين النورين وآدم بين الماء والطين، وكان هو نبياً وما كان لآدم أثر

من الوجود ولا من الأديم. وكان الله نورًا ففضى أن يخلق نورًا فخلق محمدًا الذي هو كذّر يّيم، وأشرك اسميه في صفتيه ففاق كلّ من أتى الله بقلب سليم، وإنهما يتالآن في تعليم القرآن الحكيم. وإنّ نبينا مرّكبٌ من نور موسى ونور عيسى كما هو مرّكب من صفّي ربنا الأعلى، فاقتضى التركيب أن يُعطى له هذا المقام الغريب، فلأجل ذلك سمّاه الله محمدًا وأحمد، فإنه ورث نور الجلال والجمال وبه تفرّد، وإنه أُعطي شأن المحبوبين وجنان المحيّن، كما هو من صفّي رب العالمين، فهو خير المحمودين وخير الحامدين. وأشركه الله في صفتيه، وأعطاه حظًا كثيرًا من رحمته، وسقاه من عينيه، وخلق به يديه، فصار كقارورة فيها راح، أو كمشكاة فيها مصباح. وكمثل صفتيه أنزل عليه الفرقان، وجمع فيه الجلال والجمال وركّب البيان، وجعله سلالة التوراة والإنجيل، ومראהً لرؤية وجهه الجليل والجميل. ثم أعطى الأمة نصيبًا من كأس هذا الكريم، وعلمهم من أنفاس هذا المتعلّم من العليم، فشرب بعضهم من عين اسم محمد التي انفجرت من صفة الرحمانية، وبعضهم اغترفوا من ينبوع اسم أحمد الذي اشتمل على الحقيقة الرحيمية. وكان قدرًا مقدّرًا من الابتداء ووعدًا موقوتًا جاريًا على السّن الأنبياء، أنّ اسم أحمد لا تتجلى بتجلّي تامّ في أحدٍ من الوارثين إلا في المسيح الموعود الذي يأتي الله به عند طلوع يوم الدين وحشر المؤمنين^١، ويرى الله المسلمين كالضعفاء، والإسلام كصبيّ بُدّ بالعراء، فيفعل لهم أفعالاً من لدنه وينزل لهم من السماء، فهناك تكون له السلطنة في الأرض كما هي في الأفلاك، وتهلك الأباطيل من غير ضرب الأعناق وتنقطع الأسباب كلها وترجع الأمور إلى مالِك الأملاك. وعدّ من الله حقّ كمثل وعدٍ تمّ في آخر زمن بني إسرائيل، إذ بُعث فيهم عيسى بن مريم فأشاع الدين من غير أن يقتل من عصى الرب الجليل. وكان في قدر الله العليّ العليم، أن يجعل آخر هذه السلسلة كآخر خلفاء الكليم، فلأجل ذلك جعل خاتمة

^١ هنا عدّ زمن المسيح الموعود يوم الحشر. (المدون)

أمرها مستغنيةً من نصر الناصرين، ومظهرًا لحقيقة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، كما يأتي تفسيره بعد حين.

ومن تَتَمَّةِ هذا الكلام أن نبينا خير الأنام، لما كان خاتم الأنبياء وأصفي الأصفياء، وأحب الناس إلى حضرة الكبرياء، أراد الله سبحانه أن يجمع فيه صفتيه العظيمتين على الطريقة الظليّة، فوهب له اسم محمد وأحمد ليكونا كالظللين للرحمانية والرحيمية، ولذلك أشار في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى أن العابد الكامل يُعطى له صفات ربّ العالمين، بعد أن يكون من العابدين الفانين. وقد علمت أن كل كمال من كمالات الأخلاق الإلهية، منحصر في كونه رحماناً ورحيماً ولذلك خَصَّهما الله بالبسملة. وعلمت أن اسم محمد وأحمد قد أُقيما مقامَ الرحمن والرحيم، وأودعهما كل كمال كان مخفياً في هاتين الصفتين من الله العليم الحكيم، فلا شك أن الله جعل هذين الاسمين ظلّين لصفتيه، ومظهرين لسيرته، ليُري حقيقة الرحمانية والرحيمية في مرآة المحمدية والأحمدية. ثم لما كان كُمل أُمته عليه السلام من أجزاء الروحانية وكالجوارح للحقيقة النبوية، أراد الله لإبقاء آثار هذا النبي المعصوم، أن يورثهم هذين الاسمين كما جعلهم ورثاء العلوم، فأدخل الصحابة تحت ظل اسم محمد الذي هو مظهر الجلال، وأدخل المسيح الموعود تحت اسم أحمد الذي هو مظهر الجمال. وما وجد هؤلاء هذه الدولة إلا بالظليّة، فإذن ما تمّ شريك على الحقيقة. وكان غرض الله من تقسيم هذين الاسمين، أن يفرّق بين الأمة ويجعلهم فريقين، فجعل فريقاً منهم كمثّل موسى مظهر الجلال، وهم صحابة النبي الذين تصدّوا أنفسهم للقتال، وجعل فريقاً منهم كمثّل عيسى مظهر الجمال، وجعل قلوبهم لينةً وأودع السلم صدورهم وأقامهم على أحسن الخصال، وهو المسيح الموعود والذين اتبعوه من النساء والرجال، فتمّ ما قال موسى وما فاه بكلام عيسى وتمّ وعد الربّ الفعّال. فإن موسى أخبر عن صحب كانوا مظهر اسم محمد نبينا المختار، وصوّر جلال الله القهار بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ (الفتح: ٣٠)، وإن عيسى أخبر عن

﴿آخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ (الجمعة: ٤) وعن إمام تلك الأبرار، أعني المسيح الذي هو مظهرُ أحمدَ الراحمِ الستار، ومنبُغِ جمالِ الله الرحيم الغفار، بقوله: ﴿كَزَّرِعَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ (الفتح: ٣٠) الذي هو مُعْجَبُ الْكُفَّار. وكل منهما أخبر بصفاتٍ تُناسب صفاته الذاتية، واختار جماعةً تُشابه أخلاقَهُم أخلاقه المرضية، فأشار موسى بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى صحابةٍ أدركوا صحبةَ نبيِّنا المختار، وأروا شدةَ غلظةٍ في المضمار، وأظهروا جلالَ الله بالسيفِ البتار، وصاروا ظلَّ اسمِ محمد رسول الله القهار، عليه صلوات الله وأهل السماء وأهل الأرض من الأبرار والأخيار. وأشار عيسى بقوله: ﴿كَزَّرِعَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ إلى قومٍ ﴿آخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ وإمامهم المسيح، بل ذكر اسمَه أحمدَ بالتصريح، وأشار بهذا المثل الذي جاء في القرآن المجيد إلى أن المسيح الموعود لا يظهر إلا كنباتٍ لَيِّنٍ لا كالشيء الغليظ الشديد.

ثم من عجائب القرآن الكريم أنه ذكر اسمَ أحمد حكايةً عن عيسى، وذكر اسمَ محمد حكايةً عن موسى، ليعلم القارئ أن النبي الجلالى.. أعني موسى.. اختار اسمًا يشابه شأنه، أعني محمدًا الذي هو اسم الجلال، وكذلك اختار عيسى اسمَ أحمد الذي هو اسم الجمال بما كان نبيًّا جماليًّا، وما أُعْطِيَ له شيء من القهر والقتال. فحاصل الكلام أن كُلاًّ منهما أشار إلى مثيله التام، فاحفظْ هذه النكتة فإنها تنجيك من الأوهام، وتكشف عن ساقِي الجلال والجمال، وتُري الحقيقة بعد رفع الفِدام. وإذا قَبِلْتَ هذا فدخلتَ في حفظِ الله وِكلائته مِن كل دَجَال، ونجوتَ من كل ضلال." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٨٩ - ١٢٨)

إن ملخص القرآن كله هو "بسم الله الرحمن الرحيم". إن صفات الله في الحقيقة هي الصفات الجمالية، وإن اسم الله في الحقيقة هو أيضا اسم جمالي، غير أن الكفار يهينون بتصرفاتهم الشائنة أسبابا حيث لا تكون مندوحة من إبداء الجلال. أما في هذا الوقت فلا حاجة للجلال لذا بُعثتُ بصفة الجمال. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٦،

قد وردت في كتاب الدساتير للمجوس الكلمات التالية: "بنام ايزد بنخشائنده بنخشائش گرمهريان دادگر"، وهي تبدو مشابهة لبسم الله الرحمن الرحيم، ولكنها لا تبين ما يوجد بين الرحمن والرحيم من فَرْق حكيم، كما ليس في كلمة "ايزد" ما في كلمة "الله" من مفهوم واسع البتة. فشتان بين هذا التركيب المجوسي وبين البسملة. والأغلب أن هذه الكلمات كتبوها فيما بعد على سبيل السرقة. وعلى كل حال، هذا النقص الموجود في هذه الفقرة دليل على أنها من اختراع الإنسان. (منن الرحمن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١٤٩-١٥٠ حاشية في الحاشية)

إن اسم "الله" وهو اسم ذاتي لله، وهو جامع لجميع الصفات الكاملة... يقال بأن هذا هو الاسم الأعظم وفيه بركات عظيمة. ولكن الذي لا يذكر ذلك الإله أصلاً فماذا يمكن أن يستفيد منه. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م ص ٩٨)

إن اسم "الله" هو اسمه الذاتي بحسب مصطلح القرآن الكريم وقد بلغت فيه كافة صفات حسنه وإحسانه نقطة الكمال ولا توجد فيه أية منقصة. لقد اعتُبر اسم "الله" وحده هو الموصوف للصفات كلها في القرآن الكريم لكي يشار إلى أن اسم "الله" إنما يتحقق إذا وُجدت فيه الصفات الكاملة كلها. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٤٧)

إن اسم "الله" الذي معناه: "المعبود" أي ذات غير مدرك وفوق العقول ووراء الورا والأدق الذي يرجع إليه كل شيء كالعابدين أي في حالة الفناء في العشق - وهو الفناء النظري - أو في حالة الفناء الحقيقي أي الموت. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٢٦٨)

إن اسم "الله" هو الاسم الأعظم له ﷺ. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٢٦٨)

"الله" جامع الشؤون كلها وهو الاسم الأعظم. إن معية الاسم الأعلى مع كل صفاته متحققة لرسول الله ﷺ وجماعته. (الحكم، رقم ٢، مجلد ٧، عدد: ١٧/١/١٩٠٣ م ص ٧)

إن الإله الذي يريد القرآن الكريم منا الإيمان به منزّه عن جميع العيوب ومتصف بجميع الصفات. لأن كلمة "الله" إنما تُطلق على الذات الذي لا يوجد فيه عيب. والكمال قسمان: إما من حيث الحسن أو من حيث الإحسان. فكيلاً هذين الكمالين موجود في هذه الكلمة. والكلمات الأخرى التي اختارتها الأمم الأخرى لله تعالى ليست جامعة مثلها. وإن هذه الكلمة "الله" تدحض وجود الآلهة في الأديان الباطلة الأخرى وصفاتها. (الحكم رقم ١٧، مجلد ٧، عدد: ١٠/٥/١٩٠٣ م ص ٢)

الوثنيون أيضاً يحسبون أوثانهم مظاهر فقط مثل أتباع مذهب وحدة الوجود. ولكن القرآن الكريم يدحض هذا المذهب إذ يقول في بدايته: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فلو لم يكن هناك ما يميّز بين الخالق والمخلوق وكان كلاهما سيّين لما قال تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. والمعلوم أن العالم لا يدخل في الله تعالى لأن معنى العالم "ما يُعَلَّم به"، بينما جاء عن الله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام: ١٠٤) (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد: ١٠/٨/١٩٠٢ م، ص ٨، الملفوظات، المجلد ٢، ص ٢٣٠) "قد عرفت أن الله بصفة الرحمن يُنزل على كل عبد من الإنسان والحيوان والكافر وأهل الإيمان أنواع الإحسان والامتنان، بغير عمل يجعلهم مستحقين في حضرة الديان، إذ لا شك أن الإحسان على هذا المنوال، يجعل المحسن محبوباً في الحال، فثبت أن الإفاضة على الطريقة الرحمانية، يُظهر في أعين المستفيضة شأناً المحبوبة، وأمّا صفة الرحيمية، فقد ألزمت نفسها شأناً المحيية، فإن الله لا يتجلى على أحد بهذا الفيضان إلا بعد أن يُحبّه ويرضى به قولاً وفِعْلاً من أهل الإيمان." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية مجلد ١٨، ص ٩٩-١٠٠ الحاشية)

"قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨) ولا يستقيم هذا المعنى إلا في الرحمانية، فإن الرحيمية يختص بعالم واحد من المؤمنين." (إعجاز المسيح الخزان الروحانية مجلد ١٨، ص ١١٨ الحاشية)

الرحمن

ثم ذكر صفة الله الرحمن. ومن مقتضى هذه الصفة أنه ﷻ يقضي حاجات الإنسان الفطرية بغير دعاء أو التماس ودون عمل عامل. فمثلا يولد الإنسان وتكون كل الأشياء التي يحتاج إليها من أجل قيامه وبقائه موجودة قبل ولادته. يكون الحليب مهياً في ثدي الأم حتى قبل ولادة وليدها. فكل الأشياء مثل السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والماء والهواء وغيرها التي خلقها تعالى للإنسان إنما خلقت بمقتضى رحانيته. ولكن أهل الأديان الأخرى لا يؤمنون بأن الله تعالى قادر على الرحم دون مقابل أيضاً. (الحكم رقم ١٧، المجلد ٧، عدد: ١٠/٥/١٩٠٣ م ص ٣)

والفرقة الثانية هي ما أشير إليها في كلمة "الرحمن"، وهي فرقة "سناتن"، فمع أنهم يؤمنون بأن كل شيء قد صدر من برميشور نفسه، لكنهم يقولون أن لا فضل لله في شيء، وإنما هو يهب ثمار الأعمال، حتى أن الذي خلق رجلاً فبأعماله، وكذلك إذا كانت هناك امرأة فبنتيجة أعمالها. وإذا وجدت الأشياء المهمة من الحيوانات والنباتات وغيرها فهي أيضاً نتيجة أعمالها. باختصار، إن هؤلاء ينكرون صفة الله الرحمن، فالله الذي خلق الأرض والشمس والقمر والنجوم وغيرها، وخلق الهواء لتنفس، ونسمع صوت بعضنا بعضاً، وخلق الشمس والقمر وغيرها من الأشياء للضوء، وخلقها في زمن لم يكن للمتنفسين أي أثر فيه؛ فهل يمكن أن يقول أحد إن كل هذه الأشياء خلقت بسبب أعمالنا فقط؟ فهل يمكن لأحد أن يتباهى بأعماله، وهل يمكن أن يدّعي أحد أن الشمس والقمر والنجوم والهواء قد خلقت ببركة أعمالنا؟ إنهم مخطئون وواقعون في الكفر. الحق إنه لفضل الله المحض.

هناك نعم عديدة لا دخل فيها للأعمال ومنها ما فيه دخل للأعمال كما أن العابدين والزاهدين يقومون بالعبادة وينالون أجرها. (جريدة بدر، رقم ١، المجلد ٧، عدد: ١٩٠٨/١/٩ م ص ٥)

إن معنى الرحمن الذي يتبين من كلام الله هو الذي يرحم ويهيئ الأسباب دون مقابل وبغير أي عمل. انظروا مثلاً كيف أن الله تعالى وضع نظاما وخلق فيه الشمس والقمر والغالل والماء والهواء، وخلق أنواع الأعشاب لدفع أمراضنا، فهل لأحد أن يقول الآن بأن كل ذلك نتيجة عمل ما؟ كل من يتعمق في الموضوع يثبت له أن الله رحمن؛ فقد خلق وهياً سلفاً كل ما كان ضروريا لحياة الإنسان وبجودته. وكل ما يوجد في السماء والأرض، بل كل ما يوجد في أنفسنا كله نتيجة رحمانيته لأن نعمه التي أنعم بها علينا عندما كنا في بطون أمهاتنا لا يمكن أن تكون نتيجة عمل. من هنا تُدخض قضية التناسخ تلقائياً غير أنني لا أريد الخوض فيها الآن. هناك نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ولا يمكن أن نزيهاً في ميزان؛ فلا بد من الإيمان بأن الله رحمن. هناك فرق كثيرة في بلادنا تعتقد أن كل ما أُعطيه الإنسان إنما هو نتيجة عمل من الأعمال السابقة. ولكن الحق أن كل ذلك إنما هو نتيجة فضل الله تعالى وقد هيأته رحمانيته ولا يسع أحداً أن يدّعي كونه مقابل أعماله. (جريدة بدر رقم ٢٥، المجلد ٧، عدد: ١٩٠٨/٦/٢٥ م ص ٣)

قال ﷻ: هو الرحمن: أي أنه يهيئ أسباب الراحة قبل وجود الناس وأعمالهم بمحض لطفه وليس لطمع ولا نتيجة عمل أحد منهم. كما خلق لنا الشمس والقمر والأرض والأشياء الأخرى كلها قبل وجودنا وأعمالنا. وهذه العطية الإلهية قد سُميت في كتاب الله بالرحمانية. فمن هذا المنطلق سُمي الله رحماناً.

ثم قال تعالى: الرحيم: أي ذلك الإله الذي يجازي جزاء أفضل على الأعمال الصالحة ولا يضيع سعي أحد. فمن هذا المنطلق يُسَمَّى ﴿الرَّحِيم﴾ وهذه الصفة تسمى بالرحيمية. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٧٣)

إن لله اسمين: الرحمن والرحيم. المراد من الرحمن هو أنه يعطي أهل الله ما ينسجم مع فطرتهم ويناسب حالهم. ومعنى الرحيم أنه عندما يستخدم الإنسان القوى التي أعطاه الله فيرتب عليه السلام على أعماله نتائج طيبة. إن السعي والجهد يصبح واجبا على الإنسان تحت كنف الرحيمية. فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠) (الحكم رقم ١، المجلد ٧، عدد: ١٠/١/١٩٠٣ م ص ٢)

الرحمن هو الذي يرحم دون أي مقابل، فمثلا هل كان يمكن لإنسان أن يعترض لو جعله عليه السلام كلبا، وهل كان يمكن أن يقول يا إلهي لقد عملتُ عملاً صالحاً لم تأجرني عليه. (جريدة بدر، مجلد ٢، رقم ٢٤، عدد: ٠٣/٠٧/١٩٠٣ م، ص ١٨٦)

الرحيم

معناه أن الله تعالى يخرج النتائج الحسنة على الأعمال الحسنة، كما أن المصلي والصائم والمتصدق يجد الرحمة في الدنيا والآخرة أيضا. فقد قال الله عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠) وقال في آية أخرى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزال: ٨ - ٩) (جريدة بدر رقم ٢٤، المجلد ٢، عدد: ٣/٧/١٩٠٣ م ص ١٨٦)

الذي يعطي جزاء الأعمال. هناك بعض الناس - وإن كانوا من المسلمين - يعدّون الأعمال باطلة ويقولون: ما الفائدة من الصلاة أو الصوم، إذا كانت النجاة في نصيبنا فسننجو وإلا فسيحدث ما هو مقدّر فلا حاجة بنا لتنجش المصاعب. إن عدد هذه الفرقة كبير. كل جاهل يعتنق هذا الاعتقاد تاركا الأمر على عواهنه. يقولون: هل نتطلع لنكون أولياء الله حتى نتكبد عناء المجاهدات؟ ولكن الله تعالى يقول: أنا الرحمن، فمن فني في الأعمال الصالحة والعشق والحب سأرفع مراتبه. كل من خلا من الأولياء والصلحاء الكبار قاموا بالمجاهدات حتما أولا ثم فتح عليهم هذا الباب فيما بعد. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠). فمن جدّ وجد ومن جال نال. ومن يجاهد فحتما سوف يبلغ

المراد. إن كلمة ﴿الرَّحِيمِ﴾ تدحض أولئك الذين يقولون: سيحدث ما هو مقدّر فما حاجتنا للعبادة؟ لعل السارقين والنهاب أيضا يعتقدون المذهب نفسه ويكتنون هذه الأفكار سرا. (بدر ٩ رقم ١، المجلد ٧، عدد: ١٩٠٨/١/٩ ص ٥)

لقد قال الله تعالى في سورة الفاتحة إنه رحيم أي يرتّب النتائج الطيبة على الجهود. فمثلا هناك زارع يزرع الأرض ويسقى الحرت، فتقابلة عادة الله أنه لا يضيع عمل عامل بل يعطي حبات كثيرة مقابل حبة واحدة. ولكن إذا دُبرّ الزرع لحكمة كامنة أو لسوء عمل الزارع فهذا شيء آخر. والنادر كالمعدوم. (بدر رقم ٢٥، المجلد ٧، عدد: ١٩٠٨/٦/٢٥ ص ٣)

إن محمدا ﷺ هو المظهر التام للرحمانية، لأن معنى محمّد هو مَنْ مُحَمَّدٌ كثيرا، ومعنى الرحمن مَنْ يعطي بدون عمل وبدون التفريق بين المؤمن والكافر، ولا شك أن مَنْ يعطي بدون عمل وسؤال يُحمّد حتمًا. فاسم محمد هو تجلّ للرحمانية، واسم أحمد هو ظهور للرحيمية، لأن معنى الرحيم من لا يضيع عمل عامل وجهّد مجتهد. ومعنى أحمد مَنْ يحمّد كثيرا، ومن المعروف أن من يتقن العمل يكون مسرورا وينال جزاء جهده ويُحمّد، ومن هذا المنطلق فإن اسم أحمد ظهور للرحيمية. فمحمّد يعني الرحمن، وأحمد يعني الرحيم. فرسول الله ﷺ كأنما هو مظهرٌ لهاتين الصفتين الإلهيتين العظيمتين: الرحمانية والرحيمية. (جريدة الحكم رقم ٦، المجلد ٥، عدد: ١٩٠١/٢/١٧ ص ٧)

واعلموا أن الرحمة نوعان: أحدهما يسمّى الرحمانية، والآخر الرحيمية. والرحمانية فيضاً بدأ حتى قبل أن تُخلَق ونوجد. فمثلاً إن الله تعالى، وبناءً على علمه الأزلي، قد خلق في البداية الأرض والسماء وما فيهما من أشياء، وهي كلها كانت نافعة لنا وتنفعنا بالفعل، والإنسان هو الأكثر انتفاعا منها كلها عموماً. إن الخراف والماعز وغيرها من الحيوانات نافعة للإنسان، فانتفاع هذه الحيوانات من الأشياء الأخرى ليس ذا بال إزاء انتفاع الإنسان. ففي الأمور الجسمانية مثلاً ترون كيف يأكل

الإنسان ما لَدَّ وطاب من الأغذية المتنوعة، فهو يأكل ما طاب من لحم الحيوان، وأما الكلاب فتأكل ما تبقى من اللحم الرديء والعظام. فثبت أن الحيوانات وإن كانت تشارك الإنسان في المتع واللذات الجسمانية المتيسرة، إلا أن الإنسان هو الأكثر حظاً واستمتاعاً بها، أما المتع الروحانية فلا تشاركه فيها الحيوانات بتاتا.

باختصار، هناك نوعان من الرحمة، أولهما ما خلقه الله تعالى حتى قبل وجودنا من الأشياء من عناصر وغيرها كمقدمة وتوطئة، وهي كلها مسخرة لنا، وهي مخلوقة بمقتضى رحمة الله قبل وجودنا ورغبتنا ودعائنا.

والنوع الآخر من الرحمة هو الرحيمية، بمعنى أننا حين ندعو الله تعالى فإنه يعطينا ما نسأله. والتدبر يكشف لنا أن الدعاء هو من صميم النواميس الطبيعية. إن البعض يعتبر الدعاء بدعة اليوم، لذا أودّ بيان علاقة دعائنا بالله تعالى.

عندما يبكي الرضيع من شدة الجوع ويصرخ للحليب، يتدفق الحليب في ثدي الأم. لا يعرف الطفل حتى اسم الدعاء، ولكن ترون كيف تستدرّ صرخاته الحليب. هذا أمر قد جرّبه الجميع. وقد لوحظ في بعض الأحيان أن الأم لا تشعر بوجود الحليب في ثديها، ولكن صرخة رضيعها تجلبه تلقائياً. فهل صرخاتنا أمام الله تعالى عاجزة عن جلب شيء من عنده؟ كلا، بل إنها تجلب وتجلب كل شيء، ولكن العميان الذين يدّعون أنهم علماء وفلاسفة لا يقدرّون على رؤية ذلك. لو فكّر الإنسان في فلسفة الدعاء واضعاً في الحسبان ما بين الطفل والأم من علاقة، لفهم موضوع الدعاء بمنتهى السهولة.

فالقسم الثاني من الرحمة يخبرنا أن هناك رحماً ينشأ بعد السؤال، فلو تابرت على السؤال لوجدتموه. فقول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) ليس كلاماً فارغاً، بل هذا هو مقتضى الفطرة البشرية.

إن السؤال خاصية الإنسان والاستجابة صفة الله تعالى، ومن لم يفهم هذا الأمر وأنكره فهو كاذب. إن مثل الرضيع الذي ذكرته آنفاً يبين فلسفة الدعاء أيما بيان.

اعلموا أن الرحمانية والرحيمية متلازمتان لا تنفصلان، فمن أراد إحداها دون الأخرى فلن ينال شيئاً. إنما مقتضى الرحمانية أن تجعلنا قادرين على الانتفاع من فيوض الرحيمية، ومن لم يستفد من الرحمانية فهو كافرٌ بنعمة الله. إنما مفهوم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هو أننا نعبدك وحدك آخذين بالأسباب المادية التي وهبت لنا. خذوا مثلاً هذا اللسان المخلوق من عروق وأعصاب، فإنه إن لم يكن مخلوقاً على هذا النحو لما قدرنا على الكلام. لقد رُزقنا من أجل الدعاء لساناً قادراً على التعبير عما يختلج في قلوبنا من أفكار وأحاسيس. فإن لم نستخدم اللسان من أجل الدعاء فهذه شقاوتنا. هناك أمراض كثيرة لو أصابت اللسان لتعطلَّ دفعةً واحدة وصار الإنسان أبكم. فما أعظمَ رحمةَ الله إذ أعطانا اللسان. كذلك لو حصل خلل في الأذن لما سمعنا شيئاً. والحال نفسها للقلب؛ فلو أصابه المرض لفسد كل ما خلق الله تعالى فيه من قوة الخشوع والخضوع والتفكير والتدبر. انظروا إلى المجانين كيف تصير قواهم العقلية عاطلة. أفليس واجبا إذن أن نقدر هذه النعم الإلهية حق قدرها؟ لو تركنا هذه القوى التي أعطانا الله بكمال فضله عاطلةً، لكننا ناكرين لنعمة الله حتماً. فاعلموا أننا لو دعونا الله تعالى معطلين ما وهب لنا من القوى والقدرات فلن ينفعنا الدعاء شيئاً. فما دمنا لم نستفد من العطية الإلهية الأولى فأئني لنا أن نستفيد من الأخرى وننتفع منها؟ (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م ص ١٤٩-١٥٠)

أن رحمة الله تجلّت على بني آدم بنوعيتها من حيث تقسيمها الابتدائي كالآتي:
الرحمة من النوع الأول: هي تلك التي شملت العباد من دون وجود عملٍ عامل، مثل وجود الأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم والماء والهواء والنار وغيرها من النعم التي يتوقف عليها بقاء الإنسان وحياته، لأن هذه الأشياء كلها رحمة للإنسان بلا شك قد منحه الله إياها بمحض فضله وإحسانه بغير استحقاق منه. وهذا فيض رباني خاص لا دخل لسؤال الإنسان فيه، بل إنه قد سبق وجود الإنسان. وإن هذه النعم لرحمة عظيمة تتوقف عليها حياته. ثم من البديهي الواضح أن هذه الأشياء لم

تُخلق نتيجة عملٍ صالح للإنسان، بل الحق أن علم الله السابق بذنوب العباد لم يمنعه من التجلي بهذه الرحمة. ومهما كان أحد القائلين بالتقمص والتناسخ غارقاً في تعصبه وجهله إلا أنه لن يجرؤ على القول أن الله تعالى خلق الأرض لراحة الإنسان، أو خلق الشمس والقمر لتبديد ظلمتها، نتيجة عمل من أعماله الصالحة، أو خلق الماء والغلال جزاءً على حسنة من حسناته، أو خلق الهواء الذي يتنفس به نتيجة زهده وتقواه، ذلك أن هذه الأشياء موجودة قبل وجود الإنسان وحياته، وما لم نعتبر وجودها أولاً فتصور وجود الإنسان ضربٌ من المحال؛ فكيف يمكن إذن أن لا تظهر هذه الأشياء قبل الإنسان مع أنه بحاجة إليها لوجوده وحياته وبقائه. ثم إن وجود الإنسان هذا- الذي أُعِدَّ في أحسن تقويم منذ البداية- وغيره من الأمور كلها، قد سبقت تكميل الإنسان. وهذه هي الرحمة الخاصة التي لا دخل فيها لعمل الإنسان وعبادته ومجاهدته. والرحمة من النوع الثاني، هي تلك التي تترتب على صالح أعمال الإنسان، فإذا دعا بضرعة استجيب دعاؤه، وإذا زرع بجهد زادت رحمة الله تعالى زرعه حتى أنتج ذخيرة وافرة من الغلال. كذلك يكشف لنا التعمق أن رحمة الله تشمل كل عمل صالح لنا، سواء كان يتعلق بالدين أو الدنيا، فحينما نقوم بجهد في أمر الدنيا أو الدين بحسب القوانين التي هي من سنن الله تعالى، تشملنا رحمة الله فوراً، وتثمر جهودنا. إننا لا نستطيع العيش من دون هذين النوعين من الرحمة الإلهية. هل من أحد يشك في وجودهما؟ كلا، بل هي من أجلى البديهيات وعليها مدار نظام حياتنا. فلما ثبت أن القادر الكريم قد أجرى هذين النوعين من رحمته لتربيتنا وتكميلنا، وأن هاتين الصفتين قد ظهرتنا بطريقتين من أجل ربي شجرة وجودنا، فعلياً الآن أن نرى بأي اسم دُعي هذان النوعان في اللغة العربية بعد انعكاسهما فيها؟ فليكن واضحاً أن الله تعالى يُدعى في اللغة العربية رحماناً بالنظر إلى النوع الأول من رحمته، ويدعى رحيماً بالنظر إلى النوع الثاني من رحمته، وكشفاً لهذه الميزة في اللغة العربية قد ذكرنا اسم الرحمن في السطر الأول من هذه الخطبة العربية.

لقد لاحظتم بهذا المثال بأنه لما كانت صفة رحمة الله منقسمة في قانون القدرة إلى قسمين من حيث التقسيم الابتدائي، فلذلك توجد لهما مفردتان في العربية. وهذه القاعدة ستكون نافعةً جداً لطالب الحق.. أعني ضرورة اتخاذ صفات الله وأفعاله المتجلية في صحيفة القدرة معياراً لمعرفة الفروق الدقيقة في اللغة العربية دائماً، وأن نبحت في مفردات العربية عن أنواع الصفات الإلهية البادية في قانون القدرة، وإذا أردنا كشف الفرق في الكلمات العربية المترادفة والمتعلقة بصفات الله وأفعاله، فعلينا أن نتوجه إلى التقسيم الموجود في قانون القدرة فيما يتعلق بصفات الله وأفعاله، لأن غرض العربية الحقيقي هو خدمة الإلهيات، كما أن الغرض الحقيقي لوجود الإنسان هو معرفة البارئ تعالى. ومعلوم أنه لا يمكن اختبار كفاءة الشيء ومعرفة قواه إلا بالنظر في الغرض الذي خُلق من أجله. (من الرحمن، الخزائن الروحانية المجلد ٩، ص ١٤٧-١٤٩، الحاشية)

اعلموا أن الرحمة نوعان، أولهما يسمّى الرحمانية والآخر الرحيمية. والرحمانية فيضٌ بدأ قبل وجودنا وخلقنا. فمثلاً قد خلق الله قبل وجودنا أيضاً الأرضَ والسماء والقمر والشمس وغيرها من الأشياء الأرضية والسمائية، وهي كلها نافعة لنا وتنفعنا فعلاً. لا شك أن الحيوانات الأخرى أيضاً تستفيد من هذه الأشياء، ولكن الحيوانات نفسها ما دامت تنفع الإنسان وتخدمه، فثبت أن المستفيد الحقيقي من كل هذه الأشياء هو الإنسان في الحقيقة. ترون في الأمور الجسمانية كيف أن الإنسان يأكل أطيب الأطعمة وأفضلها، وكيف أن أجود اللحم يكون من نصيب الإنسان، أما العظام والأجزاء الرديئة فتكون للكلاب. لا شك أن الدواب تستمتع باللذة الجسمانية لحد ما، ولكنها لا تكون شريكة للإنسان في اللذة الروحانية.

باختصار، هذان نوعان من الرحمة، وقد أعطينا أولهما حتى قبل وجودنا، وأما الثاني، أي الرحيمية، فتتجلى مظاهره بعد الدعاء ويقضي منا العمل والجهد.

(الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٢، عدد: ٣١/٨/١٩٠١ م ص ٢-٣)

ثم ذكرت صفة الله ﴿الرَّحِيم﴾ التي مقتضاها أن الله تعالى لا يضيع جهد أحد وسعيه بل يثمره بثمرات ويرتّب عليه النتائج. إذا لم يكن الإنسان موقنا أن جهده وسعيه سيعطي ثمارا فسيتهاون ويتكاسل. فهذه الصفة توسّع دائرة آمال الإنسان وتدفعه لفعل الخيرات بحماس شديد.

وليكن معلوما أن الله تعالى يسمّى رحيمًا في مصطلح القرآن الكريم عندما يقبل دعاء الناس وتضرعاتهم وأعمالهم الصالحة ويحميهم من الآفات والبلايا وضياع الأعمال. الرحمانية صفة عامة، ولكن الرحمية تخص الناس. المخلوقات الأخرى لم تُعط ملكة الدعاء والتضرع والأعمال الصالحة، وليست فيها هذه القدرة، بل أُعطيها الإنسان وحده.

فالفرق بين الرحمانية والرحيمة هو أن الرحمانية لا تقتضي الدعاء، والرحيمة تقتضيه. وهذه العطية خاصة بالإنسان دون غيره. ولو لم يستفد منها كإنسان فهو يساوي الدواب بل الجمادات.

وهذه الصفة أيضا كافية لدحض الأديان الباطلة، لأن بعض الأديان تميل إلى الإباحية، وتعتقد أن الترتيات في الدنيا مستحيلة. فلما كان الآريون محرومين من بركة هذه الصفة، فأئى لهم أن يعتقدوا بصفات الله الكاملة. وقد أنكر سيد أحمد خان^١ أيضا الدعاء وحُرم من البركة التي ينالها الإنسان بالدعاء. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٩، عدد: ٢٤/٥/١٩٠٣ م ص ١)

حين نتأمل في قانون الله الجاري في الطبيعة نرى بكل وضوح أن كل ما هيأه الله تعالى لعباده أو يهيئه إنما هو عطاؤه من نوعين:

أولا هي إنعاماته وألطافه التي وُجدت قبل وجود الإنسان دون أن يكون لعمله أدنى دخل فيها، كما خلق عَلَيْهِ السَّلَام الشمس والقمر والنجوم والأرض والماء والهواء والنار

^١ هو السير سيد أحمد خان، مؤسس جامعة عليغره بالهند. (الناشر)

وغيرها لفائدة الإنسان. ولا شك أن هذه الأشياء قد سبقت وجود الناس وأعمالهم، وأن وجود الإنسان جاء بعدها. وهذا نوع من رحمة الله التي تُسمى الرحمانية في مصطلح القرآن الكريم، أي الجود والعطاء الذي لا يأتي نتيجة أعمال العبد بل هي نتيجة فضل الله تعالى فقط.

والنوع الثاني للرحمة تسمى الرحيمية في مصطلح القرآن الكريم، أي ذلك الإنعام والإكرام الذي يُعطاه الإنسان نتيجة أعماله الحسنة المزعومة. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٧-٢٨)

والفرق بين الرحمانية والرحيمية أن لا دخل للعمل أو الفعل في الرحمانية، أما الرحيمية ففيها دخل للعمل، ولكن يبقى في العمل نوع من الضعف أيضاً، ورحم الله يقتضي ستره. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٢، عدد: ٣١/٨/١٩٠١ م م ص ٢)

الجدير بالذكر، أن رحمة الله التي تصيب الإنسان دون أي مقابل منه أو دون أي عمل إنساني أو جهد وسعي منه، تسمى رحمانيةً. فمثلاً قد خلق الله نظام الكون، فخلق الشمس والقمر والنجوم والهواء والماء والغلال، وخلق الأدوية لشفاء أمراضنا المختلفة. باختصار، هناك ألوف مؤلفة من الإنعامات من هذا القبيل قد خلقها الله بمحض فضله دون أي عمل لنا أو جهد منا أو سعي. إذا نظر الإنسان بنظرة عميقة، فسوف يجد مئات الألوف من الإنعامات من هذا القبيل، ولن يجد مبرراً للإنكار، ولن يجد بدءاً من الإيمان بأن الإنعامات ووسائل الرحمة الموجودة قبل ولادتنا ليست نتيجة أي عمل لنا.

انظروا إلى هذه الأرض والسماء وجميع ما فيهما، وخلقنا والحالة التي كنا فيها أجنة في بطون أمهاتنا، والقوى التي خلقت في تلك الحالة؛ لم تكن نتيجة أي عمل لنا. هنا لا أريد أن أتكلم عن الذين يؤمنون بالتناسخ، وفي الوقت نفسه لا أستطيع الامتناع عن البيان أيضاً أن إنعامات الله وأفضاله علينا لا حصر لها، ولا يمكن أن نرَها في أي ميزان، فليخبرني أحدكم: أيُّ عمل يمكن أن يعدل الإنعامات من قبيل

خلق الشمس والقمر والأرض وجميع الأشياء التي نحتاج إليها وهياها الله وخلقها لنا قبل ولادتنا؟

فلن نجد بدا من التسليم بأن الله رحمن، وله مئات الألوف من الأفضال التي تصينا بسبب رحمانيته فقط، وأن عطايه تلك ليست مقابل أي عمل منا في الماضي. وإنه لمن الجهل وقصور الفهم أن تُعدَّ نتائج أعمال سابقة. إن فضل الله ورحمانيته هما لتكملينا الروحاني والمادي، ولا أحد يستطيع أن يدعي أنهما بسبب أعماله.

الرحيم هو من يجزي الإنسان على جهده الصادق وسعيه، فالفلاح مثلاً حين يجتهد ويسعى بإخلاص فعادة الله مقابله أن يثمر سعيه ولا يضيع جهده، أما الشاذ والنادر ففي حكم المعدم. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد: ١٤/٧/١٩٠٨ م ص ٢)

إن صفة الله "الرحمن" تردُّ على الفرقة التي تعدُّ الأعمال لاغية وعبثاً أصلاً، فيقولون ما الصلاة وما الصيام؟ إذا أنزل الله الغفور الرحيم فضله فسوف ندخل الجنة وإلا فجهنم. وأحياناً ينطق هؤلاء بعبارات من قبيل: هل سنصبح أولياء بالعبادة! إذا أنجزنا شيئاً فجيد وإن لم نفعل فلا بأس. فالله ﷻ يفند مزاعم هؤلاء بقوله: "الرحيم" ويقول: إن الذي يجتهد ويتفانى في عشق الله وحبه، يتميز عن الآخرين ويُعدّ من أحبائه الله. فالله ﷻ يرشد مثل هؤلاء بنفسه، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)، أي أن الذين يجاهدون من أجلنا نريهم سبلنا أخيراً، فكل الأولياء والأنبياء والصلحاء الذين خلوا إلى الآن حين قاموا بمجاهدات كبيرة في سبيل الله، فتح الله عليهم أبوابه في نهاية المطاف. أما الذين لا يؤمنون بصفة الله هذه، فهم يقولون عادة: ما الذي تفيد مساعينا وجهودنا؟ فالذي كُتب في القدر والقضاء سلفاً من اليوم الأول لا محالة نافذ، فلا داعي لبذل الجهود، فسيحدث ما هو حادثٌ تلقائياً. ولعل اللصوص وقطّاع الطرق والأوباش الآخرون أيضاً يدينون بهذا الدين في دخيلة نفوسهم.

باختصار، يجب أن لا يغيب عن البال أن للفعل الإلهي نوعين: أحدهما ليس فيه دخل للأعمال، كما قد خلق الله الشمس والقمر والهواء وغيرها بقدرته الكاملة دون أي عمل منا وحتى قبل ولادتنا، والثاني ما فيه دخل للأعمال، فالعباد والزهاد والورعون يعبدون وينالون أجرهم. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١، عدد: ١٩٠٨/١/٢ م م ص ٦)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي جميع المحامد متحققة في ذلك المعبود الحقيقي الجامع لجميع الصفات الكاملة الذي اسمه "الله".... لقد بينتُ من قبل أن "الله" في مصطلح القرآن الكريم هو اسم ذلك الذات الكامل الذي هو المعبود الحق والجامع لجميع الصفات الكاملة والمنزه عن جميع الرذائل، وهو واحد لا شريك له، وهو مبدأ جميع الفيوض. ولأنه ﷻ قد جعل في كلامه المقدس، أي القرآن الكريم، اسمه "الله" موصوفا لسائر أسمائه وصفاته الأخرى، ولم يجعل لأيٍّ من الأسماء الأخرى هذه المنزلة، لذا فإن الاسم "الله"؛ يدل على كافة الصفات التي وُصف بها لأنه متصف بجميع الصفات الحسنة، ولأنه قد جُعل موصوفا لجميع الأسماء والصفات، لذا فإن مفهومه هو أنه يشمل جميع الصفات الكاملة. إن ملخص "الحمد لله" هو أن كافة أنواع الحمد ظاهرية كانت أم باطنية أو باعتبار الكمالات الذاتية أو عجائب القدرة خاصةً بالله تعالى ولا شريك له فيها. وكذلك إن جميع المحامد الصحيحة والكمالات التامة التي يمكن أن يتفكر بها عاقل أو يمكن أن تخطر ببال متفكر موجودة في ذات الله تعالى. وليس هناك ميزة يمكن أن يشهد العقل بإمكانية وجودها ويكون الله محروما منها مثل إنسان شقي. فلا يسع عقل عاقل أن يطلع على ميزة لا توجد في الله ﷻ، بل مهما فكر الإنسان بمزايا فإنها موجودة كلها في ذات الله تعالى، وهو حائز على الكمال في ذاته وصفاته ومحامده من كل الوجوه،

ومنزّه من الرذائل كلها. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ الحاشية ١١)

"اعلم أن الحمد ثناءٌ على الفعل الجميل لمن يستحق الثناء، ومدحٌ لمنعمٍ أنعم من الإرادة وأحسن كيف شاء. ولا يتحقق حقيقة الحمد كما هو حقُّها إلا للذي هو مبدئُ جميع الفيوض والأنوار، ومُحسنٌ على وجه البصيرة، لا من غير الشعور ولا من الاضطرار، فلا يوجد هذا المعنى إلا في الله الخبير البصير، وإنه هو المحسن ومنه المنُّ كلها في الأول والأخير، وله الحمد في هذه الدار وتلك الدار، وإليه يرجع كلُّ حمد يُنسب إلى الأغيار.

ثم إن لفظ الحمد مصدرٌ مبنيٌّ على المعلوم والمجهول، وللفاعل والمفعول من الله ذي الجلال، ومعناه أن الله هو محمّدٌ وهو أحمدٌ على وجه الكمال. والقرينة الدالة على هذا البيان، أنه تعالى ذكر بعد الحمد صفاتٍ تستلزم هذا المعنى عند أهل العرفان. والله سبحانه أوماً في لفظ الحمد إلى صفات توجد في نوره القديم، ثم فسّر الحمد وجعله مُحدّرةً سَفَرَتْ عن وجهها عند ذكر الرحمن والرحيم. فإن الرحمن يدل على أن الحمد مبني على المعلوم، والرحيم يدل على المجهول كما لا يخفى على أهل العلوم." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٢٩ - ١٣١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو الثناء باللسان على الجميل للمقتدر النبيل على قصد التبجيل، والكمال التام من إفراده مختصٌّ بالرب الجليل، وكل حمدٍ من الكثير والقليل، يرجع إلى ربنا الذي هو هادي الضال ومُعزّز الدليل، وهو محمود الممودين.

والشكر يُفارق الحمد بخصوصيته بالصفات المتعدية عند أكثر العلماء، والمدح يُفارقه في جميلٍ غير اختياريٍّ كما لا يخفى على البلغاء والأدباء الماهرين.

وإن الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لا بالشكر ولا بالثناء، لأن الحمد يُحيط عليهما بالاستيفاء، وقد ناب منابهما مع الزيادة في الرِّفاء وفي التزيين والتحسين. ولأن الكُفَّار

كانوا يحمدون طواغيتهم بغير حق، ويؤثرون لفظ الحمد لمدهم ويعتقدون أنهم منبع المواهب والجوائز ومن الجوادين؛ وكذلك كان موتاهم يُحمدون عند تعدد النوادب، بل في الميادين والمآدب، كحمد الله الرازق المتولي الضمين؛ فهذا ردُّ عليهم وعلى كل من أشرك بالله وذكرٌ للمتوسمين. وفي ذلك يلوم الله تعالى عبدة الأوثان واليهود والنصارى وكل من كان من المشركين. فكأنه يقول أيها المشركون.. لم تحمدون شركاءكم وتُطرون كبراءكم؟ أم أربابكم الذين ربوكم وأبناءكم؟ أم هم الراحمون الذين يرحمونكم ويردون بلاءكم، ويدفعون ما ساءكم وضراءكم، ويحفظون خيرًا جاءكم، ويرحضون عنكم قشَفَ الشدائد ويداوون داءكم، أم هم مالكُ يوم الدين؟ بل الله يُرَبِّي ويرحم بتكميل الرفاء، وعطاء أسباب الاهتداء، واستجابة الدعاء، والتنجية من الأعداء، وسيعطي أجر العاملين الصالحين.

وفي لفظ "الحمد" إشارة أخرى وهي أن الله تبارك وتعالى يقول أيها العباد اعرفوني بصفاتي، وتعرفوني بكمالاتي، فإني لست كالناقصين، بل يزيد حمدي على إطرء الحامدين، ولن تجد محامداً لا في السماوات ولا في الأرضين إلا وتجدها في وجهي، وإن أردت إحصاء محامدي فلن تحصيها، وإن فكرت بشق نفسك وكلفت فيها كالمستغرقين. فانظر هل ترى من حمد لا يوجد في ذاتي؟ وهل تجد من كمال بُعد مني ومن حضرتي؟ فإن زعمت كذلك فما عرفني وأنت من قوم عمين. بل إنني أعرف بمحامدي وكمالاتي، ويُرى وابلي بسُحُبِ بركاتي، فالذين حسبوني مستجمع جميع صفات كاملة وكمالات شاملة، وما وجدوا من كمال وما رأوا من جلال إلى جولان خيال، إلا ونسبوها إليّ، وعزوا إليّ كل عظمة ظهرت في عقولهم وأنظارهم، وكل قدرة تراءت أمام أفكارهم، فهم قوم يمشون على طرق معرفتي، والحق معهم وأولئك من الفائزين.

فقوموا، عافاكم الله، واستقرئوا محامده عزَّ اسمه، وانظروا وأمعنوا فيها كالأكياس والمتفكرين. واستنفضوا واستشققوا أنظاركم إلى كل جهة كمال وتحسسوا منه في قيض

العالم ومُجِّه، كما يتحسس الحريص أمانيه بشُحِّه، فإذا وجدتم كماله التام وريَّاه، فإذا هو إيَّاه، وهذا سرٌّ لا يبدو إلا على المسترشدين.

فذلكم ربكم ومولاكم الكامل المستجمع لجميع الصفات الكاملة، والحمد التامة الشاملة، ولا يعرفه إلا من تدبر في الفاتحة، واستعان بقلب حزين. وإن الذين يُخلصون مع الله نيَّةَ العقد، ويعطونه صفقة العهد، ويُطهِّرون أنفسهم من الضغن والحقْد، تُفتح عليهم أبوابها فإذا هم من المبصرين.

ومع ذلك فيه إشارة إلى أنه مَنْ هلك بخطاه في أمر معرفة الله تعالى، أو اتخذ إلهًا غيره، فقد هلك من رفض رعاية كمالاته وترك التأنق في عجائباته، والغفلة عما يليق بذاته، كما هو عادة المبطلين. ألا تنظر إلى النصارى أنهم دُعوا إلى التوحيد، فما أهلكهم إلا هذه العلة، وسوّلت لهم النفس المضلّة، والشهوة المزلّة، أن اتخذوا عبدًا إلهًا، وارتضعوا عُقار الضلالة والجهالة، ونسوا كمال الله تعالى وما يجب لذاته، ونحتوا لله البنات والبنين. ولو أنهم أمعنوا أنظارهم في صفات الله تعالى وما يليق له من الكمالات لما أخطأ توهمهم وما كانوا من الهالكين. فأشار الله تعالى ههنا أن القانون العاصم من الخطأ في معرفة الباري، عز اسمه، إمعانُ النظر في كمالاته، وتتبعُ صفات تليق بذاته، وتذكُّر ما هو أولى من جدوى، وأحرى من عدوى، وتصوُّر ما أثبت بأفعاله من قوّته وحوله وقهره وطوّله، فاحفظْه ولا تكن من اللافتين. واعلم أن الربوبية كلها لله، والرحمانية كلها لله، والرحيمية كلها لله، والحكم في يوم المجازاة كله لله، فإياك وتأيّيك من مطاوعة مُربِّيك، وكُن من المسلمين الموحّدين. وأشار في الآية إلى أنه تعالى مُنزه من تجلّد صفةٍ، وخوّل حالةٍ، ولُحوق وصمةٍ، وخوّر بعد كورٍ، بل قد ثبت الحمد له أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، إلى أبد الآبدين. ومن قال خلاف ذلك فقد احرّورف وكان من الكافرين.

وقد علمتُ أن هذه الآية ردٌّ على النصارى وعبدَةِ الأوثان، فإنهم لا يوفون الله حقّه، ولا يرجون له برّقه، بل يُغدِفون عليه ستارة الظلام، ويلقونه في سبل الآلام،

ويُعدونه من الكمال التام، ويُشركون به كثيرا من المخلوقين. فهذا هو الظن الذي أُرذاهم، والتقليد الذي أبادهم وأهلكهم، بما عوّلو على أقوال المفترين، وزعموا أنهم من الصادقين. وقالوا إن هذه في الآثار المنتقاة المدوّنة عن الثقات، وما توجّهوا إلى عثر آبائهم، وجهل علمائهم، وتشريقهم وتغريبهم من مراكز تعاليم النبيين، وتبيّهم في كل واد هائمين. والعجب من فهمهم وعقلهم أنهم يعلمون أن الله كامل تام لا يجوز فيه نقصٌ وشُنعةٌ وشحوبٌ وذهولٌ، وتغيّرٌ وحؤولٌ، ثم يُجَوِّزون فيه كثيرا منها، وينسبون إليه كلّ شقوة وخسران، وعيب ونقصان، ويكذبون ما كانوا صدّقوه أولاً ويهزون كالمجانين.

وفي لفظ الحمد لله تعليم للمسلمين أنهم إذا سُئِلوا وقيل لهم مَنْ إلهكم.. فوجب على المسلم أن يجيبه أن إلهي الذي له الحمد كله، وما من نوع كمال وقدرة إلا وله ثابت، فلا تكن من الناسين. ولو لاحظَ المشركين حظَّ الإيمان، وأصابهم طلٌّ من العرفان، لما طاحَ بهم ظنُّ السوء بالذي هو قَيُّوم العالمين. ولكنهم حسبوه كرجل شاخَ بعد الشباب، واحتاج بعد صمديّته إلى الأسباب، ووقعت عليه شدائدُ تحوّلٍ وقُحُولٍ، وقَشِفُ تحوّلٍ، ووقع في الإتراب، بل قرب من التباب، وكان من المتربين." (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ١٠٦ - ١١٠)

وقد بُدئت هذه السورة بجملة "الحمد لله"، التي تعني أن كل أنواع الحمد والثناء تليق بمَن اسمه "الله". وقد بُدئت بـ "الحمد لله" لتنبّه إلى أن الهدف الحقيقي أن يُعبد الله بحماس الروح وانجذاب الطبع، وهذا الانجذاب الناجم عن العشق والحب لا يتأتى بحق أحد ما لا يثبت أنه جامعٌ لهذه المحاسن الكاملة التي حين يلاحظها القلب ينصرف إلى حمده والثناء عليه تلقائيا. فالبدیهي أن الحمد الكامل ينشأ من نوعين من المحاسن؛ أحدهما كمالُ الحسن والثاني كمالُ الإحسان، وإذا اجتمعا في أحد فإن القلب يكون فداء له ويُستهم به. وإن أكبر غاية للقرآن الكريم هي أن يُجَلِّي على طلاب الحق محاسن الله من كلا النوعين، لينجذب الناس إلى ذلك الفريد الذي

ليس كمثله شيء، ويعبدوه بحماس الروح وانجذابها. لهذا قد أراد أن يرسم في أولى السور صورة لطيفة تبين كم من صفات عظيمة يتصف بها الإله الذي يدعو إليه القرآن الكريم. ولهذا السبب ابتدئت هذه السورة بـ "الحمد لله"، مما يعني أن جميع أنواع المحامد تليق بمن اسمه "الله". أما بحسب المصطلح القرآني فهو من بلغت جميع محاسنه ومحامده كمال الحسن والإحسان، ولم تبقَ فيه أيُّ منقصة. فالقرآن الكريم قد وصف الله بأنه هو وحده متصف بجميع الصفات الكاملة، ليشير إلى أن أحدا لا يُسمى بـ "الله" ما لم تتحقق فيه جميع الصفات الكاملة، فإذا وُجدت فيه كل أنواع الحسن فحسُّه جلي واضح. ونظرا إلى هذا الحسن سمي الله في القرآن الكريم بالنور كما قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٦) وكل نور مُظهر لنوره وحده. وإن محاسن الإحسان في الله كثيرة، وأربع منها بمنزلة أصل الأصول، وبحسب ترتيبها الطبعي فإن الصفة الأولى التي ذُكرت في القرآن الكريم في جملة "رب العالمين" وهي أن ربوبية الله -أي الخلق وإبلاغ المخلوق كماله المطلوب- جارية وسارية في جميع العالمين، أي في عالم السماء وعالم الأرض وعالم الأجسام، وعالم الأرواح وعالم الجواهر وعالم الأعراض وعالم الحيوانات وعالم النباتات وعالم الجمادات وجميع أنواع العالمين الأخرى تترى بتربيته، حتى إن العوالم التي يمر بها الإنسان نفسه بدءا من حالة النطفة أو قبلها إلى عالم الموت أو إلى الحياة الآخرة، كُلُّها تستفيض من نبع الربوبية.

إن ربوبية الله تعالى قد وُصفت بالفيض الأعم لكونها تشمل جميع الأرواح والأجسام والحيوانات والنباتات والجمادات وغيرها، لأن كل موجود يستفيض منه، وبسببه جاء كل شيء إلى حيز الوجود. نعم! مع أن ربوبية الله هي موحدة كل موجود وهي المربية لكل ما هو ظاهر بوجوده، ولكن أكثر من يستفيد منها كمنة هو الإنسان لأنه يستفيد من كل ما خلقه الله. لذا فقد ذُكر الإنسان أن ربه "ربُّ العالمين" لكي يزداد أملا ويوقن أن قدرات الله تعالى واسعة لفائدته، وهو قادر على أن يُظهر عوالم الأسباب الأخرى أيضا.

والصفة الثانية من صفات الله، التي هي بمنزلة الإحسان من الدرجة الثانية والتي يمكن أن توصف بالفيض العام؛ هي الرحمانية، وذكرت في سورة الفاتحة بكلمة "الرحمن"، وقد سُمِّيَ الله رحماناً بحسب المصطلح القرآني لأنه وهب لجميع الحيوانات -بما فيها الإنسان أيضاً- صورةً وسيرةً بحسب حالها. أي أن نوع الحياة الذي أريدَ له قد وهب له من أجله كل ما احتاج إليه من القوى والقدرات والجسم والجوارح، ثم هياً له كل ما احتاج إليه بقاءه؛ فقد أعطى الطيور والأنعام والإنسان القوى والقدرات الموافقة لطبع كل واحد منها، وليس ذلك فحسب بل قبل وجودها بآلاف السنين قد خلق برحمانيته أجرام السماء والأرض لتحمي هذه الأشياء. فقد ثبت من هذا البحث أنه لا دخل لعمل أحد في رحمانية الله ﷻ، وإنما هي رحمة محضة، قد حُلِّقت قبل نشوء هذه الأشياء، إلا أن الإنسان يتمتع بجزء أكبر من رحمانية الله، لأن كل شيء فداء من أجل فلاحه، ولهذا قد ذُكِرَ الإنسان أن ربّه رحمان.

والصفة الثالثة من صفات الله هي الرحيمية؛ التي هي الإحسان من الدرجة الثالثة، وقد ذُكرت في سورة الفاتحة بكلمة "الرحيم"، وإن الله يوصف بالرحيم بحسب مصطلح القرآن الكريم لحمايته الناس من الآفات والبلايا وضياح الأعمال تقبلاً لدعائهم وضراعتهم وأعمالهم الصالحة. وهذا الإحسان بتعبير آخر فيض خاص، ويخص الإنسان فقط، إذ لم يَخْلُق الله في غيره من الأشياء قدرة الدعاء والضراعة والأعمال الصالحة، لكنه أعطاها للإنسان. فالإنسان حيوان ناطق، فهو قادر على نيل فيض الله بنطقه أيضاً، أما بقية الأشياء فلم توهب لها قوة النطق. ومن هنا يتبين أن الدعاء ميزة تخص الإنسان، وقد فُطِر الإنسان عليها، فكما يُنال الفيض من ربوبية الله ورحمانيته، يُنال من صفة الرحيمية أيضاً، وإنما الفرق أن صفتي الربوبية والرحمانية لا تتطلبان الدعاء، لأن كليهما لا تخص الإنسان وحده بل تشملان بفيضهما الطيور والأنعام أيضاً، وليس ذلك فحسب بل إن الربوبية الإلهية تُكسب فيضها جميع الحيوانات والنباتات والجمادات وأجرام السماء والأرض، وما من شيء

محروم من فيضها، على عكس صفة الرحيمية التي تخص الإنسان فقط. وإذا لم ينتفع بها الإنسان فكأن هذا الإنسان يساوي الحيوانات بل الجمادات، لقد اتصف الله بالصفات الأربع لإيصال الفيض، أما الرحيمية التي تقتضي دعاء الإنسان فقد خصها بالإنسان وحده، ومن هنا يتبين أن الله يتمتع بنوع من الفيض المرتبط بالدعاء ولا يُنال إلا بالدعاء حصراً، هذه هي سنة الله والقانون الإلهي، ولا يمكن أن تتبدل. ولهذا السبب ظل الأنبياء يدعون لقومهم على الدوام. اقرأوا التوراة؛ كم مرة اقترب بنو إسرائيل من العذاب بإسقاط الله ثم رُفِع عنهم العذاب نتيجة دعاء موسى عليه السلام وتضرعه وسجوده مع أن الله توعدّهم بالهلاك مراراً؟

فالبين من كل هذه الأحداث أن الدعاء ليس لغواً محضاً، كما لا يمثل مجرد عبادة لا ينزل ببركته أيُّ فيض. فهذه أفكار أولئك الذين لا يقدرّون الله حق قدره، ولا يتدبّرون كلام الله بنظرة عميقة، ولا يلقون النظر إلى قانون الطبيعة، فالحقيقة أن نزول الفيض إثر الدعاء أمر مؤكد، وهو يُنجينا. وهذا الفيض يُسمى فيض الرحيمية، الذي به يتقدم الإنسان باستمرار، وبهذا الفيض يبلغ الإنسان مراتب الولاية، ويوقن بالله كأنه يراه بأم عينيه. إن مسألة الشفاعة أيضاً مبنية على فيض الرحيمية، إذ قد اقتضت رحيمية الله حصراً أن يشفع الصالحون بحق السيئين.

ومنة الله الرابعة التي هي الميزة الرابعة ويمكن أن تسمى فيضانا أحصّ، هي مالكية يوم الدين، التي وردت في سورة الفاتحة في "مالك يوم الدين"، وإنما الفرق بينها وبين الرحيمية أن الإنسان في الرحيمية يستحق النجاح بالدعاء والعبادة، أما بصفة مالكية يوم الدين فتعطى له تلك الثمار. ومثل ذلك كمثال إنسان يحفظ أحد القوانين الحكومية عن ظهر قلب يبذل الجهود المتواصلة والمسعى الحثيثة، ثم يتقدم للامتحان في ذلك فينجح، فاستحقاق النجاح بتأثير الرحيمية بماثل النجاح في الامتحان. ثم إذا تمكّن من الفوز بالشئ أو المنصب الذي من أجله نجح في الامتحان فيُشبهه الفيض الذي يُنال من مالكية يوم الدين. ففي الرحيمية ومالكية يوم الدين كليهما

إشارة إلى أن فيض الرحيمية يُنال برحمة الله تعالى، أما فيض مالكية يوم الدين فيُنال بفضل الله تعالى. وصحيح أن مالكية يوم الدين ستتجلى بوجه تام وعلى نطاق واسع في الآخرة، إلا أن كل هذه الصفات الأربع تتجلى بفيوضها في هذا العالم أيضا بحسب سعته. فالربوبية تضع الأساس للفيض بصفة عامة، أما الرحمانية فتُري ذلك الفيض في الحيوانات بوضوح وجلاء، أما الرحيمية فتُظهر أن خط الفيض الممتد ينتهي إلى الإنسان، وأن الإنسان حيوان لا يسأل هذا الفيض بلسان حاله فحسب بل بلسانه المادي أيضا. أما مالكية يوم الدين فتُنبئ ثمار الفيض النهائية. فكل هذه الصفات الأربع تعمل في هذا العالم المادي، لكن لما كان نطاق هذا العالم ضيقا جدا بالإضافة إلى كون الإنسان مصابا بالجهل وعدم المعرفة وضيق النظر، لهذا تتراءى نطاقات هذه الصفات الأربع الواسعة جدا صغيرة جدا، مثلما تتراءى لنا كُرات الكواكب الضخمة الهائلة الحجم كالنقط في السماء بسبب البعد الهائل. لكن في الآخرة سيظهر تجلي هذه الصفات الأربع على وجه أتم، لهذا فإن يوم الدين على وجه حقيقي وكامل هو في الآخرة حصرا. وفي ذلك العالم ستتجلى كل واحدة من هذه الصفات الأربع ضعفين أي ظاهرا وباطنا، فستبدو هذه الصفات الأربع ثماني صفات. وإلى ذلك أشير في قوله أن أربعا من الملائكة يحملون عرش الله في هذا العالم، أما في الآخرة فيحمله ثمانية، فهذا الكلام مجاز. فلما خلُق ملكٌ بحسب كل صفة إلهية لهذا دُكرت أربعة ملائكة بخصوص الصفات الأربع، وعندما تتجلى ثماني صفات سيكون معها ثمانية ملائكة، وبما أن هذه الصفات ستكون متسمة بصفات الألوهية وكأنها تحملها، فقد استُخدمت كلمة الحمل مجازا. فمثل هذه المجازات اللطيفة كثيرة في كلام الله حيث أُعربَ عن الأمور الروحانية بكلمات مادية. باختصار، إن الله يتصف بهذه الصفات الأربع العظيمة، التي يجب على كل مسلم أن يؤمن بها، أما الذي ينكر وجود ثمار الدعاء وفيوضه فكأنه يؤمن بثلاث من الصفات الإلهية بدلا من الأربع.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي أن جميع المحامد وجميع الكمالات والمدائح والأعجاف والمحاسن التي يتطلبها منصب الألوهية الجليل، يتمتع بها كلها الله تعالى، وهي مجمعة في الذي خلق كل شيء موجود، وهو رب جميع العالمين وخالقها. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية المجلد ٢، ص ٢١٨-٢١٩)

بداية القرآن الكريم بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كانت إشارة إلى اسم رسول الله ﷺ. (الحكم مجلد ٥، رقم ٦، عدد: ١٩٠١/٢/١٧ م ص ٧)

لقد اشتق اسم "محمد" و"أحمد" ﷺ من "حمد". فهذان اسمان لرسول الله ﷺ وهما مظهران للحمد. (الحكم، رقم ٣، مجلد ٥، عدد: ١٩٠١/١/٢٤ م ص ٣-٤)

كل المحامد التي توجد في العالم هي محامد الله وحده في الحقيقة، وإليه تعود لأن الميزة التي يتحلى بها المصنوع إنما هي للصانع في الحقيقة. بمعنى أن الشمس ليست بالتي تنور العالم كل يوم بل الله ينوره بنوره. ولا يرفع القمر ظلام الليل بل الله يرفعه. وليس السحاب الذي ينزل الماء بل الله ينزله. كذلك ما تراه عيوننا فإن رؤيته تأتي من عند الله. وما تسمعه الأذان فإن سمعها يأتي من عند الله. والعقل عندما يكتشف الأشياء فإن الكاشف الحقيقي هو الله تعالى. وما تبديه السماء والأرض من أوصاف جميلة، وما يظهر من الجمال والخضرة إنما هو صنع ذلك الصانع الذي صنع هذه الأشياء كلها بقدرته الكاملة. ثم لم يقتصر على الخلق فقط بل جعل الرحمة تحالفها إلى الأبد التي عليها يعتمد وجودها وبقاؤها. ثم لم يتوقف على هذه النقطة فقط بل أبلغ كل شيء أوج كماله الذي بسببه تتبين أهمية كل شيء. فهو المحسن والمنعم الحقيقي وهو جامع الصفات كلها. وهذا ما أشار إليه في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الحكم مجلد ٨، رقم ٢١، عدد: ١٩٠٤/٦/٢٤ م ص ١٥)

تدبروا سورة الفاتحة التي هي رسم دقيق للقرآن الكريم، والتي تسمى أم الكتاب أيضا لتضمنها معارف القرآن كلها إجمالاً. لقد بدأت هذه السورة بقوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، ومعناه أن المحامد كلها لله وحده. وقد عَلَّمَنَا بذلك أن كافة أنواع المنافع والخير والرخاء في الحياة المَدَنِيَّة إنما تأتي من عند الله تعالى، لأنه تعالى ما دام هو صاحب الحمد والثناء بكل أنواعه، فليس هناك مُعْطٍ حقيقي إلا هو، وإلا للزم القول أنه لا يستحق بعض أنواع الحمد أو الثناء، وهذه الكلمة كفرٌ. فكم يحتوي قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ من تعليم رائع وجامع لتوحيد الباري تعالى، حيث ينبه الإنسان أن كل ما في الكون هو عبد لله تعالى، وليس بنافع في حد ذاته. كما يرسخ هذا التعليم في الأذهان بكل جلاء ووضوح أن كل نفع وخير إنما هو من عند الله تعالى في الواقع، لأنه تعالى هو صاحب المحامد كلها، فآثروا الله دوماً على كل نفع وخير إذ ليس هناك من ناصر ولا معين سواه. إذا كان المرء يخالف رضا الله تعالى، فقد ينقلب أولاده أعداءً له، بل بالفعل يصبحون أعداءً في بعض الأحيان.

(الحكم رقم ٣٢، مجلد ٥، عدد: ٣١/٨/١٩٠١ م ص ١)

ما من دين سوى الإسلام يعدّ الله تعالى منزلها عن جميع الرذائل ويعده متصفا بجميع المحامد الكاملة. إن عامة الهندوس يعدّون آلهتهم شركاء في نظام الربوبية ويعدونّها شريكة دائمة في أمور الألوهية. بل يزعمون أنّها تغيّر مشيئة الله وتقلب مقاديره رأساً على عقب. وكذلك يعتقد الهندوس عن كثير من الناس والدواب بل عن بعض الدواب غير النظيفة التي تأكل النجاسة (أي الخنازير) أيضاً أن إلههم ظل يؤلّد على هيئتها بطريقة التناسخ في الأزمنة السابقة وظل ملوّثاً بجميع التلوثات والأنجاس التي تلازم تلك الدواب، وعانى مثلها من آفات الجوع والعطش والألم والمعاناة والهَمّ والحزن والمرض والموت والذلة والخزي، والعجز وعدم القدرة. والمعلوم أن كل هذه المعتقدات تصم صفات الله وتحط من عظمتها وجلاله الأزلي والأبدي. أما أتباع آريا سماج الذين ظهروا كإخوانهم المتحضرين ويزعمون أنهم يتبعون "الفيدا" حرفياً، فهم ينكرون صفة الله الخالق نَهائياً، ويعدّون الأرواح غير مخلوقة وواجبة الوجود وموجودة بوجودها الحقيقي مثل ذات الله الكامل تماماً، مع أن العقل السليم يعدّ

عبدا صريحا بحق الله تعالى أن يُدعى مالك الكون دون أن يكون ربًّا وخالقا لأي شيء، وأن حياة العالم ليست قائمة بقيوميته، بل بوجودها الذاتي. عندما يُعرض على العقل السليم أمران: هل الأنسب والأصلح لمحمد الله القادر القدير التامة أن يخلق جميع الموجودات مُظهرًا قدرته الكاملة ويكون ربًّا وخالقها وأن تنتهي سلسلة الكون كله إلى ربوبيته هو، وأن توجد في ذاته الكامل صفة الخالقية والقدرة التامة، وأن يكون بريئا من عيب الولادة والموت، أم يليق بشأنه أن يقال بأن كافة المخلوقات التي تحت قدرته وتصرفه ليست خلقه ولا يقوم وجودها على قيوميته ولا تحتاج إليه من أجل وجودها وبقاءها، وليس هو ﷺ خالقها وربّها، ولا توجد فيه صفة الخلق أو القدرة عليه، وليس منزّها عن نقیصة الولادة والموت؟ فلا يفتي العقل قط أن مالك العالم ليس خالقه، وأن آلاف الصفات الحكيمة التي تتحلّى بها الأرواح والأجسام جاءت إلى حيز الوجود من تلقاء نفسها وليس لها خالق، ولا يفتي أن الذي يُسمّى مالك تلك الأشياء كلها هو مالکها على سبيل الافتراض فقط. كذلك لا يفتي العقل أن يُعدَّ ﷺ عاجزا عن الخلق أو فاقد القدرة وناقصا أو تُنسب إليه النجاسة والاعتیاد على التغذي على الأوساخ أو يُجَارَ له الموت والألم والمعاناة والجهل وعدم العلم، بل يشهد العقل بكل صراحة أن الله تعالى يجب أن يكون منزّها عن جميع أنواع الرذالة والنقص، ويجب أن يتحلّى بكمال تام. والمعلوم أن الكمال التام مرتبط بقدرة تامة، ولو لم تبق فيه القدرة التامة ولم يعد قادرا على خلق شيء ولم يتمكن من إنقاذ نفسه من كل عيب ونقيصة، لما بقي فيه الكمال التام أيضا. وإن لم يبق فيه كمال تام فيكون محرومًا من المحامد الكاملة أيضا.

هذه هي حالة الهندوس والآريين، وأما جلال الله تعالى الذي يُظهره النصارى فهو أمر يفهمه العاقل من سؤال واحد. فمثلا لو سئل عاقل: هل يجوز للذات الكامل والأزلي والصمد الذي يكفي في حد ذاته لأعماله العظيمة التي ظل ينجزها منذ الأزل، وخلق الدنيا كلها دون الحاجة إلى الأب أو الابن، ووهب للأرواح

والأجساد كلها قوى تحتاج إليها، وهو الحافظ والقادر والقيوم ومدير الكون كله، بل خلق قبل وجودها نتيجة صفة رحمانيته كل ما كانت بحاجة إليه لحياتها، وخلق للناس -دون انتظار عمل عامل منهم- الشمس والقمر والنجوم التي لا تُعدّ ولا تُحصى والأرض، وخلق أيضا آلاف النعم الأخرى التي توجد على الأرض بمحض فضله ورحمته، وما احتاج لابن لإنجاز أيٍّ من هذه الأعمال؛ هل يُعقل أن يحتاج الإله الكامل نفسه -من أجل المغفرة والنجاة مُبطلا جلاله وقدرته كلها- في الزمن الأخير للابن الناقص الذي ليس له أدنى نسبة مع الأب، إذ لم يخلق -مثل الأب- جزءا من السماء ولا قطعة من الأرض حتى تثبت ألوهيته، بل بيّن حالة عجزه في الإنجيل كالتالي: "فَتَنَهَّد بِرُوحِهِ وَقَالَ: لِمَاذَا يَطْلُبُ هَذَا الْجِيلُ آيَةً؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يُعْطَى هَذَا الْجِيلُ آيَةً". (مَرْقُس ٨ : ١٢).

وقد قال اليهود عند تعليقه على الصليب أيضا بأنه لو صار حيّا على مرأى منا لأمنا به، ولكنه لم يعد إلى الحياة ولم يقدم أيّ دليل على ألوهيته وقدرته الكاملة. بل إذا أظهر بعض المعجزات أيضا فكانت مما سبق أن أظهرها الأنبياء السابقون بكثرة بل ظهرت المعجزات من هذا القبيل من بركة الماء أيضا. (انظروا إنجيل يوحنا، الإصحاح ٥).

فملخص الكلام أنه لم يتمكن من إراءة آية على ألوهيته كما يتبين من عبارة الإنجيل المذكورة آنفا، بل وُلد من بطن امرأة ضعيفة وعاجزة وواجه -على حد قول المسيحيين- طول عمره ذلة وهوانا وعدم قدرة وخزيا كما يواجهها الأشقياء والتعساء من الناس. وكذلك قبل لنفسه حالة قدرة ببقائه أسيرا إلى مدة من الزمن في ظلمات الرّحم، وبولادته عبر طريق غير نظيف، وما بقي تلوث من تلوثات البشرية وعيوبها لم يتورط فيه ذلك الابن المشوّه لسمعة أبيه. وأضف إلى ذلك أنه اعترف في كتابه بجهله وعدم علمه وعدم قدرته وعدم كونه باراً. وقد عُذّ ذلك العبد الضعيف ابنا لله دون مبرر مع أنه كان أقل من بعض الأنبياء العظام من حيث الفضائل العلمية

والعملية، وكان تعليمه أيضا ناقصا إذ كان فرعا من شريعة موسى. فكيف يجوز إذن أن تُوجَّه إلى الله القادر القدير والأزلي والأبدي تهمّة أنه صار محتاجا في نهاية المطاف - بعدما كان كاملا وغنيا وقادرا قديرا في ذاته - إلى ابن ناقص كهذا، وفقدَ جلاله وعظمته كلها دفعة واحدة؟

لا يسعني أن أفهم على الإطلاق أن يجيز عاقل بحق ذلك الذات الكامل والجامع لجميع الصفات الكاملة، أنواع الذلة والإهانة من هذا القبيل. والمعلوم أنه لو نُقِّيت وقائع ابن مريم من المحامد الزائفة والعابثة، لكان ملخص وقائعه الصحيحة الواردة في الأناجيل أنه كان عبدا عاجزا وضعيفا ناقصا كبقية الناس، وكان أحد الأنبياء المطيعين لموسى عليه السلام. وكان تابعا ومطيعا لنبي عظيم الشأن ولم يبلغ تلك العظمة بنفسه. أي كان تعليمه فرعا لتعليم عالٍ وما كان تعليمًا مستقلا. وقد أقرّ بنفسه - كما ورد في الأناجيل - بأنه ليس بارا ولا عالما بالغيب، وليس قادرا بل عبداً ضعيف. والواضح من بيان الإنجيل أنه قد دعا لنجاته مرارا أثناء الليلة قبل اعتقاله، وتمنّى أن يستجاب دعاؤه، ولكنه ما استُجيب. وكذلك ابتلي من الشيطان كما يُبتلى العباد الضعفاء. فمن الواضح أنه كان ضعيفا وعاجزا بكل المعايير. وكذلك وُلد من مخرج معلوم عنه أنه طريق نجاسة وقذارة، وظل يعاني من الجوع والعطش والألم والمرض إلى مدة طويلة. وحدث ذات مرة أن ذهب إلى شجرة التين وقد سَعَرَه الجوع ولكن لم يكن في نصيبه شيء منه، لأن الشجرة كانت خالية من الثمار، ولم يقدر على أن يخلق بضع حبات من التين ليأكلها.

باختصار، بقي إلى مدة من الزمن في هذه الحالات من التلوثات حتى مات في نهاية المطاف بعد تحمُّل أنواع المعاناة بحسب إقرار المسيحيين وُزِعَ من هذه الدنيا. هنا نتساءل: هل يجوز وجود هذه الصفات الناقصة في الإله القادر القدير؟ هل يُدعى قدوسا وذا الجلال من كان مليئا بهذه العيوب والنقائص؟ وهل يمكن أن يولد من بطن أم واحدة - أي مريم - خمسة أولاد فيصير أحدهم ابن الله بل الإله نفسه، وأما المساكين

الأربعة الآخرون فما نالوا أدنى نصيب من الألوهية. فقد كان بمقتضى القياس أنه ما دام ممكنا أن يولد إله من بطن مخلوق وليس ضروريا أن يولد إنسان من بطن الإنسان وحمار من بطن الأتان؛ فكان واجبا أنه لما وُلد من بطن المرأة إله ألا يولد من البطن نفسه مخلوق آخر بعد ولادة الإله، بل يجب أن يكون جميع الأولاد الذين يتولدون من هذا البطن آلهة، لكي يبقى ذلك الرحم المقدس منزها من شراكة ولادة المخلوق ويبقى مصدرا لخلق الآلهة فقط. فبناء على القياس المذكور كان ضروريا أن يجد إخوة المسيح ﷺ وأخته أيضا نصيبا من الألوهية. أما أم هؤلاء الخمسة فكان من المفروض أن تكون ربة الأرباب، لأن هؤلاء الخمسة استفادوا منها من حيث القوى الروحانية والمادية. لقد افترى المسيحيون كثيرا في مديح ابن مريم دون مبرر، ولكن مع ذلك ما استطاعوا أن يخفوا نقاط ضعفه، بل أقروا بأنفسهم بتورطه في أنواع التلوثات، ثم جعلوه ابن الله دون مبرر. مع أن اليهود والنصارى كلهم أبناء الله بحسب كتبهم المشبوهة، بل هم الآلهة ذاتها بحسب إحدى العبارات، ولكننا نرى أن البوذيين كانوا أفضل منهم في افتراءهم واختراعهم، لأنهم لم يجيزوا لبوذا قط -بعد أن اتخذوه إلها- ولادته عبر طريق نجس وأكله النجاسة من أي نوع، بل كانوا يعتقدون أنه وُلد عن طريق الفم.

فالأسف كل الأسف أن المسيحيين قاموا بافتراءات كثيرة، ولكن لم يخطر ببالهم أن يفتروا قولاً بولادة المسيح عن طريق الفم وينقذوا إلههم من البول والنجاسة. ولم يخطر ببالهم أيضا ألا يجيزوا له الموت الذي ينافي حقيقة الألوهية كليا. ولم يخطر ببالهم أيضا أن يحذفوا من الإنجيل الأماكن التي ذكر فيها اعتراف ابن مريم أنه ليس بارا وليس عاقلا كاملا ولم يأت باختياره، وليس عالما بالغيب ولا قادرا وليس في قدرته استجابة الدعاء أيضا، بل ليس إلا عبدا ضعيفا ومسكينا من أبناء آدم وجاء مرسلا من قبل المالك رب العالمين.

فملخص الكلام أن الصدق العظيم الذي يوجد في مضمون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لا يوجد في أي دين قط سوى الدين المقدس والظاهر؛ أي الإسلام. ولو قال أتباع برهمو

بأنهم معترفون بهذا الصدق لكانوا كاذبين في قولهم هذا، لأني كتبت من قبل في هذا الموضوع بالذات أن البرهmo يقولون بأن الإله أبكم وغير قادر على النطق والكلام، وبأنه عاجز عن إلقاء إلهامه وعلومه أيضا. ويعدّونه عاريا من الصفات الحقيقية التي يجب وجودها في الهادي الحقيقي والكامل. بل ما كان من نصيبهم قدرا ضئيلا من الإيمان أيضا ليعتقدوا أن الله تعالى أظهر وجوده وألوهيته في الدنيا بإرادته ومشيئته؛ بل يقولون خلاف ذلك بأنه تعالى كان لا يزال في زاوية الخمول مثل ميت أو حجر، حتى اكتشف العقلاء وجوده باجتهاداتهم وأذاعوا ألوهيته في الدنيا. فالمعلوم أنهم أيضا ينكرون مثل إخوتهم الآخرين محامد الله الواحد الأحد الكاملة. بل ينسبون إلى أنفسهم المحامد كلها التي يجب أن يُذكر بها هو ﷺ. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية مجلد ١، ص ٤٣٦ - ٤٤٤ الحاشية رقم ١١)

هذا الشرف خاص بالإسلام فقط إذ إنه حين يدحض الأديان الباطلة ويذكر تعاليمها الخاطئة، يقدم أيضا تعليما أصيلاً وحقيقيا، وقد وَرَدَ نموذج ذلك في سورة الفاتحة إذ دحض الأديان الباطلة بكلمة واحدة.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وأثبت بهذا القول أن الإله الذي يريد القرآن الكريم أن يؤمن به الناس منزّه عن جميع العيوب ومتصف بجميع الصفات الكاملة، لأن كلمة ﴿الله﴾ تُطلق على الذات التي لا عيب فيها. والكمال قسمان: من حيث الحسن، أو من حيث الإحسان، وكلا هذين الكمالين موجود في هذه الكلمة. والكلمات الأخرى التي اختارتها الأمم الأخرى لاسم الله تعالى ليست جامعة، أما الكلمة ﴿الله﴾ فهي وحدها تدحض كليّة وجود الآلهة في الأديان الباطلة الأخرى وصفاتها.

خذوا المسيحيين مثلا، فالإله الذي يؤمنون به هو ابن امرأة ضعيفة وعاجزة، واسمه يسوع، وقد خرج من بطن أمه بألم ومعاناة مثل المواليد العاديين، وتعرّض لصعاب مختلفة، وعانى الجوع والعطش، وقاسى المصائب والكروب، وكان عرضة لجميع أنواع الضعف، وأوذي في نهاية المطاف على أيدي اليهود حيث علّقوه على

الصليب. فلو قُدّم مثال يسوع هذا الذي يقدمه الإنجيل -والذي اتخذه المسيحيون إلهًا- أمام عاقل فهل يقول بأن كل الصفات الكاملة موجودة فيه حتما ولا عيب فيه قط؟ كلا، بل سيضطر إلى الإقرار بأنه أول وأكمل نموذج لضعف البشر ونقائصهم. فكيف يمكن لمن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أن يؤمن بإله ضعيف عُلق على الصليب ولعن؟ لقد تبين من هنا أن القرآن الكريم يدعو -مقابل المسيحيين- إلى إله لا عيب فيه على الإطلاق.

ثم انظروا إلى دين الآريين الذين يقولون إن إلهنا لم يخلق ذرات العالم وأرواح العالم قط، بل كما هو أزلي كذلك فإن ذراتنا وأجسامنا وغيرها من الأشياء أيضا موجودة منذ الأزل بوجود مستقل بإزاء الله، ولا تحتاج إليه من حيث وجودها وبقاؤها، بل الله هو المحتاج إلى تلك الأشياء لإدارة نظام ألوهيته، ولم يخلق أي شيء. لا يصعب على المرء أن يفهم هنا: كيف يمكن أن يكون مالكا من ليس خالقا؟ كذلك يعتقدون بأنه ليس رزاقا ولا كريما أو ما شابه ذلك من صفات، لأن كل ما يناله الإنسان هو نتيجة أعماله، ولا يمكن أن ينال شيئا أكثر من عمله.

قولوا الآن صدقا وحقا؛ أتى للعقل السليم أن يرضى بالإله الذي يُعزى إليه هذا القدر الهائل من العيوب إلها؟ وبذلك فإن جملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تفند الأفكار والمعتقدات السخيفة والخطئة لجميع الأديان الباطلة التي توجد في العالم. (الحكم، رقم ١٧، مجلد ٧، عدد: ١٠/٥/١٩٠٣م ص ٢)

الرب: ورد في "لسان العرب" و"تاج العروس" - وهما قاموسان معتبران جدًا - أن الرب له سبعة معانٍ في العربية، وهي: المالك، السيّد، المدبّر، المربيّ، القيمّ، المنعم، المتّمّم.

وثلاثة من هذه المعاني السبعة تدل على العظمة الذاتية لله تعالى. فالمالك في العربية هو الذي له تملّك تامّ على مملوكه، ويتصرف فيه كما يشاء، وله كلّ الحق عليه بدون مشاركة أحد. وهذا اللفظ يستحيل إطلاقه حقيقةً -أي بمعناه الأصلي-

على غير الله تعالى؛ لأن الملك التام والتصرف التام والحقوق التامة ليست إلا لله تعالى. (من الرحمن، الخزائن الروحانية، مجلد ٩، ص ١٥٢-١٥٣، الحاشية)

"أشار الله سبحانه في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى أنه هو خالق كل شيء ومنه كل ما في السماوات والأرضين. ومن العالمين ما يوجد في الأرض من زمر المهتدين وطوائف الغاوين والضالين، فقد يزيد عالم الضلال والكفر والفسق وترك الاعتدال، حتى يملأ الأرض ظلمًا وجورًا ويتترك الناس طرق الله ذا الجلال، لا يفهمون حقيقة العبودية، ولا يؤدّون حق الربوبية، فيصير الزمان كالليلة الليلية، ويُداس الدين تحت هذه اللأواء. ثم يأتي الله بعالم آخر فتبدل الأرض غير الأرض وينزل القضاء مُبدلاً من السماء، ويُعطى للناس قلب عارفٌ ولسانٌ ناطقٌ لشكر النعماء، فيجعلون نفوسهم كمؤرٍ مُعبّد لحضرة الكبرياء، ويأتونه خوفاً ورجاءً بطرف مغضوض من الحياء، ووجه مُقبل نحو قبلة الاستجداء، وهمّة في العبودية قارعة ذروة العلاء، ويشتد الحاجة إليهم إذا انتهى الأمر إلى كمال الضلالة، وصار الناس كسباعٍ أو نَعَمٍ من تغير الحالة، فعند ذلك تقتضي الرحمة الإلهية والعناية الأزلية أن يُخلَق في السماء ما يدفع الظلام، ويهدم ما عمر إبليس وأقام، من الأبنية والخيام. فيُنزل إمامٌ من الرحمن، ليذب جنود الشيطان. ولم يزل هذه الجنود وتلك الجنود يتحاربان، ولا يراهم إلا من أُعطي له عينان، حتى غلّ أعناقُ الأباطيل، وانعدم ما يُرى لها نوع سرابٍ من الدليل. فما زال الإمام ظاهراً على العدا، ناصراً لمن اهتدى، مُغيّياً معالم الهدى، مُحيّياً مواسم التقي، حتى يعلم الناس أنه أَسَرَ طواغيت الكفر وشد وثاقها، وأخذ سباع الأكاذيب وغلّ أعناقها، وهدم عمارة البدعات وقوّس قبائنها، وجمع كلمة الإيمان ونظم أسبائها، وقوى السلطنة السماوية وسدّ الثغور، وأصلح شأنها وسدّد الأمور، وسكّن القلوب الراجفة، وبكت الألسنة المرجفة، وأثار الخواطر المظلمة، وجدّد الدولة المخلقة. وكذلك يفعل الله الفعال، حتى يذهب الظلام والضلال، فهناك ينكص العدا على أعقابهم، وينكسون ما ضربوا من خيامهم، ويحلّون ما أربوا من آراهم.

وَمِنْ أَشْرَفِ الْعَالَمِينَ وَأَعْجَبِ الْمَخْلُوقِينَ، وَجُودُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ الصَّادِقِينَ، فَإِنَّهُمْ فَاقُوا غَيْرَهُمْ فِي بَثِّ الْمَكَارِمِ وَكَشْفِ الْمَظَالِمِ، وَتَهْدِيبِ الْأَخْلَاقِ وَإِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، وَنَشْرِ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ، وَإِجَاحَةِ الطَّلَاحِ وَالضَّيْرِ، وَأَمْرِ الْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الذَّمَامِ، وَسَوْقِ الشَّهَوَاتِ كَالْبَهَائِمِ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى رَبِّ الْعَبِيدِ، وَقَطْعِ التَّعَلُّقِ مِنَ الطَّرِيفِ وَالتَّلِيدِ، وَالْقِيَامِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِالْقُوَّةِ الْجَامِعَةِ وَالْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ، وَالصُّوْلِ عَلَى ذُرَارِي الشَّيْطَانِ بِالْحَشُودِ الْمَجْمُوعَةِ وَالْجُمُوعِ الْحَشُودَةِ، وَتَرْكِ الدُّنْيَا لِلْحَبِيبِ، وَالتَّبَاعُدِ عَنْ مَغْنَاهَا الْخَصِيبِ، وَتَرْكِ مَائِهَا وَمَرَعَاهَا كَالْهَجْرَةِ، وَإِلْقَاءِ الْجِرَانِ فِي الْحَضَرَةِ. إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَتَمَضَّمُونَ مُثْقَلَتَهُمْ بِالنَّوْمِ، إِلَّا فِي حُبِّ اللَّهِ وَالدَّعَاءِ لِلْقَوْمِ. وَإِنَّ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ أَهْلِهَا لَطِيفُ الْبَيِّنَةِ مَلِيحُ الْحَلِيقَةِ، وَأَمَّا فِي أَعْيُنِهِمْ فَهِيَ أَخْبَثُ مِنَ الْعَذِيرَةِ، وَأَنْتَنُ عَنْ الْمَيْتَةِ. أَقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ كُلَّ الْإِقْبَالِ، وَمَالُوا إِلَيْهِ كُلَّ الْمِيلِ بِصَدَقِ الْبَالِ. وَكَمَا أَنَّ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ مُقَدَّمَةٌ عَلَى طَاقٍ يُعَقَّدُ، وَزُؤَاقٍ يُمْتَهَدُ، كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْكِرَامِ مُقَدَّمُونَ فِي هَذِهِ الدَّارِ، عَلَى كُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ طَبَقَاتِ الْأَخْيَارِ. وَأُرِيْتُ أَنَّ أَكْمَلَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ وَأَعْرَفَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ نَبِيُّنَا الْمُصْطَفَى، عَلَيْهِ التَّحِيَّةُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَإِنَّ أَشَقَى النَّاسِ قَوْمٌ أَطَالُوا الْأَلْسِنَةَ وَصَالُوا عَلَيْهِ بِالْهَمْزِ وَتَجَسَّسُوا الْعَيْبَ، غَيْرَ مُطَّلَعِينَ عَلَى سِرِّ الْغَيْبِ. وَكَمْ مِنْ مَلْعُونٍ فِي الْأَرْضِ يَحْمَدُهُ اللَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَكَمْ مِنْ مُعْظَمٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ يُهَانُ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ.

ثم هو سبحانه أشار في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى أنه خالق كل شيء وأنه يُحَمَّدُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِينَ، وَأَنَّ الْحَامِدِينَ كَانُوا عَلَى حَمْدِهِ دَائِمِينَ، وَعَلَى ذِكْرِهِمْ عَاكِفِينَ، وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُهُ وَيُحَمِّدُهُ فِي كُلِّ حِينٍ. وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا انْسَلَخَ عَنْ إِرَادَاتِهِ، وَتَجَرَّدَ عَنْ جَذَبَاتِهِ، وَفَنَى فِي اللَّهِ وَفِي طَرَقِهِ وَعِبَادَاتِهِ، وَعَرَفَ رَبَّهُ الَّذِي رَبَّاهُ بِعَنَائِيَّتِهِ، حَمْدَهُ فِي سَائِرِ أَوْقَاتِهِ، وَأَحَبَّهُ بِجَمِيعِ قَلْبِهِ بَلْ بِجَمِيعِ ذَرَاتِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ هُوَ عَالِمٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلِذَلِكَ سَمِّيَ إِبْرَاهِيمُ أُمَّةً فِي كِتَابِ أَعْلَمِ الْعَالَمِينَ.

ومن العالمين زماناً أُرسِلَ فيهم خاتم النبيين، وعالمٌ آخر فيه يأتي الله بآخرين من المؤمنين في آخر الزمان رحمةً على الطالبين، وإليه أشار في قوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ (القصص: ٧١)، فأوماً فيه إلى أحمدين وجعلهما من نعمائه الكاثرة. فالأول منهما أحمدُ المصطفى ورسولنا المجتبي، والثاني أحمدُ آخر الزمان، الذي سُمِّي مسيحاً ومهدياً من الله المنان. وقد استنبطتُ هذه النكتة من قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فليتدبَّر من كان من المتدبِّرين. (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٣١-١٣٩)

"العالم ما يُعَلَّم ويُخَبَّر عنه، وما يدل على الصانع الكامل الواحد المدبِّر بالإرادة، ويلتجس الطالب إلى الإيمان به، وينصّه إلى المؤمنين." (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، مجلد ٧، ص ١١٠)

"وعرفت أن العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله خالق الأنام، سواء كان من عالم الأرواح أو من عالم الأجسام، وسواء كان من مخلوق الأرض أو كالشمس والقمر وغيرهما من الأجرام. فكلُّ من العالمين داخلٌ تحت ربوبية الحضرة." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، مجلد ١٨، ص ١٣٩ - ١٤٠)

ما قال الله هنا "خالق العالمين" بل قال "رب العالمين" وذلك للتأكيد أن الله تعالى هو ربُّ البسائط وربُّ عالمِ الأمر أيضاً، لأن الأشياء البسيطة إنما وُجدت بأمر الله تعالى، أما الأشياء المركبة فقد وُجدت بخلق الله تعالى. لأن بعض الأمم تُنكر ربوبية الله وتقول إن كل ما نناله إنما هو نتيجة أعمالنا، فمثلاً إذا كنا نجد الحليب فهو نتيجة أعمالنا، إذ لو لم يتحول بعض الناس بسبب ذنوبهم إلى جواميس وبقر وغيرها عبر ظاهرة التناسخ لما وُجد الحليب أصلاً. ولما كانت عملية الخلق لا تعدو قطع الأشياء الموجودة وتركيبها تركيبة جديدة، فقد ذكر الله تعالى هنا صفته "رب العالمين"، التي هي أكثر ملائمة لتفنيد عقيدة تلك الأمم من صفته الخالق. (الحكم مجلد ٤، رقم ٤٠، عدد: ١٠/١١/١٩٠٠ م ص ٤)

الله هو خالق العالم كله. فكما أنه خلق مواد ومستلزمات مشتركة بين كل أنواع المخلوقات دون أي تمييز للنمو المادي أو لسد الاحتياجات المادية، وهو بحسب إيماننا رب العالمين، وهو خلق الغلال والهواء والماء والنور وغيرها من الأشياء لكافة المخلوقات؛ كذلك ظل يبعث في كل عصر مصلحين بين حين وآخر لإصلاح كل قوم، كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٥).
(الحكم، رقم ٣٦، مجلد ١٢، عدد: ١٩٠٨/٦/٢ م ص ٦)

حكى صاحبزاده سراج الحق طريفة، فقال كنت من القائلين بوحدة الوجود وكنت أخالف القائلين بوحدة الشهود مخالفة شديدة. وعندما جئت إلى المسيح الموعود عليه السلام في أوائل الأيام سألته عن هذه المسألة، فقال عليه السلام:

هناك بحر تتفرع منه كل هذه الفروع، ولكننا نرى أن مذهب وحدة الشهود هو الصحيح، إذ ورد في مستهل القرآن الكريم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي أن الله رب العالمين، وهذا يبين أن الرب هو غير العالمين. لو كان مذهب وحدة الوجود صحيحا لقليل: "ربُّ العين". (جريدة بدر، مجلد ٧، رقم ١١، عدد: ١٩٠٨/٣/١٩ م ص ٦)

ثم هناك جملة: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وكما قلت من قبل، إن الله جامع الصفات الكاملة كلها، ومنزه عن العيوب كلها، وبالغ أعلى قمة الحسن والجمال، ليجذب الناس تلقائيا إلى ذلك الإله الذي لا نظير له ولا مثيل، وليعبده بحماس الروح وجذبها. لذا فقد بين الله تعالى الإحسان كميّة أولى بذكر صفة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ التي بسببها تستفيد المخلوقات كلها من فيض الربوبية. ولكن الأديان الأخرى الموجودة حاليا كلها تنكر هذه الصفة أيضا. فمثلا يعتقد الآريون كما ذكرت آنفا بأن كل ما يناله الإنسان إنما هو نتيجة أعماله وليس مستفادا من ربوبية الله تعالى قط؛ لأنهم ما داموا لا يعدّون الله تعالى خالق أرواحهم ويعتقدونها غنية عنه تماما من أجل وجودها وبقاءها، فقد اضطروا إلى إنكار صفة الربوبية.

كذلك المسيحيون أيضا ينكرون هذه الصفة، لأنهم يعتقدون بأن المسيح ربّ لهم، حيث يرددون "ربنا المسيح، ربنا المسيح"، ولا يؤمنون بأن الله ربّ كل ما في العالم، بل يحسبون المسيح خارج فيض ربوبيته ويزعمون أنه ربّ.

كذلك الهندوس ينكرون هذه الحقيقة، لأنهم يعدّون الأشياء الأخرى أربابا. وأتباع "برهمنو سماج" أيضا ينكرون الربوبية التامة، لأنهم يعتقدون بأن الله فعل دفعة واحدة ما كان فاعله، وأن هذا العالم وما فيه من قوى وقدرات قد خلقت دفعة واحدة، وهي مسخرة في أعمالها على الدوام، ولا يقدر الله على التصرف فيها، ولا يمكن أن يُحدث فيها أيّ تغيير، وأن الله تعالى عاطل الآن تماما بحسب زعمهم.

باختصار، بقدر ما نتأمل في الأديان المختلفة ونفحص معتقداتها نرى بوضوح تام أنها لا تؤمن بالله ربّاً للعالمين. الحق أن هذه الميزة العظيمة التي نشاهدها كل حين وآن ينبئ عنها القرآن الكريم وحده، وهكذا يستأصل دفعة واحدة جميع المعتقدات الباطلة والسخيفة التي اخترعها أهل الأديان الأخرى المناقضة لهذه الصفة. (الحكم، رقم ١٧، مجلد ٧، عدد: ١٠/٥/١٩٠٣ م ص ٢)

لقد استهل الله تعالى القرآن الكريم بالآية في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي الصفات الكاملة والمقدسة كلها لله تعالى.

إن كلمة "عالم" تشمل الأقوام المختلفة والعصور المختلفة والبلاد المختلفة كلها. الحقيقة أن في استهلال القرآن الكريم بهذه الآية تفنيدا للأقوام الذين يجعلون ربوبية الله العامة وفيوضه مقتصرة على قومهم ويزعمون كأنّ أقواماً آخرين ليسوا عباد الله وكأن الله قد نبذهم كشيء رديء بعد خلقهم أو نسيهم أو كأنهم لم يكونوا من مخلوقات الله، والعياذ بالله.

كما أن اليهود والنصارى مثلاً لا يزالون يزعمون أن كل الأنبياء والرسل من عند الله كانوا من اليهود فقط، وأن الله ظل ساخطا على الأمم الأخرى حتى أنه رآهم يهيمون في الضلال والغفلة، ومع ذلك لم يأبه بهم شيئا، كما جاء في الإنجيل أيضا

أن المسيح ﷺ قال: لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل. هنا نقول على سبيل الافتراض المحال أن قوله هذا الذي ينم عن آفاق ضيقة بعد ادّعاء ألوهيته يثير الاستغراب. فهل كان المسيح إله الإسرائيليين فقط ولم يكن إله أقوام أخرى حتى تفوّه بكلمة أنه لا علاقة له بإصلاح أمم أخرى وهدايتهم؟!

باختصار، إن مذهب اليهود والنصارى هو أن جميع الأنبياء والرسل جاؤوا من سلالتهم فقط، ونزلت كتب الله كلها أيضا في قومهم. إذًا، إن سلسلة الوحي والإلهام قد انقطعت على عيسى ﷺ بحسب معتقدات النصارى وُحُتْ على إلهام الله.

والآريون أيضا متمسكون بالمعتقدات نفسها، أي كما يعدّ اليهود والنصارى شرف النبوة والوحي مقتصرًا على بيت إسرائيل فحسب، وينكرون شرف الوحي على الأمم الأخرى. فالآريون أيضا ولسوء حظ البشر يعتقدون الاعتقاد نفسه؛ أي أنهم أيضا يعتقدون بأن سلسلة وحي الله وإلهامه لم تخرج عن حدود الهند، بل قد انتُخب رجال الله الأربعة من هذا البلد، وظل الفيدا وحده ينزل مرة بعد أخرى دوما، وقد حُصّت السنسكريتية، أي لغة الفيدا، وحدها لتكون لغة الإلهام دائما.

فلباب القول: كلا هذين القومين لا يؤمنون بأن الله رب العالمين، وإلا فلا يوجد سبب لأن ينشئ الله علاقة دائمة مع قوم معين يُلاحظ منها الانحياز والتحزب بكل وضوح، مع أنه ﷻ رب العالمين وليس رب الإسرائيليين أو رب الآريين وحدهم.

فلدحض هذه المعتقدات استهلّ الله القرآن الكريم بآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ووضح لنا في عدة آيات في القرآن الكريم أنه ليس صحيحا أن الأنبياء والرسل قد بُعثوا في قوم أو بلد معين فقط، بل الحق أنه ﷻ لم يهمل أي أمة أو أي بلد. والقران الكريم يشرح لنا بأمثلة مختلفة أنه كما أن الله تعالى ظل يربي أهل كل بلد بما يناسبهم، كذلك متّع كل بلد وقوم بالتربية الروحانية أيضا كما يقول في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٥) فحريّ بالقبول دون أدنى نقاش أن ذلك الإله الحق والكامل الذي يجب على كل إنسان أن يؤمن به هو رب العالمين، وأن ربوبيته ليست

خاصة بقوم دون قوم، أو بزمان دون آخر أو بلد دون غيره، بل هو رب الأمم كلها ورب الأزمنة والأماكن والبلاد كلها، وهو منبع الفيوض كلها، ومنه القوة كلها روحانية كانت أم مادية، وبفضله تترتب كل الموجودات، وهو سند كل وجود.

إن فيض الله عام ومحيط بكل الأقوام والبلاد والأزمنة لكيلا يشكو قوم فيقولوا بأن الله منّ على قوم كذا وكذا ولم يمنّ علينا، أو أعطى قوم كذا كتابا منه ليهدوا به ولكننا ما أعطيناه، أو ظهر بوحيه وإلهامه ومعجزاته في زمن كذا وكذا ولكنه بقي مخفيا في زمننا. فبإظهاره الفيض العام دحض الاعتراضات كلها من هذا القبيل وأبدى صفاته الواسعة إذ لم يحرم قوما من فيوضه المادية والروحانية ولم يحرم أيّ زمن. (رسالة الصلح، الخزان الروحانية، مجلد ٢٣، ص ٤٤٠-٤٤٢)

الحمد كله لله رب العالمين وخالقها. ينكر بعض الناس خلق الله كقول الآريا عن الروح والمادة بأنها موجودة من تلقاء نفسها كوجود الإله تماما، وأن قواها كلها أيضا تلقائية لا دخل فيها للإله. فإلى هذه الفئة أشار الله تعالى في قوله: "رب العالمين" ودحضهم أيضا. (بدر، رقم ١، مجلد ٧، عدد: ١٩٠٨/١/٩ م ص ٥)

إن اسم الله هو رب العالمين، فهو الذي يربي العالم الروحاني والمادي، فلو لم يؤدع الإنسان قوى مناسبة لما كان له أن يستفيد من النعم. كذلك إن التقدم الروحاني بدون فضله محال. (بدر، رقم ٢٥، مجلد ٧، عدد: ١٩٠٨/٦/٢٥ م ص ٣)

يقول الله تعالى بأني أنا الذي أربيكم في الحقيقة، ولولا تربية الله لما قدر عليها أحد. انظروا عندما يتلى الله تعالى أحدا بمرض... فإنه يهلك في الأخير مهما بذل الأطباء من الجهود. تأملوا الطاعون مثلا، فقد بذل الأطباء قصارى جهودهم ولكنه لم يزل إلى الآن.

فالحق أن الخير كله منه ﷻ وهو الذي يزيل السيئات. ثم يقول: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أي هو الذي يستحق الحمد كله وهو الذي يربي العالمين كلها. (بدر، رقم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ... أي الماحم كلها لله الذي هو رب العالمين جميعا أي ربوبيته محيطة بالعالمين كلهم. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٠١)

فلا مجال للنقاش في أن ما يوجد في الأجرام السماوية والعناصر من الصفات المادية والفانية موجود في الله تعالى كصفات روحانية وأبدية. وقد كشف الله تعالى علينا أن الشمس وغيرها ليست بشيء بحد ذاتها بل إن قدرة الله عز وجل العظيمة هي التي تنجز كل شيء في الخفاء. هو الله الذي يُلبس القمر رداء ذاته فينور الليالي الحالكة، كما يدخل عليه السلام القلوب المظلمة بنفسه وينورها ويتكلم بداخل الإنسان. وهو الذي يلقي على قواه غطاء الشمس ويجعل النهار مظهرًا لنور عظيم، ويجلي أعماله المختلفة في فصول مختلفة. إنها لقدرته عز وجل التي تنزل من السماء وتسمى مطرا، وتجعل الأرض الجذباء مخضرة وتسقي العطاش. إنها لقوته التي تحرق بكونها نارا، وتجدد النفس بكونها هواء، وتنضّر الأزهار وتهبها رونقا وبهاء وتسوق السحاب وتوصل الصوت إلى الآذان. إنها لقدرته عز وجل وحده التي تجسدت بصورة الأرض وحملت على ظهرها البشر والحيوانات. ولكن هل هذه الأشياء آلهة؟ كلا، بل هي مخلوقات، ولكن قدرة الله ملتصقة بأجرامها التصاق اليد بالقلم. مع أننا نستطيع القول بأن القلم يكتب ولكنه لا يكتب في الحقيقة بل اليد هي التي تكتب. كذلك إن قطعة الحديد التي اتخذت هيئة النار بدخولها النار، يمكن أن نقول بأنها تحرق وتضيء أيضا، ولكن تلك الصفات ليست صفاتها بل هي صفات النار.

كذلك صحيح تماما من منطلق التحقيق أن كل ما هو مشهود ومحسوس من الأجرام الفلكية والعناصر الأرضية بل في كل ذرة من العالم السفلي والعلوي - من حيث خواصها المختلفة الموجودة فيها - هي أسماء الله تعالى وصفاته، وقدرته متجلية فيها خفية. فكلها كانت كلماته عز وجل في البداية قد أظهرتها قدرته بأساليب مختلفة. قد يتساءل قليل العلم فيقول: كيف تجسدت كلمات الله تعالى؟ وهل نقص شيء

من ذات الله تعالى بسبب انفصالها عنه؟ ولكن عليه أن يفكر أن الحرارة التي تجذبها العدسة المحدبة من الشمس لا تُقلل من حرارة الشمس شيئاً. كذلك الفواكه التي تنمو بتأثير القمر لا يؤدي نموها إلى اضمحلال القمر. هذا هو سر معرفة الله، ومركز نظام الله الروحاني كله أن العالم قد جاء إلى الوجود نتيجة كلمات الله فقط. فلما تقرّر ذلك وقد علّمنا القرآن الكريم المبدأ نفسه، فمن الممكن عندي أن يكون المراد مما مدح به الفيدا النارَ أو الهواء وما أثنى به على الشمس هو أن قدرة الله تعالى تعمل في كل هذه الأشياء بصلة متينة بحيث إن تلك الأجرام كلها بمنزلة القشر مقابلة ﷻ، وقدرة الله هي اللب، وكل الصفات تعود إليه ﷻ، فهو الذي يجب أن نسميه النار والماء، لأن أفعال هذه الأشياء ليست أفعالها بل كلها أفعال الله ﷻ، وإن قدراتها ليست قدراتها بل هي قدراته ﷻ، كما تشير آية سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى الأمر نفسه. أي أن الأشياء السماوية والأرضية التي تعمل بأساليب مختلفة وطرق شتى للمحافظة على نظام العالم ليست هي العاملة، بل إن قدرة الله هي التي تعمل من ورائها. كما قال ﷻ في آية أخرى: ﴿صَرَّحَ مُرَدُّ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ (النمل: ٤٥). أي أن الدنيا هي بمنزلة صرح من القوارير التي يجري تحتها الماء بقوة. ويظن الجاهل أن القوارير هي الماء بينما الماء تحتها. كذلك قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (بني إسرائيل: ٧١) أي لا تظنوا أن الأرض تحملكم أو السفن تحملكم في البحر بل نحملكم نحن. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، مجلد ١٩، ص ٤٢٣-٤٢٦)

انظر كم هي جامعة كلمة ﴿رب العالمين﴾ هذه، إذ لو ثبت يوماً وجود مخلوقات في الأجرام الفلكية فسوف تكون تلك المخلوقات مشمولة في هذه الكلمة. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، مجلد ١٩، ص ٤٢ الحاشية)

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يعني أنه جعل في يده جزاء كل واحد، وليس له من وكيل فوض إليه تدبير ملك السماوات والأرض، وقعد بنفسه جانباً لا يفعل شيئاً، بينما

يقوم أو سيقوم وكيله بمهمة المجازاة والعقاب. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، مجلد ١٠، ص ٣٧٣)

إن "المالك" كلمة تتلاشى مقابلها الحقوق كلها، وإنما تُطلق هذه الكلمة بالكامل على الله تعالى فقط لأنه هو المالك الكامل. والذي يجعل غيره مالك حياته وغيرها فإنه يقرّ بذلك أنه لم يعد له أيّ حق على حياته وماله وغيره من الأشياء ولم يعد أيّ شيء له بل صار كل شيء للمالك.. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، مجلد ٢٣، ص ٢٣)

المعاقبة على كل ذنب يتنافى مع أخلاق الله تعالى مثل العفو والصفح، لأنه مالك وليس كالقاضي فقط، وقد سمى نفسه مالكا في السورة الأولى من القرآن الكريم فقال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. أي أن الله تعالى مالك الثواب والعقاب. والمعلوم أنه لا يمكن اعتبار أحد مالكا ما لم يكن قادرا على كلا الأمرين، أي أن يبطش إن شاء ويعفو إن شاء. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، مجلد ٢٣، ص ٢٤)

سمى الله نفسه في القرآن الكريم "مالك يوم الدين" أيضاً. فمن المحتمل أن يكون الإنسان سعيداً، وتكون الطيور والأنعام أكثر منه سعادة. هذه الدنيا عالم الامتحان، ولحلّه هناك عالم آخر، فحين جعل ﷻ في هذا العالم مشاكل ومحنا فقد وعد أنه سيجعل السرور والفرحة في العالم الآخر، فإذا قال أحد بعد هذا أيضاً: لماذا فعل كذا ولم يفعل كذا، فجوابه أنه حاكم ومالك أيضاً، ففعل ما أراد، ولا يحق لأحد أن يعترض على فعله.. (الحكم، رقم ٣٥، مجلد ١٢، عدد: ٣٠/٥/١٩٠٨ م ص ٥)

الإنسان يجتنب الذنب نتيجة الجلال والهيبة فقط. فإذا علم الإنسان أن الله تعالى شديد العقاب على كذا وكذا من الذنوب، وأنه مالك يوم الدين أيضاً، استولت عليه هيبة نَجْته من الذنوب.. (الحكم، رقم ٤٥، مجلد ٥، عدد: ١٠/١٢/١٩٠١ م ص ١)

إن قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لا يعني أنّ عملية الجزاء والعقاب ستتم يوم القيامة فقط، كلا، بل قد صرّح القرآن المجيد مراراً أن القيامة إنما هي موعد المجازاة

الكبرى، غير أن نوعاً من المجازاة يبدأ ويتم في هذه الدنيا نفسها، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: ٣٠). (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، مجلد ١٩ ص ٤٢)

لقد قال تعالى: أنا مالك يوم الدين، أي إن العقاب والأجر بيده فحسب. إن سلسلة العقاب والأجر تبدأ من هذا العالم. فالذي ينقب في البيوت قد لا يُطش به في المرة الأولى أو الثانية ولكن سيُطش به في المرة الثالثة لا محالة أو يتلقى عقوبة فعلته بطريقة أخرى. السارق يسرق لجمع الثروة ومع ذلك يبقى فقيراً معدماً وذليلاً مهاناً على الدوام فهل هذه عقوبة بسيطة؟ لقد تدبرنا هذا العالم جيداً ووجدنا أن الذي يكسب الحسنات بحماس القلب لا يحرم من نتيجتها الحسنة، والذي يقترف السيئات يواجه عاقبتها الوخيمة حتماً. انظروا إلى الزناة فهم يصابون بالزهري، والذي يتعاطى الخمر يصاب بالرعشة، وهناك من يصابون بخراجات في الأمعاء. باختصار، إن ممن الله واسعة جداً ولا يسع أحداً أن يحصيها. مَنْ أعطى الإنسان القوى التي جاء بها إلى الدنيا؟ ولو تفكر الإنسان لوجد أن القوى كلها تحت قدرة الله، فلو أراد الله لتوقف القلب عن العمل في لمح البصر ولهلك الإنسان فوراً، ولكن من يريد أن يموت؟ (بدر، رقم ٢٥، مجلد ٧، عدد: ١٩٠٨/٦/٢٥ م ص ٣)

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وفيها ردٌّ على الذين ينكرون القيامة. وقد ذُكر تفصيلها في أماكن كثيرة في القرآن الكريم. والفرق بين هذه الصفة وصفة: ﴿الرَّحِيمِ﴾ هو أن النجاح في الرحيمية يحصل بالدعاء والعبادة، ويستحقّه الإنسان كحقٍّ، أما صفة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فتُعطي ذلك الحقّ وتمنح تلك الثمار. (الحكم رقم ١٩، مجلد ٧، عدد: ١٩٠٣/٥/٢٤ م ص ١)

مالك يوم الدين: الملحدون يخالفون ذلك ويقولون إنه لا مجازاة أصلاً. إن الذين ينكرون صفة الرحيمية لا يكسبون الأعمال الصالحة إهمالاً من عندهم أما هؤلاء

الذين ينكرون وجود الله فيعرضون عن اكتساب الأعمال الصالحة قصدا منهم.
(بدر، رقم ١، مجلد ٧، عدد: ١٩٠٨/١/٩ م ص ٥)

لقد بين الله تعالى هنا في سورة الفاتحة أربعاً من صفاته، أي: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿الرَّحْمَنِ﴾ و﴿الرَّحِيمِ﴾ و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. لقد قدم عَلَيْهِ صفة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على الصفات الأربعة الأخرى كلها، ثم أورد ﴿الرَّحْمَنِ﴾ ثم ﴿الرَّحِيمِ﴾ ثم أورد ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ في الأخير. يجب التأمل الآن، لماذا اختار الله تعالى هذا الترتيب؟ الحكمة في ذلك أن هذا هو الترتيب الطبيعي لهذه الصفات الأربعة؛ فإنها تتجلى بهذا الترتيب على صعيد الواقع أيضاً. وبيان ذلك أن فيض الله يوجد في الدنيا على أربعة أنواع، ويمكن لكل عاقل أن يدركها بالتدبر.

الفيض الأول هو الفيض الأعم. وهو فيض عام وساري المفعول بصورة متواصلة على كل شيء بدءاً من الأفلاك إلى الأرضين، دون تمييز بين ذوي الأرواح وغيرهم. إن سبب مجيء كل شيء من العدم إلى حيّز الوجود ثم وصول الوجود إلى الكمال يعود إلى هذا الفيض، ولا يخرج عن نطاقه شيء سواء أكان ذا نفس منفوسة أم غيره. وبسببه وُجدت جميع الأرواح والأجساد، وبه تربّى ويتربّى كل شيء. إن هذا الفيض هو روح الكون كله، ولو انقطع للحظة واحدة لدُمّر العالم كله. لولا هذا الفيض لما وُجد من المخلوقات شيء. لقد ذُكر هذا الفيض في القرآن الكريم بالربوبية، ومن هنا جاءت صفة الله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٦٥) أي أن الله ربّ كل شيء ولا يخرج عن ربوبيته شيء قط في هذا العالم. فقد ذكر الله تعالى في سورة الفاتحة صفة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قبل غيرها من بين صفات فيضه، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وذلك لأن صفة الربوبية حائزة على تقدّم طبيعي على صفات الفيض كلها، أي أنها متقدمة على غيرها من حيث الظهور وأعظمها، لأنه فيضها يصيب كل شيء سواء أكان كائناً حياً أم غير حيّ.

والفيض الثاني الذي يأتي في المرتبة الثانية هو الفيض العام. والفرق بينه وبين الفيض الأعم هو أن الفيض الأعم يعني الربوبية العامة التي بسببها وُجد وظهر الكون كله. أما الفيض العام فهو بمنزلة فضل الله الأزلي المنصب على ذوي النفوس المنفوسة. أي أن العناية الخاصة المنصبة على ذوي الأرواح بوجه خاص تُسمى الفيض العام. والمراد من هذا الفيض هو أنه جارٍ مجانا لكل ذي روح بحسب حاجتها دون أن يكون حقاً لأحد، وليس نتيجة عمل عامل. وبركة هذا الفيض يحيا كل ذي روح ويأكل ويشرب ويُحفظ من الآفات وتُسَدّ حاجاته ويتمتع بضروراته، كما نرى أن جميع أسباب الحياة المطلوبة لبقاء كل كائن حيّ أو لنوعه مهياً له. ومن بركة هذا الفيض أن أُعطيت الأرواح كل ما تحتاج إليه لتربيتها المادية. وكذلك فيما يتعلق بالأرواح التي تحتاج إلى التربية الروحانية أيضاً إضافة إلى التربية المادية، أي الذين يملكون قدرة على التقدم الروحاني؛ فقد ظل كلام الله ينزل عليهم منذ القدم عند حاجتهم بالضبط. فبسبب فيض الرحمانية هذا سُدّت حاجات ملايين الناس، بما فيها الأرض للسكن، والقمر والشمس للضوء، والهواء للتنفس، والماء للشرب، وأنواع الأرزاق للأكل، ومئات الآلاف من الأدوية للعلاج، ومختلف أنواع اللباس للارتداء، والصحائف الربانية للاهتمام. ولا يسع أحداً أن يدعي أن هذه الأشياء قد خلقت ببركة أعماله. أو أن يقول بأنه كان قد عمل عملاً حسناً في أثناء حياته السابقة، لذا أعطى الله تعالى بني آدم هذه النعم التي لا تعدُّ ولا تُحصى. فثبت أن هذا الفيض الذي تجلى بآلاف الطرق لإراحة ذوي الأرواح، إنما هو عطية من الله تعالى دون استحقاق وليس عوضاً عن عمل، بل هو جيشان رحمة الله وَعَلَىٰ لكي يصل كل ذي نفس منفوسة إلى مطلوبه الفطري، وتحقق جميع الحاجات المودعة في فطرته. إذًا، فإن دور رحمة الله الأزلية في هذا الفيض هو أنها تهم بحاجات الإنسان بل بجميع الحيوانات أيضاً، وتنبه إلى بؤسهم وراحتهم حتى لا يضيعوا وألا تبقى مؤهلاتهم في حيز الكتمان. وإن وجود صفة الإفاضة هذه في ذات الله تعالى ثابت

بالبداهة بمشاهدة قانون الطبيعة، إذ لا يشك عاقل أن كل ما يوجد في الدنيا مثل الشمس والقمر والأرض وغيرها من النعم التي عليها مدار حياة كل كائن حيّ، قد وُجد نتيجة تأثير هذا الفيض. وكل ذي نفس منفوسة، دون التمييز بين إنسان ودابة، أو مؤمن وكافر، أو صالح وطالح يستفيض من هذا الفيض بحسب حاجاته، ولم يُجرم منه أيّ كائن حي. وقد سَمّي هذا الفيض في القرآن الكريم بالرحمانية، ومن هذا المنطلق جاءت صفة الله ﴿الرَّحْمَنُ﴾ في سورة الفاتحة بعد صفة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كما يقول تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ﴾. وقد أشير إلى الصفة نفسها في عدة آيات أخرى أيضا في القرآن الكريم، منها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا * تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا * وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦١-٦٤) أي عندما يقال للكافرين والملحدين وعديمي الإيمان أن اسجدوا للرحمن يتساءلون مظهرين نفورهم من اسم ﴿الرَّحْمَنِ﴾: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ فقال ﷻ بنفسه جوابا عليهم: إن الرحمن ذات كثيرة البركات، ومصدر الخير الأبدي الذي جعل في السماء بروجًا، وجعل فيها الشمس والقمر ليُهيئ الضوء لعامة الخلق دون تمييز بين كافر ومؤمن وهو الرحمن نفسه الذي جعل لكم أي لبني آدم الليل والنهار خليفة ليستفيد من كان طالب المعرفة من دقائق المعرفة ويتخلص من حجب الجهل والغفلة، وليشكر من أراد الشكر... إن عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون بقسوة الكلام ردّوا عليهم بكلمات السلام والرحمة؛ أي يعاملونهم بالرفق مقابل القسوة، ويدعون لهم مقابل السب والشتم، وينصبغون بصبغة أخلاق الله الرحمن، لأن الرحمن أيضا يفيد العباد جميعا بالشمس والقمر والأرض وغيرها من النعم الكثيرة التي لا تُعد ولا تحصى دون تفريق بين صالح أو طالح. ففي هذه الآيات قد وضّح الله تعالى جيدا أن كلمة

﴿الرَّحْمَنُ﴾ تُطلق على الله ﷻ لأن رحمته الواسعة تحيط بكل شخص سيئا كان أم بارا. وكذلك أشار ﷻ إلى الرحمة الواسعة نفسها في مكان آخر أيضا فقال: ﴿عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٧) أي سأعذب مَنْ أراه يستحق العذاب فقط، أما رحمتي فمحيطه بكل شيء. وقال أيضا: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الأنبياء: ٤٣) أي قل للكافرين والعصاة بأنه لو لم يكن الله متحليا بصفة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ لما حظيت بالحماية من العذاب. أي من بركة رحمانية الله تعالى أنه يمهّل الكافرين والملحدين ولا يؤاخذهم سريعا. وقد أشار إلى الرحمانية نفسها في آية أخرى فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ (الملك: ٢٠) أي ألم يروا الطيور تطير فوقهم إذ تفتح أجنحتها أحيانا وتقبضها أحيانا أخرى، والله تعالى الرحمن يحفظها من السقوط، بمعنى أن فيض الرحمانية محيط بكل كائن حيٍّ، حتى أن الطيور الرخيصة الثمن التي يمكن أن يُشترى اثنان أو ثلاثة منها بمليم واحد، تسبح بكل سرور في بحر هذا الفيض الواسع. ولأن مرتبة هذا الفيض تأتي بعد الربوبية، فمن هذا المنطلق ذكر الله تعالى في سورة الفاتحة صفة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أولا، ثم بين صفة رحانيته لكي يبقى الترتيب الطبيعي قائما.

والقسم الثالث للفيض هو الفيض الخاص. والفرق بينه وبين الفيض العام هو أنه ليس شرطا للمستفيض من فيض عام أن يصلح نفسه أو يُخرجها من الحُجُب المظلمة، أو يقوم بمجاهدة وسعي من نوع آخر. بل في حالة الفيض العام يهيئ الله تعالى من عنده - كما قلت من قبل - لكل كائن حي كل ما يحتاج إليه بمقتضى فطرته، ويعطيه دون سؤال وسعي. أما الفيض الخاص فيُشترط له الجهد والسعي وتركية القلب والدعاء والتضرع والتوجه إلى الله تعالى وكل مجاهدة أخرى بحسب مقتضى الحال. فلا يحظى بهذا الفيض إلا الذي يبحث، ولا ينزل هذا الفيض إلا على الذي يجاهد من أجله. وهذا الفيض أيضا ثابت من التفكير في قانون الطبيعة،

لأنه من البديهي تماما أن المجاهدين في سبيل الله والغافلين عنه لا يستوون. مما لا شك فيه أن الذين يجاهدون في سبيل الله بصدق القلب ويجتنبون كل ظلمة وفساد تحالفهم رحمة خاصة. فمن منطلق هذا الفيض جاء اسم الله ﴿الرَّحِيمُ﴾ في القرآن الكريم. وإن مرتبة صفة الرحيمية هذه - لكونها خاصة ومشروطة بشروط - ذكرت بعد الرحمانية لأن صفة الرحمانية تجلت أولا من الله ثم الرحيمية. فبحسب هذا الترتيب الطبيعي ذكرت صفة الرحيمية في سورة الفاتحة بعد الرحمانية، فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. وقد ورد ذكر صفة الرحيمية في آيات عديدة من القرآن الكريم منها: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٤) أي أن رحيمية الله خاصة بالمؤمنين فقط، ولا نصيب فيها للكافر أي عديم الإيمان والمتمرد.

يجب الانتباه هنا إلى أن الله تعالى كيف جعل صفة الرحيمية خاصة بالمؤمنين، ولم يجعل الرحمانية خاصة بهم في آية آية، ولم يقل في أي مكان: "كان بالمؤمنين رحمانا". بل ذكر الرحمة الخاصة بالمؤمنين بصفة الرحيمية كل مرة. فقال في آية أخرى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٧) وقال أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٩) أي أولئك الذين تركوا أوطانهم وهجروا أطماعهم المادية وسعوا في سبيل الله فهم الذين يتوقعون رحمة الله.. أي أن فيض رحيمية الله تعالى تحالف حتما أولئك الذين يستحقونه، وليس هناك أحد طلبه ولم يجده.

عاشق که شد که یاربجالش نظر نہ کرد اے خواجہ درد نیست وگرنہ طیب ہست

يعني: أي عاشق هذا الذي لا يلتفت حبيبه إلى حاله، فيا صاحبي لا وجود للألم الحقيقي، وإلا فالطبيب موجود.

والقسم الرابع للفيض هو الفيض الأخص الذي لا يترتب على الجهد والسعي فقط، بل الشرط الأول لظهوره وبروزه هو أن يندم ويتلاشى نهائيا في نظر المرء عالم الأسباب هذا الذي هو مكان ضيق ومظلم، وأن تتجلى له قدرة الله

الكاملة عيانا بتجليها التام دون واسطة الأسباب المعروفة؛ لأن الإضافة والكمال - الذي يمكن تصويره من حيث العقل مقارنة مع الفيوض الأخرى - في هذا الفيض الأخير الذي هو قمة الفيوض كلها، هو أن الأخير يكون واضحا جليا ولا يوجد فيه شيء من الاشتباه والخفاء أو النقص. أي يجب ألا يكون هناك أدنى شك في أن المفيض قادر على الإفاضة بالإرادة، ولا يكون هناك أي شك في كون الفيض فيضا حقيقيا ورحمة خالصة وكاملة، بل يجب أن تتبين الإفاضة والجزاء للمالك الأزلي الذي نزل منه هذا الفيض بجلاء تام كوضح النهار. وأن يشاهد متلقي الفيض ويلاحظ كحق اليقين أن الذي يعطيه نعمة عظمى ومتعة كبرى بمشيئته وإرادته وقدرته الخاصة هو مالك الملك حتما، وأنه في الحقيقة يتلقى على أعماله الصالحة جزاء دائما وكاملا أصفى وأعلى وأحب إليه إلى أقصى الحدود، وأن ذلك الجزاء ليس امتحانا أو ابتلاء له. والتمتع بهذا النوع من الفيض الأكمل والأتم والأبقى والأعلى والأجلى يعتمد على أن ينتقل العبد من هذا العالم الناقص والمكدر والثقيل والضيق وغير المريح والفاني ومشتبه الحال إلى عالم آخر، لأن هذا الفيض مظهر للتجليات العظمى التي يُشترط لها أن يكون جمال المحسن الحقيقي ملحوظا بجلاء تام ومشهودا إلى مرتبة حق اليقين، وألا تنقصه مرتبة شهود وظهور ويقين، وألا يحول دونه حجاب الأسباب المعروفة، وأن تخرج كل دقيقة من المعرفة التامة إلى حيز الفعل من مكن القوة. وأن يكون الفيض مكشوبا ومعلوم الحقيقة بحيث يكون الله تعالى قد كشف أنه بريء من تكدر كل امتحان وابتلاء، ويتزامن مع المتعة العظيمة والكاملة التي تحيط كیفيتها المقدسة والكاملة بقلب الإنسان وروحه وظاهره وباطنه وجسده ونفسه وكل قوته الروحانية والجسدية بصورة أكمل وأبقى لا يُتخيل المزيد عليها عقلا وفكرا وتصوُّرا. إن هذا العالم بما هو ناقص الحقيقة ومكدر الصورة وهالك الذات ومشتبه الكيفية وضيّق الآفاق، لا يقدر على احتمال هذه التجليات العظمى والأنوار الأصفى والعطايا الدائمة، ولا تسعه تلك الأشعة الكاملة والدائمة،

بل إن ظهورها يحتاج إلى عالم آخر بريء ومنزه تماما عن ظلمة الأسباب المعروفة، ومظهر تام للقدرة الكاملة لله الواحد القهار. صحيح تماما أنه لا يجد من هذا الفيض الأخص حظا إلا الكمّل الذين يسلكون مسلك الصدق بوجه أكمل، ويتخلون عن مشيئتهم وأهوائهم كليا ويتبتّلون إلى الله تعالى، لأنهم يموتون قبل أن يموتوا. يكونون في هذا العالم ظاهريا ولكنهم في الحقيقة يسكنون عالما آخر. ولأنهم يفصلون قلوبهم عن أسباب الدنيا ويقضون على عادات بشرية ويُعرضون عن غير الله كليا ويختارون طريقا خارقا للعادة، فيعاملهم الله تعالى أيضا المعاملة نفسها ويَجَلِّي عليهم بوجه خارق للعادة أنواره الخاصة التي لا تظهر على غيرهم إلا بعد الموت.

باختصار، إنهم ينالون قدرا يسيرا من نور الفيض الأخص في هذا العالم أيضا بسبب الأسباب المذكورة آنفا، علما أن هذا الفيض هو أخص من الفيوض الأخرى كلها ومنتهاها. والحاصل عليه يبلغ السعادة العظمى وينال البجوبة الدائمة التي هي منبع السعادات كلها. ومن حُرْم منه دخل جهنم خالدا. فمن هذا المنطلق ذكر الله تعالى في القرآن الكريم صفته ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. والهدف من جعل كلمة "الدين" معرفة هو البيان أن المراد من الجزء هو الجزء الكامل، وتفصيله مذكور في القرآن الكريم. وذلك الجزء الكامل لا يتحقق إلا بتجلّي المالكية التامة الذي يستلزم هدم بنیان الأسباب. فإلى هذا الأمر يشير تعالى في آية أخرى فيقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر: ١٧) أي في ذلك اليوم سوف تتجلى ربوبية الله تعالى من تلقائها دون توسط الأسباب العادية. وسيكون ملحوظا ومشهودا أن كل شيء إنما هو فإن وبلا حقيقة، سوى قوة الله العظمى وقدرته الكاملة. عندها ستترأى بكل جلاء أن السعادة كلها والمتعة كلها والجزاء والعقاب كله من الله وَجَلَّ، ولن يكون هناك حجاب ولا مجال للشك. والذين تبتّلوا إليه كليا سيجدون عندئذ أنفسهم في سعادة كاملة تحيط بجسدهم وروحهم وظاهرهم وباطنهم ولن يُجرم جزء من وجودهم من تلك السعادة العظمى.

وفي ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ إشارة أيضا إلى أن الله تعالى سيكون هو السبب الحقيقي وراء الراحة أو العذاب، والمتعة أو المعاناة التي ستصيب بني آدم في ذلك اليوم. ويكون ﷺ هو المالك الحقيقي لأمر الجزاء والعقاب؛ بمعنى أن وصله أو فصله يكون موجبا للسعادة الأبدية أو الشقاوة الأبدية، بحيث أن الذين آمنوا به من قبل واختاروا التوحيد وصبغوا قلوبهم بصبغة حبه الخالص، سوف تنزل عليهم أنوار رحمة ذلك الذات الكامل بكل وضوح وجلاء. والذين لم يؤمنوا ولم يحطوا بحب الله ﷻ سيُحرَمون من تلك المتعة والراحة ويُبتَلون بعذاب أليم.

هذه هي الفيوض الأربعة التي كتبناها بالترتيب والتفصيل. وبذلك قد تبين أن تقديم صفة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ على ﴿الرَّحِيمِ﴾ كان ضروريا ومقتضى البلاغة الكاملة، لأننا إذا نظرنا إلى صحيفة القدرة، فأول ما يقع عليه النظر هو ربوبية الله تعالى العامة، ثم رحمانيته، ثم رحيميته، ثم كونه مالك يوم الدين. وهذا هو كمال البلاغة أن يُراعى الترتيب في صحيفة الإلهام بحسب الترتيب الموجود في صحيفة الفطرة، لأن قلب الترتيب الطبيعي في الكلام يعني قلب ترتيب قانون الطبيعة ونظامه الطبيعي. ومن الضروري جدا للكلام البليغ أن يكون نظامه مطابقا لنظام الطبيعة وكأنه صورته الانعكاسية، وأن يُقدّم في الترتيب أمرٌ هو مقدّم من حيث الطبيعة والوقوع. فمن البلاغة العظيمة في الآية المذكورة أنها حافظت على الترتيب الواقعي والطبيعي بالإضافة إلى كمال الفصاحة وحسن البيان. وقد اختارت للبيان أسلوبا يلاحظه كل بصير في نظام العالم بالبداهة. أليس طريقا مستقيما أن تُذكر نعماء الله تعالى في صحيفة الإلهام أيضا بالترتيب نفسه الذي وردت به في صحيفة الفطرة. فالاعتراض على هذا الترتيب الحكيم والمحكم هو في الحقيقية عمل العميان الذين ذهب بصيرتهم وبصارتهم دفعة واحدة.

چشم بداندیش که برکنده باد عیب نماید هنرش در نظر

أي: فُتِّت عین الشریر إلى الأبد، لأنه لا شغل لها إلا البحث عن العیوب في

الحق. (البراهین الأحمديّة، الخزائن الروحانيّة، مجلد ١، ص ٤٤٤ - ٤٥٧، الحاشیة)

ثم إن سورة الفاتحة نفسها ترسم لنا ذلك الإله الذي يقدمه القرآن الكريم للناس ويطالبهم بالإيمان به. فقد ذكرت الفاتحة بالترتيب أربع صفات الله التي تسمى أمهات الصفات. وكما أن الفاتحة هي أم الكتاب كذلك فإن صفات الله المذكورة فيها هي أمهات الصفات، وهي: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وبالتدبر في هذه الصفات الأربع يتراءى للإنسان وجه الله تعالى.

والربوبية فيضها فيض واسع جدا وعام، وفيها إشارة إلى تكفّل الله تعالى بتربية المخلوقات كلها في جميع مراحلها وتكميلها. فكروا كم يصبح أمل الإنسان واسعاً حين يفكر في ربوبية الله تعالى.

أما الرحمانية فتعني أن الله تعالى يهيئ كافة الأسباب الضرورية لبقاء الموجودات بدون أي عمل من عامل. انظروا مثلاً إلى القمر والشمس والهواء والماء وما إلى ذلك، فكيف سخرها الله تعالى لبقاء وجودنا بدون دعاء أو التماس أو عمل منا. أما الرحيمية فتعني أن الله تعالى لا يضيع عمل عامل.

أما صفة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فمن مقتضاها أن يجعلنا من الناجحين. فلو اجتهد الطالب من أجل الامتحان كثيراً ومع ذلك نقصت بضع علامات من أجل النجاح، فإن النظام الديني سيعلن فشله غير آبهٍ باجتهاده الشديد، ولكن رحيمية الله تعالى ستستره وتعلن نجاحه. فالرحيمية فيها نوع من الستر أيضاً.

إن إله المسيحيين ليس ستاراً على الإطلاق، وإلا فما الحاجة إلى الفداء والكفارة؟ كذلك فإن إله الآريين الهندوس ليس ربّاً ولا رحماناً، إذ لا يقدر على أن يهب شيئاً بدون عمل ومقابل. وليس هذا فحسب، بل إن إقرار الذنب ضروري بحسب مبدأ الفيدا على ما يبدو. فمثلاً لو أُريدَ إعطاء المرء حليب بقرةٍ جزاءً على عمله لاستلزم ذلك - بحسب روايتهم إن كانت صحيحة - أن تزي امرأة من فرقة البراهمة، فتتحول إلى بقرة عبر عملية التناسخ جراء فاحشتها وفسقها، لتسقي هذا الإنسان حليباً وإن كان زوجها. باختصار، يستحيل لعامل أن ينال جزاء عمله من كنوز إله

الفيدا ما لم تُرتكب هذه السلسلة من الأفعال، لأن نظام إله الفيذا كله قائم على هذا النمط.

أما الإسلام فقد قدّم ذلك الإله الذي يستحقّ المحامد كلها، ومن أجل ذلك فهو المعطي الحقيقي. وهو الرحمن يُنعم بدون عملٍ عامل. ثم إن "مالك يوم الدين" يجعل الإنسان ناجحاً كما قلت آنفاً. الحكومات الدنيوية لا تضمن أبداً إعطاءً وظيفة لكلّ حائز على شهادة البكالوريوس مثلاً، ولكن حكومة الله كاملة وتملك الكنوز التي لا نفاذ لها، ولا عوز عند الله تعالى، فيكتب النجاح لكل عامل، كما يستر بعض ما فيه من نقاط ضعف ونقائص إزاء حسناته وخيراته. وإنه تعالى توّاب وحييّ أيضاً، فهو يعلم الآلاف من عيوب عباده ولكنه لا يكشفها. غير أنه يأتي وقت حين يصبح المرء جريئاً ويتمادى في سيئاته باستمرار، ولا يستفيد من حياء الله وستره، بل يتقوى فيه عرق الإلحاد، وعندها لا تطيق غيره الله أن يترك هذا المتجاسر الوقح بدون عقاب، فيلقى الخزي والهوان. كان حضرة المولوي عبد الله الغزنوي تلقى بشأن محمد حسين وحيّاً يشير إلى عيب فيه، فطلب منه محمد حسين أن يخبره بذلك، فقال: إن حياء الله يمنعني من ذلك. كما أن حضرة الغزنوي كان رأى في الرؤيا أن ثياب محمد حسين قد تمزقت، وقد تحققت هذه الرؤيا الآن.

إنما قصدي من هذا البيان أن من خواص الرحيمية الستر أيضاً، ولكن الاستفادة من هذا الستر يقتضي أن يكون هناك عمل من قبل الإنسان، فلو بقي في عمله نقص أو عيب ستره الله تعالى برحيمته.

والفرق بين الرحمانية والرحيمية أن لا دخل للعمل أو الفعل في الرحمانية، أما الرحيمية ففيها دخل للعمل، ولكن يبقى في العمل نوع من الضعف أيضاً، ورحم الله يقتضي ستره. أما مالك يوم الدين فهو الذي يحقق الهدف الحقيقي.

واعلموا جيداً أن هذه الصفات التي هي أمهات الصفات صورةٌ تُرينا وجه الله تعالى روحانياً، إذ يتراءى لنا وجه الله على الفور بالتدبر فيها، وتقفز الروح بنشوة

وتَحَرَّ أَمَامَهُ ساجدة. إذ بدأ هذا الذكر بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وهي صيغة الغائب، ولكن بعد ذكر هذه الصفات الأربع قد تغير هذا الذكر فجأة، لأن هذه الصفات قد قدّمت الله أماننا عياناً، فكان حرياً به وكان من مقتضى الفصاحة أيضاً ألا يظل سبحانه وتعالى غائباً، بل يتحول إلى مخاطب حاضر، ومن أجل ذلك قد تحوّل الكلام هنا إلى المخاطب فقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الحكم، رقم ٢٣، مجلده ٥، عدد ٣١/٨/١٩٠١م ص ١-٢)

"واعلم أن في ترتيب هذه الصفات بلاغة أخرى نريد أن نذكرها لتكتحل من كحل المتبصرين. وهو أن الآيات التي رصّع الله بعدها كلها مقسومة على تلك الصفات برعاية المحاذاة، ووضع بعضها تحت بعض كطبقات السماوات والأرضين. وتفصيله أنه تعالى ذكر أولاً ذاته وصفاته بترتيب يوجد في العالمين. ثم ذكر كل ما يناسب البشرية بترتيب يُشاهد في قانون الله، ومع ذلك جعل كل صفة بشرية تحت صفة إلهية، وجعل لكل صفة إنسانية مشرباً وسُقياً من صفة إلهية تستفيض منها، وأرى التقابل بينهما بترتيب وضعي يوجد في الآيات، فتبارك الله أحسن المرتبين. وتشريجه التام أن الصفات مع اسم الذات خمسة أبجرٍ قد تقدّم ذكرها في صدر السورة.. أعني: (١) الله، (٢) ورب العالمين، (٣) والرحمن، (٤) والرحيم، (٥) ومالك يوم الدين. فجعل الله كمثلاً خمسة من المغتربات مما ذكر من بعد، وقابل الخمسة بالخمسة، وكل واحد من المغتربات يشرب من ماء صفة تُشابهه وتُناوِحه، وتأخذ مما احتوت على معان تسرُّ العارفين.

مثلاً.. أولها بحر اسم الله تعالى، وتغترف منه جملة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ التي حدّته وصارت كالمحاذين. وحقيقة التعبد تعظيم المعبود بالتذلل التام والاحتذاء بمثاله والانصباع بصبغه والخروج من النفس والأنانية كالفانين. وسرّه أن العبد قد خلق كالمرضى والعليل والعطشان، وشفأؤه وتسكين غلّته وإرواء كبده في ماء عبادة الله، فلا يبرأ ولا يرتوي إلا إذا يثني إليه انصبابه، ويُفرط صبابه، ويسعى إليه كالمستسقين.

ولا يُطَهِّر قريحته ولا يلبّد عجاجته ولا يُحَلِّي مُجَاجَتَه إِلَّا ذَكَرُ الله، ألا بذكر الله تطمئن قلوب الذين يعبدون الله ويأتونه مسلمين. ففي آية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إقرار لمعبودية الله الذي هو مستجمع بجميع صفات الكاملية، ولذلك وقعت هذه الجملة تحت جملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فانظر إن كنت من الناظرين.

وثانيها بحر ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وتغترف منها جملة: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فإن العبد إذا سمع أن الله يُرِيّ العالمين كلها، وما من عالم إلا هو مربّيه، ورأى نفسه أمانة بالسوء، فتضرّع واضطرّ والتجأ إلى بابه، وتعلّق بأهدابه، ودخل في مآدبه برعاية آدابه، ليدركه بالربوبية ويُحسن إليه وهو خير المحسنين؛ فإن الربوبية صفة تعطي كلّ شيء خلقه المطلوب لوجوده، ولا يغادره كالناقصين.

وثالثها بحر اسم ﴿الرَّحْمَنِ﴾ وتغترف منه جملة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ليكون العبد من المهتدين المرحومين. فإن الرحمانية تُعطي كلّ ما يحتاج إليه الوجود الذي رُيّي من صفة الربوبية، فهذه الصفة تجعل الأسباب موافقةً للمرحوم. وأثر الربوبية تسوية الوجود وتخليقه كما يليق وينبغي، وأثر هذه الصفة أنها تُكسي ذلك الوجود لباساً يوارى سوائه، وتُهبّ له زينته، وتكحل عينه وتغسل وجهه، وتعطي له فرساً للركوب، وتُريه طرق الفارسين. ومَرَّتبتها بعد الربوبية، وهي تعطي كلّ شيء مطلوب وجوده، وتجعله من الموقّنين.

ورابعها بحر اسم ﴿الرَّحِيمِ﴾ وتغترف منه جملة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ليكون العبد من المنعمين المخصوصين. فإن الرحيمية صفة مُدْنِيّة إلى الإنعامات الخاصة التي لا شريك فيها للمطيعين، وإن كان الإنعام العام محيطاً بكل شيء من الناس إلى الأفاعي والتّنين.

وخامسها بحر ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وتغترف منه جملة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. فإن غضب الله وتركه في الضلالة لا تظهر حقيقته على الناس على وجه الكامل إلا في يوم المجازاة، الذي يُجاليهم الله فيه بغضبه وإنعامه، ويُجالهم

بتذليله وإكرامه، ويُجَلِّي عن نفسه إلى حَدٍّ ما جَلَّى كمثلَه، وتراءى السابقون كُفِرْس مُجَلَّى، وتراءت الجالية بِعِغْهِم الميين. وفيه يعلم الذين كفروا أنهم كانوا موردَ غضب الله وكانوا قوما عمين. ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، ولكن عَمَى هذه الدنيا مَخْفِيٌّ ويتبين في يوم الدين. فالذين أبوا وما تبعوا هَدْي رسولنا ونور كتابنا وكانوا لطواغيتهم متبعين، فسوف يرون غضب الله وتغيُّظ النار وزفيرها، ويرون ظلمتهم وضاللتهم بالأعين، ويجدون أنفسهم كالظالع الأعور، ويدخلون جهنم خالدين فيها، وما كان لهم أحد من الشافعين.

وفي الآية إشارة إلى أن اسم ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ذو الجهتين.. يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء، فاسألوه أن يجعلكم من المهتدين.

هذا ما أردنا من بيان بعض نكات هذه الآية ولطائفها الأدبية التي هي للناظرين كالأيات، وبلاغتها الرائعة المبتكرة المحبزة المحتوية على محاسن الكنايات، مع دُرر حِكْمية ومعارف نادرة من دقائق الإلهيات، فلا تجد نظيرها في الأولين والآخرين. فلا شك أن مُلَحَّ أدبها بارعة، وقَدَمَها على أعلام العلوم فارعة، وهي يصبي قلوب العارفين.

وقد علمت ترتيب خمسة أبحر التي تجري بعضها تلو بعض، فَتَسَلَّمَه وكن من الشاكرين. وأما ترتيب المغترفات فتعرفه بترتيب أبحرهما إن كنت من المغترفين." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، مجلد ٧، ص ١١٦ - ١١٩)

وجدير بالذكر هنا أن هذه الآيات جاءت على طريق اللَّفِّ والنشر المرتب، إذ قيل هنا أولاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أي أن الله تعالى مستجمع للصفات الكاملة، ومتصف بالمحاسن كلها، ومنزه عن العيوب والنقائص جمعاء، وثانياً: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وثالثاً: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ ورابعاً: ﴿الرَّحِيمِ﴾ وخامساً: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، والطلبات الخمسة المذكورة بعد ذلك جاءت كلها منسجمة مع هذه الصفات الخمس تماماً، حيث قيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إزاء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أي يا إلهنا المستجمع للصفات الحميدة كلها

والمنزه عن العيوب كلها، إنما نعبدك أنت وحدك. إن المسلم يعرف ذلك الإله الذي هو متصف بجميع تلك المحاسن التي يتصورها العقل الإنساني، بل إنه تعالى أسمى وأرفع من ذلك أيضاً، إذ الواقع أن عقل الإنسان وفكره لا يقدران على الإحاطة بصفات الله أبداً. فالمسلم يؤمن بهذا الإله المتصف بالصفات الكاملة، أما سائر الأمم فتتعرض عند ذكر إلهها في المجالس للخجل والندم، ويجب أن تحجل.

خذوا الهندوس مثلاً، فإن الإله الذي يؤمنون به ويقولون إن كتابهم "الفيدا" يقدم ذلك الإله، لو ذكروا في مجلس أن إلههم هذا لم يخلق ولا ذرة من الكون ولم يخلق الأرواح أيضاً، فهل يبقى لقائل هذا الكلام مجال للفرار إذا قيل له: ما الحرج إذا مات مثل هذا الإله؟ ذلك أن الأشياء ما دامت قد وجدت بنفسها، وما دامت قائمة بذاتها كما يزعمون، فما الحاجة لحياة هذا الإله من أجل حياتها وبقائها؟ فمثلاً لو أطلق المرء سهماً ثم مات السهم منطلق إلى هدفه، فأى تغير يمكن أن يطرأ على السهم، لأنه بعد انطلاقه ليس بحاجة إلى من أطلقه. كذلك فلو جاز الموت لإله الهندوس في وقت من الأوقات فليس بوسع هندوسي أن يبين لنا الخسارة التي يؤدي إليها موته. ولكن لا يمكننا قول ذلك بحق الله تعالى، لأن لفظ "الله" نفسه يدل على أنه بريء من كل عيب ونقيصة.

وبالمثل يؤمن الآريون بكون الأجسام والأرواح أزلية، أي أنها موجودة منذ الأزل. لو قلنا لهم: أي دليل يمكن أن تقدموه على وجود الإله مع إيمانكم هذا؟ فلو قالوا: إن الإله قام بتركيب الأرواح والذرات بعضها ببعض، لقلنا: ما دمتم تؤمنون بأن الذرات والأرواح أزلية وقائمة بذاتها، فتركيب بعضها ببعض ليس إلا عملاً أدنى، ويمكن أن تتركب بنفسها.

كذلك حين يقول لنا الآريون أن من تعاليمهم أن إلههم يأمرهم في كتابهم "الفيدا" بأن المرأة إذا لم تقدر على الإنجاب من زوجها، فعليها أن تضاجع رجلاً أجنبياً لتنجب الأولاد، فماذا عسى أن يقال عن مثل هذا الإله؟ أو لو قالوا أن

من تعاليمهم بأن الإله لا يعطي النجاة الأبدية أيًا من محبيه الصالحين، بل لا بد له عند القيامة الكبرى من إلقاء الناجين في دورة التناسخ مرة أخرى، أو لو قالوا أن إلههم لا يعطي أحدًا أي شيء فضلًا منه وكرمًا، بل ينال كل إنسان نتائج أعماله فقط، فما الحاجة إلى مثل هذا الإله أصلاً؟ باختصار إن الذي يؤمن بمثل هذا الإله يتعرض لندم شديد.

كذلك عندما يقول المسيحيون بأن إلههم هو يسوع، ثم يقولون أنه ضُرب على أيدي اليهود، وظل يُحتبر على يد الشيطان، ويقاسي آلام الجوع والعطش، وفي النهاية عُلق على الصليب فاشلاً، فهل من عاقل سيرضى بمثل هذا الإله؟ باختصار، إن كل الأمم تتعرض للندم والخجل على هذا النحو عند ذكرهم أهتهم، ولكن المسلم لا يلقي الندم عند ذكره إلهه في أيّ مجلس أبداً، إذ ليست هناك ميزة أو صفة حسنة إلا وتوجد في الإله الذي يؤمن به المسلم، وما من عيب ونقيصة إلا هو منزّه عنها، كما نجده تعالى قد وُصف في سورة الفاتحة بالصفات الحميدة كلها.

باختصار قد ورد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، إزاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. ثم قال الله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ومهمة الربّ التربية والتكميل، كما تربي الأم ولدها وتنظّفه وتزيل عنه كل نوع من النجاسات والشوائب، وترضعه، وتعبّر آخر تساعده. وقد ورد إزاء صفة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قول الله تعالى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ثم وردت صفة ﴿الرَّحْمَنِ﴾. والرحمن من يعطي بفضله دون طلب أو عمل. وعلى سبيل المثال، لو لم تُخلق بهذه البنية التي خُلقنا بها لما استطعنا السجود ولا الركوع، ولذلك قيل مقابل الربوبية: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وكما أن الحديقة لا تنمو بغير الماء، كذلك لو لم يصلنا ماء فيض الله ولطفه لما استطعنا النماء والترقي. تمتصّ الشجرة الماء لأن في جذورها مساماً وثقوباً، ومعلوم في العلوم الطبيعية أن فروع الشجرة تجتذب الماء لأن فيها قوة الجذب، وكذلك تكون في العبودية أيضاً قوة

ال جذب التي تجتذب فيض الله وتمتصّه. باختصار، قد ذُكرت صفة ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مقابل ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ومعناه أنه لو لم تحالفنا رحمانيتك، ولو لم تعطنا هذه القوى والقدرات، فأنتي لنا أن نستفيد من فيضك هذا. (الحكم رقم ٣٣، مجلد ٥، عدد: ١٠/٩/١٩٠١م، ص ٢)

ثم جاء قول الله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مقابل صفة ﴿الرَّحِيمِ﴾، لأن الذي يقوم بهذا الدعاء ينال الفيض من نبع الرحيمية، وكأنه يقول: يا مجيب الدعوات برحمتك الخاصة، أرنا صراط الرسل والصديقين والشهداء والصالحين الذين حازوا منك إنعام أنواع المعارف والحقائق وصنوف الكشوف والإلهامات نتيجة عكوفهم على الدعاء والمجاهدات، وتوصلوا إلى المعرفة التامة بمواصلة الدعاء والتضرع والأعمال الصالحة.

والرحيمية تتضمن مفهوم تدارك النقصان، حيث جاء في الحديث الشريف أنه لولا فضل الله لما نال أحد النجاة. كذلك يتبين من الحديث الشريف أن عائشة رضي الله عنها سألت النبي ﷺ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فوضع يده على رأسه وقال: وَلَا أَنَا.

لقد اعترض المسيحيون الأغبياء على قول النبي ﷺ هذا جراء جهلهم وقصور فهمهم. إنهم لا يفقهون أن النبي ﷺ إنما عبّر بقوله هذا عن كمال عبوديته لله تعالى مما جلب له ربوبية الله. لقد جربنا بأنفسنا مرارا، بل نرى ذلك دائما، أنه حين يبلغ تذللنا وتواضعنا منتهاهما وتذوب روحنا بسبب هذه العبودية والتواضع التام وتصل إلى عتبات الله واهب العطايا، ينزل نورٌ وضياء من فوق، ويخيل لنا كأن ماء نقيا يصل عبر أنبوب إلى أنبوب آخر.

ففي سيرة النبي ﷺ حيثما نجد روحه قد بلغت ذروة التواضع والانكسار في مواطن معينة، كان مؤيدا ومنورا بتأييد روح القدس ونوره بقدر تواضعه وانكساره. كما دلل النبي ﷺ على ذلك بعمله وأسوته. إن نطاق أنواره ﷺ وبركاته واسع جدا

بحيث نرى نماذجها وأظلالها متجلية إلى أبد الآباد، فكل هذه الأفضال والفيوض الإلهية التي تنزل علينا في هذا العصر أيضا إنما تيسر بطاعته واتباعه عليه السلام فقط. وأقول صدقًا وحقًا إن من المحال لأحد أن ينال البرّ الحقيقي ويحظى برضا الله حقًا وينعم بتلك الإنعامات والبركات والمعارف والحقائق والكشوف التي تُنال بعد بلوغ أعلى درجة من تركية النفس، ما لم يتفانَ في اتباع رسول الله عليه السلام. وهذا ما يؤكده كلام الله أيضا إذ قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢). وأنا الدليل العملي والحَيّ على هذا الإعلان الرباني. فاعرفوني من خلال الآيات التي حدّدها القرآن الكريم لأحباء الله تعالى وأوليائه.

باختصار، لقد بلغت أخلاق النبي عليه السلام الذروة حتى لو أمسكت عجوز يده وقف معها وسمع كلامها بإنصات تام، لم يسحب يده ما لم تتركها هي.

ثم ورد قول الله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ إزاء قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ومن اتخذ هذا الدعاء وردًا نال الفيوض من ينبوع ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وهذا الدعاء يعني: أنقذنا يا مالِك يوم الدين من أن نكون مثل اليهود الذين صاروا في الدنيا عرضة لصنوف البلايا كالطاعون وغيره، وهلكوا نتيجة حلول غضبك عليهم، وأخمنّا من أن نُضِلَّ عن سبيل النجاة كما ضلّ النصارى.

لقد سُمّي اليهود هنا مغضوبًا عليهم، لأنّ العذاب حلّ بهم نتيجة سوء أعمالهم، إذ كذبوا أنبياء الله الأطهار وغيرهم من الصادقين وأذوهم أذى شديداً.

وجدير بالانتباه هنا أن الله تعالى قد أمر في الفاتحة باجتناّب صراط اليهود وحتّم هذه السورة على ﴿الضَّالِّينَ﴾، أي أمرنا باجتناّب صراط "الضَّالِّينَ". فما هو السر في ذلك يا ترى؟ إنما السر أنه كان من المقدر أن يأتي على أمة محمد عليه السلام زمان يتمسك فيه من يتبعون منها سنن اليهود بظاهر الأمور وسيحملون الاستعارات محمل الحقيقة، وينبرون لتكذيب المبعوث الإلهي الصادق، كما كذب اليهود عيسى ابن مريم. والمصيبة التي حلت باليهود إنما هي أنهم سخروا من التأويل الذي قدمه

لهم المسيح وقالوا له: إذا كان الله يريد من هذه النبوة أنه لن يأتي إلا مثل إيليا فلماذا لم يصرح بذلك في هذه النبوة نفسها؟ وإن معارضينا اليوم أيضا يحذون حذوهم ويتبعون خطاهم تماما، إذ لم يألوا جهدا في تكذبي وإيدائي حتى أفتوا بقتلي، وأرادوا بشتى الحيل والمكر إهانتي وإجاحتي، ولولا الحكومة البريطانية في هذه البلاد بفضل من الله تعالى لأثلجوا صدورهم بقتلي منذ مدة طويلة. ولكن الله تعالى أخفقهم في كل ما أرادوا، وحقق وعده لي: "والله يعصمك من الناس".

باختصار، إن فئة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ المذكورة في هذا الدعاء تشير إلى حالة تلك الفئة من المسلمين الذين سيعارضون المسيح الموعود.

أما كلمة ﴿الضَّالِّينَ﴾ فهي إشارة إلى زمن بعثة المسيح الموعود حيث تبلغ فيه الفتنة الصليبية منتهاها، والجماعة التي يقيمها الله تعالى عندها هي جماعة المسيح، ومن أجل ذلك قد سَمَّى الله المسيح الموعود في الأحاديث على لسان نبيه ﷺ "كاسِرَ الصليب"، لأن كل مجدد إنما يأتي لإصلاح الفتن الموجودة في عصره. فبالله عليكم ألا يكشف عليكم التدبر أنه قد استُخدم في هذه الأيام القلم واللسان لتأييد النجاة الصليبية بحماس شديد بحيث لو أنكم تصفحتم تاريخ العالم كله فلن تجدوا نظيرا لهذا الحماس الشديد في تأييد الباطل في أيّ زمن خلا. وما دامت عبارات حماة الفتنة الصليبية قد بلغت منتهاها، وصار التوحيد الحقيقي وعقّة النبي ﷺ وشرفه وصدقه وكونُ كتابه من عند الله تعالى هدفا للظلم والاعتداء، أفلم يكن من مقتضى غيرة الله أن يُنزل كاسِرَ الصليب الموعود في هذا الوقت؟ هل نسي الله وعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠)؟ اعلّموا يقينا أن وعود الله صادقة تماما، وقد أرسل نذيرا في الدنيا وفق وعده، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله حتما، ويُظهر صدقه بصولٍ قويٍّ شديدٍ صول بعد صول. الحق والحق أقول لكم لقد جئكم مسيحا موعودا بحسب وعد الله تعالى، فاقبلوني إن شئتم، أو ارفضوني إن شئتم. (الحكم، رقم ٣٤، مجلد ٥، عدد: ١٧/٩/١٩٠١م ص ١ - ٢)

إن صفات الله العليا أربع وهي أم الصفات وكل صفة منها تقتضي من بشرتنا أمراً ما، وهذه الصفات الأربع هي: الربوبية والرحمانية والرحيمية ومالكية يوم الدين. (١) الربوبية تقتضي لنزول فيوضها العدم المحض أو شبيها بالعدم، وكل أنواع المخلوق تكسب الوجود منها سواء أكانت حيوانات أو غيرها من مخلوقات. (٢) الرحمانية تتطلب لنزول فيضانها العدم فقط، أي ذلك العدم المحض الذي لا يكون معه أي أثر أو ظهور لأي وجود، وهي تتعلق بالحيوانات فقط لا بالأشياء الأخرى.

(٣) الرحيمية تقتضي لنزول فيضانها الإقرار بالفناء والعدم من الكائن ذي العقل، وهي تتعلق بالإنسان فقط.

(٤) مالكية يوم الدين تقتضي لنزول فيضانها الضراعة والإلحاح على شاكلة المتسولين، وتتعلق فقط بالذين يخرون على أعتاب حضرة الأحدية كالمستولين، ويمدون يد السؤال والإفلاس لتلقي الفيض، ويؤمنون بمالكية الله تعالى حاسبين أنفسهم خالي اليدين حقاً.

إن صفة الرحيمية من هذه الصفات الإلهية الأربع التي تعمل في العالم تحتنا على الدعاء، بينما تولّد فينا صفة المالكية الخشوع الحقيقي والخضوع بالإذابة بنار الخوف والقلق، لأن من هذه الصفة يثبت أن الله مالك الجزاء، فليس من حق أحد أن يطلب منه شيئاً بالاستحقاق، وأن المغفرة والنجاة تترتب على فضل محض.

وملخص القول؛ هذه صفات الله الأربع التي تثبت من تعليم القرآن الكريم وتحقيق العقل، ومن جملتها صفة الرحيمية التي تقتضي أن يدعو الإنسان لكي تنزل عليه الفيوض الإلهية. ولقد كتبنا في "البراهين الأحمدية" و"كرامات الصادقين" أيضاً كيف ذكرت هذه الصفات الأربع بصورة لفّ ونشرٍ مرتّب في سورة الفاتحة، وكيف يثبت بإلقاء نظرة على قانون الطبيعة أن هذه الصفات الأربع في سورة الفاتحة، بالترتيب الذي وردت به، توجد في كتاب الله الفعلي؛ أي قانون الطبيعة.

فإنكار الدعاء أو اعتباره عديم الجدوى أو عدم عده دافعا لجذب الفيوض، بمنزلة إنكار الصفة الإلهية الثالثة وهي الرحيمية، وهذا الإنكار في الحقيقة خطوة خفية إلى الإلحاد؛ لأن الرحيمية وحدها صفة يزداد بها اليقين بسائر الصفات الإلهية ويبلغ الكمال. ذلك لأننا حين نتلقى الفيوض الإلهية المترتبة على أدعيتنا وضراعاتنا بواسطة الرحيمية، وتتحلّ كل أنواع المشاكل؛ فإن إيماننا بوجود الله تعالى وقدرته ورحمته وجميع صفاته يبلغ حق اليقين، وندرك - كشهادة العيان - أن الله تعالى في الحقيقة يستحق الحمد والشكر، وأن ربوبيته ورحمانيته وسائر صفاته قويمَةٌ وصحيحة في الحقيقة، إلا أنها تبقى غامضةً دون ثبوت الرحيمية. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، مجلد ١٤، ص ٢٤٢-٢٤٤)

فليتضح الآن أن الله جل شأنه قد وصف هذه الصفات الأربع في سورة الفاتحة بعد "الحمد لله" بأنها أربعة منابع للفيض، وأشار في الآيات التالية لهذه الآيات إلى اكتساب الفيض من كل واحد من هذه منابع في صورة لفّ ونشر مرتب. فالواضح أن من جملة "الحمد لله" إلى "مالك يوم الدين" خمسة أمور مستقلة، (١) الحمد لله (٢) والثاني رب العالمين (٣) والثالث الرحمن (٤) والرابع الرحيم (٥) والخامس مالك يوم الدين. والجمل الخمس التالية تقابلها في صورة لفّ ونشرٍ مرتّب؛ فجملة "إياك نعبد" تقابل "الحمد لله"، لتشير إلى أن كامل الصفات الوحيد الجدير بالحمد هو الذي اسمه "الله"، وجملة "إياك نستعين" تقابل "رب العالمين" لتشير إلى أننا نستنصر من نبع الربوبية الذي هو ينبوع عام جدا. لأن من المستحيل أن نفوز بأي تربية ظاهرا أو باطنا، أو نتمكن من إحداث أيّ تغير طاهر ونتمتع بالخلق الروحاني بدون فيض الربوبية الإلهية. أما جملة "اهدنا الصراط المستقيم" فتقابل "الرحمن"، فالذي يردد "اهدنا الصراط المستقيم" فهو يطلب الفيوض من نبع الرحمن، إذ نيل الهدى ليس حقا لأحد؛ بل تُنال هذه الثروة من الرحمانية الإلهية فقط. أما جملة "صراط الذين أنعمت عليهم" فتقابل "الرحيم"، فالذي يردد "صراط الذين أنعمت عليهم"

فهو يسأل الفيض من نبع الرحيم، لأن ذلك يعني: يا أيها الذي تتقبل الدعاء برحمة خاصة منك سيّرنا على سبيل أولئك الأنبياء والصديقين والشهداء الذين - بانشغالهم في الدعاء والمجاهدات - نالوا منك إنعاماً أنواع المعارف والحقائق والكشوف والإلهامات، وأحرزوا المعرفة التامة بالدوام على الدعاء والضراعة والأعمال الصالحة. وجملة "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" تقع إزاء "مالك يوم الدين"؛ فالذي يردد "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" فهو يطلب الفيض من نبع مالك يوم الدين. ومعنى ذلك: يا مالك يوم الدينونة قنا أن نتعرض مثل اليهود للبلايا في هذا العالم مثل الطاعون وغيره غضبا منك، أو نضلّ عن طريق النجاة كالنصارى، فنستحق العذاب في الآخرة. ففي هذه الآية قد سُمّي النصارى بالضالين لأنه لم ينزل عليهم أيّ عذاب غضبا من الله في هذا العالم وإنما أضاعوا طريق النجاة في الآخرة، وهم جديرون بالمؤاخذة في الآخرة. أما اليهود فقد سُمّوا بالمغضوب عليهم لأن العذابات الكبرى قد حلت عليهم في هذه الحياة الدنيا عقابا على أفعالهم، ومن جملتها عذاب الطاعون، ذلك لأن اليهود لم يكذبوا أنبياء الله المقდسين وعباده الصالحين فحسب بل قد قتلوا كثيرا منهم أو خططوا لقتلهم وظلّوا يؤذونهم كثيرا بكلمات جارحة. لهذا قد ثارت غيرة الله أحيانا وأصابهم بأنواع العذاب، وأحيانا قُتل مئات الألوف من اليهود بعذاب الطاعون، وأحيانا كثيرة قتل ألوف منهم أو أسروا وطرّدوا من البلاد. وباختصار، قد ظلّوا يواجهون الغضب عليهم بعد المسيح ﷺ. فلما كان الله يعلم أن هؤلاء القوم زائعون، فقد حدّثهم في أحيان كثيرة في التوراة من العذاب الدنيوي، فقد ظل غضب الله ينزل عليهم بشكل مخيف هائل، ذلك لأنهم كانوا يؤذون عباد الله الصالحين بأيديهم وألسنتهم، فقد حل عليهم غضب الله في هذا العالم بالذات ليكونوا عبرة للذين يؤذون المبعوثين من الله في زمن ما في المستقبل، أو يؤذون عباده الصالحين عن عمد أو يعدّونهم ويخططون لقتلهم أو إهانتهم. ففي تعليم هذا الدعاء إشارة سرّاً إلى أن يمتنع المسلمون من اتخاذ سيرة اليهود وأخلاقهم، وأنه إذا ظهر

فيهم أي مبعوث إلهي فلا يتسرعوا لإيذائه وإهانتته وتكفيره كاليهود. فحذار أن تكونوا محل غضب الله كاليهود بتكفير الصادق وإصابته بأنواع الأذى وهتك عرضه بالإساءة إليه. لكن من المؤسف أن أفراد هذه الأمة ظلوا يتعتّرون على الدوام، ولم يأخذوا العبرة من قصص اليهود الأشقياء. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، مجلد ١، ٢٥٢-٢٥٤)

يتبين من آيات سورة الفاتحة هذه أن الإله الذي عرّف نفسه باسم "الله" في القرآن الكريم، هو مبدأ جميع الفيوض لكونه رب العالمين، وهو واهب جميع الإنعامات بصفته رحمانا، وهو مجيب جميع الأدعية والجهود النافعة لكونه رحيمًا، وواهب الثمار الأخيرة لجميع المساعي بصفته مالك يوم الدين. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، مجلد ١، ص ٢٤٦، الحاشية)

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي هو مالك يوم المجازاة، ولم يعط هذه القدرة أحدا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٣٧٥-٣٧٦)

"فاعلم أن هذه الصفات عيون لفيوض الله الكاملة النازلة على أهل الأرض والسماء، وكلّ صفة منبعّ لقسم فيضٍ بترتيبٍ أودع الله آثارها في العالم، ليُري توافقَ قوله بفعله وليكون آية للمتفكرين.

فالقسم الأول من أقسام الصفات الفيضانية صفةٌ يسمّيها ربنا "رب العالمين". وهذه الصفة أوسع الصفات في الإفاضة، ولا بد من أن نسمي فيضانها فيضانا أعمّ، لأن صفة الربوبية قد أحاطت الحيوانات وغير الحيوانات، بل أحاطت السماوات والأرضين، وفيضانها أعمّ من كل فيض، ما غادر إنسانا ولا حيوانا ولا شجرا ولا حجرا ولا سماء ولا أرضا بل نزل ماؤه على كل شيء فأحياه، وأحاط بالكائنات كلها ظواهرها وبواطنها، فكلّ شيء صنيعه من الله الذي أعطى كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. واسم ذلك الفيض ربوبية، وبه يبذر الله بذر السعادة

في كل سعيد، وعليه يتوقف استثمار الخيرات وبروز مادة السعادات، وآثار الورع والحزامة والتقاة وكل ما يوجد في الرشيدين. وكل شقي وسعيد، وطيب وخبيث، يأخذ حَظَّهُ كما شاء ربُّه في المرتبة الربوبية، فهذا الفيض يجعل من يشاء إنساناً، ويجعل من يشاء حماراً، ويجعل ما يشاء نُحَّاساً، ويجعل ما يشاء ذهباً، وما كان الله من المسؤولين.

واعلم أن هذا الفيض جارٍ على الاتصال بوجه الكمال، ولو فُرض انقطاعه طرفه عين لفست السماوات والأرض وما فيهن، ولكن أحاط صحيحاً ومريضاً، ويفاعاً وحضيضاً، وشجراً وحجرًا، وكل ما في العالمين.

وقدّم الله هذا الفيض في كتابه وضعاً، لتقدّمه في عالم أسبابه طبعاً، فليس هذا التقديم محدوداً في توشية الكلام، ومحصوراً في رعاية الصفاء التام، بل هي بلاغة حِكْمِيَّة لإراءة النظام، من حيث إنه تعالى جعل أقواله مرآةً لرؤية أفعاله الموجودة في طبقات الأنام، لتطمئن به قلوب العارفين.

والقسم الثاني من الصفات الفيضانية، صفة يسمّيها ربُّنا "الرحمن". ولا بد من أن نسمي فيضانه فيضانا عامّاً ورحمانية، وله مرتبة بعد مرتبة الفيضان الأعمّ، وهو أخصّ من الفيضان الأول، ولا ينتفع منه إلا ذوو الروح من أشياء السماء والأرضين. وإن الله في وقت هذا الفيض لا ينظر الاستحقاق والعمل والشكر، بل يُنزله فضلاً منه على كل ذي روح، إنساناً كان أو حيواناً، مجنوناً كان أو عاقلاً، مؤمناً كان أو كافراً، ويُجّبي كلّ روح من هلكةٍ دانت منها بعد ما كادت تهوي فيها، ويُعطي كلّ شيء خَلْقاً ينفعه، لأن الله جوّاد بالذات وليس بضنين. فكل ما ترى في السماء من الشمس والقمر والنجوم والمطر والهواء، وما ترى في الأرض من الأنهار والأشجار والأثمار، والأدوية النافعة والألبان السائغة، والعسل المصفّى، فكلها من رحمانيته وَعَلَى، لا من عمل العاملين. وإلى هذا الفيضان أشار الله تعالى في قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، وفي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

(الرحمن: ٢ و ٣)، وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الأنبياء: ٤٣) وفي قوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ (الملك: ٢٠)، تذكراً للمتقين. ولو لم يكن هذا الفيضان لما كان لطير أن يطير في الهواء، ولا لحوت أن يتنفس في الماء، ولأباد كلَّ مُعِيل ضَفَفُهُ، وكلَّ ذي قَشَفٍ شَطَفُهُ، وما بقي سبيل لإماطته كما لا يخفى على المستطلعين.

ألا ترى كيف يحيي الله الأرض بعد موتها؟ ويكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى، إن في ذلك لآياتٍ رحمانية للمتدبرين. وجعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا، وجعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناءً، وصوّركم فأحسن صوركم، ورزقكم من الطيبات، فذلكم الرحمن ربكم مُرَبِّي المساكين. والذين كفروا برحمانيته فجعلوا الله عليهم سلطانا مبينا، وما قدروا الله حق قدره وكانوا من الغافلين. ألا يرون إلى الشمس التي تجري من المشرق إلى المغرب؟ أكان خلقها وجريها من عملهم أو من تفضّل الرحمن الذي وسعت رحمانيته الصالحين والظالمين. وكذلك يُنزل الله ماءً في أوقاته، فينشئ به زروعاً وأشجاراً فيها فواكه كثيرة، أفهذه النعماء من عمل عامل أو رحمانية خالصة من الله تعالى الذي نجانا من كل اعتياص المعيشة، وأعطانا سُلماً لكل حاجة نحتاج فيها إلى الارتقاء، وأرشيّة نحتاج إليها للاستسقاء. فسبحان الله الذي أنعم علينا برحمانيته، وما كان لنا من عمل نستحق به، بل خلق نعماءه قبل أن نُخلَق، فانظر.. هل ترى مثله في المنعمين؟

فحاصل الكلام أن الرحمانية رحمة عامة لنوع الإنسان والحيوان، ولكل ذي روح وكل نفس منفوسة، من غير إرادة أجرٍ عملٍ ومن غير لحاظٍ استحقاقٍ عبدٍ بصلاحه وتورّعه في الدين.

والقسم الثالث من الصفات الفيضانية صفة يُسمّيها ربُّنا "الرحيم"، ولا بد من أن نسمّي فيضانها فيضانا خاصا ورحيميةً من الله الكريم للذين يعملون الصالحات

ويشْمَرُونَ ولا يَقْصِرُونَ، ويذكرون ولا يغفلون، ويبصرون ولا يتعامون، ويستعدّون ليوم الرحيل، ويتّقون سخط الربّ الجليل، ويبيتون لرّبهم سُجَّدًا وقيامًا، ويصبحون صائمين. ولا ينسون موتهم ورجوعهم إلى مولاهم الحق، بل يعتبرون بنعيّ يُسمَع، ويرتاعون لِإِلَفٍ يُفْقَد، ويذكرون مناياهم من موت الأحاب، ويهوهم هَيْلُ التراب على الأتراب، فيلتاعون ويتنبهون، ويُريهم اختراُمُ الأحبّة موتَ أنفسهم، فيتوبون إلى الله وهم من الصالحين.

فلعلّك فهمتَ أن هذا الفيضان ينزل من السماء على شريطة العمل والتورّع والسّمة الصالحة والتقوى والإيمان، ولا وجودَ له إلا بعد وجود العقل والفهم، وبعد وجود كتاب الله تعالى وحدوده وأحكامه، وكذلك المحرومون من هذه النعمة لا يستحقّون عتاباً ومؤاخاة من قَبْلِ هذه الشرائط. فظَهَرَ أن الرحيمية تَوَاقُمُ لكتاب الله وتعليمه وتفهمه، فلا يؤخذ أحدٌ قبله، ولا يُدرك أحداً عطبُ القهر إلا بعد ظهور هذه الرحيمية، ولا يُسأل فاسق عن فسقه إلا بعدها. فحُذِّ هذا السرّ مني وهو رُدٌّ على المتنصرين. فإنهم قائلون بلسع الذنب من آدم إلى انقطاع الدنيا، ويقولون إن كل عبد مذنبٌ سواء عليه بلَغُه كتابٌ من الله تعالى وأُعطيَ له عقل سليم أو كان من المعذورين. وزعموا أن الله تعالى لا يغفر أحدًا إلا بعد إيمانه بالمسيح، وزعموا أن أبواب النجاة مغلقة لغيره، ولا سبيل إلى المغفرة بمجرد الأعمال، فإن الله عادل، والعدل يقتضي أن يعذّب من كان مذنباً وكان من المجرمين. فلما حصّص اليأس من أن تُطَهَّرَ النَّاسُ بأعمالهم، أرسلَ إليهم ابنه الطاهر لِيَزِرَ وَزَرَ النَّاسِ على عنقه، ثم يُصَلِّبَ وَيُنَجِّي النَّاسَ من أوزارهم، فجاء الابن وقُتِلَ ونَجَّى النَّصَارَى، فدخلوا في حدائق النجاة فرحين.

هذه عقيدتهم، ولكن من نَقَدَها بعين المعقول وَوَضَعَهَا على معيار التحقيقات، سَلَكَها مسلك الهذيان. وإنّ تعجّب فما تجد أعجب من قولهم هذا. لا يعلمون أن العدل أهمُّ وأوجب من الرحم، فمن ترك المذنب وأخذ

المعصوم ففعل فعلاً ما بقي منه عدل ولا رحم، وما يفعل مثل ذلك إلا الذي هو أضل من المجانين.

ثم إذا كانت المؤاخذات مشروطة بوعده الله تعالى ووعيده فكيف يجوز تعذيب أحد قبل إشاعة قانون الأحكام وتشيينه، وكيف يجوز أخذ الأولين والآخرين عند صدور معصية ما سبقها وعيدٌ عند ارتكابها، وما كان أحد عليها من المطلعين. فالحق أن العدل لا يوجد أثره إلا بعد نزول كتاب الله ووعدده ووعيده وأحكامه وحدوده وشرائطه.

وإضافة العدل الحقيقي إلى الله تعالى باطل لا أصل لها، لأن العدل لا يُتصور إلا بعد تصوّر الحقوق وتسليم وجوبها، وليس لأحد حق على رب العالمين. ألا ترى أن الله سخر كل حيوان للإنسان وأباح دمائها لأدنى ضرورته، فلو كان وجوب العدل حقاً على الله تعالى لما كان له سبيلٌ لإجراء هذه الأحكام، وإلا فكان من الجائرين. ولكن الله يفعل ما يشاء في ملكوته، يُعزّ من يشاء، ويُذلّ من يشاء، ويُحيي من يشاء، ويميت من يشاء، ويرفع من يشاء، ويضع من يشاء. ووجود الحقوق يقتضي خلاف ذلك، بل يجعل يده مغلوله، وأنت ترى أن المشاهدة تُكذّبها، وقد خلق الله مخلوقه على تفاوت المراتب، فبعض مخلوقه أفراسٌ وحمر، وبعضه جمالٌ ونوق، وكلاب وذياب ونمور، وجعل لبعض مخلوقه سمعاً وبصراً، وخلق بعضهم صُمّاً، وجعل بعضهم عمين. فلأيّ حيوان حقٌّ أن يقوم ويخاصم ربّه أنه لم خلقه كذا ولم يخلقه كذا؟

نعم.. كتب الله على نفسه حق العباد بعد إنزال الكتب وتبليغ الوعد والوعيد، وبشّر بجزاء العاملين. فمن تبع كتابه ونبيه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى، ومن عصى ربه وأحكامه وأبى، فسيكون من المعدّبين. فلما كان ملاك الأمر الوعد والوعيد، لا العدل العتيد، الذي كان واجبا على الله الوحيد، انهدم من هذا الأصول المنيف الممرّد الذي بناه النصرارى من أوهامهم. فثبت أن إيجاب العدل

الحقيقي على الله تعالى خيال فاسد ومتاع كاسد، لا يقبله إلا من كان من الجاهلين. ومن هنا نجد أن بناء عقيدة الكفارة على عدل الله بناءً فاسد على فاسد، فتدبّر فيه فإنه يكفيك لكسر صليب النصارى إن كنت من المناظرين.

واسم هذه الصفة في كتاب الله تعالى رحيمية كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٤)، وقال: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٩). فهذا الفيضان لا يتوجه إلا إلى المستحق، ولا يطلب إلا عاملاً، وهذا هو الفرق بين الرحمانية والرحيمية، والقرآن مملو من نظائره، ولكن كفاك هذا القدر إن كنت من العاقلين.

القسم الرابع من الفيضان، فيضان نسيمه فيضانا أخصّ ومظهرًا تامًا للمالكية، وهو أكبر الفيوض وأعلاها، وأرفعها وأتمها وأكملها ومُنْتَهَاهَا، وثمرة أشجار العالمين، ولا يظهر إلا بعد هدم عمارات هذا العالم الحقيق الصغير ودروس أطلاله وآثاره، وشحوب سحنته ونضوب ماء وجنته، وأقول نجمه كالمغربين. وهو عالم لطيف دقّت أسرار، وكثرت أنواره، يحارّ فيها فهم المتفكرين.

وإن قلت لم قال الله تعالى في هذا المقام: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وما قال: عادل يوم الدين؟ فاعلم أن السر في ذلك أن العدل لا يتحقق إلا بعد تحقّق الحقوق، وليس لأحد من حق على الله رب العالمين. ونجاة الآخرة موهبة من الله تعالى للذين آمنوا به وسارعوا إلى امتهاله وتقبّل أحكامه وعبادته ومعرفته بسرعة معجبة، كأنهم كانوا في نجاء حركاتهم ومسائح غدواتهم وروحاتهم ممتطين على هوجاء شبلّة، ونوق مُشْمَعَلّة، وإن لم يُتِمَّوا أمر الإطاعة، وما عبدوا حق العبادة، وما عرفوا حق المعرفة، ولكن كانوا عليها حريصين. وكذلك الذين عصوا ربهم، وإن لم تبلغ شقوقهم مداها، ولكن كانوا إليها مسارعين، وكانوا يعملون السيئات ويزيدون في جراتهم وما كانوا من المنتهين. فكلّ يرى ما كان في نيته رحمة من الله أو قهراً، فمن ناوح مهبّ نسيم الرحمة فسيجد حظاً منها خالداً فيها، ومن قابل صراصر القهر فسيقع في صدماتها.

وما هذا إلا المالكية لا العدل الذي يقتضي الحقوق، فتدبرّ ولا تكن من الغافلين." (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية مجلد ٧، ص ١١٠-١١٦)

"ثم اعلم أن الله تعالى صفات ذاتية ناشئة من اقتضاء ذاته، وعليها مدار العالمين كلها، وهي أربعة: (١) ربوبية (٢) ورحمانية (٣) ورحيمية (٤) ومالكية، كما أشار الله تعالى إليها في هذه السورة وقال: (١) رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ (٣) الرَّحِيمِ (٤) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. فهذه الصفات الذاتية سابقة على كل شيء ومحيطة بكل شيء، ومنها وجود الأشياء واستعدادها، وقابليتها ووصولها إلى كمالاتها. وأما صفة الغضب فليست ذاتية لله تعالى، بل هي ناشئة من عدم قابلية بعض الأعيان للكمال المطلق، وكذلك صفة الإضلال لا يبدو إلا بعد زيغ الضالين.

وأما حصر الصفات المذكورة في الأربع فنظرًا على العالم الذي يوجد فيه آثارها. ألا ترى أن العالم كله يشهد على وجود هذه الصفات بلسان الحال، وقد تجلت هذه الصفات بنحو لا يشك فيها بصيرٌ إلا من كان من قوم عمين. وهذه الصفات أربعٌ إلى انقراض النشأة الدنيوية، ثم تتجلى من تحتها أربع أخرى التي من شأنها أنها لا تظهر إلا في العالم الآخر، وأوّل مطالعها عرشُ الرب الكريم الذي لم يتدنس بوجود غير الله تعالى وصار مظهرًا تامًّا لأنوار رب العالمين، وقوائمه أربع: ربوبية ورحمانية ورحيمية ومالكية يوم الدين. ولا جامع لهذه الأربع على وجه الظليّة إلا عرشُ الله تعالى وقلبُ الإنسان الكامل، وهذه الصفات أمهات لصفات الله كلها، ووقعت كقوائم العرش الذي استوى الله عليه، وفي لفظ الاستواء إشارة إلى هذا الانعكاس على الوجه الأتم الأكمل من الله الذي هو أحسن الخالقين. وتنتهي كل قائمة من العرش إلى ملكٍ هو حاملها، ومدبرٌ أمرها، وموردٌ تجلياتها، وقاسمُها على أهل السماء والأرضين. فهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨)، فإن الملائكة يحملون صفاتٍ فيها حقيقة عرشية. والسر في ذلك أن العرش ليس شيئًا من أشياء الدنيا، بل هو برزخ بين الدنيا والآخرة، ومبدأً قديم

للتجليات الربانية والرحمانية والرحيمية والمالكية لإظهار التفضلات وتكميل الجزاء والدين. وهو داخلٌ في صفات الله تعالى، فإنه كان ذا العرش من قديم، ولم يكن معه شيء، فكُنْ من المتدبرين.

وحقيقة العرش واستواء الله عليه سرٌّ عظيم من أسرار الله تعالى وحكمة بالغة ومعنى روحاني، وسُمِّيَ عرشاً لتفهيم عقول هذا العالم ولتقريب الأمر إلى استعداداتهم، وهو واسطة في وصول الفيض الإلهي والتجلي الرحماني من حضرة الحق إلى الملائكة، ومن الملائكة إلى الرسل. ولا يقدح في وحدته تعالى تكثُرُ قوالب الفيض، بل التكثر ههنا يوجب البركات لبني آدم، ويعينهم على القوة الروحانية، وينصرهم في المجاهدات والرياضات الموجبة لظهور المناسبات التي بينهم وبين ما يصلون إليه من النفوس كنفس العرش والعقول المجردة إلى أن يصلون إلى المبدأ الأول وعلة العلل. ثم إذا أعان السالك الجذبات الإلهية والنسيم الرحمانية، فيقطع كثيراً من حجه، وينجيه من بُعد المقصد وكثرة عقباته وآفاته، وينوره بالنور الإلهي ويدخله في الواصلين. فيكمل له الوصول والشهود مع رؤيته عجائب المنازل والمقامات. ولا شعور لأهل العقل بهذه المعارف والنكات، ولا مدخل للعقل فيه، والاطلاعُ بأمثال هذه المعاني إنما هو من مشكاة النبوة والولاية، وما شئت العقل رائقته، وما كان لعقل أن يضع القدم في هذا الموضع إلا بجذبة من جذبات رب العالمين.

وإذا انفكت الأرواح الطيبة الكاملة من الأبدان، ويتطهرون على وجه الكمال من الأوساخ والأدران، يُعرضون على الله تحت العرش بواسطة الملائكة، فيأخذون بطور جديد حظاً من ربوبيته يغاير ربوبية سابقة، وحظاً من رحمانية مغاير رحمانية أولى، وحظاً من رحيمية ومالكية مغاير ما كان في الدنيا. فهناك تكون ثماني صفات تحملها ثمانية من ملائكة الله بإذن أحسن الخالقين. فإن لكل صفة ملك مُوَكَّلٌ قد خلق لتوزيع تلك الصفة على وجه التدبير ووضعها في محلها، وإليه إشارة في قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ (النازعات: ٦)، فتدبر ولا تَكُنْ من الغافلين.

وزيادة الملائكة الحاملين في الآخرة لزيادة تجليات ربانية ورحمانية ورحيمية ومالكية عند زيادة القوابل، فإن النفوس المطمئنة بعد انقطاعها ورجوعها إلى العالم الثاني والرب الكريم تترقى في استعداداتها، فتتموج الربوبية والرحمانية والرحيمية والمالكية بحسب قابلياتهم واستعداداتهم كما تشهد عليه كشوف العارفين. وإن كنت من الذين أُعطيَ لهم حظٌّ من القرآن، فتجد فيه كثيرا من مثل هذا البيان، فانظر بالنظر الدقيق لتجد شهادة هذا التحقيق، من كتاب الله رب العالمين. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، مجلد ٧، ص ١٢٨ - ١٣١)

"ثم قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ ردُّ لطيف على الدهريين والملحدين والطبيعيين الذين لا يؤمنون بصفات الله المجيد، ويقولون إنه كَعِلَّةٍ موجبة وليس بالمدبر المريد، ولا يوجد فيه إرادة كالمنعمين والمعطين. فكأنه يقول كيف لا تؤمنون برب البرية وتكفرون بربوبيته الإرادية، وهو الذي يُربي العالمين، ويغمر بنواله، ويحفظ السماوات والأرض بقدرته وجلاله، ويعرف من أطاعه ومن عصا، فيغفر المعاصي أو يؤدّب بالعصا، ومن جاءه مطيعاً فله جنتان، وحقّت به فرحتان، فرحة تصيبه من اسم الرحيم، وأخرى من الرحمن القديم، فيُجزى جزاءً أوفى من الله الأعلى، ويُدخل في الفائزين.

ولا شك أن هذه الصفات تجعل الله مستحقاً للعبادة، معطياً من عطايا السعادة، وأما التقديس وحده، كما ذكر في الإنجيل، فلا يُحرّك الروح للعبادة، بل يتركها كالنائم العليل.

وأما سرُّ هذا الترتيب الذي اختاره في الفاتحة ربُّنا المجيد ذو المجد والعزة، وذكر المحامد قبل ذكر الدعاء والعبادة، فاعلم أنه فعل ذلك ليذكر عباده عظمة صفات البارئ ذي المجد والعلاء قبل الدعاء، ويشير إلى أنه هو المولى لا مُنعمٍ إلا هو، ولا راحِمٍ إلا هو، ولا مُجَازِيٍ إلا هو، ومنه يأتي كلُّ ما يأتي العباد من الآلاء والنعماء. وهذا الترتيب أحسنٌ وللروح أنفع، فإنه يُظهرُ على السعيد من الله الرحيم، ويجعله

مستعداً ومقبلاً على حضرة القدير الكريم، ويظهر منه تَمُوجٌ تَأْمٌ في أرواح الطلبة، كما لا يخفى على أهل الدهاء. وأما تخصيص ذكر الربوبية والرحمانية والرحيمية والمالكية في الدنيا والآخرة.. فلأجل أن هذه الصفات الأربعة أمّهات لجميع الصفات المؤثرة المفيضة، ولا شك أنها محرّكات قويّة لقلوب الداعين. " (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، مجلد ٧، ص ١٣٩ - ١٤٠)

"إن العبد إذا تدبّر في صفات جعلها الله مقدّمة لدعاء الفاتحة، وعلم أنها مشتملة على صفات كماله ونعوت جلاله باستيفاء الإحاطة، ومحرّكة لأنواع الشوق والمحبة، وعلم أن ربّه مبدأ لجميع الفيوض، ومنبع لجميع الخيرات، ودافع لجميع الآفات، ومالك لكل أنواع المجازاة، منه يبدأ الخلق وإليه يرجع كل المخلوقات، وهو منزّه عن العيوب والنقائص والسيئات، ومستجمع لسائر صفات الكمال وأنواع الحسنات، فلا شك أنه يحسبه مُنَجِّحَ جميع الحاجات، ومُنْجِيّاً من سائر الموبقات، فيكابذ في ابتغاء مرضاته كلّ المصائب، ولو قُتِلَ بالسّمِّ الصائب، ولا يُعْجِزه الكرب، ولا يدري ما اللغوب، ويجذبه المحبوب، ويعلم أنه هو المطلوب، ويسرّ له استقراء المسالك لتطلّب مرضاة المالك، فيجاهد في سبله ولو صار كاهالك، ولا يخشى هولّ بلاء، وينبri لكل ابتلاء، ولا يبقى له من دون حُجّة الأذكار، ولا تستهويه الأفكار، وينزل من مطيّة الأهواء، ليمتطي أفراس الرضاء، ويضفر أزمّة الابتغاء، ليقطع المسافة النائية لحضرة الكبرياء، ويظلّ أبداً له مُدانيّاً، ولا يجعل له ثانيا من الأحباء، ولا يَعتَوِرُ قلبه بين الشركاء، ويقول يا ربّ تسلّم قلبي، وتكفيني لجذبي وجلي، ولن يُصِيبني حسن الآخرين. هذه نتائج تمهيد دعاء الفاتحة. " (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، مجلد ٧، ص ١٤٣)

ما بيّنه الله تعالى في سورة الفاتحة بدءاً من صفة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يشمل أربعة أنواع للصدق أو أربع حقائق عظيمة بحسب تصريحات القرآن الكريم وأرى من الحكمة بيانها هنا بالتفصيل. ما بيّنه الله تعالى في سورة الفاتحة

الكرامة بدءاً من صفة «رب العالمين» إلى «مالك يوم الدين» يشمل أربع حقائق عظيمة بحسب تصريحات القرآن الكريم وأرى من الحكمة بيانها هنا بالتفصيل.

الحقيقة الأولى هي أن الله رب العالمين، بمعنى أن الله ربُّ كلِّ ما يوجد من الأشياء في العالم ومالكها. وكل ما يوجد في العالم أو ما يُرى أو يُلمس أو يمكن أن يدركه العقل كله مخلوق، ولا وجود حقيقي لأي شيء سوى ذات البارئ تعالى. وباختصار شديد إن العالم بجميع أجزائه خلق الله وَعَلَيْهِ، ليس هناك شيء في أجزاء العالم لم يخلقه الله. وإن الله تعالى متصرف وحاكم بربوبيته التامة على كل ذرة من ذرات العالم، وإن ربوبيته تعمل عملها في كل حين وأن باستمرار. وليس أن الله تعالى خلق العالم ثم انفصل عن نظامه وجلس عاطلاً، وسلّمه إلى قانون الطبيعة ولم يعد يتدخل في أي شيء، ولم تعد بين الخالق الحقيقي والمخلوقات أية علاقة، كما تنقطع العلاقة بين الأداة وصانعها بعد صنعها. بل الحق أنه ربّ العالمين ويسقي العالم كله كل حين وآن بماء ربوبيته التامة، وأن غيث ربوبيته ينزل على العالم كله بالتواتر دون انقطاع. ولا يخلو وقت من رشح فيضه. بل الحق أن هناك حاجة -إلى الله مبدأ الفيض- بعد خلق العالم أيضاً دون أدنى تفاوت وكأنه لم يخلق شيئاً بعد. وكما كانت الدنيا بحاجة إلى ربوبيته من أجل وجودها وظهورها من قبل كذلك لا تزال بحاجة إلى ربوبيته اليوم أيضاً من أجل بقائها وقيامها. وهو الذي يحافظ على الدنيا في كل حين وآن، وكل ذرة من الدنيا نضرة بسببه هو وَعَلَيْهِ، وهو الذي يتولى ربوبية كل شيء بحسب مشيئته وإرادته كيفما يشاء، وليس أن يكون سبباً لربوبية شيء دون إرادته.

فالمراد من هذه الحقيقة المذكورة بحسب الآيات القرآنية التي أخصها هنا هو أن كل ما يوجد في العالم إنما هو مخلوق وبحاجة إلى ربوبية الله تعالى في جميع كمالاته وفي جميع حالاته وجميع أوقاته. وما من كمال روحاني أو مادي يمكن أن يناله مخلوق تلقائياً بدون مشيئة ذلك المتصرف القدير الخاصة. وبحسب توضيح هذا الكلام المقدس هناك معان أخرى أيضاً أخذت بعين الاعتبار في

هذه الحقيقة وغيرها، وهي أن صفة رب العالمين وغيرها التي توجد في الله تعالى خاصة بذات الله وحده لا شريك له، ولا يشاركه فيها أحد، كما ذكر في الجملة الأولى لهذه السورة أي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أن الماحم كلها خاصة بالله تعالى. والحقيقة الثانية هي: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ التي ذكرت بعد ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ومعنى الرحمن كما بينت من قبل أيضاً، هو أن كل ما يوجد في العالم من كائن حي سواء كان من ذوي الشعور أم غيرهم، وسواء كان صالحاً أم طالحاً، فقد هيا الله تعالى ويهيئ دائماً نتيجة رحمته العامة أسباباً مطلوبة كلها لقيامه وبقاء وجوده وبقاء نوعه وتكميله. وهذا عطاء محض لا يتوقف على عمل عامل. والحقيقة الثالثة هي "الرحيم" التي ذكرت بعد "الرحمن"، ومعناه أن الله تعالى يُرَتِّب بمقتضى رحمته الخاصة ثمرات حسنة على سعي كل ساعٍ، فيغفر للتائبين ذنوبهم، ويعطي السائلين، ويفتح للذين يطرقون.

والحقيقة الرابعة المذكورة في سورة الفاتحة هي: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أي أن الله القادر والقدير هو مالك الجزاء الكامل الذي يخلو من كل نوع من الامتحان والابتلاء ومنزه عن شوائب أسباب الغفلة والافتراء، وبريء من كل كدورة وشكٍ وارتياب ونقص، ومظهر للتجليات العظمى. ولا يعجز قط عن إظهار جزائه الكامل والواضح وضح النهار. ويهدف الله تعالى من إظهار هذا الصدق العظيم أن تبين على كل شخص الأمور التالية كحق اليقين.

أولاً: أن الجزاء والعقاب أمر حتمي ويني وينزل من المالك الحقيقي، ويصيب العباد بمشيئة الله الخاصة، ولكن لا يمكن كشفه بوضوح تام في الدنيا لأنه لا يستبين لعامة الناس في الدنيا ما هو السبب وراء كل ما يصيبهم من الخير والشر والراحة والألم، وبأمر من يصيبهم؟ ولا يتناهى لأحد صوت أنه نائل جزاءه، ولا يكشف على أحد بشكل مشهود ومحسوس أن كل ما يمر به إنما هو جزاء أعماله.

ثانيا: قد أريدَ من خلال هذه الحقيقة كشف أن الأسباب العادية ليست شيئا بل الفاعل الحقيقي هو الله وحده. وهو الذات العظيم والوحيد الذي هو مبدأ جميع الفيوض ومالك الجزاء والعقاب كله.

والأمر الثالث الذي أُريدَ بيانه من خلال هذه الحقيقة هو ماهية السعادة العظمى والشقاوة العظمى. أي أن السعادة العظمى هي حالة الفوز العظيم حين يحيط النور والسرور والمتعة والراحة بظاهر الإنسان وباطنه وجسده وروحه ولا يبقى عضو أو قوة خارج نطاقها. أما الشقاوة العظمى فهو عذاب أليم يُضرم في القلوب بسبب المعصية وعدم التطهُّر والبُعد ثم يستولي على الأجساد حتى يبدو الوجود كله في النار والسقر. إن هذه التجليات العظمى لا يمكن أن تتجلى في هذا العالم لأن هذا العالم الضيق والمنقبض والمكدّر والواقع في حالة ناقصة بسبب الاختفاء وراء الأسباب الظاهرية لا يحتمل ظهورها، بل يغلب هذا العالم الابتلاء والفتنة، وإن راحته وألمه مؤقتان وناقضان. وكل ما يصيب الإنسان في هذا العالم يكون محجوبا بحُجب الأسباب، الأمر الذي يؤدي إلى حجب وجه مالك الجزاء وكتمانه لذا لا يمكن أن يكون هذا العالم يوم الجزاء بوجه خالص وكامل ومكشوف بل إن يوم الدين، أي يوم الجزاء الخالص والكامل والمكشوف، هو ذلك العالم الذي سيأتي بعد نهاية هذا العالم، وهو المظهر لتجليات عظمى وهو مكان ظهور الجلال والجمال بوجه أكمل. ولأن هذا العالم الدنيوي ليس دار الجزاء من حيث وضعه الحقيقي بل إنما هو دار الابتلاء لذا فإن ما يصيب الناس من العسر واليسر والراحة والألم والسعادة والحزن في هذا العالم أيضا، لا يدلّ على لطف الله أو غضبه دلالة قاطعة. فمثلا إن غنى أحد من الناس لا يدل بالقطع على أن الله تعالى راض عنه تماما، كذلك إن إفلاس أحد وفقره أيضا لا يدل بالجزم على أن الله ساخط منه. بل كلا هذين الأمرين يشكل ابتلاء ليُبتلى الغني بغناه ويُبتلى الفقير بفقره.

هذه هي الحقائق الأربع التي قد ذكرت في القرآن الكريم ببيان مفصل. وتبين بمطالعة القرآن الكريم أن آيات القرآن الكريم تحري في تفصيلها كبحر زخار. لو فسرْتُ هنا تلك الآيات بالتفصيل لنفدت في ذلك عدة أجزاء من الكتاب، لذا فقد اكتفيتُ في هذا البحث التمهيدي بما قلّ ودلّ من كلمات سورة الفاتحة لأني سأفصلها قريباً بإذن الله تعالى في محلها عند ذكر البراهين القرآنية.

والآن أريد أن أذكر أن هذه الحقائق الأربعة البينة الثبوت وبديهية الصدق إنما هي عديمة النظر وتحتل درجة عليا بحيث يثبت بالأدلة القاطعة أنها كانت قد اختفت من الدنيا في أيام بعثة النبي ﷺ، وما كان على وجه المعمورة قوم ملتزم بها دون شوائب الإفراط والتفريط. ثم نزل القرآن الكريم وأخرج هذا الكلام المقدس تلك الحقائق المفقودة من زاوية الكتمان من جديد وأخبر الضالين عن وجودها الحقيقي، ونشرها في الدنيا ونور عالماً بنورها. ولكن كيف كانت أمم العالم غافلة وجاهلة عن تلك الحقائق! يكفي إثباتاً لذلك دليل واحد أنه لا يوجد في العصر الراهن أيضاً أمة ملتزمة بهذه الحقائق على وجه صحيح وكامل سوى أهل الدين الحق؛ الإسلام. ومن ادّعى بوجود أمة مثلها فعليه تقع مسئولية الإثبات.

وبالإضافة إلى ذلك فإن شهادة القرآن الكريم التي هي حجة على كل مخاصم بسبب انتشارها بين الأصدقاء والأعداء تكفي دليلاً. وتلك الشهادات المذكورة في القرآن الكريم بكثرة في عدة آيات. ولا يجهل مؤرخ وملمٌ بالحقائق أن كل قوم كان قد بلغ من الضلال والغواية قمته في أيام بعثة النبي ﷺ، وما كانوا ثابتين على أيّ صدق بوجه كامل. فلو ألقينا نظرة على حالة اليهود قبل غيرهم لتبين أن شكوكا وشبهات كثيرة كانت تخالجهم في ربوبية الله تعالى التامة، فقد اتخذوا لأنفسهم مئات الأرباب المتفرقة غير مكتفين برب العالمين الواحد. أيّ أن عبادة المخلوق وعبادة الآلهة فيهم كانت على أشدها، كما ذكر الله تعالى حالتهم هذه في القرآن الكريم فقال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١). أي أن اليهود

قد اتخذوا مشايخهم ورهبانهم الذين هم مخلوقون وليسوا آلهة أربابا وقاضي حاجاتهم. وإن معظم اليهود كانوا يعتقدون مثل أتباع مذهب الطبيعة أن نظام الدنيا جارٍ على قوانين ثابتة ومعينة ومنضبطة، وأن الله عَلَّمَ عاجز عن التصرف بالقدرة في هذا القانون، وكأن يديه مغلولتان فلا يقدر على خلق شيء بخلاف هذا القانون ولا يقدر على الإفناء، بل لا تزال آلة العالم تعمل من تلقاء نفسها معتمدة على قوة أجزائها منذ أن لم يمتل العالم بطريقة معينة وتفرغ عن خلق العالم، ولا تصرّف ولا دخل لرب العالمين في عمل تلك الأداة. وليس له الخيار في أن يُظهر ربوبيته على مراتب متفاوتة بحسب رغبته ومشيتته، أو أن يغيّر شيئا بحسب مشيئته. بل يعدّ اليهود الله تعالى كيانا ماديا ومتجسدا ويعدّونه مثل العالم المادي وجزءا منه. وقد ترسخ في ذهنهم الناقص أن كثيرا من الأشياء التي تجوز للمخلوق تجوز لله أيضا، فلا يعتقدون بأنه منزّه من كل الوجوه. وفي توراتهم الحرّفة والمبدّلة أنواع من الإساءات بحق الله تعالى. فقد جاء في سفر التكوين: ٣٢ ما مفاده أن الإله ظل يصارع يعقوب طول الليل ومع ذلك لم يقدر عليه. واتخذوا بعض الرجال أبناء الله بخلاف المبدأ القائل بأن الله ربّ لكل ما في العالم، كما ورد عن النساء في مكان أنهن بنات الله. وجاء في مكان آخر في الكتاب المقدس أنكم جميعا آلهة. صحيح أن المسيحيين قد تعلّموا عبادة المخلوق من هذه التعاليم لأنهم حين علموا أن تعليم الكتاب المقدس يجعل أناسا كثيرين أبناءً وبناتٍ لله تعالى بل يُعُدُّهم آلهة أيضا قالوا في أنفسهم تعالوا نُقحم ابن مريم أيضا فيهم حتى لا يتخلّف عن بقية الأبناء. لذلك قال الله تعالى في القرآن الكريم بأنهم لم يأتوا بشيء جديد عندما عدّوا ابن مريم ابنا لله تعالى بل حذوا حذو الملحدين والمشرّكين الذين سبقوهم.

باختصار، كانت عبادة المخلوق في زمن سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ غالبية على اليهود إلى أقصى الدرجات، وكانوا قد ابتعدوا عن المعتقدات الحقّة أيما بُعد، لدرجة كان بعضهم يعتقدون بالتناسخ أيضا مثل الهندوس، وكان البعض ينكرون الجزاء

والعقاب نهمايا. أما بعضهم الآخرون فكانوا يعتقدون باقتصار الجزاء والعقاب على الدنيا فقط وما كانوا يعتقدون بالقيامة. وحذا آخرون منهم حذو الإغريق فاعتقدوا بأزلية المادة والأرواح وكونها غير مخلوقة. كان البعض يعتقدون بفناء الروح مثل الملحدين وذهب غيرهم إلى أن الله تعالى ليس رب العالمين ومدبر الكون بإرادته.

فزبدة الكلام أن أفكارهم كانت فاسدة كلها فساد جسد المجذوم، فما كانوا يعتقدون بصفات الله الكاملة مثل الربوبية والرحمانية والرحيمية، ومالكية يوم الدين. وما كانوا يعدّون تلك الصفات خاصة به ﷺ وما كانوا يوقنون بوجودها في الله تعالى على وجه كامل. بل تطرق إلى معتقداتهم كثير من الظنون السيئة وأنواع الإلحاد والشوائب. وقد شوّوها صورة تعليم التوراة بشدة متناهية وبدأوا بنشر رائحة كريهة للشرك والسيئة. فكان معظمهم مرشدي المشركين ومن السابقين الأولين في عدّ الله تعالى كيانا متجسدا وعاطلا عن ربوبيته ورحمانيته ورحيميته وغيرها من الصفات، وفي عدّ أشياء أخرى شريكة له ﷻ فيها.

هكذا كانت حالة اليهود، ولكن من المؤسف حقا أن النصارى جعلوا حالهم أسوأ من ذلك في غضون أيام قليلة، فلم يعودوا ثابتين على أيّ من أقسام الحقائق المذكورة آنفا، ونسبوا صفات الله الكاملة كلها إلى ابن مريم. يتلخص دينهم في أن الله تعالى ليس ربّا لجميع ما في العالم، بل المسيح خارج عن ربوبيته بل هو ربّ بحد ذاته. وكل ما خلُق في العالم ليس مخلوقا وحادثا كقاعدة عامة بحسب زعمهم الباطل، بل إن ابن مريم غير مخلوق ويساوي الله تعالى بل ربّ في حد ذاته مع كونه حادثا ومخلوقا في العالم، وفي شخصه العجيب أعجوبة إذ إنه قديم مع كونه حادثا. ومع أنه بحسب إقراره هو تحت إمرة وتصرف ذات واجب الوجود إلا أنه واجب الوجود ومستقل بحد ذاته وليس تحت إمرة أحد. ومع أنه ضعيف وتعوزه القوة بحسب اعترافه هو ولكنه مع ذلك قادر وقدير وليس عاجزا بحسب زعم المسيحيين الباطل. ومع أنه معترف بنفسه أنه يجهل الأمور الغيبية تماما لدرجة لا يدري متى تقوم القيامة

ولكنه يُعَدّ عالم الغيب بحسب عقيدة النصارى الخاطئة. ومع أنه عبد ضعيف بإقراره وبشهادة صحائف الأنبياء ومع ذلك يُعَدّ إلها في نظر النصارى. ومع أنه ليس بارا وبريئا من الذنب كما اعترف بنفسه ولكنه بارٌّ وبريء من الذنب عند النصارى.

باختصار، إن المسيحيين قوم غريبون حقا قد جمعوا الضدَّين وأجازوا التناقض. ومع أن تمسكهم بالمعتقدات المذكورة آنفا يستلزم كذب المسيح ولكنهم مع ذلك لم يتخلوا عنها، وعدّوا عبدا فانيا وحقيرا وعاجزا ربَّ العالمين، وأجازوا لربِّ العالمين كل نوع من الذلة والموت والألم والمعاناة والتجسد والحلول والتغيُّر والتبدُّل والحدوث والتولُّد، فقد اتخذ الأغبياء الله ألعوبة!!

ثم لا يقتصر الأمر على النصارى فقط بل قد اتَّخذ قبلهم كثيرٌ من العباد الضعفاء آلهةً. فهناك من يقول إن "رام تشندر" إله، ويقول الآخر: لا، بل إن ألوهية "كرشنا" أقوى منه. كذلك هناك من يحسب "بوذا" إلها، وهناك من يؤلِّه غيره وهكذا دواليك. فعلى المنوال نفسه حذا هؤلاء السذج في العصر الأخير حذو المشركين الأوائل واتخذوا ابن مريم إلها وابن إله.

فلباب الكلام أن المسيحيين لا يعدّون الله الحقيقي ربَّ العالمين ولا يعدّونه الرحمن ولا الرحيم، ولا يعتقدون بكونه مالك يوم الدين بل السماوات والأرض خالية من وجود الإله الحقيقي بحسب زعمهم، ويعدّون ابن مريم كل شيء. فيزعمون أنه إذا كان هناك ربٌّ فهو ابن مريم، وإذا كان هناك "الرحمن" أو "الرحيم" فليس إلا هو، وإذا كان هناك مالك يوم الدين فليس إلا ابن مريم.

كذلك إن عامة الهندوس والآريين أيضا منحرفون عن هذه الحقائق لأن الآريين منهم لا يؤمنون بالله تعالى خالقا أصلا، ولا يعدّونه ربَّ أرواحهم. أما الوثنيون منهم فلا يعدّون صفة الربوبية خاصة برب العالمين، بل يعدّون ثلاثئة وثلاثين مليون إله شريكا لله في الربوبية ويسألونها مراداتهم. فكل من هذين الفريقين ينكر رحمانية الله أيضا، ويعتقدون بحسب تعليم الفيدا أن صفة "الرحمن" لا توجد في الله

مطلقا. وكل ما خلقه الله ﷻ لأهل الدنيا فقد اضطر لخلقهم بسبب أعمالهم الصالحة، وإلا فالإله ليس قادرا على أن يحسن إلى أحد بمحض إرادته بل لم يفعل ذلك قط. كذلك لا يحسبون الله كامل الرحمة لاعتقادهم أنه مهما تاب المذنب توبة نصوحا بصدق القلب وظل عاكفا على التضرع والإلحاح وكسب الأعمال الصالحة إلى سنين طويلة لن يغفر الله له ذنوبه التي صدرت منه ما لم يتحمل عقوبته بولادته مئات آلاف المرات عن طريق التناسخ. فكلما ارتكب أحد ذنبا، ما نفعت التوبة ولا العبادة ولا خشية الله ولا حبه ولا عمل صالح آخر وكأنه مات وهو حيّ ويئس من رحيمية الله تعالى كليا. فإن هؤلاء القوم لا يؤمنون إيمانا كاملا بيوم الجزاء الذي بناء عليه يُعَدُّ الله تعالى مالك يوم الدين. وينكرون أيضا ظهور الأساليب المذكورة آنفا التي بسببها يصل الإنسان سعادته العظمى على وجه كامل أو يواجه شقاوته العظمى على وجه كامل، ويرون النجاة الأخروية أمرا خياليا ومزعوما فقط بل لا يعتقدون بالنجاة الأبدية أصلا. ويقولون بأن الإنسان لن ينال الراحة الدائمة، لا في هذا العالم ولا في ذلك، والدنيا أيضا دار الجزاء الكامل مثل الآخرة بحسب زعمهم الباطل. ويرون أن مَنْ أُعْطِيَ ثروة هائلة في الدنيا فقد أُعْطِيَها نتيجة أعماله الصالحة التي كسبها في حياته السابقة، فهو يستحق أن يُنْفَق تلك الثروة في هذه الدنيا لإشباع أهواء نفسه الأمارّة. ولكن من الواضح تماما أن عدَّ إعطاء الله تعالى أحدا ثروة في هذه الدنيا جزاءً لأعماله في الحقيقة ليجعلها وسيلة للأكل والشرب وإشباع الأهواء من كل نوع غير جائز بكل المعايير وعزّوه إلى الله تعالى إساءة من الدرجة القصوى، لأن ذلك يؤدي إلى استنتاج أن إله الهندوس يتعمّد توريط الناس في الأعمال السيئة والقدرة. وينوي أن يفتح عليهم أبواب الأهواء النفسانية على مصراعيها قبل أن تتطهر نفوسهم. ويوفر لهم جزاءً على أعمالهم الصالحة في حياتهم السابقة كافة أسباب التمتع والرفاهية في الحياة التالية ليتبعوا النفس الأمارّة كلياً فيقعوا فيما تحت الثرى.

والمعلوم أن الذي ترسخت في ذهنه فكرة أن كل ما يملكه من مال وثروة وجاه وحكم إنما هو جزاء أعماله السابقة؛ أفلا يتبع نفسه الأمانة إلى أقصى الحدود يا تُرى؟ ولكن إذا كان يُدرك أن الدنيا ليست دار الجزاء بل هي دار الابتلاء، وكل ما أُعطيَه إنما هو على سبيل الابتلاء لِنُظَر كيف يعمل، وما من شيء هو ملك أو حقُّ له، فسيرى في هذه الحالة نجاته في أن يُنفق جُل ماله في الحسنات وسيشكر أيضا شكرا كثيرا لأنه لا يشكر بالإخلاص والحب من الأعماق إلا الذي يُدرك أن كل ما ناله كان مجانا وقد أُعطي كل شيء بغير استحقاق منه.

باختصار، إن الله ليس ربّ العالمين عند الآريين وليس "الرحمن" ولا "الرحيم"، ولا قادرا على الجزاء الأبدي والدائم والكامل.

والآن أبين ما هو موقف أتباع برهمو سماج تجاه المعارف المذكورة، أي عن الحقائق الأربعة التي ذكرتها آنفا، وهل هم متمسكون بها أم لا؟

فليكن واضحا أنهم ليسوا ثابتين عليها أو متمسكين بها كما يجب، بل ليسوا مطلعين أصلا على مفهوم كامل لتلك المعارف السنيّة. أولا وقبل كل شيء إن كون الله تعالى ربّ العالمين -وهو المراد من الربوبية التامة- لا يزال خافيا عن فهمهم وإدراكهم إلى الآن. ولا يرون أن لربوبية الله تأثيرا على الدنيا أكثر من أنه خلق في وقت من الأوقات هذا العالم كله مع كافة قواه وقدراته، أما الآن فإن تلك القدرات والقوى مسخّرة وتعمل عملها باستمرار، ولا يستطيع الله أن يتصرّف فيها أو يغيّر فيها شيئا أو يبدّل. وأن أساس قوانين الطبيعة المحكم والقويّ قد جعل ذلك القادر القدير عاطلا بحسب زعمهم الباطل، ولم يعد لديه تعالى مجال للتصرف فيها. فمثلا لم يعد تعالى يعرف خطة ليمنع مادة حارة من أن تؤثر حرارتها، أو أن يعيق مادة باردة من أن تؤثر برودتها، أو يمنع تأثير النار للإحراق. وإذا كان يعرف خطة ما فيلى حدودٍ يحيط بها علم الإنسان وليس أكثر من ذلك، بمعنى أن حدود قدرات الله تنتهي على ما كشفه الإنسان من كيفية العالم وخواصه المحدودة وما أحاطته به

تجارب البشر إلى الآن، ولا تعمل قدرته التامة وربوبيته العامة أكثر من ذلك قط. وكأن كل قدراته وجُل حكمه تقتصر على ما كشفه الإنسان؟ والمعلوم أن هذا الاعتقاد ينافي الربوبية التامة والقدرة الكاملة أيما منافاة؛ لأن الربوبية التامة والقدرة الكاملة غير محدودة مثل ذات الله غير المحدود، ولا يمكن لقاعدة أو قانون إنساني أن يحيط به.

نہیں محصور ہر گز راستہ قدرت نمائی کا خدا کی قدرتوں کا حصر دعویٰ ہے خدائی کا

أي: إن طريق إظهار القدرة ليس محدودا، وإن الادعاء بحصر قدرات الله إنما هو ادعاء الألوهية.

فليكن معلوما أن ما كان غير محدود وغير محصور لا يمكن أن يخضع لقانون لأن ما كان ضمن حدود القواعد المعلومة والمفهومة من أوله إلى آخره ولا يخرج جزء منه من هذه السلسلة ولا يكون غير معلوم أو غير مفهوم فيكون ذلك الشيء محدودا. الآن، لو عُدَّت قدرات الله الكاملة وربوبيته التامة منحصرة في قوانين محدودة وثابتة لاستلزم ذلك أن يُعَدَّ محدودا الشيء الذي سبق أن عدَّ غير محدود. فمن خطأ أتباع برهمو سماج الفادح أنهم يريدون أن يُقحموا قدرات الله اللامتناهية وربوبيته في دائرة تجاربهم الضيقة ولا يدرون أن الأمور التي تخضع لقانون ثابت ومحدد تقتضي أن يكون مفهومها محدودا. ولكن الحكم والقدرات الموجودة في ذاتٍ غير محدودة يجب أن تكون غير محدودة كذلك. هل لعادل أن يقول إن الله القادر القدير يعرف عملية الخلق بطريقة كذا وكذا فقط وليس أكثر من ذلك؟ هل يمكن أن تُقاس قدراته غير المتناهية بمقياس بشري أو هل يمكن أن تعجز عن التصرف في العالم حكمه المبنية على القدرة المطلقة وغير المتناهية؟ لا شك أن يده القوية مهيمنة على كل ذرة، وليس قيام مخلوق من المخلوقات وبقاؤه نتيجة خلقه الذاتي المحكم، بل هو بفضله وبركته ﷻ. وهناك مجالات كثيرة لإظهار قدراته الربانية، فلا نهاية لها داخلها ولا حد لها خارجها أيضا. فكما يمكن أن يخلق الله تعالى أسبابا خارجية لإزالة الحرارة من

النار المشتعلة فتزول حدتها، كذلك يمكن أن يخلق الله ﷻ في النار نفسها أسبابا لإزالة صفة الإحراق منها تؤدي إلى اختفاء خاصة الإحراق منها لأنه لا شيء مستحيل أمام حكمه وقدراته غير المتناهية. وحين اعترفنا بأن حكمه وقدراته غير متناهية وجب أن نؤمن أيضا أنه من المستحيل أن نحيط بجميع حكمه وقدراته علما. فلا يمكن أن ننسج لحكمه التي لا حد لها وقدراته قانونا. والشيء الذي لا نعلم حدوده نكون عاجزين عن الإحاطة به علمًا. والمعلوم أننا كدائرة ضيقة وصغيرة جدا من عالم بني آدم، ولا نحيط بهذه الدائرة الضيقة أيضا علما، فمن غباوتنا الشديدة أن نقيس حكم الله تعالى وقدراته غير المحدودة بهذا المقياس الصغير بل الأصغر.

باختصار، إن أتباع برهمو سماج ينكرون ربوبية الله التامة وقدرته الكاملة التي تسقي كل ذرة في كل حين وآن حفاظا على وجودها وبقائها، والتي تخرج أعمالها العميقة عن حدّ العدّ والإحصاء.

وبالإضافة إلى ذلك إن أتباع برهمو سماج لا يعدّون ربوبية الله تامة وكاملة من حيث الروحانية أيضا ويعدّون الله عاجزا وقاصرا عن أن ينزل كلامه المنير الذي لا ريب فيه لهداية الناس بمقتضى ربوبيته التامة. كذلك لا يؤمنون إيمانا كاملا برحمانيته أيضا، لأن المراد من الرحمانية الكاملة هو أنه كما خلق الله تعالى بيد قدرته الخاصة جميع الأسباب لتكميل الأجساد وتربيتها وخلق بيده مئات الأشياء بما فيها الشمس والقمر والهواء والسحاب وغيرها للراحة المادية المؤقتة، كذلك قد أنزل النور الروحاني أي كلامه المقدس والمنير من أجل عاقبة الدنيا، لتكميل الروحاني وللترية الروحانية ولراحة العالم الذي شقاوته وسعادته أبدية. ويكون قد وهب بنفسه كل العلوم التي تحتاج إليها الأرواح المستعدة، ونجّاه من الشكوك والشبهات التي تهددها بالهلاك. ولكن أتباع برهمو سماج لا يعترفون بهذه الرحمانية الكاملة. ويزعمون أن الله تعالى لم يدّخر جهدا في سبيل ملء بطون الناس ولكنه ما استطاع أن يسد حاجاتهم من حيث تربيتهم الروحانية، وهذا يعني أن الله تعالى قد قصّر متعمدا في التربية الروحانية

التي هي التربية الحقيقية والمهمة ولم يخلق لها أسبابا كافية وقوية كما خلق لتربية الأجساد، بل ترك الإنسان وعقله الناقص دون أن يخلق من عنده نورا كاملا لنصرة عقله لتصير بها عين عقله الضباية بصيرةً وتختار طريقا مستقيما وتنجو من مهالك السهو والخطأ.

كذلك لا يؤمن أتباع برهمو سماج إيماننا كاملا برحيمية الله تعالى أيضا لأن المراد من الرحيمية الكاملة هو أن يملأ الله تعالى الأرواح المستعدة بالمعارف الصافية وغير المحجوبة بحسب حماسها الفطري وبقدر إخلاصها المليء بالحماس وبقدر مساعيها المخلصة، ويفتح عليهم أبواب السماء بقدر ما يفتحون قلوبهم، وليعطوا ماء بقدر ما يشتد ظمأهم حتى يرتووا من شراب حق اليقين الطهور وينجوا تماما من موت الشكوك والشبهات. ولكن أتباع برهمو سماج ينكرون هذه الحقيقة ويزعمون أن الإنسان تعيس الحظ لدرجة لا يستطيع أن يحظى بوصال الحبيب الحقيقي مهما اضطرب لذلك ومهما جرت عيونه أنهارا، بل لو صار ترابا من أجل وصال حبيبه لن يصل إلى حبيبه الغالي على قلبه. ويزعمون أنه قاسي القلب قسوة متناهية فلا يرحم طالبيه ولا يُطمئن الباحثين عنه بآياته الخاصة، ولا يعالج المتألمين بتجلياته المدللة بل يتركهم تائهين في أفكارهم ولا يرزقهم معرفة أكثر من أن يتخبطوا في التخمينات من عند أنفسهم فقط فيضيعوا أعمارهم كلها في التخمينات ويموتوا في حالة من الظلمة المستولية عليهم.

ولكن هل صحيح فعلا أن الله قاسي القلب إلى هذا الحد أو فاقد الرحمة وبخيل إلى هذه الدرجة أو ضعيف وعديم الحيلة بحيث يترك الباحثين عنه حيارى ومشدوهين ويغلق بابه على الذين يطرقون ولا يرحم الذين يفرون إليه بصدق، ولا يرحم حالة ضعفهم ولا يأخذ بيدهم بل يدع الطالبين الصادقين ليسقطوا في الهوة ولا يتقدم إليهم خطوات لطفا منه ولا يجعل مدة معاناتهم قصيرة بتجليه الخاص؟ سبحانه وتعالى عما يصفون!

كذلك يجهل أتباع برهمو سماج أن الله "مالك يوم الدين"، لأن حقيقة مالكية يوم الدين هي أن تظهر ملكية الله التامة -التي تتوقف على التجليات العظمى- ويُعطى العبادُ جزاء موفورا بحسب عظمة الملكية التامة. أي يجب أن تظهر ملكية المالك الحقيقي التامة أولا ظهورا كاملا حتى تنزل الأسباب المعروفة كليا ولا يبقى لزيدٍ أو عمر أي دخلٍ في ذلك أبدا بل يتراءى لهم وجود الله المالك الواحد القهار بكل وضوح. وبعد تجلّي هذه المعرفة الكاملة يجب أن يتجلّى الجزاء أيضا بتجلّي كامل أي يكون كاملا من حيث الورد ومن حيث الوجود أيضا. والمراد من حيث الورد هو أن يكون معلوما ومتحققا لكل نائل جزاءٍ أنه جزاءُ أعماله في الحقيقة. وأن يكون متحققا أيضا أن مُعطي الجزاء هو في الحقيقة ذلك الكريم أي رب العالمين وليس غيره. وأن يتحقق كلٌّ من هذين الأمرين بجلاء تام دون أن يبقى للشك أي مجال.

كذلك يجب أن يكون التجلّي كاملا من حيث الوجود أيضا ليحيط بقلب الإنسان وروحه وظاهره وباطنه وجسده ونفسه وبكل قوته الروحانية والمادية إحاطة الدائرة. ويجب أن يكون التجلي مستديما وأبديا لا ينقطع ليصل من سبق في الحسنات إلى سعادته العظمى التي هي ذروة السعادات كلها، ويصل من سبق في السيئات إلى شقاوته العظمى التي هي النقطة الأدنى للشقاوات كلها. لكي ينال كل فريق أعلى درجة مكافأة ممكنة له، أي ينال المكافأة الكاملة والأبدية التي لا يمكن تحقيقها في هذا العالم الفاني والزائل الذي تنتهي كافة آلامه وأسباب راحته بالموت. بل قد حدد المالكُ الحقيقي لظهوره الكامل -ولإظهار لطفه ﷻ الكامل وقهره العظيم أي للتجلي الكامل لصفات جماله ﷻ وجلاله- عالما آخر وهو عالم أبدي لا يزول، لكي تتجلّى صفةُ الله مالك يوم الدين -التي لا يمكن أن تتجلّى على وجه كامل في هذا العالم الضيق والفاني- في ذلك العالم الواسع بالتمام والكمال. ولكي يصل الإنسان بناء على تلك التجليات التامة والكاملة إلى أعلى مرتبة المشاهدة بقدر قدراته البشرية. ولأن المكافأة من الدرجة العليا تنحصر -عند العقل- في أن الأمر الذي يمثّل الجزاء

يجب أن يحيط بظاهر الإنسان وباطنه وجسده وروحه بالتمام والكمال وبصورة دائمة وحتمية، وأن أعلى مرتبة اليقين بوجود المالك الحقيقي تعتمد على أن يقضي ذلك المالك الحقيقي على الأسباب العادية قضاء نهائيا ويتجلى بوضوح تام، لذا فإن الحقيقة القصوى التي أريدت بها المعرفة القصوى والمكافأة القصوى لن تتحقق إلا إذا تحققت جميع الأمور المذكورة آنفا التي يحتوي عليها تعريف المعرفة القصوى، لأنه لا يمكن تحقق المعرفة المتناهية، بحسب العقل إلا إذا كان جمال المالك الحقيقي مشهودا كحق اليقين، أي ينبغي أن يكون ظهوره وبروزه على وجه أتم تماما لا يُتصوّر أكثر منه. وعلى هذا المنوال، إن تحقق أعلى درجة المكافأة أيضا مستحيل عند العقل إلا إذا كان الجسد والروح مورد إنعام أو محل عقاب معا عند المكافأة كما كانا مطيعين أو عاصيين وتمردين معا في الحياة الدنيا، وأن يحيط بحر المكافأة الكاملة الزخار إحاطة تامة بالظاهر والباطن على حد سواء.

لكن أتباع برهمو سماج ينكرون هذه الحقيقة أيضا بل إن هذه الحقيقة القصوى غير متحققة الوجود أصلا بحسب رأيهم. ولم يُكتب في نصيب الإنسان بحسب زعمهم نوال المعرفة التامة ولا المكافأة الكاملة، بل ليست المكافأة عندهم إلا فكرة خيالية فقط مبنية على أفكار المرء الشخصية والباطلة فحسب، ولن يُصيب العباد جزاء حقيقي من الله ولن يرد عليهم منه عقاب، بل إن أفكار الإنسان التي اخترعها بنفسه هي التي تتسبب في حسن الحال أو سوء الحال، ولن ينزل من الله تعالى أمرٌ ظاهري أو باطني -بمشيئته الخاصة- على العباد الصالحين كنعمة كما لن يحل بالباطنين كعذاب.

إذن، إنهم لا يؤمنون بأن الله تعالى مالك الجزاء والعقاب وهو الذي سينزل بمشيئته الخاصة الراحة والبجوحة على عباده الصالحين ويُنعم عليهم بفيض المتعة الدائمة التي لن يشعر السعداء بلذتها الكاملة باطنيا فقط بل سيشعرون بها بصورة مشهودة ومحسوسة أيضا، ولن تُحرم من متعتها قوة من قوى الإنسانية الظاهرية أو الباطنية

بقدر ما يناسب حالها، وسيشارك الجسد والروح معا في الأمن أو العذاب الأخروي بحسب مقتضى الحال.

باختصار، إن معتقد أتباع برهمو سماج يخالف تماما هذه الحقيقة وينافي مفهومها الكامل أيما منافاة حتى إنهم لعماهم الباطني يجعلون الأسباب المادية للنجاة الأخروية - المذكورة في القرآن الكريم لتكميل السعادة العظمى بحسب القوى الظاهرية - محلّ اعتراض، كذلك يعترضون على الأسباب المادية للعذاب الأخروي بحسب القوى الظاهرية لتكميل الشقاوة العظمى كما هو مذكور في القرآن الكريم. تبّاً للعقل الذي يرى الحقيقة البديهية والكاملة معيبة.

الأسف كل الأسف، لماذا لا يفقه هؤلاء القوم أن الطريق الوحيد لنوال السعادة العظمى أو الشقاوة العظمى هو أن ينزل الله تعالى بعنايته الخاصة أمر المكافأة كاملاً. والمراد من النزول الكامل هو أن تستولي المكافأة على الظاهر والباطن، وألا تبقى قوة ظاهرية أو باطنية لا تحظى بنصيب منها. وهذه هي النقطة النهائية للمكافأة العظيمة التي ذكرها القرآن الكريم باسم الجنة والجحيم بكلمات أخرى. وقد أخبر في كتابه الكامل والمنير أن الجنة والجحيم تشملان كلا النوعين من المكافأة بصورة كاملة، أي المكافأة المادية والروحانية. وقد ورد ذكر كلا هذين النوعين في القرآن الكريم بالتفصيل، إذ قد زاد السعادة العظمى والشقاوة العظمى شرحاً وتفصيلاً. ولكن أتباع برهمو سماج - كما قلت آنفاً - يجهلون تماماً هذه الحقيقة القصوى وغيرها من الحقائق المذكورة آنفاً. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، مجلد ١، ص ٤٥٧ - ٥٢٤، الحاشية رقم ١١)

"ثم إن فيض الربوبية أعم وأكمل وأتم من كل فيض يُصَوَّر في الأفئدة، أو يجري ذكره على الألسنة. ثم بعده فيض عام وقد حُصَّ بالنفوس الحيوانية والإنسانية، وهو فيضُ صفة الرحمانية، وذكره الله بقوله: ﴿الرحمن﴾ وخصّه بذوي الروح من دون الأجسام الجمادية والنباتية.

ثم بعد ذلك فيضٌ خاصٌ وهو فيضُ صفة الرحيمية، ولا ينزل هذا الفيض إلا على النفس التي سعى سعيها لكسب الفيوض المترقبة، ولذلك يختص بالذين آمنوا وأطاعوا ربًّا كريمًا، كما صُرح في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٤)، فثبت بنص القرآن أن الرحيمية مخصوصة بأهل الإيمان، وأما الرحمانية فقد وسعت كلَّ حيوان من الحيوانات، حتى إن الشيطان نال نصيبًا منها بأمر حضرة رب الكائنات. وحاصل الكلام أن الرحيمية تتعلق بفيوضٍ تترتب على الأعمال، ويختص بالمؤمنين من دون الكافرين وأهل الضلال.

ثم بعد الرحيمية فيضٌ آخر وهو فيض الجزاء الأتمّ والمكافاة، وإيصال الصالحين إلى نتيجة الصالحات والحسنات، وإليه أشار عزّ اسمه بقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾. وإنه آخر الفيوض من رب العالمين، وما ذُكر فيضٌ بعده في كتاب الله أعلم العالمين. والفرق في هذا الفيض وفيض الرحيمية، أن الرحيمية تبلّغ السالك إلى مقام هو وسيلة النعمة، وأما فيض المالكية بالمجازاة، فهو يبلّغ السالك إلى النعمة نفسها؟ وإلى منتهى الثمرات وغاية المرادات وأقصى المقصودات. فلا خفاء أن هذا الفيض هو آخر الفيوض من الحضرة الأحدية، وللنشأة الإنسانية كالعلة الغائية، وعليه يتمّ النعم كلها وتستكمل به دائرة المعرفة ودائرة السلسلة. ألا ترى أن سلسلة خلفاء موسى انتهت إلى نُكْتَةِ ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾، فظهر عيسى في آخرها وبُذِلَ الجور والظلم بالعدل والإحسان من غير حرب ومحاربين، كما يُفهم من لفظ الدِّين، فإنه جاء بمعنى الحلم والرفق في لغة العرب وعند أدبائهم أجمعين. فاقترضت مماثلةً نبينا بموسى الكليم، ومشابهةً لخلفاء موسى بخلفاء نبينا الكريم أن يظهر في آخر هذه السلسلة رجلٌ يشابهُ المسيح، ويدعو إلى الله بالحلم ويضع الحرب ويُقربُ السيفَ المَجيحَ، فيحشُرُ الناسَ بالآيات من الرحمن، لا بالسيف والسنان، فيشابهُ زمانه زمانَ القيامة ويومَ الدين والنشور، ويملاً الأرض نورًا كما مُلئت بالجور والزور. وقد كتب الله أنه يُري نموذجَ يوم الدين قبل يوم الدين، ويحشر الناس بعد موت التقوى، وذلك وقت

المسيح الموعود وهو زمان هذا المسكين، وإليه أشار في آية ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾، فليتدبر من كان من المتدبرين.

وحاصل الكلام أن في هذه الصفات التي حُصّت بالله ذي الفضل والإحسان، حقيقة مخفية ونبأ مكتومًا من الله المنان، وهو أنه تعالى أراد بذكرها أن يُنبئ رسوله بحقيقة هذه الصفات، فأرى حقيقتها بأنواع التأييدات، فربّي نبّيه وصحابته فأثبت بها أنه رب العالمين. ثم أتمّ عليهم نعماءه برحمانيته من غير عمل العاملين، فأثبت بها أنه أرحم الراحمين. ثم أراهم عند عملهم برحمة منه أيادي حمايته، وأيدهم بروح منه بعنانيته، ووهب لهم نفوسا مطمئنة، وأنزل عليهم سكينه دائمة. ثم أراد أن يُريهم نموذج ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾، فوهب لهم الملك والخلافة وألحق أعداءهم بالهالكين، وأهلك الكافرين وأزعجهم إزعاجًا، ثم أرى نموذج النشور فأخرج من القبور إخراجًا، فدخلوا في دين الله أفواجًا، وبدروا إليه فرادى وأزواجًا. فرأى الصحابة أمواتًا يُلقون حياةً، ورأوا بعد المخل ماءً ثجاجًا. وسُمّي ذلك الزمان يوم الدين، لأن الحق حصص فيه ودخل في الدين أفواج من الكافرين.

ثم أراد أن يُري نموذج هذه الصفات في آخرين من الأمة، ليكون آخر الملة كمثل أولها في الكيفية، وليتم أمر المشابهة بالأمم السابقة، كما أُشير إليه في هذه السورة، أعني قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فتدبر ألفاظ هذه الآية.

وسُمّي زمان المسيح الموعود يوم الدين، لأنه زمان يحيا فيه الدين، وتُحشّر الناس ليقبلوا باليقين. ولا شك ولا خلاف أنه ربّي زماننا هذا بأنواع التربية، وأرانا كثيرًا من فيوض الرحمانية والرحيمية، كما أرى السابقين من الأنبياء والرسل وأرباب الولاية والخلّة، وبقيت الصفة الرابعة من هذه الصفات، أعني التجلي الذي يظهر في حلة ملكٍ أو مَلِكٍ في يوم الدين للمجازاة، فجعله للمسيح الموعود كالمعجزات، وجعله حَكَمًا ومَظْهَرًا للحكومة السماوية بتأييد من الغيب والآيات. وستعلم عند تفسير ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هذه الحقيقة، وما قلّت من عند نفسي بل أُعطيّت من لدن ربي

هذه النكات الدقيقة، ومن تدبرها حق التدبر وفكر في هذه الآيات، علم أن الله أخبر فيها عن المسيح ومن زمنه الذي هو زمن البركات.

ثم اعلم أن هذه الآيات قد وقعت كحدِّ مُعرِّفٍ لله خالق الكائنات، وإن كان الله تعالى ذاته عن التحديدات. ومن هذا التعليم والإفادة يتضح معنى كلمة الشهادة، التي هي مناط الإيمان والسعادة. وبهذه الصفات استحقَّ الله الطاعة وحُصَّ بالعبادة، فإنه يُنزل هذه الفيوض بالإرادة. فإنك إذا قلت "لا إله إلا الله"، فمعناه عند ذوي الحصة، أن العبادة لا يجوز لأحدٍ من المعبودين أو المعبودات، إلا لذاتٍ غيرٍ مُدرَكةٍ مستجمعةٍ لهذه الصفات، أعني الرحمانية والرحيمية اللتين هما أولُ شرطٍ لموجودٍ مستحقٍّ للعبادات.

ثم اعلم أن الله اسمٌ جامد لا تُدرِك حقيقته لأنه اسم الذات، والذات ليست من المدركات، وكلُّ ما يقال في معناه فهو من قبيل الأباطيل والخزعيلات، فإن كُنَّه الباري أرفع من الخيالات، وأبعد من القياسات. وإذا قلت "محمدٌ رسول الله"، فمعناه أن محمدًا مظهرُ صفات هذه الذات وخليفَتُها في الكمالات، ومُتمِّم دائرة الظليَّة وخاتمُ الرسالات.

فحاصلُ ما أبصُرُ وأرى أن نبيِّنا خيرَ الوَرَى، قد ورث صفتي ربِّنا الأعلى. ثم ورث الصحابة الحقيقة المحمدية الجلالية كما عرفت فيما مضى، وقد سُلِّمَ سيفُهم في قطع دابر المشركين، ولهم ذكرٌ لا يُنسى عند عبدة المخلوقين. وإنهم أدَّوا حقَّ صفة المحمدية، وأذاقوا كثيرا من الأيدي الحربية. وبقيت بعد ذلك صفة الأحمدية، التي مصبَّعة بالألوان الجمالية، مُحَرَّقة بالنيران المحيية، فورثها المسيح الذي بُعث في زمن انقطاع الأسباب وتكسُّر المِلَّة من الأنبياء، وفقدان الأنصار والأحباب، وغلبة الأعداء وصول الأحزاب، ليُري الله نموذج ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بعد ليالي الظلام، وبعد انهدام قوَّة الإسلام وسطوة السلاطين، وبعد كون المِلَّة كالمستضعفين. فالיום صار ديننا كالغرباء، وما بقيت له سلطنة إلا في السماء، وما عرفه أهل الأرض فقاموا عليه كالأعداء.

فَأُرْسِلَ عند هذا الضعف وذهاب الشوكة عبْدٌ من العباد، ليتعَهّد زمانًا ماحِلًا تعهّد العِهاد. وذلك هو المسيح الموعود الذي جاء عند ضعف الإسلام، لِئُرِيَ الله نموذج الحشر والبعث والقيام ونموذج يوم الدين، إنعامًا منه بعد موت الناس كالإنعام. فاعلم أن هذا اليوم يوم الدين، وستعرف صدقنا ولو بعد حين.

وههنا نكتة كشفية ليست من المسموع، فاسمع مُصغيًا وعليك بالمودوع، وهو أنه تعالى ما اختار لنفسه ههنا أربعة من الصفات، إلا لِئُرِيَ نموذجها في هذه الدنيا قبل الممات، فأشار في قوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ﴾ (القصص: ٧١) إلى أن هذا النموذج يُعطى لصدر الإسلام، ثم لآخرين من الأمة الداخرة. وكذلك قال في مقام آخر وهو أصدق القائلين: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٤٠ و ٤١). فقسم زمان الهداية والعون والنصرة، إلى زمان نبينا ﷺ وإلى الزمان الآخر الذي هو زمانُ مسيح هذه الملة. وكذلك قال: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤)، فأشار إلى المسيح الموعود وجماعته والذين اتبعوهم. فثبت بنصوص بيّنة من القرآن، أن هذه الصفات قد ظهرت في زمن نبينا ثم تظهر في آخر الزمان، وهو زمانٌ يكثر فيه الفسق والفساد، ويقلّ الصلاح والسداد، ويُجاح الإسلام كما تُجاح الدوحة، ويصير الإسلام كسليم لدغته الحية، ويصير المسلمون كأنهم الميتة، ويُداس الدين تحت الدوائر الهائلة والنوازل النازلة السائلة. وكذلك ترون في هذا الزمان، وتشاهدون أنواع الفسق والكفر والشرك والطغيان، وترون كيف كثر المفسدون، وقلّ المصلحون المواسون، وحنّ للشرعية أن تُعدم، وأنّ للملة أن تُكَمّ، وهذا بلاءٌ قد دَهَمَ، وعناءٌ قد هَجَمَ، وشَرٌّ قد نَجَمَ، ونازٌ أحرقت العرب والعجم. ومع ذلك ليس وقتنا وقت الجهاد، ولا زمن المَهْفات الحِداد، ولا أوان ضرب الأعناق والتقرين في الأصفاد، ولا زمان قَوْدِ أهل الضلال في السلاسل والأغلال، وإجراء أحكام القتل والاغتيال. فإن الوقت وقت غلبة الكافرين وإقبالهم، وضربت الذلة على المسلمين بأعمالهم. وكيف الجهاد ولا يُمنع

أَحَدٌ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَلَا الْحَجَّ وَالزَّكَاةَ، وَلَا مِنَ الْعَقَّةِ وَالتَّقَاةِ، وَمَا سَلَ كَافِرٌ سَيْفًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، لِيَرْتَدُّوا أَوْ يَجْعَلَهُمْ عِضِينَ، فَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ يُسَلَ الْحُسَامُ بِالْحُسَامِ، وَالْأَقْلَامُ بِالْأَقْلَامِ. وَإِنَّا لَا نَبْكِي عَلَى جِرَاحَاتِ السَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَإِنَّمَا نَبْكِي عَلَى أَكَاذِيبِ اللِّسَانِ، فَبِالْأَكَاذِيبِ كُذِّبَتْ صَحْفُ اللَّهِ وَأُخْفِيَ أَسْرَارُهَا، وَصِيلَ عَلَى عِمَارَةِ الْمَلَّةِ وَهَدَمَ دَارُهَا، فَصَارَتْ كَمَدِينَةٍ تُقْضَى أَسْوَارُهَا، أَوْ حَدِيقَةٍ أُحْرِقَ أَشْجَارُهَا، أَوْ بَسْتَانٍ أَتْلَفَ زَهْرُهَا وَثَمَارُهَا وَسُقِطَ أَنْوَارُهَا، أَوْ بَلَدَةٍ طَيِّبَةٍ غِيضَ أَثْمَارُهَا، أَوْ قُصُورٍ مَشِيدَةٍ عُقِيَ آثَارُهَا، وَمَزَقَها المَمْرُقُونَ، وَقِيلَ مَاتَتْ وَنَعَى النَّاعُونَ، وَطُبِعَتْ أَخْبَارُهَا وَأَشَاعَتْهَا الْمَشِيعُونَ. وَلِكُلِّ كَمَالٍ زَوَالٌ، وَلِكُلِّ تَرَعُّعٍ اضمحلال، كَمَا تَرَى أَنَّ السَّيْلَ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْجَبَلِ الرَّاسِي وَقَفَ، وَاللَّيْلَ إِذَا بَلَغَ الصُّبْحَ الْمَسِيرَ انْكَشَفَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَعَسَ * وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير: ١٨ و ١٩)، فَجَعَلَ تَنَفُّسَ الصُّبْحِ كَأَمْرٍ لَازِمٍ بَعْدَ كَمَالِ ظِلْمَاتِ اللَّيْلِ. وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾ (هود: ٤٥)، جُعِلَ كَمَالُ السَّيْلِ دَلِيلَ زَوَالِ السَّيْلِ. فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ أَيَّامَهُمُ الْأُولَى، وَأَنْ يُرِيَهُمْ أَنَّهُ رُبُّهُمْ وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ وَمَالِكُ يَوْمٍ فِيهِ يُجْزَى، وَيُيَعَّثُ فِيهِ الْمَوْتَى. وَإِنَّكُمْ تَرُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ الْمَتَّانِ وَرَحْمَانِيَّتَهُ لِلْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ، الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَبْدَانِ، وَتَرُونَ أَنَّهُ كَيْفَ خَلَقَ أَسْبَابًا جَدِيدَةً، وَوَسَائِلَ مَفِيدَةً، وَصَنَائِعَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا فِيمَا مَضَى، وَعَجَائِبَ لَمْ يَوْجَدْ مِثْلُهَا فِي الْقُرُونِ الْأُولَى، وَتَرُونَ تَجَدُّدًا فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَسَافِرِ وَالنَّزِيلِ وَالْمَقِيمِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالصَّحِيحِ وَالْعَلِيلِ، وَالْمَحَارِبِ وَالْمُصَالِحِ وَالْمُقِيلِ، وَالْإِقَامَةَ وَالرَّحِيلَ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ النِّعَمِ وَالْعِرَاقِيلِ، كَأَنَّ الدُّنْيَا بُدِّلَتْ كُلُّ التَّبْدِيلِ. فَلَا شَكَّ أَنَّهَا رُبُوبِيَّةٌ عَظْمَى، وَرَحْمَانِيَّةٌ كَبْرَى. وَكَذَلِكَ تَرَى الرُّبُوبِيَّةَ وَالرَّحْمَانِيَّةَ وَالرَّحِيمِيَّةَ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ، وَقَدْ يُبَيِّنُ كُلُّ أَمْرٍ لَطِبَاءَ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ، وَيُبَيِّنُ أَمْرُ التَّبْلِيغِ وَأَمْرُ إِشَاعَةِ الْعُلُومِ الرُّوحَانِيَّةِ. وَأُنْزِلَتْ الْآيَاتُ لِكُلِّ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَيَتَّبِعِي السَّكِينَةَ مِنَ الْحَضَرَةِ، وَانْكَسَفَ الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ فِي رَمَضَانَ وَعُطِّلَتِ الْعِشَارُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا إِلَّا بِالْندَرَةِ، وَسَوْفَ تَرَى

المركب الجديد في سبيل مكة والمدينة. وأُيِّدَ العالمون والطالبون بكثرة الكتب وأنواع أسباب المعرفة، وعُمِرَ المساجد، وحُفِظَ الساجد، وفُتِحَ أبواب الأمن والتبليغ والدعوة، وما هو إلا فيض الرحيمية. فوجب علينا أن نشهد أنها وسائل لا يوجد نظيرها في القرون الأولى، وأنه توفيق وتيسير ما سمع نظيره أُذُنٌ وما رأى مثله بصرٌ، فانظر إلى رحيمية ربنا الأعلى. ومن رحيميته أننا قدَرنا على أن نطبع كتب ديننا في أيام، ما كان من قبل في وَسع الأولين أن يكتبوها في أعوام، وأننا نقدر على أن نطلع على أخبار أقصى الأرض في ساعات^١، وما قدر عليه السابقون إلا لشِقِّ الأنفس وبذل الجهد إلى سنوات. وقد فُتِحَ علينا في كل خير أبواب الربوبية والرحمانية والرحيمية، وكثرت طرُقُها حتى خرج إحصاؤها من الطاقة البشرية. وأين تيسر هذا للسابقين من أهل التبليغ والدعوة؟ وإن الأرض زلزلت لنا زلزلاً، فأخرجت أثقالاً، وفُجِّرَت الأنهار، وسُجِّرَت البحار، وجُدِّدَت المراكب وعُطِّلَت العِشار. وإن السابقين ما رأوا كمثل ما رأينا من النعماء، وفي كل قدم نعمة وقد خرجت من الإحصاء. ومع ذلك كثرت موت القلوب وقساوة الأفئدة، كأن الناس كلهم ماتوا ولم يبق فيهم روح المعرفة، إلا قليل الذي هو كالمعدوم من الندرة.

وإننا فهمنا مما ذكرنا من ظهور الصفات وتجلي الربوبية والرحمانية والرحيمية كمثل الآيات، ثم من كثرة الأموات وموت الناس من سُم الضلالات، أن يوم الحشر والنشر قريب بل على الباب، كما هو ظاهر من ظهور العلامات والأسباب، فإن الربوبية والرحمانية والرحيمية تتوَجَّهت كتموَّج البحار، وظهرت وتواترت وجرت كالأنهار. فلا شك أن وقت الحشر والنشور قد أتى، وقد مضت هذه السُنَّة في صحابة خير الورى. ولا شك أن هذا اليوم يوم الدين، ويوم الحشر ويوم مالكية رب السماء وظهور آثارها على قلوب أهل الأرضين. ولا شك أن اليوم يوم المسيح الحكيم من الله أحكم الحاكمين، وأنه حشر بعد هلاك الناس وقد مضى نموذج في زمن عيسى

^١ الحاشية: كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزال: ٥). منه.

وزمن خاتم النبيين، فتدبر ولا تكن من الغافلين." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، مجلد ١٨، ص ١٤٠-١٦٤)

قد استهل القرآن الكريم سورة الفاتحة بأسماء الله تعالى، وقال: "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم"، فما السر في ذلك؟ الجواب أن الله تعالى أتبع هذا الأسلوب الواقع لأن بعض الأمم كانت تنكر وجود الله وصفاته الرب الرحمن الرحيم مالك يوم الدين.

اعلموا أن الذي لا يأخذ بيده كلمات القرآن وفقراته التي طابعتها طابع القانون، فإنه لا يقدر القرآن حق قدره. (الحكم المجلد ٤، رقم ٤٠، عدد: ١٠/١١/١٩٠٠م ص ٤) لقد ذكرت في سورة الفاتحة صفات الله الأربع التالية: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، ومالك يوم الدين، وإن هذه الصفات تتجلى في هذا العالم بوجه عام، إلا أنها تتضمن في الواقع نبوءات لا ينتبه لها إلا قليل من الناس.

وبيانها أن النبي ﷺ قد قدم للناس نموذجًا لتلك الصفات الأربع كلها، إذ يستحيل فهم أي حقيقة من دون نموذج ومثال.

أما وكيف تجلت صفة رب العالمين في شخص النبي ﷺ، فبيانه أنه ﷺ قد ترقى في غاية الضعف. لم يكن هناك كتاب ولا مدرسة يمكن أن يطوّر فيها قواه الروحانية والدينية، ولم تتح له الفرصة للقاء قوم مثقفين قط، كما لم يجد الفرصة حتى لدراسة سطحية وعادية أيضا، ولم يتسّر له الحصول على علوم الفلسفة الدقيقة. ومع ذلك انظروا كيف أعطى النبي ﷺ نعمة عظيمة كالقرآن الكريم الذي لا قيمة لأي علم آخر أمام علومه السامية الحقّة. فكل من قرأ القرآن الكريم بشيء من الفهم والتدبر أدرك أن جميع فلسفات العالم وعلومه لا تساوي أمام القرآن شيئا، وأن كل الحكماء والفلاسفة قد تأخروا عنه جدا. (الحكم المجلد ٤، رقم ١٤، عدد: ١٧/٤/١٩٠٠ ص ٣)

كان النبي ﷺ مظهرا لصفات الله الأربع كلها الواردة في سورة الفاتحة. فمثلا الصفة الأولى هي ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وكان النبي ﷺ مظهرا لها أيضا حيث قال الله ﷻ في حقه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨) فكما كان "رب

العالمين" يقتضي الربوبية العامة كانت فيوض النبي ﷺ وبركاته وهداياته وتبليغه تشمل الدنيا بأسرها والعالمين كلهم.

والصفة الثانية هي ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فكان النبي ﷺ مظهرًا كاملاً لهذه الصفة أيضاً، فليس لفيوضه وبركاته أي أجر أو بدل، كما ورد ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ (الفرقان: ٥٨). ثم كان مظهرًا للرحيمية أيضاً، فالجهود التي بذلها حضرته وأصحابه من أجل الإسلام، والمشاق التي تحملوها خلال تلك الخدمات لم تضع، بل قد وُهب لها أجر، وقد سُمي النبي ﷺ نفسه في القرآن الكريم رحيمًا. ثم كان حضرته مظهرًا لمالكية يوم الدين أيضاً، إذ قد تجلت هذه الصفة كاملاً في يوم فتح مكة، فلم تتجل هذه الصفات الأربع التي تسمى "أُمُّ الصفات" كاملة على أي نبي آخر. (الحكم، رقم ٢٩، مجلد ٧، عدد: ١٠/٨/١٩٠٣ م ص ٢٠)

إن مظهرَ "الحمد لله" قد تجلّى من خلال ظهورين لرسول الله ﷺ، وهما: "محمد" و"أحمد". كما أن النبي الكامل ﷺ، بعد بيان صفات الله الأربع هذه، قد عمل بها في حق الصحابة أيضاً. وهذا يعني أن الله تعالى يريد إضفاء صفاته هذه على الإنسان على سبيل الظلية، لأن الفناء في الله لا يعني إلا أن يأتي الإنسان تحت رداء صفات الله تعالى.

فانظروا الآن كيف طبق النبي ﷺ هذه الصفات الأربع في حياة الصحابة بعمله. عند بعثة رسول الله ﷺ كان أهل مكة كطفل رضيع محتاج إلى اللبن، أي كانوا محتاجين إلى الربوبية. كانوا يعيشون كالوحوش والسباع، فربّاهم النبي ﷺ كما تربي الأم وليدها بإرضاعه لبنها.

ثم أظلمهم الله بظلمة رحمانيته، فأعطاهم ما لم يكن فيه أدنى دخل لجهدهم، ووهب لهم نعمة القرآن الكريم، وهياً لهم أسوة الرسول ﷺ.

ثم تجلت لهم صفة رحيميته تعالى، إذ كلّل جهودهم بنتائج طيبة، وقبّل منهم إيمانهم، ولم يدعهم يضلّون مثل النصاري، بل وهب لهم الثبات والاستقامة، فمن

بركات السعي والجهد أن الله تعالى يهب صاحبه ثبات الأقدام. وبالفعل لم يرتد أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، بينما ارتد ألوف من أتباع الأنبياء الآخرين. لقد ارتد خمسمئة من أتباع المسيح ﷺ في يوم واحد. والذين كانوا موضع ثقة كبيرة من المسيح فأحدهم ساعد في إلقاء القبض عليه مقابل ثلاثين درهما، أما الثاني منهم فلعن المسيح ثلاث مرات. والحق أن كفاءات الربّي تؤثر على أتباعه، فبقدر ما يكون الربّي قوي التأثير وكامله، تكون تربيته أكثر تأثيرا وأشدّ قوة.

ومن البراهين الدالة على كون نبينا الأكرم ﷺ أكثر الأنبياء كمالاً وأقواهم قوةً قدسيةً أن الذين تربّوا على يده قد بلغوا من الثبات والرسوخ ما جعلهم لا يترددون في أن يقدّوه بأموالهم وأنفسهم على صعيد الواقع. أما المسيح فما أدلّ على كونه أقصرَ باعاً في مجال التربية من أن الجماعة التي أعدها هي التي ساعدت الأعداء على أسره وقتله ولعنّته.

باختصار، كان من تأثير رحيمية النبي ﷺ أن الصحابة تحلّوا بثبوت الأقدام والمثابرة.

ثم تجلّت صفة ﴿مالك يوم الدين﴾ أيضا في حياة الصحابة عملياً حيث جعل الله بينهم وبين غيرهم فرقاناً، وإن ما وهبهم الله من معرفته وحبّه كان جزاءهم في الدنيا. موجز القول قد تجلّت هذه الصفات الأربع في الصحابة أيضا.

وهناك أمر آخر جدير بالتأمل وهو: لا تظنوا أن جماعة الصحابة اقتصرّت فقط على الصحابة الذين خلوا من قبل، كلا بل هناك فئة أخرى ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، وهي أيضا من الصحابة، وهم الذين يكونون مع البروز الأحمدي للنبي ﷺ، حيث قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤)، أي لا تظنوا أن هؤلاء الأولين هم فقط من الصحابة، كلا، بل إن الجماعة التي تكون في زمن المسيح الموعود هي أيضا من الصحابة أنفسهم. فقد اعترف المفسرون بأن هذه الآية تتحدث عن جماعة المسيح الموعود، وكلمة "منهم" تؤكد أن توجههم

الباطني واستفاضتهم ستكون مثل الصحابة تماما. لقد تربي الصحابة على يد النبي ﷺ كما هو ظاهر بين، أما هذه الجماعة فهم أيضا سينالون التربية على يد رسول الله ﷺ في الواقع وإن كان الناس لا يستطيعون رؤية هذه التربية في ظاهر الأمر، ومن أجل ذلك قد سمى علماء السلف كلهم هذه الجماعة صحابةً.

فكما أن هذه الصفات الأربع قد تجلت في الصحابة الأولين، كذلك كان لزاما أن تتجلى أيضا في هذه الجماعة من الصحابة التي هي مصداق لقول الله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الحكم، رقم ٣، مجلد ٥، عدد: ٢٤/١/١٩٠١ م ص ٤)

إن هذه الصفات الأربعة ليست كلاما بحتا بل قد صوّر الله تعالى مشهد العالم كله أن فيه من ينكر صفة خلق الله وفيه من يرفض رحمانيته ومنهم من ينكر الرحيمية ومنهم من يرفض كونه مالك يوم الدين. فإن هذا النوع من التفرقة في الإيمان بصفات الله موجودة بين المذاهب كلها ولكن الإسلام هو الدين الوحيد الذي جمع الصفات الكاملة كلها. فهذه السورة التي تسمى أم الكتاب تُقرأ خمس مرات ليتدبر الناس أن الإسلام دين مبارك جدا وهذا تعليمه. إن إله الإسلام لم يُخلق من بطن امرأة مثل عيسى عليه السلام الذي اتُّخذ إلهًا، وليس بالذي لا يقدر على الخلق وليس بالذي لا يهب النجاة لأنه غير قادر على الخلق بعد ذلك لأن عدد الأرواح محدود وهي موجودة من تلقائها فيعيدنها إلى الدنيا بالتكرار. لذا لو نَجَّاهَا كُلُّهَا فماذا عسى أن يفعل بعد ذلك؟

لقد تَقَرَّرَتْ في الإسلام صفات الله بحيث لو حاول العالم كله إيجاد عيب فيها لما وجدوه قط. ونقول: إذا كان في الله تعالى نقائص عديدة كما يزعم هؤلاء القوم فأنتي له أن يكون قادرا على مراقبة الجميع؟ بل يجب أن توجد في الإله صفات كاملة، وإلا فماذا يمكن أن يتوقع المرء من إله مثله وأي دعاء يمكنه أن يدعو به هذا الإله؟ أما إلهنا فهو متصف بالصفات الكاملة فادعوه ليريكُم الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم... باختصار، لقد علّم الله تعالى ببيان صفاته الأربعة

أن ادعوني: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. هذا الكلام ليس على سبيل القصة فقط بل كان الله تعالى يعلم أن هذا سوف يحدث فقال بأنكم لو فعلتم ذلك لحل بكم أيضا الغضب كما حلّ بالذين خلوا، أي إن لم تبقوا على الصراط المستقيم لحلّ بكم الغضب أيضا. (بدر رقم ١، مجلد ٧، عدد: ١٩٠٨/١/٩ م ص ٦-٧)

إذا أمعن المرء النظر في صفات الله: "الرب، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين" يدرك: ما أعظم الإله. من كان ربّه يملك هذه الصفات هل يمكن أن تخيب آماله ويحرم؟ يفهم من كلمة "الرب" أيضا أن الربوبية تعمل عملها في العالم الآخر أيضا. حيثما بدت الأسباب غير مؤثرة استعينوا بالدعاء (بدر المجلد ٣، رقم ٤٤، ٤٥ عدد: ١١/٢٤ - ١٩٠٤/١٢/٠١ م ص ٣)

إن اسم "الله" جعل موصوفا لكافة الصفات والأفعال الإلهية المذكورة في القرآن الكريم. فمثلا ورد في القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٦)

إن لله أربع صفات وبواسطتها تلاحظ شوكة الربوبية الكاملة، ويتراءى بالكامل وجه ذلك الإله الأزلي والأبدي. فقد بين الله تعالى هذه الصفات الأربع في سورة الفاتحة، وأعطى الناس -ليؤمنوا به معبودا- تعليما للإقرار بكلمات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي يا ربنا المتصف بأربع صفات نعبدك وحدك لأن ربوبيتك محيطة بكل العالمين، ورحمانيتك محيطة بكل العالمين، ورحيميتك محيطة بالعالمين كلها ومالكيتك بيوم الدين أيضا محيطة بالعالمين كلها، ولا شريك لك في حسنك هذا وإحسانك لذا لا نشرك في عبادتك أحدا.

فليكن واضحا الآن أن الله تعالى عدّ في هذه السورة هذه الصفات الأربع مظهرا أتمّ لألوهيته. وقد استنتج من هذا الذكر فقط أن الإله الذي يملك هذه الصفات الأربع هو وحده يستحق العبادة. والحق أن هذه الصفات الأربع كاملة من كل

الوجوه وتحيط بكافة مقتضيات الألوهية وشروطها إحاطة الدائرة لأنها تتضمن ذكر صفات الله الابتدائية، وتشمل الرحمانية والرحيمية في الزمن الأوسط أيضا، ثم ذكرت صفة المجازاة أيضا للزمن الأخير. والحق أنه ليس هناك فعل من أفعال الله تعالى يخرج عن نطاق هذه الصفات الأربع مبدئيا. فهذه الصفات الأربع تُري صورة الله كاملة. إن معنى "استوى على العرش" حقيقةً هو أنه عندما تجلت هذه الصفات الإلهية بعد خلقه العالم، استوى الله على العرش؛ بمعنى أنه لم تبق صفة من صفاته خارج مقتضى الألوهية بل تجلّت الصفات كلها بالتمام والكمال. كما عندما يجلس الملك على عرشه تتجلى شوكته بالكمال. فمن ناحية يصدر الأمر بإعداد أسباب متنوعة لسد الحاجات الملكية، فتتم على جناح السرعة -وهذه هي الربوبية العامة- ومن ناحية ثانية يُغنى الحضور كلهم بالجود والسخاء نتيجة الفيض الملكي دون أي عمل منهم. ومن ناحية ثالثة يُزوّد القائمون بالخدمة بأساليب وأشياء مناسبة لإتمام خدماتهم. ومن ناحية رابعة يُفتح باب الثواب والعقاب، فيضرب عنق أحد ويعتق غيره. فهذه الصفات الأربع تستلزم الاستواء على العرش دائما. فإن تنفيذ الله تعالى هذه الصفات الأربعة في العالم هو المراد من الاستواء على العرش.

أما السؤال: ما معنى حمل أربعة ملائكة العرش؟ فجوابه أن هناك أربعة ملائكة موكلون بهذه الصفات الأربع ويظهرونها في العالم. وتحت إمرتهم تعمل أربعة نجوم تسمى "أرباب النوع الأربعة" وقد سمّيت في الفيدا باسم الآلهة. فهم ينشرون حقيقة هذه الصفات الأربعة في العالم وكأنهم يحملون هذا العرش الروحاني. كان الوثنيون يعتقدون بكل وضوح كما يتبين من الفيدا بأن هذه الصفات الأربع يملكها الآلهة بشكل دائم، لذلك جاء فيه مدحها والثناء عليها بكثرة وطُلب منها تحقيق المراتب. فقد وضّح الله تعالى على سبيل الاستعارة أن هذه الآلهة الأربعة التي يحسبها الوثنيون معبودا لهم ليست مخلدومة بل هي خادمة وتحمل عرش الله تعالى، أي تُظهر كالخدام صفات الله تعالى هذه من خلال مرآتها. والمراد من العرش هو مستلزمات صفات

الاستواء على العرش كما بيّنت من قبل. لقد كتبتُ قبل قليل بأن معنى الرب هو الإله. فقد بدأ القرآن الكريم من سورة جاء فيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي الحمد والثناء كله لله الذي هو إله العالمين كلها. هو وحده رب العالمين ورحمن العالمين ورحيم العالمين ومالك جزاء العالمين، لا يساويه إله قط. ولأن ظاهرة عبادة الآلهة كانت منتشرة على نطاق واسع في زمن نزول القرآن الكريم وكان الإغريق يسمون كل إله "رب النوع"، وكانت كلمة رب النوع معروفة في الهند كاسم الإله لذا توجه كلام الله تعالى أولاً وقبل كل شيء إلى تلك الآلهة الزائفة فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي هو إله العالمين كافة وليس إله عالم واحد أو عالمين اثنين فقط لذا يجب عبادته وحمده والثناء عليه وحده. والحمد والثناء على غيره خطأ. وبذلك جمع الله تعالى في نفسه كل الصفات التي جعلها الوثنيون خاصة بالآلهة الأربعة وعدّ نفسه وحده منبع تلك الصفات. كان الوثنيون يعتقدون أيضاً منذ قديم الزمان أن صفات الله المبدئية أي تلك التي هي أصل الصفات كلها هي أربع فقط، أي الخلق والتزويد بأسباب مناسبة، ثم نصرّة العالمين لتقدمهم، ثم الجزاء في الآخرة. فكانوا ينسبون هذه الصفات الأربع إلى أربعة آلهة. فبناء على ذلك اتخذ قوم نوح أيضاً أربعة آلهة. ومن منطلق هذه الصفات كان الوثنيون العرب أيضاً قد اتخذوا أربعة آلهة هي اللات ومناة والعزى وهبل. وكانوا يزعمون أن هذه الآلهة الأربعة تقوم بعملية التربية في العالم كل بحسب أسلوبها وهي شفيعتهم وهي التي توصلهم إلى الله تعالى. هذا ما يتبين من الآية: ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٤).

وكما قلْتُ من قبل بأن الفيدا أيضاً يدعو إلى المدح والثناء على هذه الآلهة الأربعة. مع أن الفيدا يذكر آلهة أخرى أيضاً ولكن الآلهة المبدئية التي وُلدت منها كل الآلهة، أو قولوا إن شئتم بأنها فروعها، هي أربعة فقط لأن المهمات أيضاً، أربع. فهدف القرآن الكريم الأول هو أن يقضي على آلهة الفيدا وآلهة الأديان الأخرى كلها ويبين أنها من أخطاء الناس إذ اتخذوا أشياء أخرى آلهة أي أرباب

النوع. وليبين أيضا أن هذه الصفات الأربع خاصة بالله تعالى. وتلك الآلهة التي لا حياة فيها تحمل كالخدام عرش هذه الصفات الأربع. نعم ما قال قائل ما معناه: "الحمد يليق بك وحدك، أيّ باب يذهب المرء إليه فهو بابك."

إذًا، هذا الاعتراض الذي يثيره الآريون دائما إنما يقع على فيداهم في الحقيقة، لأن المسلمين يعبدون الإله الذي هو معبود حقيقي، ولكن الآريين يعتبرون الآلهة الزائفة التي تحمل على رؤوسها عرش صفات الله الأربع كالخدام إلهها. بل هي خادمة الخدام لأن هناك قوى أخرى مسيطرة عليها، وهي الملائكة الذين يُبقون قوة تلك الآلهة قائمة. ومنهم من يسمّى في مصطلح الشرع جبريل ومنهم من يسمى ميكائيل وغيره يُدعى عزرائيل وآخر إسرافيل. إن أتباع ديانة "سناتن" يعتقدون بالملائكة من هذا النوع أيضا ويسمونها "جَم". (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، مجلد ١٩، ٤٥٥-٤٦٠ الحاشية)

نبينا ﷺ مظهر لصفات الله

لقد أردتُ في تفسير سورة الفاتحة -التي تسمى أم الكتاب والسبع المثاني والتي هي رسم للقرآن الكريم وخلاصته- أن أثبت للناس أنه توجد في شخص النبي ﷺ نماذج عملية لصفات الله الأربع المذكورة في هذه السورة، وأن الله تعالى قد قدم في شخص الرسول ﷺ نموذج هذه الصفات الأربع، كأنما تلك الصفات هي دعوى، وشخص الرسول ﷺ هو الدليل عليها. فانظروا الآن كيف دلل الله بكل روعة على صفة ربوبيته من خلال شخص النبي ﷺ، حيث قام بتربية هذا الإنسان الذي ظل في براري مكة تائها حيران لا يهتدي سبيلا لعشر سنوات تربية رائعة، فمتى كان ليخطر ببال أحد عندها أن دين الإسلام سوف ينتشر في جميع أنحاء الأرض بحيث يبلغ عدد أتباعه ٩٠٠ مليون؟ أما اليوم فليس هناك قطر من أقطار المعمورة إلا ويوجد فيه المسلمون.

ثم انظروا إلى روعة ما تحققت صفة الله الرحمن الذي معناه من يهئ للإنسان أسباب نجاحه وحاجاته من دون عمل منه! فيا لها من رحمانية الله للنبي ﷺ، حيث

زود الناس بالكفاءات اللازمة قبل بعثته. كان عمر يحب اللهو واللعب كالصبيان، أما أبو بكر فوُلد في بيوت الكافرين، وهكذا كان حال كثير من الصحابة الذين لحقوا بالرسول ﷺ. وكأن رحمانية الله أعدت هؤلاء القوم سلفاً من أجله ﷺ. لقد كان ظهور رحمانية الله بحق الإسلام بصور شتى كثيرة ليس بوسعنا بيانها مفصلة. الأُمّية تتطلب الرحمانية، وقد قال الله تعالى في نبينا ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾ (الجمعة: ٣). ومفهوم الرحمانية يتضح جلياً من المثل القائل: ”کردے کرا دے اور اٹھانے والا ساتھ دے۔“

أي: اُنْجَزْ لَنَا وَأُمِّرِ الْآخِرِينَ بِإِنجَازِهِ، وابعث معنا مَنْ يحمل عَنَّا أيضاً. ولقد حصل هكذا فور ظهور الإسلام، وكأنما الإسلام طفلٌ في حضن الله تعالى. فكان الله هو المتولي لإصلاح أمره كله، والكافل لحاجاته كلها، وليس لمخلوق منّة في عنقه.

ثم هناك صفة الله الرحيم، وهو الذي لا يضيع جهود أحد. والمفهوم المخالف له أن يظل الإنسان يجتهد، وتضيع جهوده، ويظل فاشلاً. فانظروا الآن كيف تجلت صفة الرحيم بكل جلاء من أجل الرسول ﷺ. فما من معركة إلا وانتصر فيها، وعمل قليلاً وأُجِرَ كثيراً، وقد لمعت انتصاراته لمعان البرق. تصفّحوا كتب فتوحات الشام وفتوحات مصر، فلن تجدوا في التاريخ إنساناً أحرز الانتصارات حقاً كما أحرزها رسولنا ﷺ.

نجاح الصحابة في الدنيا

ثم هناك صفة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أي أنه مالكُ يوم الجزاء والعقاب، بمعنى أن يُعطى صاحب العمل الصالح جزاءه. لا جرم أن هذه الصفة الإلهية ستتجلى تجلياً كاملاً في الآخرة، وأن كل الأمم تقول بالجزاء والعقاب في الآخرة، ولكن الله تعالى قد جعل للإسلام نموذجاً لظهور هذه الصفة في الدنيا أيضاً. فهذا هو أبو بكر ﷺ الذي خرج في حرّ الظهيرة تاركاً وراءه بيته وماله ومتاعه، وقال وهو ينظر إلى ماله وعقاره: فليدمّر فليدمّر، ثم رافق النبي ﷺ منقطعاً عن الجميع، فنال من ثمرة جزائه أن

صار أول خلفاء النبي ﷺ بلا فصل. أما عمر رضي الله عنه صاحب القلب الفياض بالصدق والإخلاص، فنال من ثمره جزائه أن صار بعده الخليفة الثاني للنبي ﷺ.

باختصار، قد نال كل واحد من الصحابة كلَّ العز والإكرام، ووقعت في أيديهم أموال قيصر وكسرى وأميراتهما غنيمة. ورد أنّ صحابيا ذهب إلى بلاط كسرى، فوضع هنالك الخدم الكراسي الذهبية إظهارا لشوكتهم وعظمتهم، فقال الصحابي: لن يفتننا هذا المال، فقد وعدنا بأن أسورة كسرى نفسها ستقع في أيدينا. وبالفعل فقد ألبس سيدنا عمر أحد الصحابة أسورة كسرى تحقيقاً لتلك النبوءة.

صراطُ الإسلام المعتدلُ

إن الإسلام هو دين الاعتدال، فآتانا الله تعالى هذا التعليم، وأمرنا باجتناّب صراط المغضوب عليهم والضالين. والمسلم الصادق لا يكون من المغضوب عليهم، ولا من زمرة الضالين. والمغضوب عليهم هم قوم ثار عليهم غضب الله. كانوا يثيرون غضباً، فجلبوا عليهم غضب الله. وهم اليهود. والمراد من الضالين النصارى.

والغضب ينشأ من القوة السَّبعية، والضلالة تنشأ من القوة الوهمية، والقوة الوهمية تنشأ من الحب المفرط. من يُفْرِط في الحب يَضِلُّ، كما قيل: "حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ". والحب المفرط منشؤه هو القوة الوهمية، حيث يظن المصاب بالوهم الرداء ثوراً والجلل حيةً، ولذلك نجد أنه ما من شاعر إلا وقد فضّل معشوقه على الجميع، وألبس كلّ وهمٍ نشأ عنده صورةً جديدة.

أما القوة البهيمية فهي إذا هاجت في الإنسان أخرجته عن جادة الاعتدال. ترون أنّ الوحش إذا غضب ازداد ثورةً وهياجاً، فالكلب مثلاً ينبح في أول الأمر نباحاً ضئيلاً، ثم يقيم الدار ويقعدها بنباحه الشديد. والوحوش الضارية إذا ثارت نهشت الفريسة ومزقتها إرباً وأكلتها.

كان اليهود أيضاً سلكوا سبل السوء ظلماً وعدواناً، وتجاوزوا في غضبهم الحدود كلها، فصاروا بأنفسهم مغضوباً عليهم في نهاية المطاف.

القوة الوهمية عندما تسيطر على الإنسان فإنه يجعل الحبل حيةً والشجرة فيلاً، دونما دليل. وتوجد هذه القوة عند النساء أكثر، ولذلك فإنهن العماد الأكبر للديانة النصرانية وعبادة الأوثان. باختصار، لقد أمر الإسلام بالسير في جادة الاعتدال، وهو ما يسمى الصراط المستقيم. (الحكم، مجلد ٤، رقم ١٤، عدد: ١٧/٤/١٩٠٠م، ص ٧-٨)

سورة الفاتحة تدحض الآريين وأتباع ديانة سناتن

لقد ذكرت كل المعتقدات إشارةً في سورة الفاتحة التي تُقرأ في كل ركعة من الصلوات الخمس، كما قال ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي جميع المحامد تليق بالله الذي خلق العالمين كلها. ﴿الرَّحْمَنُ﴾ هو الخالق بغير الأعمال، ويهب دون أي مقابل من الأعمال. ﴿الرَّحِيمُ﴾ أي معطي ثمار الأعمال ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي مالك يوم الجزاء والعقاب، ففي هذه الصفات الأربعة بيان لأديان العالم كله.

بعض الناس ينكرون كون الله خالق العالمين كلها، ويقولون أن "جيو" أي الأرواح و"برمانو" أي الذرات موجودة من تلقاء نفسها، وكما أن البرميشور موجود منذ القدم تلقائياً، كذلك هي أيضاً من تلقاء نفسها، وأن الأرواح وجميع قواها والخواص والمزايا التي سُجلت في سجلات كثيرة، هي من تلقاء نفسها. ورغم أنها تتمتع بقوة الاتصال والانفصال تلقائياً، فهي بحاجة إلى برميشور لربطها. باختصار، قد أشار الله إلى هذه الفئة في قوله "رب العالمين".

والفرقة الثانية هي ما أشير إليها في كلمة "الرحمن"، وهي فرقة "سناتن"، فمع أنهم يؤمنون بأن كل شيء قد صدر من برميشور نفسه، لكنهم يقولون أن لا فضل لله في شيء، وإنما هو يهب ثمار الأعمال، حتى أن الذي خُلق رجلاً فبأعماله، وكذلك إذا كانت هناك امرأة فبنتيجة أعمالها. وإذا وُجدت الأشياء المهمة من الحيوانات والنباتات وغيرها فهي أيضاً نتيجة أعمالها. باختصار، إن هؤلاء ينكرون صفة الله الرحمن، فالله الذي خلق الأرض والشمس والقمر والنجوم وغيرها، وخلق الهواء لتنفس، ونسمع صوت بعضنا بعضاً، وخلق الشمس والقمر وغيرها من الأشياء

للضوء، وخلقها في زمن لم يكن للمتفلسين أي أثر فيه؛ فهل يمكن أن يقول أحد إن كل هذه الأشياء خُلقت بسبب أعمالنا فقط؟ فهل يمكن لأحد أن يتباهى بأعماله، وهل يمكن أن يدَّعي أحد أن الشمس والقمر والنجوم والهواء قد خُلقت ببركة أعمالنا؟ باختصار، إن صفة الله الرحمن تردُّ على الذين لا يؤمنون بأن الله يرزق دون مقابل، أي دون جهودنا وأعمالنا.

بعده بيان صفة الله الرحيم، أي الذي يُظهر النتائج للجهود والمسااعي، والأعمال الحسنة.

هذه الصفة تردُّ على الفرقة التي تعدُّ الأعمال لاغية وعبثًا أصلاً، فيقولون ما الصلاة وما الصيام؟ إذا أنزل الله الغفور الرحيم فضله فسوف ندخل الجنة وإلا فجهنم. وأحياناً ينطق هؤلاء بعبارات من قبيل: هل سنصبح أولياء بالعبادة! إذا أنجزنا شيئاً فجيد وإن لم نفعل فلا بأس. فالله ﷻ يفند مزاعم هؤلاء بقوله: "الرحيم" ويقول: إن الذي يَجتهد ويتفانى في عشق الله وحبه، يتميز عن الآخرين ويُعدّ من أحبّاء الله. فالله ﷻ يرشد مثل هؤلاء بنفسه...

لقد سمعتم عن هذه الفرق الثلاثة سلفاً؛ فمنها فرقة لا تؤمن بالله ربّاً، وتشرك به كلّ ذرة، وتؤمن بأن الله ﷻ لا يقدر على خلق الأرواح وذرات العالم، وتؤمن بأنها من تلقاء نفسها كما أن الله ﷻ من تلقاء نفسه. ففي "رب العالمين" ردُّ على هذه الفرقة.

الفرقة الثانية تؤمن بأن الله لا يقدر على إعطاء شيء بفضله وكلّ ما وجدناه أو سنجدّه إنما هو نتيجة أعمالنا وهو سيحدث في المستقبل أيضاً، فردّ عليهم بكلمة "الرحمن".

ثم في قول الرحيم ردُّ على الفرقة التي ترى أن لا حاجة للأعمال. وبعد ذكر هذه الفرق الثلاث قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أي مالك يوم الجزاء والعقاب، وفيه ردُّ على الفئة التي لا تؤمن بالدينونة. ففي العالم فرقة تنكر الدينونة، فالذين

لا يؤمنون بأن الله رحيم يمكن أن نصفهم بغير المبالين، أما الذين لا يؤمنون بأن الله مالك يوم الدين فهم ينكرون وجود الله أصلاً. فحين لا يؤمنون بوجود الله فأنى لهم الإيمان بالدينونة.

باختصار، يقول الله ﷻ بعد بيان هذه الصفات الأربع: أيها المسلمون، قولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي ربنا يا صاحب الصفات الأربع، نحن نعبدك وحدك ونطلب العون منك حصراً لإنجاز هذا العمل. وإن ما ورد في الأحاديث أن أربعة من الملائكة يحملون عرش الله، فإنما معناه أيضاً، أن ظهور صفاته الأربع هذه موجود، وإن لم تكن هذه الأربع أو كانت تنقصها واحدة فيلزم النقص في ألوهية الله. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١، عدد: ١٩٠٨/١/٢ م ص ٥-٦)

الآية الأولى في القرآن الكريم تفيد بأن الله ﷻ منزّه من كونه جسماً ومادياً كما يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي إنما الله ﷻ وحده يجدر بكل أنواع الحمد والمدح والثناء. فما هي صفاته؟ ألا هو رب العالمين أي الذي تشمل ريوبيته العالمين كلها. فالبين الآن أن العالم اسمٌ للأشياء التي تدل على الصانع المحدّد لكونها معلومة الحدود. إذ قد اشتقت كلمة العالم من كلمة معلوم الحدود نفسها. فالشيء الذي يكون معلوم الحدود فإما أن يكون جسماً ومادياً، أو حائزاً على طاقة محدودة روحانياً. مثل روح الإنسان وروح الحصان وروح الحمار وغيرها من الأرواح التي تملك قدرات محدودة. فكل هذه تندرج في العالم. والذي خلقها كلّها ويفوقها هو الله ﷻ. الآن يجب التأمل في أن الله ﷻ لم يذكر في هذه الآية فقط أنه منزّه عن الجسم والمادة بل قد أثبت أيضاً أن كل هذه الأشياء - لكونها معلومة الحدود - تقتضي أن يكون لها خالقٌ منزّه من القيود والحدود. والآن يمكن أن يدرك القراء كم قد شوّه التعصب عقول الآريين بحيث لم ينظروا إلى المضمون الذي يستنبط من أولى آيات القرآن الكريم. أمّا ثقافتهم فلا يعرفون ما الذي يقال له العالم، مع أن العالم كلمة يدرك كلّ فيلسوف وحكيم

منها هذه المعاني، وأريدت منها هذه المعاني حصراً في الاصطلاح القرآني من أول القرآن الكريم إلى نهايته. وهذه هي المعاني التي يفهمها جميع المتمسكين بالكتب الإلهامية كلها سوى العميان تماماً. فبهذا الخطأ الفادح افتضح الآريون في نورهم العقلي. (شحنة الحق، الخزائن الروحانية، مجلد ٢، ٣٩٦-٣٩٧)

سورة الفاتحة تدحض الأديان الباطلة

باختصار، قد فند الله ﷻ ببيان صفاته الكاملة في الفاتحة هذه الأديان الباطلة كلها التي كانت سائدة في العالم عموماً.

هذه السورة التي تسمى أم الكتاب إنما تُقرأ في كل ركعة من كل صلاة من الصلوات الخمس لأنها تضم تعليم الإسلام، وهي ملخص القرآن الكريم. فأراد الله ﷻ بذكر صفاته الأربع إظهار مشهده، وأخبر أن الإسلام دين مبارك جداً، وهو يقود ويهدي إلى الإله الذي لم يولد من بطن المرأة على شاكلة إله النصراني، ولا هو كبريميشور الآريين الذي لا يقدر على منح النجاة بأي طريقة. ويقول كذباً: إن الأعمال محدودة، مع أن الحقيقة أنه لا يقدر على التخليص إذ لم يخلق الأرواح، فهي من تلقاء نفسها مثله، ولا يسعّه خلق أرواح أخرى. لذا إدراكاً منه بأنه لو نجّى روحاً للأبد فسيأتي زمن تخرج فيه الأرواح كلها من سيطرته، ومن ثم يتلاشى كل هذا النظام الذي صنعه، لذا يُبقي لها ذنباً واحداً ويستمر في هذه السلسلة.

لكن إله الإسلام قدوس وقادر لدرجة أن لو أراد العالم كله معاً إظهار نقص فيه، فلن يسعهم ذلك، إن إلهنا خالق العالمين كلها، وهو منزّه عن كل عيب ونقص. فالناقص لا يمكن أن يكون إلهاً، وأنى لنا أن ندعوه، ونعقد به آمالاً، فهو نفسه ناقص غير كامل. لكن الإسلام قدم إلهاً قادراً ومنزهاً من كل عيب، فهو الذي يمكن أن ندعوه، ونعقد به آمالاً كبيرة فهو يحققها، ولذلك علّمنا في هذه السورة دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي اهدنا صراط الذين نزلت عليهم أفضالك العظيمة وإنعاماتك. وعلم هذا الدعاء لكي لا نكتفي

بالإيمان فحسب، بل يجب أن نحرز أعمالاً، لكي ننال الإنعامات التي ينالها عباد الله المقربون. (الحكم، رقم ٢، مجلد ١٢، عدد: ١٠٨/١/٦ م ص ٢ - ٣)

الواقع إذا أردنا عدّ هذه النعم لاستحالة علينا إحصاء من الله وألطافه. إن إنعاماته المادية والروحانية تحيط بنا، وكما ورد اسمه ﷺ في سورة الفاتحة التي هي أولى السور - والقرآن الكريم كله شرح وتفسير لها، وهي تُقرأ في الصلوات الخمس مراراً - رب العالمين، أي يتمتع الإنسان في كل حال وفي كل مكان بالحياة والتقدم بربوبيته وحده. وإذا نظرنا بنظرة عميقة، فإن بقاء الحياة الإنسانية في الحقيقة ورفاهيتها وراحتها وسكينتها ترتبط بهذه الصفة الإلهية نفسها. وإن لم يستخدم الله ﷻ صفته الرحمن ورفع من الدنيا ظلّ رحمانيته لهلكت الدنيا. ثم إن الله سمى نفسه في هذه السورة رحماناً ورحيماً، وأود أن أبين الفرق بين صفتي الله الرحمن والرحيم.

الجدير بالتذكر، أن رحمة الله التي تصيب الإنسان دون أي مقابل منه أو دون أي عمل إنساني أو جهد وسعي منه، تسمى رحمانيةً. فمثلاً قد خلق الله نظام الكون، فخلق الشمس والقمر والنجوم والهواء والماء والغلال، وخلق الأدوية لشفاء أمراضنا المختلفة. باختصار، هناك ألوف مؤلفة من الإنعامات من هذا القبيل قد خلقها الله بمحض فضله دون أي عمل لنا أو جهد منا أو سعي. إذا نظر الإنسان بنظرة عميقة، فسوف يجد مئات الألوف من الإنعامات من هذا القبيل، ولن يجد مبرراً للإنكار، ولن يجد بدءاً من الإيمان بأن الإنعامات ووسائل الرحمة الموجودة قبل ولادتنا ليست نتيجة أي عمل لنا.

انظروا إلى هذه الأرض والسماء وجميع ما فيهما، وخلقنا والحالة التي كنا فيها أجنة في بطون أمهاتنا، والقوى التي خلقت في تلك الحالة؛ لم تكن نتيجة أي عمل لنا. هنا لا أريد أن أتكلم عن الذين يؤمنون بالتناسخ، وفي الوقت نفسه لا أستطيع الامتناع عن البيان أيضاً أن إنعامات الله وأفضاله علينا لا حصر لها، ولا يمكن أن نزنّها في أي ميزان، فليخبرني أحدكم: أيُّ عمل يمكن أن يعدل الإنعامات من قبيل

خلق الشمس والقمر والأرض وجميع الأشياء التي نحتاج إليها وهياها الله وخلقها لنا قبل ولادتنا؟

فلن نجد بدا من التسليم بأن الله رحمن، وله مئات الألوف من الأفضال التي تصيبنا بسبب رحانيته فقط، وأن عطايه تلك ليست مقابل أي عمل منا في الماضي. وإنه لمن الجهل وقصور الفهم أن تُعدَّ نتائج أعمال سابقة. إن فضل الله ورحانيته هما لتكميلنا الروحاني والمادي، ولا أحد يستطيع أن يدعي أنهما بسبب أعماله.

هو من يجزي الإنسان على جهده الصادق وسعيه، فالفلاح مثلا حين يجتهد ويسعى بإخلاص فعادة الله مقابله أن يثمر سعيه ولا يضيع جهده، أما الشاذ والنادر ففي حكم المعدوم.

من صفات الله الرب، أي أنه الذي يربي وينمي، فإن الله تعالى هو الذي خلق للإنسان القوى الروحانية والمادية كليهما، فلو لم يكن يملك تلك القوى لما كان له أن يتقدم، فلتتقدم المادي أيضًا يجب أن نحمد الله على فضله وكرمه وإنعامه بأنه وهب لنا تلك القوى، وأودعها القدرة على النمو والتطور.

إن قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. نوع من الدينونة يتحقق في هذا العالم أيضا، فنحن نرى كل يوم أن السارق يمكن ألا يلقي عليه القبض ليوم أو يومين لكنه يأتي يوم يلقي عليه القبض أخيرا ويُسجن حيث يواجه عقوبة أعماله. وهذا هو حال الزناة، والمدمنين على شرب الخمر، والعائشين حياة الإباحية والفسق والفجور، إذ يستترهم الله الستار لأمد محدد، وأخيرا يصابون بأنواع العذابات، ويواجهون الأذى والألم وتصبح حياتهم مُرة، وهذا نموذج لعقاب جهنم في الآخرة. وكذلك الذين ينشطون في إحراز الحسنات ويستجيون لأوامر الله وتكون الطاعة أسمى واجباتهم في الحياة، فالله أيضا لا يضيع حسناتهم، وتثمر حسناتهم في الوقت المحدد، وتهيء لهم في الدنيا مثالا للجنة.

باختصار، إن جميع مرتكبي السيئات والفساق والفجار والمدمنين على الخمر والزناة، يخسرون في هذه الحياة الدنيا صحتهم وعافيتهم وقواهم السامية، ودونك أن يخطر ببالهم اسمُ الله ويوم الدين. ثم يقضون أيام حياتهم بمنتهى الحسرة واليأس، ويموتون قبل الموت بالإصابة بأنواع الأمراض الخطيرة مثل السل والتيفوئيد والجلطة والرعدة، وأخيرا يصبحون فريسة الموت قبل الموعد. (الحكم، رقم ٤١، مجلد ١٢، عدد: ١٤/٧/١٩٠٨ م ص ٢)

لقد قال تعالى في سورة الفاتحة أولاً: "الحمد لله"، ثم بيّن أنه رب العالمين وأنه الرحمن أي يرحم من دون الأعمال. وهو الرحيم أيضاً أي أن رحمته تكفل المجهودات بالثمرات. وهو مالك يوم الدين أي أن المجازاة كلها بيده هو. فتبين من هذه الصفات كلها أن الله العظيم الذي هو الربّ والرحمن والرحيم، هو حاضر وموجود في كل مكان لذا قال أن ادعوا الدعاء التالي: "إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم"، أي أرنا الصراط المقبول لعبادك الذين حظوا بإنعامك وإكرامك والذي بسلوكه يمكننا أن نتيقن من نوال رحمتك، وليس صراطاً لا يترتب السلوك فيه أي فيض أو فضل عندك، بل يجعل الناس مغضوباً عليهم. (الحكم رقم ٣، مجلد ٧، عدد: ٢٤/١/١٩٠٣ م ص ١٢)

فرعان لأوامر الله

للعادة والأوامر الإلهية فرعان، هما التعظيم لأمر الله ومواساة المخلوق. كنت أفكر أن هذه المراتب قد ذكرت في القرآن الكريم بكثرة وبمنتهى الوضوح، لكن كيف صرح بهذين الشقين في الفاتحة. فكنت ما زلت أتأمل إذ خطر ببالي فوراً أن ذلك يثبت من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿ أن هذه الصفات والمحامد كلها لله رب العالمين وحده، أي هو رب في كل عالم؛ أي عالم النطفة والمضغة وغيرهما، ثم هو رحمن، ورحيم، ومالك يوم الدين. فبعد هذا كله حين يقول الإنسان: "إياك نعبد" فعليه أن يجعل نفسه مظهرًا لتلك الصفات نفسها، أي الربوبية والرحمانية

والرحيمية ومالكية يوم الدين. لأن كمال الإنسان العابد ينحصر في أن يتخلق بأخلاق الله. كما قيل: تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ. ففي هذه الحالة قد مرَّ بيان الأمرين كليهما بمنتهى الوضوح والجلاء. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٩، عدد: ٢٤/٥/١٩٠٣ م ص ٣)

إن للحب دافعين فقط: الحُسن والإحسان. وقد تضمنت سورة الفاتحة خلاصة صفات الله التي تُظهر إحسانه، كما يقول ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وواضح أن الإحسان الكامل إنما يتحقق إذا كان الله يخلق عباده من العدم المحض، ثم لا يزال يشملهم بربوبيته على الدوام، وكان هو نفسه عمادًا وسندًا لكل شيء، ثم كانت رحمته بكل أنواعها قد ظهرت لهم، وكان إحسانه وفضله عليهم عظيمًا بحيث لا يمكن لأحد تقديره.

ولقد عدد الله علينا في القرآن المجيد هذه الإحسانات مرة بعد أخرى.. كما قال في موضع آخر: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٥). (فلسفة تعليم الإسلام، الخزائن الروحانية، مجلد ١٠ ص ٤١٧-٤١٨)

لقد علّمنا في القرآن الكريم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ومعناه أنه جلَّ شأنه رب العالمين جميعًا وعله العلل لكل أنواع الربوبية، وأنه "الرحمن" أيضا أي يعطي خلقه أنواع الآلاء والنعم دون أن يحتاج إلى أي عمل منهم. وهو "الرحيم" أيضا أي ينصر الذين يعملون الصالحات ويبلغ أهدافهم مبلغ الكمال. وهو "مالك يوم الدين" أيضا، أي في يده الأجر والعقاب فيعامل عباده كما يشاء. فله أن يعاقب العبد إذا شاء بما يناسب عمله السيئ أو يهيئ له أسباب المغفرة إن شاء ذلك. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦ ص ١٢٥-١٢٦)

فالصفات الإلهية- التي هي مغزى جميع صفاته - أربعة، وكلها تحتوي على الجود والكرم. أعني صفات الله الواردة في الآيات الثلاث الأولى من سورة الفاتحة. أي رب العالمين، والرحمن، والرحيم، ومالك يوم الدين.

وفي هذه الصفات الأربعة كلها أراد الله الخير لعباده. أي في الخلق الذي سمي بالربوبية، وتوفير أسباب الراحة دون استحقاق وهو ما سُمي بالرحمانية، وتأمين الأسباب التي تحفظه من الحزن والمصيبة في المستقبل - بسب تقواه وورعه وإيمانه - وهو ما سمي بالرحيمية، وأن يرزقهم - نتيجة أعمالهم الصالحة والحسنات من العبادة والصيام والصلاة والمواساة لبني البشر والصدقة والتضحية - مقاما صالحا حيث ينال السرور الدائم والراحة والسعادة، وهو ما سمي بالجزاء الحسن من مالك يوم الدين. فلم يشأ الله تعالى في أي من هذه الصفات الأربعة السوء للإنسان، وإنما أراد لهم خيرا وصالحا محضا، غير أن الذي ينسحب من ظل هذه الصفات ويغيّر ويستبدل طبعه نتيجة سيئاته واعتدائه بالسوء والاعتداء، ففي حقه تصطبغ هذه الصفات بالشّر بدلا من الخير، حيث تتبدل إرادة الربوبية بإرادة الفناء والإعدام، وإرادة الرحمانية تظهر في صورة الغضب والسخط، وإرادة الرحيمية تثور في صورة الانتقام والبطش، وإرادة جزاء الخير تتجلى بوجهها الهائل في صورة العذاب والعقاب.

فهذا التغير في صفات الله تعالى يظهر نتيجةً لتغيير الإنسان وضعه. باختصار؛ لما كانت العقوبة أو الوعد بها لا تدرجان في صفات الله - التي هي أم الصفات - لأنه في الحقيقة أراد الخير فقط للإنسان، فلا يعدّ وعيد الله قرارا حاسما ما دام الإنسان حيّا وقادرا على تغييره. لذا فإن إخلافه لا يعدّ كذبا أو نقضا للعهد. وليكن معلوما أن الوعيد يتضمن شروطا خفية في الإرادة الإلهية، وإن كان في الظاهر خاليا من أي شرط، إلا أن يصحّ الإلهام أنه ليس هناك أي شرط، ففي هذه الحالة يكون القرار حاسما ويصبح القضاء مبرما. إن هذه النقطة من المعارف الإلهية - التي أضمّرت في سورة الفاتحة - لجليلة الشأن وجديرة بالتعظيم، فتدبر. (عاقبة آثم، الخزان الروحانية مجلد ١١، ص ٨-١٠، الحاشية)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إن هذا التعليم الإسلامي المقدس الذي هو ميزة فريدة ومدعاة اعتزاز بالإسلام، لا يترك المصلي ما لم يجعله مؤمنا

صادقا وخالصا. في دار الكدورة هذه يبحث كل شخص عن السعادة والطمأنينة، فمنهم من يتشبث بشيء في البحث عنهما ومنهم من يلجأ إلى شيء آخر. وقد كتب كبار الفلاسفة كثيرا في هذا الموضوع ويبنوا من عند أنفسهم أمورا كثيرة يرونها تؤدي بالإنسان إلى السعادة ولكن لا جدوى ولا طائل من ورائها. حيث كان الكثيرون من هؤلاء المردودين قد رحلوا عن الدنيا بمرارة متناهية، ومنهم من شربوا كأس الانتحار المرة، ونرى مراحل مختلفة في حياة كثير منهم مليئة بالاضطراب والصراخ والعويل.

والحق أن هناك شيئا واحدا، لا غير، يستطيع أن يهب الاستقامة والسكينة والطمأنينة الكاملة في أمور متعارضة ومعوجة يواجهها الإنسان في حياته وهو الإيمان الكامل واللذيد بالله تعالى وصفاته. والإظهار الفعلي لهذا الإيمان المصحوب بالعرفان هو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. (الحكم رقم ٣٤، مجلد ٤، عدد: ١٩٠٠/٩/٢٤ م ص ٢)

إن أول يوم من ولادة الإنسان السماوية هو ذلك الذي يُقضى فيه على حياته الشيطانية وتولد حياته الروحانية كما يولد الولد.

لقد أشار الله تعالى إلى هذه الولادة نفسها في سورة الفاتحة حيث قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. قد جاءت هذه الصفات الأربع في وصف الله تعالى، أي أن الله تعالى هو ذلك الإله الذي يتصف بالمحامد كلها، فما من ميزة يمكن أن تخطر على البال والخيال إلا وتوجد في الله تعالى.

والحق أنه ليس بوسع الإنسان مطلقا إحصاء محامد الله ومحاسنه. إن الإله الذي يقدمه الإسلام أمام العالم هو الإله الكامل والحق، ومن أجل ذلك استهل الله القرآن بكلمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١، عدد: ١٩٠١/١/١٠ م ص ٤)

لقد خطر ببالي أن قول الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يحث الإنسان على التصبغ بهذه الصفات، أعني أن الله تعالى هو

المتصف بهذه الصفات كلها، فهو رب العالمين، كلِّ العالمين بما فيها عالم النطفة والمضغة وغيرهما. ثم إنه الرحمن الرحيم ومالك يوم الدين. وعندما يقول العبد: إياك نعبد، فهذا يعني أن من واجبه أن يتصبغ في عبادته بصبغة صفات الربوبية والرحمانية والرحيمية والمالكية. إنما كمال العابد أن يتخلق بأخلاق الله، أي يتصبغ بصبغة الله، وألا يسأم ولا يملّ ما لم يبلغ هذا المقام. بعدها سينشأ فيه الجذب التلقائي الذي يجذبه إلى عبادة الله ويصبح مصداقا لقول الله تعالى ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: ٥١) (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٩، عدد: ٢٤/٥/١٩٠١ م ص ٤)

العبر في سورة الفاتحة

لقد قدّم الله تعالى سورة الفاتحة، وبَيّن فيها ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كصفة أولى لأنها تشمل المخلوقات كلها. كذلك يجب أن يكون مجال مواسة المؤمن واسعا ليشمل الدواب والطيور والمخلوقات كلها. ثم بيّن الصفة الثانية: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ وتتضمن درسا بأنه يجب أن نواسي جميع المخلوقات الحية بوجه خاص. وفي صفة ﴿الرَّحِيمِ﴾ درس لمواسة بني البشر. باختصار، إن صفات الله التي ذُكرت في سورة الفاتحة هي في الحقيقة أخلاق الله التي يجب أن ينال الإنسان نصيبا منها. وهي أنه إذا كان الإنسان يحظى بحالة جيدة يتحتم عليه أن يواسي البشر بالمعنى الحقيقي قدر الإمكان، وألا يُظهر كآبة تجاه أي شخص سواء كان من أقاربه أو أعزائه أو غيرهم، وألا يعاملهم كالغرباء، بل يجب أن يهتم بحقوقهم. وإذا كان لأحد قرابة مع أحد، وله عليه حق فيجب أن يؤديه بوجه كامل. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٠، عدد: ٢٤/٨/١٩٠٢ م ص ١)

المقارنة بين دعاء الإنجيل ودعاء سورة الفاتحة

دعاء الإنجيل الذي يُقَرِّط الناس من رحمة الله ويَجِرِّي المسيحيين على ربوبيته وفيوضه وجزائه، ويعلن أن الله يَعْلَمُ غير قادر على إغاثة عباده في الأرض ما لم يقيم فيها ملكوته. أما الدعاء الذي علّم الله المسلمين في القرآن مقابل الدعاء الإنجيلي

فيقول بأن الله تعالى ليس عاطلا في الأرض كالمملك الذي يطاح بعرشه، بل إن ربوبيته ورحمانيته ورحيميته ومُجازاته لجارية في الأرض، وأنه قادرٌ على نصره الذين يعبدونه، وعلى إهلاك المجرمين بغضبه. وذلك الدعاء القرآني هو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ آمين.. أي: أن الله وحده حقيقٌ بجميع المحامد؛ بمعنى أنه لا عيب في ملكوته، وليست هنالك صفة من صفاته معطلة اليوم وستفعل غداً، وليس من لوازم ملكوته شيء معطل. هو الذي يُرَبِّي العالمين جميعاً، ويرحم دون مقابل، كما يرحم مقابل الأعمال. هو الذي يجازي ويعاقب في حينه. إياه نعبد، ومنه وحده نطلب العون، وإياه ندعو ليهدينا سبل النعم كلها، ويَجَنِّبنا سبل الغضب والضلال.

هذا الدعاء الوارد في سورة الفاتحة قد جاء على عكس دعاء الإنجيل تماماً؛ ذلك أنَّ الإنجيل ينكر وجود الملكوت الإلهي في الأرض في الوقت الراهن، فبحسب الإنجيل لا تعمل ربوبية الله في الأرض، ولا رحمانيته، ولا رحيميته، ولا قدرته على الجزاء، إذ لم يَقمْ ملكوت الله في الأرض بعد، بحسب الإنجيل، بينما يتضح من سورة الفاتحة أن ملكوت الله قائم في الأرض، ومن أجل ذلك قد ذكرت سورة الفاتحة جميع لوازم الملكوت الإلهي. ومن البديهي أن الملك لا بد له من الصفات التالية: الأولى أن يكون قادراً على تربية الناس، وقد أكّدت سورة الفاتحة على هذه الصفة بقوله تعالى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. والصفة الثانية هي أن يُؤمِّن لشعبه نتيجة كرمه المملكيِّ كلَّ ما يحتاجون إليه لعمرانهم بلا أية خدمة منهم، وقد ذُكرت هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾. والصفة الثالثة هي أن يساعد الملكُ رعاياه فيما لا يطيقون إنجازَه بجهودهم وحدها، وقد أكّدت هذه الصفة قوله تعالى: ﴿الرَّحِيمُ﴾. والصفة الرابعة هي أن يكون قادراً على الثواب والعقاب لتلا تحتلَّ أمور سياسة بلاده، وقد ذُكرت هذه الصفة في قوله تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

باختصار، لقد عرضت هذه السورة جميع لوازم الملكوت التي تؤكد وجود ملكوت الله وتصرفاته الملكية في الأرض، فإن ربوبيته ورحمانيته ورحيميته وإعانته وعقابه وجزاءه كلها موجودة في الأرض، فكل ما كان من لوازم الملكوت متحقق لله في الأرض، وما من ذرة واحدة من الأرض خارجة عن نطاق حكمه، فكل جزاء بيده، وكل رحمة بيده. ولكن الإنجيل يعلم دعاء يقول بأن ملكوت الله لم يأت فيكم بعد، فادعوا الله لكي يأتيكم ملكوته، مما يعني أن إلههم لم يصبح بعد مالِك الأرض ومليكِها، فماذا عسى أن نعقد على هذا الإله من آمال؟! (سفينة نوح، الخزان الروحانية، مجلد ١٩، ص ٣٨-٤٠).

ولكن إلهنا عليه السلام لم يذكر في سورة الفاتحة سماءً ولا أرضاً، وإنما كشف لنا الحقيقة بإخبارنا أنه رب العالمين؛ أي حيثما وجد عُمرانٌ ومهما يكن من مخلوق -أجساماً كان أم أرواحاً- فالله خالقه ومرتبّه جميعاً، فهو الذي يُعنى بترتيبه كل لحظة، ويدبر له ما يلائمه. إن عملية ربوبيته ورحمانيته ورحيميته ومالكيته وجزائه تعمّ العالمين كلّها في كل لحظة وأن. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، مجلد ١٩، ص ٤١-٤٢)

ولكن دعاء سورة الفاتحة يعلمنا أن الله سلطاناً في الأرض كلّ آن كما له سلطان في سائر العالمين. وقد استهلّت سورة الفاتحة بصفات الله الكاملة الدالة على سلطته المطلقة، وهي صفات لم يذكرها أي كتاب آخر في الدنيا، إذ أعلن الله تعالى فيها أنه الرحمن، والرحيم، ومالك يوم الدين. ثم حثّ عليه السلام على الدعاء. والدعاء الذي علّمه لا يقتصر على طلب خبز اليوم كما علّم المسيح عليه السلام أتباعه، بل هو دعاء بطلب كل ما أُودع الفطرة الإنسانية منذ الأزل من ملكات وطمأ وعطش، وهذا الدعاء هو: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: يا صاحب هذه الصفات الكاملة، ويا أيها الجواد الذي تتربّى وتمتع كل ذرة بفيضك ورحمانيتك ورحيميتك وقدرتك على الجزاء، اجعلنا ورثةً للصالحين الذين خلوا من قبل، وأعطنا كل نعمة أعطيتهم إياها، واحمنا من معصيتك كيلا نكون من المغضوب

عليهم، وقنا من أن نُحرم من نصرتك، فنكون من الضالين. (آمين). (سفينة نوح، الخزانة الروحانية، مجلد ١٩ ص ٤٣-٤٤)

يقول الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
فقد ذكرت هنا صفات الله الأربع التي هي أمهات الصفات.

يتبين من: "رب العالمين"، أنه يتولى ربوبية كل ذرة. معنى "العالم": ما يمكن أن يُعلم عنه. فتبين من ذلك أنه ليس في العالم شيء لا يريه الله. فهو يتولى ربوبية الأرواح والأجسام وكل ما سواها. هو الذي يربي كل شيء بحسب مقتضى الظروف. فمن ناحية يربي الجسم ومن جانب آخر يهب المعارف والحقائق أيضا لإشباع الروح وطمأنيتها.
ثم قال: "الرحمن" أي أن رحمته موجودة حتى قبل وجود الأعمال. كل ما يحتاج إليه الإنسان مثل الشمس والقمر والهواء والماء وغيرها من الأشياء تكون موجودة قبل ولادته. ثم هو "الرحيم" أيضا، أي لا يضيع الأعمال الصالحة لأحد أبداً، بل يجزي عليها.

ثم هو "مالك يوم الدين"، أي هو الذي يعطي الجزاء، وهو مالك يوم الجزاء.
بعد بيان كل هذه الصفات الإلهية حث على الدعاء. عندما يؤمن الإنسان بالله تعالى وصفاته الأربع يتولد في روحه حماس ونشاط تلقائياً فتخضع أمام الله تعالى للدعاء. ثم أمر بالدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. من هنا يتبين أن هناك حاجة كبيرة للدعاء لظهور تجليات الله تعالى ورحمته، فواظبوا عليه دائما ولا تتوانوا أبداً.
(الحكم، مجلد ٩، رقم ٢، عدد: ١٧/١/١٩٠٥ م ص ٢-٣)

اعلموا أن صفات الله الخلقية أربع في الحقيقية وهي مذكورة في الفاتحة وهي (١)
رب العالمين (٢) الرحمن، أي الذي يرحم من تلقاء نفسه دون عمل سابق أو خدمة (٣) الرحيم أي الذي يُجازي بالإنعام والإكرام أكثر من المستحق ويتقبل العمل ولا يضيعه. (٤) (مالك يوم الدين) الذي يقوم بالعدل في عبادته ويحكمهم.. (الأربعين رقم ٤، الخزانة الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٤٧)

حقيقة عرش الله وانكشاف وجوده الخفي من خلال سورة الفاتحة

إن الله تعالى في تنزّهه - أي المقام الذي تغطي فيه صفة تنزّهه صفاته الأخرى كلها وتجعله وَعَلَى وراء وراء وخافيا كليا، أعني في المقام الذي يسمى العرش في مصطلح القرآن الكريم - يصبح أسمى من عقول الناس، فلا يسع العقل أن يدركه. عندها سَمِّيتُ بالملائكة صفاته الأربع التي تجلّت في الدنيا وتُظهِر وجوده وَعَلَى الخفي وهي: (١) الربوبية التي بواسطتها يُكَمِّلُ اللهُ الإنسانَ روحانيا وجسديا. فقد ظهرت الروح والجسد للعيان بمقتضى الربوبية. كذلك إن نزول كلام الله وآياته الخارقة أيضا نتاج مقتضى الربوبية. (٢) إن رحمانية الله التي ظهرت للعيان، أي ما هيأ الله تعالى للإنسان من النعم التي لا تُعدّ ولا تُحصى دون جزاء الأعمال، فهذه الصفة أيضا تُظهِر وجوده الخفي. (٣) الصفة الثالثة هي رحيمية الله، ومعناها أنه يعطي الذين يكسبون الحسنات قدرةً على كسبها بمقتضى صفته الرحمانية أولا، ثم يوفقههم لكسب الأعمال الصالحة بمقتضى صفة الرحيمية وبذلك يحميهم من الآفات. هذه الصفة أيضا تكشف عن وجوده الخفي. (٤) الصفة الرابعة هي: "مالك يوم الدين". هذه الصفة أيضا تُظهِر وجوده الخفي أي يعطي الصالحين أجرا حسنا ويعاقب الطالحين. هذه هي الصفات الأربع التي تحمل عرشه، أي بواسطتها يُعَلِّمُ وجوده الخفي في هذه الدنيا. وإن هذه المعرفة ستتضاعف في عالم الآخرة فكأنه سيكون الملائكة ثمانية بدلا من أربعة. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، مجلد ٢٣، ص ٢٧٨-٢٧٩). كذلك إذا قال أحد إن العالم سيدوم إلى الأبد وتكون الجنة والجحيم هنا لن نقبل كلامه لأن ذلك ينافي صفة الله "مالك يوم الدين"، ويخالف أيضا قوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٨) (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد: ١٠/١١/٢٠١٩م، ص ٦).

واجبات من يدخل الجماعة الأحمدية

أول ما يجب على من يدخل جماعتنا من عامة المسلمين هو أنه كما يقرّ في

سورة الفاتحة القرآنية في صلواته الخمس كل يوم أن الله رب العالمين، وهو الرحمن الرحيم والعدل الكامل، كذلك عليه أن يرسخ هذه الصفات الأربع في نفسه أيضا، وإلا فإن ترديده الكلمات الواردة في دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في صلواته الخمس، أي يا إلهي، يا صاحب الصفات الأربع المذكورة آنفاً، إني أعبدك وحدك، وأحبك وحدك؛ يكون كذبا كلياً، لأن ربوبية الله تعالى للبشر وغير البشر - أي إفاضته وَعَلَيْكَ حتى أدنى أنواع الدواب أيضا من صفة ربوبيته - أمرٌ لو كان الذي يدعي عبادة الله وحده عبداً لله ينظر إلى صفته وَعَلَيْكَ هذه بنظرة الحب، ويُعجَب بها لدرجة أن يصير عبداً للصفة الإلهية هذه لشدة حبه لها؛ لكان ضرورياً أن يخلقها العابد في نفسه لكي يتصبغ بصبغة حبيبه وَعَلَيْكَ.

كذلك الحال فيما يتعلق برحمانية الله، أي رحمه الخلق دون مقابل. فالعابد الصادق الذي يدعي أنه يتصبغ بصبغة الله تعالى؛ يخلق في نفسه هذا الخلق أيضا حتماً. والحال ينطبق على رحيمية الله، أي أن مساعدة الخلق لإكمال الأعمال الصالحة صفة يخلقها العابد الصادق والعاشق لصفات الله في نفسه.

كذلك فإن العدل من صفات الله الذي أصدر كل أمر من أوامره بمقتضاه، وليس نتيجة حماس النفس؛ وهي أيضا صفة يخلقها العابد الصادق - الذي يريد أن يتصبغ بصبغة كافة الصفات الإلهية - في نفسه ولا يستطيع إهمالها. والعلامة القوية للصادق هي أنه كما يحب وجود هذه الصفات الأربعة في الله، كذلك يجب عليه أن يحبها لنفسه. فهذا هو التعليم الذي علّمه الله وَعَلَيْكَ في سورة الفاتحة ونبذه المسلمون في هذا العصر. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، مجلد ١٥، ص ٥١٨-٥١٩)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

الحقيقة السادسة المذكورة في سورة الفاتحة هي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومعناها: نعبدك وحدك يا صاحب الصفات الكاملة ومبدأ الفيوض الأربعة، وبك نستعين من أجل التوفيق للعبادة ولقضاء حاجات أخرى. أي أنت معبودنا الحقيقي

ولا نتخذ إلهاً آخر وسيلة للوصول إليك، ولا نغير لإنسان ولا لوثن ولا لعقلنا ولا تعلمنا أدنى أهمية أو اهتماما بل نستعين بذاتك القادر القدير في كل شيء.

وهذه الحقيقة أيضا خافية عن أعين معارضينا. فالمعلوم أن الوثنيين يعبدون أشياء من دون الله تعالى الأحد، والآريون يعدّون قواهم الروحية غير مخلوقة ويريدون أن ينالوا النجاة بالاعتماد عليها. أما أتباع برهمو سماج فقد أعرضوا عن نور الإلهام واتخذوا من عقلهم إلها لأنه يملك بحسب زعمهم الباطل قدرة كاملة للإيصال إلى الله ويحيط بجميع الأسرار الإلهية ويتصرف فيها. فإن هؤلاء القوم يخاطبون عقلهم قائلين: إياك نستعين، بدلا من عبادة الله والاستعانة به وَعَلَيْكَ، وهم متورطون في شرك خفي. وإذا مُنعوا من ذلك قالوا إن العقل عطية من عطايا الله تعالى وقد أُعطيته الإنسان لكي يستخدمه في معاشه ومهماته، لذا فإن استخدام عطية الله لا يمكن أن يكون شركا.

فليكن معلوما أن هذا خطأ آخر من أخطائهم، وقد ذُكرت مرارا أنه لا يمكن أن يكون العقل وسيلة للحصول على المقاصد العظيمة التي عليها تتوقف نجاتنا مثل اليقين الكامل والمعارف الحقة. غير أنه صحيح تماما أنه يستطيع أن يُدرك صدق تلك المعارف وحقيقتها بعد الحصول عليها. ولكن الانكشاف الصادق والكامل إنما يتسنى نتيجة النور المقدس والنقي الموجود في ذات الله تعالى ويعجز في هذا المقام ضوء العقل الضبابي والناقص الذي في الإنسان. فمما يستلزم الشرك أن يُعرض أتباع برهمو سماج عن كلام الله المنير الذي هو مدار الانكشاف الصحيح والكامل، ويتبرأوا منه كلياً ويعدّوا عقلهم الناقص مرشدا قديرا وأساس الأمور كلها. إذن، فإن قلبهم المريض مخدوع بأن عقلهم وحده سيوصلهم إلى الغاية العليا التي يمكن أن توصل إليها القوى الإلهية والتجليات الربانية.

فأيّ شرك أكبر من أنهم يعدّون قوة عقلهم مساوية لقوة الرب بل أفضل منها. فانظروا الآن، لقد تحقق ما قلّت من قبل بأنهم يخاطبون عقلهم -بدلا من الله تعالى-

قائلين: "إياك نستعين"!

ولا أرى حاجة لبيان حالة النصارى، فالكل يعرف أنهم عاكفون على عبادة المسيح بدلا من أن يعبدوا الله تعالى خالصا. وبدلا من أن يستعينوا بالله تعالى في أمورهم يستنصرون المسيح، يرددون بألسنتهم: "ربنا المسيح، ربنا المسيح" في كل حين وأن. فإن هؤلاء القوم محرومون من العمل بمضمون: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومطرودون من عتبات الله تعالى. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، مجلد ١ ص ٥٢٥-٥٣٢، الحاشية رقم ١١)

ليس ثمة فاصل بين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، غير أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ متقدم زماناً إلى حد ما، لأن الله تعالى حين خلقنا برحمانيته أناساً ومنحنا صنوف القوى والنعم، لم يكن هناك أي دعاء أو طلب من قبلنا، وإنما فعل ذلك كله بمحض فضله، وهذا هو التقدم (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٤٨-١٤٩، وجريدة الحكم رقم ٣٢، مجلد ٥، عدد: ٣١/٨/١٩٠١م ص ٢)

فُدِّمَتْ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ذلك أن الإنسان يأتي إلى الله تعالى للدعاء بعد بذل كل القوى والكفاءات الموهوبة له، إذ من سوء الأدب والوقاحة أن يدعو الله تعالى بدون الاستعانة بما وهب له من القوى والكفاءات وبدون العمل حسب نواميسه الطبيعية. فالفلاح مثلاً لو بدأ يدعو الله تعالى ويقول إلهي اجعل حقلِي هذا نضراً خضراً ومزهراً ومثمراً بدون أن يبذر فيه البذر، كان تصرفه هذا تجاسراً واستهزاء، وهذا ما يسمى اختبار الله وامتحانه الذي قد تُهيننا عنه وقيل: لا تمتحنوا الله تعالى، وقد ورد هذا الموضوع صراحة في قصة سؤال المسيح عليه السلام المائدة. ففكروا في هذا الأمر وتدبروا.

الحق والحق أقول إن الذي لا يقوم بالأعمال فهو لا يدعو الله تعالى بل يختبره، لذا فلا بد للمرء من بذل جميع القوى والقدرات قبل الدعاء، وهذا هو مفهوم هذا الدعاء القرآني. فلزاماً على المرء أن يفحص معتقده وأعماله قبل الدعاء، لأن من السنة الإلهية أن الإصلاح يتم بالأسباب، حيث يخلق الله تعالى سبباً ما يتم به

الإصلاح. والذين يقولون ما الحاجة إلى الأسباب مع الدعاء، عليهم أن يتوقفوا هنا على وجه الخصوص وقفَةً تأملية. يجب أن يفكر هؤلاء الأغبياء أن الدعاء بحد ذاته سببٌ خفيٌّ يؤدي إلى أسباب أخرى. وقد قُدِّمت جملة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على جملة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ -التي هي دعاء- لبيان هذا المعنى خاصة. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٤٥)

"قَدَّمَ اللَّهُ ﷻ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارةً إلى تفضلاته الرحمانية من قَبْلِ الاستعانة، فكأن العبد يشكر ربه ويقول يا رب إني أشكرُكَ على نعمائك التي أعطيتني من قبل دعائي ومسألتي وعملي وجهدي واستعانتني بالربوبية والرحمانية التي سبقت سُؤْلَ السائلين، ثم أطلبُ منك قوَّةً وصلاحًا وفلاحًا وفوزًا ومقاصد التي لا تُعْطَى إلا بعد الطلب والاستعانة والدعاء وأنت خير المعطين.

وفي هذه الآيات حثٌّ على شكرٍ ما تُعْطَى، والدعاء بالصبر فيما تتمنى، وفرطٍ للهج إلى ما هو أتم وأعلى، لتكون من الشاكرين الصابرين. وفيها حثٌّ على نفي الحول والقوة، والاستطراح بين يدي سبحانه مترقبًا منتظرًا مديمًا للسؤال والدعاء والتضرع والثناء، والافتقار مع الخوف والرجاء، كالطفل الرضيع في يد الطَّيْر، والموت عن الخلق وعن كل ما هو في الأرضين. وفيها حثٌّ على إقرارٍ واعترافٍ بأننا الضعفاء، لا نعبدك إلا بك، ولا نتحسس منك إلا بعونك، بك نعمل وبك نتحرك، وإليك نسعى كالثواكل متحرقين وكالعشاق متلظِّين. وفيها حثٌّ على الخروج من الاختيال والزَّهْو، والاعتصام بقوة الله تعالى وحوله عند اعتياص الأمور وهجوم المشكلات، والدخول في المنكسرين. كأنه - تعالى شأنه - يقول يا عباد احسبوا أنفسكم كالميتين، وبالله اعتضدوا كل حين. فلا يَزِدْهُ الشابُّ منكم بقوته، ولا يتخصَّر الشيخ بهراوته، ولا يفرح الكَيِّسُ بدهائه، ولا يثق الفقيه بصحة علمه وجودة فهمه وذكائه، ولا يتكئ الملهم على إلهامه وكشفه وخلوص دعائه، فإن الله يفعل ما يشاء، ويطرده من يشاء، ويُدخل من يشاء في المخصوصين.

وفي جملة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى عظمة شرّ النفس الأثارة التي تسعى كالعسّارة، فكأنها أفعى شرّها قد طمّ، فجعل كلّ سليم كعظم إذا رمّ، وتراها تنفث السمّ، أو هي ضرغام ما ينكل إن همّ، ولا حول ولا قوة ولا كسب ولا لمّ، إلا بالله الذي هو يرحم الشياطين.

وفي تقديم ﴿نَعْبُدُ﴾ على ﴿نَسْتَعِينُ﴾ نكاتٌ أخرى، فنكتب للذين هم مشغوفون بآيات المثاني لا برنّات المثاني، ويسعون إليها شائقين. وهي أن الله ﷻ يعلم عباده دعاءً فيه سعادتهم، فيقول يا عبادِ سلّوني بالانكسار والعبودية، وقولوا: ربنا إياك نعبد ولكن بالمعاناة والتكلف والتجشم وتفرقة خاطر وتمويهات الخناس وبالروية الناضبة والأوهام الناضبة والخيالات المظلمة، كماءٍ مُكدّرٍ من سيلٍ أو كحاطب ليل، وإن نتبع إلا ظناً وما نحن بمستيقنين. ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعني: نستعينك للدوق والشوق والحضور والإيمان الموفور، والتلبية الروحانية والسرور والنور، ولتوشيح القلب بحلي المعارف وحلل الحبور، لنكون بفضلك من سبّاقين في عرصات اليقين، وإلى منتهى المآرب واصلين، وفي بحار الحقائق متوردين.

وفي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تنبيه آخر، وهو أنه يرغّب فيه عباده إلى أن يبذلوا في مطاوعته جهدَ المستطيع، ويقوموا مُلبّين في كل حين تلبيةً المطيع. فكأن العباد يقولون: ربنا إنّنا لا نألو في المجاهدات، وفي امثالك وابتغاء المرضاة، ولكن نستعينك ونستكفي بك الافتنانَ بالعُجب والرياء، ونستوهب منك توفيقاً قائداً إلى الرشد والرضا، وإنّا ثابتون على طاعتك وعبادتك، فاكثبنا في المطاوعين.

وهنا إشارة أخرى وهي أن العبد يقول يا ربّ إنّنا خصصناك بمعبوديتك، وآثرناك على كل ما سواك، فلا نعبد شيئاً إلا وجهك، وإنّا من الموحّدين.

واختار ﷻ لفظ المتكلّم مع الغير إشارةً إلى أن الدعاء لجميع الإخوان لا لنفس الداعي، وحثّ فيه على مسالمة المسلمين واتحادهم وودادهم، وعلى أن يعنو الداعي نفسه لنصح أخيه كما يعنو لنصح ذاته، ويهتم ويقلق لحاجاته كما يهتم ويقلق

لنفسه، ولا يفرق بينه وبين أخيه، ويكون له بكل القلب من الناصحين. فكأنه تعالى يوصي ويقول يا عبادِ تهادوا بالدعاء تهادي الإخوان والمحبين. وتناثثوا دعواتكم وتناثثوا نياتكم، وكونوا في المحبة كالإخوان والآباء والبنين. " (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، مجلد ٧، ص ١١٩ - ١٢٢)

لقد قدم الله جلّ شأنه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليشير إلى أنه يجب أن نعمل أولا بما وُفّقنا به علمياً وعملياً، ثم نستعين بالله تعالى على ما يفوق علمنا وقدرتنا. (بدر رقم ٣٦، مجلد ٢، عدد: ١٩٠٣/٩/٢٥ ص ٣٨٢)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، معناه: يا ربنا المتصف بالصفات الأربعة نعبدك وحدك. يجب على الإنسان ألا يقتصر على الإقرار باللسان بأن الله متصف بأربع صفات بل ينبغي أن يثبت عملياً أيضاً أنه يعتبر الله ربّه على وجه الحقيقة، وأن يثبت بأعماله ربوبيته. اعلّموا أن الذي لا يؤمن بالله إلهاً سيعمل كل ما يحلو له من قبيل السرقة والزنا. فما لم يثبت إيمانه بعمله فلن يُعتبر مؤمناً ولن ينال فيضاً نزل على المقربين والصادقين الذين خلوا. الإيمان فضل من الله حين يحظى به أحد لا يرتكب أعمال الفسق. الحق أن الكلام باللسان فقط لا ينجي الإنسان. (بدر رقم ٣٦، مجلد ٢، عدد: ١٩٠٨/١/٩ ص ٦)

الجمع بين الدعاء والتدبير هو الإسلام، ولذلك قلت بأنه يجب أن يتخذ المرء التدبير لاجتناب الذنوب والغفلة كما هو حقه، وكذلك يجب أن يدعو الله كما هو حقه، ولذلك قال الله ﷻ في السورة الأولى من القرآن الكريم نظراً لهذين الأمرين كليهما، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالقول "إياك نعبد" يشير إلى مبدأ التدبير هذا، وقدمه الله، بمعنى أنه يجب على الإنسان أن يؤدي حق مراعاة الأسباب والتدبير، ولا يترك الدعاء أيضاً. بل يجب أن يراعيه مع التدبير. فحين يقول المؤمن "إياك نعبد" يخطر بباله فوراً، من أنا حتى أعبد الله ﷻ ما لم يحالفني فضله وكرمه،

فيقول فوراً: إياك نستعين. فهذه مسألة حساسة، لم يفهمها أي دين غير الإسلام، فإنما الإسلام وحده فهمها. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٥، عدد: ١٠/٢/١٩٠٤م ص ٢) انظروا كيف أن الله تعالى وفي هذه السورة الأولى نفسها قد هدانا بكل وضوح إلى الصراط المؤدي إلى فضله. لقد بين الله تعالى في هذه السورة التي تسمى خاتمة الكتاب وأتم الكتاب غاية حياة الإنسان والسبيل لتحقيقها بكل صراحة. فكأن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هو مقتضى الفطرة الإنسانية ومقصدها الأصلي، وقد قدم قوله هذا على قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليعين أنه لا بد للإنسان أولاً من السعي والمجاهدة في اتباع سبل مرضاة الله تعالى في نطاق قدرته وهيمته وفهمه، والانتفاع مما وهبه الله تعالى من الكفاءات والقوى حق الانتفاع، ثم عليه أن يدعو الله تعالى لكي يجعل جهودنا كاملة ومثمرة. (الحكم المجلد ٨، رقم ٣٦، عدد: ٢٤/١٠/١٩٠٤م، ص ٢. الحكم المجلد ٩، رقم ١١، عدد: ٣١/٣/١٩٠٥م ص ٥)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مقدم على ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لكن التدبر يكشف أن رحمانية الله قد سبقت ذلك. أعني أنّ هناك قوة جعلت الإنسان ينطق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. فمن أين جاءت هذه القوة التي تجعله من حيث لا يدري، يقرّ ويقول: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟ أليس الله تعالى هو الذي أعطاه إياها؟ فلا شك أنها عطية وهبها الله إياها بمحض رحمانيته، وبتحريكها وتوفيقها يقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

ولو أمعنا النظر من هذا المنظور لوجدنا أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ متأخر، وأما من منظور آخر فهو متقدم. أعني أن هذه القوة عندما تجعل الإنسان يقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تصبح هذه الجملة متأخرة، وإلا فهي متقدمة من منظور آخر. وعلى المنوال نفسه هو ملخص فلسفة النبوة أو مفهومها. (الحكم، المجلد ٩، رقم ١٢، عدد: ١٠/٤/١٩٠٥م ص ٥)

لقد أعطى الله تعالى في السورة الأولى أي سورة الفاتحة تعليماً: "إياك نعبد وإياك نستعين"، والمراد من العبادة هنا العبودية والمعرفة، وقد أشير إلى ضعف الإنسان من كلتي الناحيتين. (الحكم رقم ٣٣، مجلد ٣، عدد: ٣٠/٦/١٨٩٩م ص ٣)

إن ملخص أصول العبادة أن يقوم الإنسان للصلاة وكأنه يرى الله تعالى، أو كأن الله يراه. عليه أن يتخلى عن الشوائب كلها ويتطهر من الشرك بكل أنواعه، ويفكر في عظمة الله تعالى وربوبيته فقط، ويكثر من الأدعية الماثورة وغيرها، ويتوب ويستغفر كثيراً، ويُقَرِّ بضعفه مرة بعد أخرى، ليحظى بتزكية النفس، وتنشأ علاقة صادقة مع الله تعالى، فيتفانى في حبه وَعَلَّكَ. وهذا هو ملخص الصلاة كلها، وقد احتوته سورة الفاتحة تماماً. ففي قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعترف العبد بضعفه ويطلب العون والنصرة من الله وحده، ثم يبتهل إلى الله تعالى ليوفقه أن يسير على سبيل النبيين والرسل، وينال النعم والأفضال التي ظهرت في الدنيا بواسطة الأنبياء والرسل، والتي لا تُنال إلا باتباع سبيلهم. ثم يدعو الله تعالى أن يجنبه سبيل الذين كفروا بأنبياء الله ورسله وقاموا بالشطارة والشر، فنزل عليهم غضب الله في هذه الدنيا، ويجنبه سبيل الذين جعلوا الدنيا غايتهم ومقصدهم، وانحرفوا عن الصراط المستقيم.

(الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٨، عدد: ٢٤/١٠/١٩٠٧ م ص ١١)

إن الإنسان يدعي عبادة الله، ولكن هل يمكن أداء حق العبادة بمجرد كثرة السجود والركوع والقيام؟ أو هل يمكن أن يُعَدَّ من عباد الله أولئك الذين يمررون حبات السُّبْحَةِ بكثرة؟ بل الحق أنه لا يمكن أن يؤدي حق العبادة إلا الذي جذبه حب الله حتى يزول وجوده من الطريق نهائياً.

أولاً، لا بد من اليقين الكامل بذات الله ثم الاطلاع الكامل على حسنه وإحسانه، ثم تتقوى علاقة الحب معه وَعَلَّكَ حتى يغلي الصدر بحرقه الحب دائماً، وتترأى هذه الحالة في الوجه على الدوام، وترسخ عظمة الله في القلب لدرجة تصبح الدنيا إزاءه وَعَلَّكَ كحيفة. ويرتبط كل نوع من الخوف بذاته وَعَلَّكَ ويتمتع الإنسان بالألم من أجله، وتكون المناجاة معه مدعاة لراحته ولا يطمئن القلب ولا يستقر له قرار إلا معه تعالى. فإذا تحققت هذه الحالة فهي التي تسمى العبادة الحقيقية. ولكن أُنْ لها أن تتحقق دون عون الله الخاص. لذا فقد علّمنا الله تعالى دعاء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.. صحيح أننا نعبدك يا ربّ ولكن أتّى لنا أن نؤدي حق العبادة ما لم نحظ بعون خاص منك. إن عبادة الله باعتباره المحبوب الحقيقي هي الولاية التي لا مقام بعدها. ولكن هذا لمقام لا يُنال إلا بعونه تعالى. والعلامة على نيله أن تترسخ عظمة الله وحبّه في القلب، ويتوكل عليه وَعَلَيْكَ وحده ولا يحب إلا إياه، ويؤثره على كل شيء، ويجعل ذكره هدف حياته... إن هذا الباب ضيق جدا، وهذا الشراب مُرٌّ شديد المرارة، فقليل هم الذين يدخلون هذا الباب أو يشربون هذا الشراب (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية مجلد ٢٢ ص ٥٤-٥٥)

لقد خلق الله تعالى الإنسان ووضع له الشريعة والحدود والقوانين، فليس الغرض من ذلك أن ينال الإنسان النجاة، بل الحق أنه خُلِقَ للتعبد الأبدي. والهدف من تدئيته هو التعبد الأبدي. غير أنه مما لا شك فيه أن نتيجة هذا الغرض هي النجاة التي نيلها يتوقف على تحقق هذا الغرض. كذلك ليس الهدف الوحيد من الشريعة والأحكام أن يتطهر الإنسان من الذنوب فقط لأن الطهارة من الذنوب أيضا نتيجة حتمية للهدف الحقيقي. فعندما يختار الإنسان طريق التعبد والطاعة فهو يتطهر حتما نتيجة ابتعاده من الذنوب. وعندما يتطهر من الذنوب ينجو من مغبتها ونتائجها أيضا. إذًا، فإن طريق النجاة هو الوقوف أمام مبدأ الأنوار بالصدق والثبات حيث تنزل أمواج النور. وهذا الوقوف يُسمّى بكلمات أخرى بالاستقامة كما يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هود: ١١٣). ولا شك في أن الذي يقوم بحذاء مبدأ الأنوار هذا تقع عليه أمواج النور وبنزول النور تنقشع الظلمة التي اسمها الذنب، ونعلم جيدا أن الظلمة لا تزول بغير نزول النور. الله تعالى ينزل النور من بُعد عشرات ملايين الأميال ليزيل الظلمة لأنه لا يمكن أن تقوم لها قائمة أمام النور. وإذا طُرح سؤال: متى سيُعتبر الإنسان واقفا أمام مبدأ الأنوار؟ فجوابه أنه سيُعتبر كذلك عندما يأتي إلى الحق في كل جوانب حياته ويجب الصدق، ولا يحب الاثم بل يكرهه أيما كراهية، ويستعين بالله تعالى للخلاص من هذا العدو. عندها يعينه الله الرحمن وينزل

عليه نورا من عنده وينجيه من الظلمة. ولهذا الغرض عُلِّمَ الدعاء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي نستعينك يا ربنا ضد هذا البلاء، فأقمنا حيث تنزل أمواج إنعامك. (الحكم، رقم ١٦، مجلد ٨، عدد: ١٧/٥/١٩٠٤م ص ٦)

ليكن معلوما عن الاستعانة أن الله وحده يستحق أن يُطلب منه المدد، وهذا ما أكّد عليه القرآن الكريم فقال: "إياك نعبد وإياك نستعين". أورد الله أولا الصفات الإلهية: "الرب"، "الرحمن"، "الرحيم"، "مالك يوم الدين"، ثم علّم: "إياك نعبد وإياك نستعين". فقد تبين من ذلك أن الله تعالى وحده يستحق الاستمداد. ولا يملك هذا الحق إنسان أو حيوان ودابة أو طير، وليس لأي مخلوق آخر هذا الحق في السماء ولا في الأرض، غير أنه قد أُعطي أهل الله ورجاله هذا الحق في الدرجة الثانية وعلى سبيل الظلية. (الحكم، رقم ٢٦، مجلد ٦، عدد: ٢٤/٧/١٩٠٢م ص ٥)

لقد جاءت لاجتناب ارتكاب الاثم في حق الله آية: "إياك نعبد وإياك نستعين". فالذين يدعون الله بالتذلل والتواضع راجين أن يجد أسلوباً من أساليب تواضعهم القبول عند الله، فإن الله سيعينهم بنفسه. (بدر، رقم ٢٨، مجلد ٢، عدد: ٣١/٧/١٩٠٣م ص ٢١٧)

إذا وُفِّقَ للدعاء فأنا واثق من أن الله تعالى سيرحمه وسيُنقِّذ. الأسباب الظاهرية من قبيل الطهارة وغيرها ليست ممنوعة بل يجب العمل بمبدأ: إِعْقِلْ وَتَوَكَّلْ، كما يتبين من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. (الحكم مجلد ٦، رقم ١٢، عدد: ٣١/٣/١٩٠٢م، ص ٦)

"اعلم أن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على أن السعادة كلها في اقتداء صفات رب العالمين. وحقيقة العبادة الانصباعُ بصبغ المعبود، وهو عند أهل الحق كمال السعود، فإن العبد لا يكون عبداً في الحقيقة عند ذوي العرفان، إلا بعد أن تصير صفاته أظلالاً لصفات الرحمن، فمن أمارات العبودية أن تتولد فيه ربوبية كربوبية حضرة العزة، وكذلك الرحمانية والرحيمية وصفة المجازاة، أظلالاً لصفات

الحضرة الأحدية. وهذا الصراط المستقيم الذي أُمِرنا لنطلبه، والشرعة التي أوصينا لنرقبها من كريم ذي الفضل المبين.

ثم لما كان المانع من تحصيل تلك الدرجات الرياء الذي يأكل الحسنات، والكبر الذي هو رأس السيئات، والضلال الذي يُبعد عن طرق السعادات، أشار إلى دواء هذه العلل المهلكات، رحمةً منه على الضعفاء المستعدين للخطيئات وترحمًا على السالكين، فأمر أن يقول الناس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لِيُستخلصوا من مرض الرياء، وأمر أن يقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لِيُستخلصوا من مرض الكبر والخيلاء، وأمر أن يقولوا: ﴿اهْدِنَا﴾ لِيُستخلصوا من الضلالات والأهواء. فقلوه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حثٌّ على تحصيل الخلوص والعبودية التامة، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى طلب القوة والثبات والاستقامة، وقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ إشارة إلى طلب علمٍ من عنده وهدايةٍ من لدنه لطفًا منه على وجه الكرامة. فحاصل الآيات أن أمر السلوك لا يَتِمُّ أبدًا ولا يكون وسيلةً للنجاة إلا بعد كمال الإخلاص وكمال الجهد وكمال فهم الهدايات، بل كلُّ خادم لا يكون صالحًا للخدمات إلا بعد تحقُّق هذه الصفات. مثلاً.. إن كان خادم مخلصًا وموصوفًا بأوصاف الأمانة والخلوص والعفة، ولكن كان من الكسالى والوانين القاعدين، وكالضُّجعة النومة، لا من أهل السعي والجهد والجد والقوة، فلا شك أنه كلٌّ على مولاه، ولا يستطيع أن يتبع هدايه ويكون من المطاوعين. وخادم آخر مخلص أمين، ومع ذلك مجاهد وليس بقاعد كالآخرين، ولكنه جهول لا يفهم هدايات مخدمه، ويُخطئ ذات مرارٍ كالضالين؛ فمن جهله ربما يجترئ على الممنوعات، ويوقع نفسه في المخاطر والمحظورات، ويبعد عن مرضاة المولى من جهل جاذب من الجهالات، وربما يضيع نفائس المولى ودُّره وجواهره، من كمال جهله وحمقه وسوء فهمه، ويضع الأشياء في غير محلها من زيغ وهمه، فهذا الخادم أيضا لا يستطيع أن يستحصل مرضاة المخدم، ويُسقطه جهله كل مرة عن أعين مولاه فيبكي كالموؤوم، وكذلك يعيش دائما كالملعون الملووم، ولا

يكون من الممدوحين. بل يراه المولى كالمنحوس، الذي لا يأتي بخير في سير، ويجرب بقلته ورحاله وأمواله في كل حين. وأما الخادم المبارك والعبد المتبرك الذي يُرضي مولاه، ولا يترك نكتة من هدايه، ويسمع مرحبائه، فهو الذي يجمع في نفسه هذه الثلاث سويًا، ولا يؤدي مولاه بخيانة وخذل، ولا يُطخِطحه بكسل أو جهل، فيصير عبدًا مرضيًا. فهذه هي الأشراف الثلاثة للذين يسلكون سبل ربهم مسترشدين. وفي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إشارة إلى الشرط الأول، وإلى الشرط الثاني في ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وإلى الثالث في ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾. فطوبى للذين جمعوا هذه الثلاث ورجعوا إلى ربهم كاملين، وتأدبوا مع ربهم بكل الأدب، وسلكوا بكل شريطة غير قاصرين. فأولئك الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ودخلوا حظيرة القدس آمنين. ولما كانت هذه الشرائط أهم الأمور للذي قصد سبل النور، جعلها الله الحكيم من أجزاء الدعاء، ليتدبر السالك كالعقلاء، وليستبين سبيل الخائنين. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، مجلد ٧، ص ١٤٦-١٤٨)

"اعلم أن حقيقة العبادة التي يقبلها المولى بامتنان، هي التذلل التام برؤية عظمته وعلو شأنه، والثناء عليه بمشاهدة مننه وأنواع إحسانه، وإيثاره على كل شيء بمحبة حضرته وتصوّر محامده وجماله ولمعانه، وتطهير الجنان من وساوس الجنة نظرًا إلى جنانه. ومن أفضل العبادات أن يكون الإنسان محافظًا على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها، وأن يجتهد للحضور والذوق والشوق وتحصيل بركاتها، مواظبًا على أداء مفروضاتها ومسنوناتها. فإن الصلاة مركب يوصل العبد إلى رب العباد، فيصل بها إلى مقام لا يصل إليه على صهوات الجياد، وصيدها لا يُصاد بالسهام، وسرّها لا يظهر بالأقلام. ومن التزم هذه الطريقة، فقد بلغ الحق والحقيقة، وألقى الحب الذي هو في حجب الغيب، ونجا من الشك والريب، فترى أيامه غُررًا، وكلامه دُررًا، ووجهه بدرًا، ومقامه صدرًا. ومن ذلّ الله في صلواته أذلّ الله له الملوك، ويجعل مالِكًا هذا المملوك.

ثم اعلم أنّ الله حمد ذاته أولاً في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم حثّ الناس على العبادة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ففي هذه إشارة إلى أن العابد في الحقيقة هو الذي يحمده حقّ المَحْمُدة. فحاصل هذا الدعاء والمسألة أن يجعل الله أحمد كلّ مَنْ تصدّى للعبادة، وعلى هذا كان من الواجبات أن يكون أحمد في آخر هذه الأُمَّة على قدم أحمد الأول الذي هو سيد الكائنات، ليفهم أن الدعاء استُجيب من حضرة مستجيب الدعوات، وليكون ظهوره للاستجابة كالعلامات. فهذا هو المسيح الذي كان وعدّ ظهوره في آخر الزمان مكتوباً في الفاتحة وفي القرآن. ثم في هذه الآية إشارة إلى أن العبد لا يمكنه الإتيان بالعبودية، إلا بتوفيق من الحضرة الأحدية.

ومن فروع العبادة أن تحب من يعاديك، كما تحب نفسك وبنيك، وأن تكون مُقيلاً للعثرات، متجاوزاً عن الهفوات، وتعيش نقياً نقياً سليم القلب طيّب الذات، ووفياً صفيّاً منزهاً عن ذمائم العادات، وأن تكون وجوداً نافعاً لخلق الله بخاصية الفطرة كبعض النباتات، من غير التكاليف والتصنّعات، وأن لا تؤذي أحْيَاك بكبر منك ولا تجرحه بكلمة من الكلمات، بل عليك أن تجيب الأخّ المغضب بتواضع ولا تحقره في المخاطبات، وتموت قبل أن تموت، وتحسب نفسك من الأموات، وتعظم كلّ من جاءك ولو جاءك في الأطمار لا في الخلل والكسوات، وتسلم على من تعرفه وعلى من لا تعرفه، وتقوم متصدّياً للمواساة. (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٦٥-١٦٩)

ثم يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أي ادعوا الله تعالى قائلين: ربنا إنا نعبدك ونستنجد بك في كل هذه الأمور. فكل هذه الإشارات تشير إلى التفاني والتذلل. لئلا يعتزّ الإنسان ويغترّ بنفسه. (القول الحق، الخزائن الروحانية، مجلد ١٠، ص ٢١٢)

يجب بذل القوة والقدرة التي وهبها الله تعالى في كل أمر - سواء أكان دينياً أم دنيوياً - قبل الاستعانة بأحد، وبعد ذلك يمكن أن يطلبوا المساعدة لإكمالهم. هذا

ما علّمنا الله تعالى إياه في عبادتنا اليومية إذ أمرنا أن ندعو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وليس: إياك نستعين وإياك نعبد. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، مجلد ١، ص ١٣٧-١٣٧)

إن وجود الإنسان بحاجة إلى خالق وإلى قيوم أيضا لكي يخلقه الخالق ويحميه القيوم من الفساد. فإن ذلك الإله خالق وقيوم أيضا. وعندما وُلد الإنسان انتهت مهمة الخالقية، ولكن مهمة القيومية مستمرة إلى الأبد، لذلك كانت هناك حاجة إلى الاستغفار باستمرار.

باختصار، هناك فيض لكل صفة من صفات الله، ففي سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى الاستمرار في الاستغفار للحصول على فيض القيومية. أي نعبدك يا رب ونستعين بك لتعيننا قيوميتك وربوبيتك وتنقذنا من العثار حتى لا يظهر منا ضعف فنحرم من العبادة. (عصمة الأنبياء، الخزان الروحانية، مجلد ١٨، ص ٦٧٢)

انظروا كيف علّمنا الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولكن لما كان من الممكن أن يغتر الإنسان بقوته فيبتعد عن الله تعالى، أردف الله قوله هذا بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أي لا يظن أحدكم أنه يقوم بالعبادة بقوته وقدرته، كلا، بل لا يستطيع الإنسان فعل شيء بدون عون الله وتمكينه وتوفيقه سبحانه تعالى.

ثم إن الله تعالى لم يعلّمنا "إياك أعبد" أو "إياك أستعين"، ذلك لأنّ هذا الكلام تُشَم منه رائحة تقديم النفس على الآخرين، وهذا يتنافى مع التقوى. إن المتقي يهتم ويفكر في الناس جميع. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١١، عدد: ١٩٠١/٣/٢٤ م ص ٤)

الذي يسأل بالدعاء والسعي فهو المتقي. كما قد أشار الله ﷻ إلى ذلك في سورة الفاتحة أيضا في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. تذكروا أن الذي لا ينشد بكل فهم وعقل كامل وقوة فلا يعد طالبا عند الله ﷻ وكذلك الذي يختبر يبقى محروما أبدا، لكن إذا كان يدعو أيضا مع بذل السعي ثم يتعرض للعثار، فالله ﷻ ينقذه،

فالذي يأتي أعتابه برغد وتنعم وسهولة ويمتحن الله فلا يعبأ الله به أبدا. (بدر المجلد ٢، رقم ٢٨، عدد: ٢٤/١٢/١٩٠٣ م ص ٣٨٤)

ما من نعمة للإنسان أكبر من أن ينفر من الاثم وأن ينقذه الله بنفسه من المعاصي. ولكن لا يتأتى هذا بالمجاهدة وحدها ولا بالدعاء وحده بل يتأتى باجتماع الاثنين كما علّم الله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين"، ومعناه أن يستخدم المرء قوى أعطاها الله حق الاستخدام أولا ثم يفوض عاقبة الأمور إلى الله تعالى ويدعوه متضرعا بأني بذلت جهدي بقدر ما وفقّتي. هذا هو معنى: إياك نعبد، ثم يستعين المرء بالله قائلا: إياك نستعين، بمعنى أني أستعين بك يا ربي في المراحل المتبقية. إنه لغبي جدا من لا يستخدم القوى التي أعطاه الله تعالى ويستعين بالدعاء فقط. أتى لهذا الشخص أن ينال النجاح؟ (بدر المجلد ٣، رقم ٩، عدد: ١/٣/١٩٠٤ م ص ٣)

المؤمن... يأخذ بالأسباب ويدعو أيضا، أي أنه يجتهد حق الاجتهاد ثم يفوض الأمر إلى الله تعالى ويدعوه. هذا ما علّم في السورة الأولى في القرآن الكريم. فقال تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين". والذي لا يستخدم قواه فإنه لا يضعيها فقط ويهينها بل يرتكب أثما. (الحكم المجلد ٨، رقم ٧، عدد: ١٠/٣/١٩٠٤ م ص ٧)

العوود الكبيرة التي أُعطيها المتقون في القرآن الكريم إنما هي للمتقين الذين اتقوا جهد المستطيع، فتمسكوا بأهداب التقوى بقدر ما رافقتهم القوى البشرية حتى خارت فطلبوا من الله مزيدا من القوة كما يتبين من "إياك نعبد وإياك نستعين". المراد من "إياك نعبد" هنا هو بأننا استفدنا جهودنا قدر المستطيع ولم نقصّر في ذلك شيئا. ومعنى إياك نستعين بأننا نرجو منك قوة جديدة للمضي قدما. (الحكم المجلد ٨، رقم ٢٢، عدد: ١٠/٧/١٩٠٤ م ص ١٠)

إن فكرة الحسنة موجودة في فطرة الإنسان حتما ولكنه بحاجة ماسة للاستعانة بالله من أجل إتمامها. لذلك أمر الله تعالى بتلاوة سورة الفاتحة في

الصلوات الخمس كل يوم وقال فيها: "إياك نعبد" ثم قال: "إياك نستعين" أي نعبدك وحدك ونستعين بك وحدك. ففي ذلك إشارة إلى أمرين، أي أن يستخدم المرء القوى والأسباب والمجهود في كل عمل حسن. وهذه إشارة إلى: "نعبد" لأن الذي يكتفي بالدعاء فقط ولا يجاهد، لا ينجح. كما أنه إن لم يجتهد الزارع أتى له أن يتوقع الثمار. ومن سنة الله أن الذين يكتفون بالدعاء فقط بعد بذر البذور سيُحرمون حتماً. (الحكم المجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد: ١٠-١٧/١١/١٩٠٤م ص ٦)

إن الذين يتكلمون على قوتهم ويتركون الله تعالى عاقبتهم لا تكون محمودة. غير أن التوكل لا يعني أن يجلس الإنسان عاطلاً، كلا بل إن أخذَه بالأسباب التي خلقها الله تعالى واستعماله القوى التي وهبها لنا، ثم تزكّه النتيجة بيد الله تعالى، هو الصراط الحق، وهو قدره لله حق قدره. إن الذين لا يستعينون بالقوى الموهوبة من عند الله تعالى ويقولون بأفواههم إننا نتوكل على الله هم كاذبون ولا يقدرّون الله حق قدره، بل يختبرون الله تعالى، ويعدّون ما وهبنا الله من قوى وقدرات عبثاً، وهكذا يرتكبون الجسارة والوقاحة بحق الله تعالى، ويذهبون بعيداً عن قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ولا يعملون به، ومع ذلك يريدون أن تظهر لهم نتائج ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وهذا غير مناسب البتة، بل لا بد للمرء من أن يتخذ الأسباب بقدر وسعه وطاقته، ثم يفوض مآل الأمر إلى الله تعالى، ويسجد لله شاكراً على أنه قد وهبه تلك القوى والكفاءات. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٣، عدد: ١٧/٤/١٩٠٥م ص ٥)

إن مفهوم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هو أننا نعبدك وحدك آخذين بالأسباب المادية التي وهبت لنا. خذوا مثلاً هذا اللسان المخلوق من عروق وأعصاب، فإنه إن لم يكن مخلوقاً على هذا النحو لما قدرنا على الكلام. لقد رزقنا من أجل الدعاء لساناً قادراً على التعبير عما يختلج في قلوبنا من أفكار وأحاسيس. فإن لم نستخدم اللسان من

أجل الدعاء فهذه شقاوتنا. هناك أمراض كثيرة لو أصابت اللسان لتعطّل دفعةً واحدة وصار الإنسان أبكم. فما أعظم رحمة الله إذ أعطانا اللسان. كذلك لو حصل خلل في الأذن لما سمعنا شيئاً. والحال نفسها للقلب؛ فلو أصابه المرض لفسد كل ما خلق الله تعالى فيه من قوة الخشوع والخضوع والتفكير والتدبر. انظروا إلى المجانين كيف تصير قواهم العقلية عاطلة. أفليس واجبا إذن أن نقدر هذه النعم الإلهية حق قدرها؟ لو تركنا هذه القوى التي أعطانا الله بكمال فضله عاطلة، كنا ناكرين لنعمة الله حتماً. فاعلموا أننا لو دعونا الله تعالى معطين ما وهب لنا من القوى والقدرات فلن ينفعنا الدعاء شيئاً. فما دمنا لم نستفد من العطية الإلهية الأولى فأئني لنا أن نستفيد من الأخرى وننتفع منها؟

فقولنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني: يا رب العالمين، إننا لم نبطل عطيتك الأولى ولم نعطلها. أما قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فقد أمر الله تعالى فيه الإنسان أن يسأله البصيرة الحقة، إذ لولا فضل الله ولطفه لما كان بوسع الإنسان الضعيف المحاط بالظلمة والغواية تماماً أن يقوم بالدعاء أصلاً. فما لم يدع الإنسان الله تعالى مستفيداً من فضله الذي أصابه بفيض الرحمانية لم يحقق النتيجة المحمودة.

قبل مدة كنتُ قرأت في القانون الإنجليزي أنه لا بد للمرء للحصول على القرض الزراعي من الدولة من إثبات ما يملكه من أموال وعقارات. فعليكم أن تنظروا إلى القانون الإلهي أيضاً على هذا النحو لتروا ماذا حققتم بالاستفادة مما أوتيتم من قبل. فإن كنتم لم تنحرفوا ولم ترتكبوا الحقد والغباء بسبب ما أوتيتموه من قبل من عقل ووعي وبصيرة وسمع، فادعوا الله تعالى فيعطيكُم مزيداً من فيوضه. وإن لم تفعلوا فاعلموا أن مصيركم الحرمان والشقاوة حتماً.

سيواجه أحبائنا المسيحيين كثيراً، وسيرون أنه ليس لدى هؤلاء الأغبياء ما يمكن عزوّه إلى الله الحكيم. ما هي الحكمة؟ إنما الحكمة: "وضع الشيء في محله"، ولكن لن تجدوا عند هؤلاء القوم فعلاً أو حُكماً يتفق مع مفهوم الحكمة هذا.

عند التأمل في ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يتضح لنا كإشارة النص أن فيه أمرًا بالدعاء، أي أن ندعو الله تعالى للاهتداء إلى الصراط المستقيم، ولكن تقديم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يشير إشارة واضحة إلى ضرورة الانتفاع من ذلك، أعني من واجبنا استخدام القوى السليمة الموهوبة لنا في الاستعانة بالله من أجل سلوك منازل الصراط المستقيم. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م ص ١٥٠ - ١٥١)

عندما يقول الإنسان "إياك نعبد" ويخطو بالصدق والوفاء يفتح الله من الصدق نهرا واسعا ينزل على قلبه ويملاؤه صدقا. يأتي الإنسان من عنده ببضاعة مزجاة ولكن الله تعالى يعطيه شيئا ثميناً. ما أقصده هنا هو أن على الإنسان أن يسعى جاهدا ليكون ذلك الصدق آية خارقة له. يُفتح على الإنسان بحر من المعارف والحقائق ويُعطى قوة لا يسع أحدا أن يبارزه. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٧، عدد: ١٧/٥/١٩٠٥م ص ٢)

فلسفة إحراز كمال الصديقية هي أن المرء حين يرى ضعفه وقلة حيلته ويدعو بقدر وسعه وطاقته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ويتحلى بالصدق، ويترك الكذب، ويفرّ من كل أنواع الرجس والنجاسة ذات الصلة بالكذب، ويعاهد الله على أنه لن يكذب أبداً، ولن يشهد شهادة الزور أبداً، ولن يتفوه بكلام كاذب مدفوعاً بأهواء النفس، لا لغواً، ولا كسباً للخير، ولا دفعاً للشر، أي أنه لن يلجأ إلى الكذب بتاتا في أي حال، أقول عندما يعاهد الله لهذا الحد فكأنما يعمل بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بوجه خاص، ويُعدّ عمله هذا عبادةً من الطراز الأول.

ثم بعد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يأتي دعاء ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وسواء تفوّه المرء بهذا الدعاء أم لا، فإن الله الذي هو مبدأ الفيوض ومنبع الصدق والحق يعينه حتماً، ويكشف عليه أسْمى مبادئ الصدق والحقائق. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٣، عدد: ١٧/٤/١٩٠٥م ص ٥)

ليكن معلوماً أن القرآن الكريم قد ذكر الله تعالى اسمين اثنين وهما: الحيّ والقيوم. المراد من الحيّ هو الذي حيّ بنفسه ويهب الحياة للآخرين. ومعنى القيوم هو الذي قائم بذاته وسبب لقيام الآخرين. إن بقاء كل شيء الظاهريّ والباطني وحياته إنما هي ببركة هاتين الصفتين. إن صفة "الحي" تقتضي أن يُعبد الله وحده كما أن مظهره في سورة الفاتحة هو "إياك نعبد". وصفة القيوم تقتضي أن يُطلب السند منه، وقد دُكر هذا المفهوم بجملة: "إياك نستعين". (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد: ١٧/٣/١٩٠٢ م ص ٥)

يتبين من "إياك نعبد" بكل وضوح أننا لا نريد شيئاً بل نعبدك فقط، وندعو بواسطة إياك نسعين. وكأن الجملة: "إياك نعبد وإياك نستعين" تتضمن: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) و﴿لَبِّلُوا كُفْرَكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٦). المراد من "نعبد" هو ألا تخطر السيئة بالبال، وتُسلب الأمانى كلها. وفي "إياك نستعين" تعليم للدعاء. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد: ١٠/١٠/١٩٠٢ م ص ١٤)

إن جملة: "إياك نعبد" توجه من ناحية إلى حسن الرب والرحمن الرحيم ومالك يوم الدين وإحسانه وتوجّه في الوقت نفسه إلى عجز الإنسان وضعفه أيضاً فيقول عفويا: "إياك نعبد". (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد: ٢٦/٧/١٩٠٨ م ص ٣) في الجملة: "إياك نعبد وإياك نستعين" تعليم التقوى. ومن عساه أن يكون أكثر تقوى من الذي يعبد ويستعين. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٤، عدد: ١٠/١٢/١٩٠٢ م ص ٧)

يقول البعض بأننا لا نجد المتعة في الصلاة، فأقول لهم بأنه عليهم أن يواظبوا عليها أكثر. في المرحلة الأولى من التقوى يحدث الانقباض ففي هذه الحالة يجب أن يكرر المرء "إياك نعبد وإياك نستعين" في حضرة الله بكثرة، عندها يرى الشيطان في الكشف كلفاً أو ناهب فليشكوه عند الله تعالى بأن هذا الناهب يلاحقني فيتشبث بالله وبه يستغيث ولا يملّ بل يحرز القوة والقدرة

التي تؤدي إلى هلاك الشيطان. ولكن لنيل هذه القوة وتقديم الاستغاثه هناك حاجة للصدق والحرقة التي تنشأ نتيجة تصور اللص الذي يلاحقه ويريد أن يعرّبه وينوي أن يوقعه في ابتلاء تعرض له آدم. فبهذا التصور ستصرخ الروح عفويا قائلة: إياك نعبد وإياك نستعين". (الحكم، مجلد ٥، رقم ٦، عدد: ١٧/٢/١٩٠١ م ص ٢)

أكثر من تكرار "إياك نعبد وإياك نستعين" في الصلوات. إن تكرار "إياك نعبد" يجلب فضل الله ويعيد المتاع المفقود. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد: ١٠/١١/١٩٠٢ م ص ١٢)

إن الجملة: ﴿إياك نعبد﴾ تدحض الآلهة الباطلة كلها، وفيها ردٌّ على المشركين أيضا لأن الله تعالى بين صفاته الكاملة أولا ثم قال العبد مخاطبا إياه: إياك نعبد، أي نعبدك وحدك يا إلهي ذا الصفات الكاملة الذي هو رب العالمين والرحمن والرحيم ومالك يوم الدين. أين توجد في الآلهة الباطلة هذه الصفات الأربعة التي هي أهم الصفات؟ والذين يعبدون الأحجار والأشجار والدواب وغيرها من الأشياء لا يستطيعون أن يثبتوا هذه الصفات فيها.

كذلك في الجملة: إياك نستعين دحض للذين ينكرون الدعاء وإجابته. (الحكم، مجلد ٧، عدد ١٩، عدد: ٢٤/٥/١٩٠٣ م ص ١ - ٢)

يجب على الإنسان أن يواظب على دعاء: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ويطلب التوفيق من الله وحده. وبفعل ذلك يسعه أن يكون مظهرا لتجلياته وَعَلَى. عندما يقابل القمر الشمس يستمد النور منها. ولكن حين يبتعد عنها يُظلم رويدا رويدا. والحال نفسها تنطبق على الإنسان بأنه حينما يبقى على عتبات الله ويعتبر نفسه محتاجا إليه يرفعه الله ويتلطف عليه. وكلما يعتمد على قوته الشخصية يذل ويهان. لذا قال تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩). (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد: ١٠/٣/١٩٠٣ م ص ١٣)

التوحيد ثلاثة أنواع: التوحيد العلمي الذي يتأتى بالمعتقدات الصحيحة. والثاني هو التوحيد العملي الذي يتسنى بإخضاع القوى الأخلاقية كلها في سبيل الله أي بالفناء في أخلاق الله. والثالث هو التوحيد الحالي الذي يُحصل بتحسين المرء حال نفسه أي إبلاغ النفس إلى كمال تركيتها وتنزيه صفحة القلب من غير الله كلياً، وإفناء المرء نفسه ومحو آثاره. وهذا التوحيد يتسنى بالكامل حين يأخذ جذبُ الله الإنسانَ ويمحو آثار نفسه كلياً. ولا يتأتى دون فضل الله أي لا يحصل بالعلم ولا بالعمل. لذلك يهتف العابدون المخلصون جميعاً: "إياك نستعين". (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٣، عدد: ١٩٠٥/٩/٢٤ م ص ٤)

وإن الإفراط والتفريط في استخدام القوى الإنسانية -أي استخدامها في غير محلها- هو العصيان معنى الاستغفار هو أن يطلب العبدُ من ربه لُطفَه وفضلَه وكأنه يقول له: ارحمنا يا ربنا وأنقذنا من الإفراط والتفريط في استخدامها. فالاستغفار في الحقيقة الاستعانة به ﷺ. ومن لم يعتقد بذلك فهو ليس مسلماً. كان المسيح أيضاً بحاجة إلى نصرته الله.. إن أكبر فإن في الله هو الذي يستعين بالله ﷺ كما جاء في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. (جريدة بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد: ١٩٠٢/١١/٧ م، ص ١٣)

لا يمكن لأوامر الحكومات الدنيوية أن تخلص من الذنوب. الحكام لا يلاحقون الناس دائماً حتى يخافوهم. إن الإنسان يرتكب الذنب حين يحسب نفسه وحيداً، وإلا لما أذنب أبداً. وعندما يحسب نفسه وحيداً يكون ملحداً إذ لا يفكر أن ربه معه ويراه. وإذا فكر كذلك لما أذنب أبداً. التقوى هو الأصل. وقد بدأ القرآن بذكر التقوى. المراد من إياك نعبد وإياك نستعين أيضاً هو التقوى. صحيح أن الإنسان يكسب أعمالاً ولكنه لا يتشجع على أن ينسبها إلى نفسه، بل يحسبها نتيجة عون الله، وبه يستعين للمستقبل. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد:

إِنَّهُ ﷻ لَا يُرَى بِهَذِهِ الْعْيُونِ بَلْ يُرَى بِعْيُونِ الدُّعَاءِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُعْثَرْ عَلَى مَجِيبِ الدُّعَاءِ فَكَمَا أَنَّ الْخَشَبَ يَصِيرُ رَدِيئًا بَعْدَ أَنْ تُصَيِّبَهُ الْأَرْضَةُ (النمل الأبيض) كَذَلِكَ يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ بِالنَّدَاءِ الْمُتَكَرِّرِ، وَأَخِيرًا يَصْبَحُ مُلْحَدًا. يَجِبُ أَنْ يَرْفَعَ الْمَرْءُ دُعَاءً يَثْبِتَ بِهِ أَنْ وَجُودَ اللَّهِ حَقٌّ، وَعِنْدَمَا يَطَّلِعَ الْإِنْسَانُ عَلَى ذَلِكَ يَتَطَهَّرُ فِي الْحَقِيقَةِ، هَذَا الْأَمْرُ وَإِنْ كَانَ يَبْدُو صَعْبًا جَدًّا، لَكِنَّهُ لَيْسَ صَعْبًا فِي الْحَقِيقَةِ، بِشَرَطِ أَنْ يُوْظَفَ الدُّعَاءُ وَالتَّنْدِيرُ كِلَيْهِمَا كَمَا شَرَحْتُ قَبْلَ أَيَّامٍ فِي تَفْسِيرِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. أَقِيمُوا الصَّلَاةَ بَانْتِظَامٍ وَتَصَدَّقُوا بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ لِكَيْ يَرْضَى اللَّهُ عَنْكُمْ، وَاسْأَلُوهُ التَّوْفِيقَ لِكَيْ تَغَادِرَكُمْ التَّأَثُّرَاتُ السَّامِيَّةُ - كَالرِّيَاءِ وَالْعَجَبِ وَغَيْرِهِمَا الَّتِي تَبْطُلُ الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ - وَيَمْتَلِئَ الْقَلْبُ إِخْلَاصًا. لَا تَسِيئُوا الظَّنَّ بِاللَّهِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسْهَلَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْأَعْمَالُ، هُوَ رَحِيمٌ وَكَرِيمٌ.

باکریماں کارہادشوار نیست

آی: لَا شَيْءَ عَسِيرٍ عَلَى الْكَرَامِ. فَإِذَا أَصْرَرْتُمْ عَلَى السُّؤَالِ بِالْحَاحِ فَسَوْفَ تَفُورُ رَحْمَتُهُ لَكُمْ أَخِيرًا. (بدر، مجلد ۳، رقم ۱۱، عدد: ۱۶/۳/۱۹۰۴، ص ۸)

الوعدود الكبيرة التي أعطاها القرآن الكريم المتقين تخصّ الأتقياء الذين أدّوا مقتضيات التقوى جهد المستطيع. فقد ثبتوا على التقوى ما دامت القوى البشرية ساعدتهم حتى خارت، فطلبوا من الله قوة إضافية كما يتبين من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فمعنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أننا فعلنا كل ما كان في وسعنا ولم ندّخر جهداً. ومعنى ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أننا نطلب منك مزيداً من القوة للمضي قُدماً، كما قال "الحافظ":

ما بدار منزلِ عالی توانیم رسیدہ ہاں اگر لطفِ شاپیش نہد گامے چند

آی: لَا نَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى أَعْتَابِكَ الْعَالِيَةِ إِلَّا إِذَا تَقَدَّمَتْ أَنْتَ بِضَعِ أَقْدَامِ

لطفاً منك. (بدر، مجلد ۳، رقم ۲۲-۲۳، عدد: ۸-۱۶/۶/۱۹۰۴، ص ۲)

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

"أما الهداية التي قد أمرنا لطلبها في الفاتحة فهو اقتداءً محامد ذات الله وصفاته الأربعة، وإلى هذا يشير اللام الذي موجود في: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ويعرفه من أعطاه الله الفهم السليم. ولا شك أن هذه الصفات أممات الصفات، وهي كافية لتطهير الناس من الهنات وأنواع السيئات، فلا يؤمن بها عبد إلا بعد أن يأخذ من كل صفة حظَّه ويتخلق بأخلاق رب الكائنات. فمن استفاض منها فيفتح عليه باب عظيم من معرفة الرب المحبوب، وتتجلى له عظمته، فتحصل الأمانة والتنقُّر من الذنوب، والسكينة والإحبات والامتثال الحقيقي والخشية والأنس والذوق والشوق والمواجيد الصحيحة والمحبة الذاتية المفنية المحرقة بإذن الله مُرَبِّي السالكين." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، مجلد ٧، ص ١٤٥)

"وكذلك علّم الله عباده دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

ومعلوم أن من أنواع الهداية كشف وإلهام ورؤيا صالحة ومكالمات ومخاطبات وتحديث لينكشف بها غوامض القرآن ويزداد اليقين، بل لا معنى للإنعام من غير هذه الفيوض السماوية، فإنها أصل المقاصد للسالكين الذين يريدون أن تنكشف عليهم دقائق المعرفة، ويعرفوا ربهم في هذه الدنيا، ويزدادوا حُبًّا وإيمانًا، ويصلوا محبوبهم متبتلين. فلأجل ذلك.. حثَّ الله عباده على أن يطلبوا هذا الإنعام من حضرته، فإنه كان عليما بما في قلوبهم من عطش الوصال واليقين والمعرفة، فرجمهم وأمدَّ كلَّ معرفة للطالبيين، ثم أمرهم ليطلبوها في الصباح والمساء والليل والنهار، وما أمرهم إلا بعدما رضي بإعطاء هذه النعماء، بل بعدما قدّر لهم أن يُرَزَقُوا منها،

وبعدما جعلهم ورثاء الأنبياء الذين أُوتوا مِن قبلهم كلّ نعمة الهداية على طريق الأصالة. فانظر كيف منَّ الله علينا.. وأمرنا في أم الكتاب لنطلب فيه هدايات الأنبياء كلها، ليكشف علينا كل ما كشف عليهم، ولكن بالاتباع والظلية، وعلى قدر ظروف الاستعدادات والهمم. فكيف نردّ نعمة الله التي أُعِدَّت لنا إن كنّا طُلباء الهداية؟ وكيف نُنكرها بعدما أُخبرنا عن أصدق الصادقين؟" (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، مجلد ٧، ص ٢٩٩)

"إن تعليم كتاب الله الأحكم ورسول الله ﷺ، كان منقسما على ثلاثة أقسام: الأول.. أن يجعل الوحوش أناسا، ويعلمهم آداب الإنسانية ويهب لهم مدارك وحواسا، والثاني.. أن يجعلهم بعد الإنسانية أكمل الناس في محاسن الأخلاق، والثالث.. أن يرفعهم من مقام الأخلاق إلى ذرى مرتبة حُبِّ الخلاق، ويوصل إلى منزل القرب والرضا والمعيرة والفناء والذوبان والمحوية، أعني إلى مقام ينعدم فيه أثر الوجود والاختيار، ويبقى الله وحده كما هو بعد فناء هذا العالم بذاته القهار. فهذه آخر المقامات للسالكين والسالكات، وإليه تنتهي مطايا الرياضات، وفيه يختتم سلوك الولايات، وهو المراد من الاستقامة في دعاء سورة الفاتحة. وكلُّ ما يتضرّم من أهواء النفس الأمّارة فتدوب في هذا المقام بحكم الله ذي الجبروت والعزة، فتُفتح البلدة كلها ولا تبقى الضوضاء لعامة الأهواء، ويُقال لِمَنِ المملُكُ اليوم.. لله ذي المجد والكبرياء." (نجم الهدى، الخزان الروحانية، مجلد ١٤، ص ٣٤-٣٦)

إن سبيل الهدى من الله، أو يمكن أن تقولوا إن أسباب الهداية أو وسائلها ثلاث. أحدها أن يهتدي ضال بواسطة كتاب الله فقط، والثانية أنه إذا لم يفهم جيّدًا من كتاب الله فيُريه الطريق نور الشهادات العقلية، وثالثًا إذا لم يطمئنّ حتى بالشهادات العقلية فُطمئنه الآيات السماوية. فهذه الطرق الثلاثة من عادة الله لإقناع العباد منذ القدم؛ أي إحداها سلسلة الكتب الإيمانية التي تصل إلى عامة الناس سمعًا

ونقلًا، والتي يجب على كل مؤمن أن يؤمن بأخبارها وهديها، وإن المخزن الأتم والأكمل لها هو القرآن الكريم. والسلسلة الثانية هي المعقولات التي منبعها ومصدرها الدلائل العقلية، والسلسلة الثالثة هي الآيات السماوية التي مصدرها دومًا إمام الزمان ومجدّد الوقت بعد الأنبياء. فالورثة الحقيقيون لهذه الآيات هم الأنبياء عليهم السلام، وعندما تصير معجزاتهم وآياتهم بعد مدة مديدة ضعيفة التأثير إثر كونها منقولة، فإن الله يخلق شخصًا آخر على سيرتهم لكيلا تكون مظاهر عجائب النبوة ميتةً وعدمية التأثير في المتأخرين لكونها منقولة، ولكي يجددوا هم أيضًا إيمانهم برؤية الآيات بأم أعينهم. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، مجلد ١٣، ص ٤٩)

" وفي هذه السورة يُعَلِّمُ الله تعالى عباده المسلمين.. فكأنه يقول يا عباد.. إنكم رأيتم اليهود والنصارى، فاجتنبوا شَبَهَ أَعْمَالِهِمْ، واعتصموا بحبل الدعاء والاستعانة، ولا تنسوا نعماء الله كاليهود، فيحلّ عليكم غضبه، ولا تتركوا العلوم الصادقة والدعاء، ولا تحنوا من طلب الهداية كالنصارى فتكونوا من الضالين.

وحتّى على طلب الهداية إشارةً إلى أن الثبات على الهداية لا يكون إلا بدوام الدعاء والتضرع في حضرة الله. ومع ذلك إشارةً إلى أن الهداية أمرٌ من لديه، والعبْد لا يهتدي أبدًا من غير أن يهديه الله ويُدخله في المهديين. وإشارةً إلى أن الهداية غير متناهية، وترقى النفوس إليها بسَلَمِ الدعوات، ومن ترك الدعاء فأضاع سُلَّمه، فإنما الحرّى بالاهتداء مَنْ كان رَطْبُ اللسان بالدعاء وذكر ربه، وكان عليه من المداومين. ومن ترك الدعاء وادّعى الاهتداء، فعسى أن يتزين للناس بما ليس فيه، ويقع في هوة الشرك والرياء، ويخرج من جماعة المخلصين. والمخلص يترقى يوما فيوما حتى يصير مُخْلِصًا.. بفتح اللام.. وتَهَبُّ له العناية سرًّا يكون بين الله وبينه ويدخل في المحبوبين، ويتنزل منزلة المقبولين. والعبد لا يبلغ حقيقة الإيمان من غير أن يفهم حقيقة الإخلاص ويقوم عليها، ولا يكون مخلصا وعنده على وجه الأرض شيءٌ يَتَكَيُّ عليه ويخافه أو يحسبه من الناصرين. ولا ينجو أحد من غوائل النفس وشروها إلا بعد

أن يتقبله الله بإخلاصه، ويعصمه بفضله وحوله وقوته ويذيقه من شراب الروحانيين، لأنها خبيثة وقد انتهت إلى غاية الخبث وصارت منشأ الأهوية المضلة الردية المردية، فعلم الله تعالى عباده أن يفروا إليه بالدعاء عائداً من شرورها ودواهيها ليدخلهم في زمر المحفوظين. وإن مثل جذبات النفس كمثّل الحُمَيّات الحادّة، فكما تجد عند تلك الحُمَيّات أعراضاً هائلة مشددة مثل النافض والبرد والقشعريرة، ومثل العرق الكثير والرعاف المفرط والقيء العنيف والإسهال المضعّف، والعطش الذي لا يُطاق، ومثل السبات الكثير والأرقّ اللازم، وخشونة اللسان وقحل الفم، ومثل العطاس الملحّ والصداع الصعب، والسعال المتواتر وسقوط الشهوة والفُواق، وغيرها من علامات المحمومين؛ كذلك للنفس جذبات وعلامات، موادها تفور، وأمواجها تمور، وأعراضها تدور، وبقراتها تخور، وأسيرها يبور، وقلٌّ مَنْ كان من الناجين. فطلب الهداية كمثّل الرجوع إلى الطبيب الحاذق والاستطراح بين يدي المعالجين. والإنعام الذي أشار الله إليه لعباده هو تبثّل العبد إلى الله وإحماء وداده ودوام إسعاده، ورجوعُ الله إليه ببركاته وإلهاماته واستجاباته، وجعله طوداً من أطواده، وإدخاله في عباده المحفوظين، وقوله: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٧٠)، وجعله من الطيبين الطاهرين، فهذا هو الشفاء من حُمى المعاصي، والعلاج بأوفق الأدوية والأغذية، والتدبير اللطيف الذي لا يعلمه إلا رب العالمين. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، مجلد ٧، ص ١٢٤-١٢٥)

الصراط في اللغة العربية هو السبيل المستقيم بمعنى أن تكون كافة أجزائه على وضع الاستقامة ومحازية لبعضها بعضاً. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٥، عدد: ١٠/٢/١٩٠٥ م ص ٤)

"وقيل إن الطريق لا يُسمّى صراطاً عند قوم ذوي قلب ونور، حتى يتضمن خمسة أمور من أمور الدين وهي: (١) الاستقامة (٢) والإيصال إلى المقصود باليقين (٣) وقرب الطريق (٤) وسعته للمارّين (٥) وتعيينه طريقاً للمقصود في أعين السالكين.

وهو تارة يُضاف إلى الله إذ هو شرعه وهو سوى سُبله للماشين. وتارة يُضاف إلى العباد لكونهم أهل السلوك والمآزين عليها والعابرين. " (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية مجلد ٧، ص ١٣٧)

الاستقامة تُكسب رضى الله تعالى. الحق أن الاستقامة فوق الكرامة. وكمال الاستقامة أن نرى البلايا قد حاصرتنا من الجهات الأربع، وأن نجد أنفسنا وعرضنا وشرفنا عرضةً للخطر في سبيل الله، ولا نجد سبيلا للسلوان.. حتى أن الله أيضا يُمسك عنا كشوفه ورؤاه وإلهامه على سبيل الاختبار، ويتركنا في أخطار مهولة.. ورغم كل ذلك لا نُبدي فشلا، ولا نتفقهركا لجبناء، ولا نُخِلّ في وفائنا، ولا نقصر في صدقنا وثباتنا، بل نفرح على الذلة، ونرضى بالموت، ولا ننتظر صديقا يكون لنا عوناً على الثبات، ولا نطلب من الله بشارات بحجة أن الموقف خطير.. وإنما ننتصب قياماً رغم الضعف والخذلان وفقدان سبل السلوان، ونضع أمامه رقابنا دون تفكير في العواقب، ولا نتحرك أمام القضاء والقدر، ولا نبدي أبداً أي قلق أو جزع أو فرح، إلى أن يستوفي الاختبار أجله.

هذه هي الاستقامة التي يلاقي بها الإنسان ربه، وهي نفس العطر الذي لا يزال عبيره يفوح حتى اليوم من تربة الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء، وإليها أشار الله في الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وإليها تشير الآية: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٧).. أي يا رب أنزل على قلوبنا في وقت المصيبة سكينَةً توفقنا للصبر، وقدر لنا الموت على الإسلام. واعلموا أن الله تعالى يُنزل على قلوب عباده المحبوبين في وقت الآلام والمصائب نوراً يتقنون به، فيقاومون النوازل والبلايا بكل اطمئنان، ويقبلون -من حلاوة الإيمان- تلك السلاسل التي تُصقّد بها أرجلهم في سبيله تعالى. إن الإنسان الرباني عندما تحلّ به البلايا وتظهر له آثار الهلاك.. فإنه لا ينازع ربه الكريم هكذا عبثاً سائلاً النجاة منها، لأن الإلحاح في الدعاء بالعافية حينئذ يكون بمنزلة حرب على

الله تعالى، ويصبح منافيا للتوافق التام مع مشيئة الله. وإنما الحب الصادق من يزداد تقدماً كلما نزل البلاء، ولا يقيم حينئذ لنفسه وزناً، ويودع حُب الذات ليتبع كلية مشيئة مولاه ابتغاءً لمرضاته. وفي حقه هو يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٨).. أي أن محبوب الله تعالى يقدم نفسه فداءً في سبيله تعالى ويشري بها مرضاته تعالى. وأمثاله هم الذين يصبحون مورداً لرحمة خاصة من الله. هذه إذن هي روح الاستقامة التي بها يلاقي الإنسان ربه. فليفهمها من شاء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية مجلد ١٠، ص ٤١٩-٤٢١)

الاستقامة... ما يسميه الصوفية الفناء في مصطلحهم، وهم يفسرون: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أيضاً بمعنى الفناء، أي أن تصبح أرواحنا وثواننا وإرادتنا كلها لله تعالى، وأن تموت عواطفنا وأهواؤنا النفسانية نهائياً. إن بعض الناس الذين لا يؤثرون مشيئة الله وإراداته على إراداتهم وثوانهم يغادرون الدنيا في أحيان كثيرة بسبب خيبة آمالهم فيما أرادوا وتمنوا... فالصلاة التي هي الدعاء، قد قُدم فيها اسم الله الذي هو الاسم الأعظم له سبحانه وتعالى.

كذلك فإن الاستقامة هي الاسم الأعظم للإنسان. والمراد من الاسم الأعظم للإنسان ما تتحقق به الكمالات الإنسانية، وإلى ذلك نفسه قد أشار الله تعالى في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. وقال تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (فصلت: ٣١)، أي أن الذين جاءوا تحت ربوبية الله تعالى، أي حين توضع البيضة البشرية تحت الاسم الأعظم أي الاستقامة، تنشأ فيهم من الكفاءة ما يجعل الملائكة تنزل عليهم، ولا يبقى لهم خوف ولا حزن.

لقد قلت آنفاً إن الاستقامة لشيء عظيم. فما هي الاستقامة؟ اعلموا أن كل شيء إذا كان موضوعاً في محله ومقامه سُمي الحكمة والاستقامة. فمثلاً لو قمنا

بتفكيك جهاز المنظار وفصل كل أجزائه التركيبية عن مكانها الأصلي، فلن ينفع أبداً. فوضع الشيء في محله هو الاستقامة، أو بتعبير آخر إن الهيئة الطبيعية للشيء هي الاستقامة. وإننا ما لم نترك البنية الإنسانية في وضعها الطبيعي تماماً، ولم نضعها في حالة مستقيمة، فمن المستحيل أن تحرز كمالاتها المنشودة. فالأسلوب السليم للدعاء إنما هو أن يجتمع فيه الاسمان الأعظمان، وأن يتوجه الداعي إلى الله تعالى ولا يتوجه إلى أحد غيره، وإن كان هذا الغير وثناً أهوائه وأطماعه، وعندها يذوق الداعي طعم ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١). (الملفوظات المجلد ٣، ص ٣٥-٣٧، نقلاً عن الكتيب تحت عنوان: "خطاب حضرته عليه السلام ورسالة حول قضية وحدة الوجود"، تدوين شيخ يعقوب علي عرفاني)

"اعلم أن هذه الآيات خزينة مملوءة من النكات، وحجة باهرة على المخالفين والمخالفات، وسندكرها بالتصريحات، ونُريك ما أَرانا الله من الدلائل والبيّنات، فاسمع مني تفسيرها لعلّ الله ينحيك من الخزعبيلات.

أما قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فمعناه أَرنا النهج القويم، وثبتنا على طريق يوصل إلى حضرتك، وينجي من عقوبتك.

ثم اعلم أن لتحصيل الهداية طرقاً عند الصوفية مستخرجةً من الكتاب والسنة، أحدها طلب المعرفة بالدليل والحجة، والثاني تصفية الباطن بأنواع الرياضة. والثالث الانقطاع إلى الله وصفاء المحبة، وطلب المدد من الحضرة، بالموافقة التامة وبنفي التفرقة، وبالتوبة إلى الله والابتغال والدعاء وعقد المهمة.

ثم لما كان طريق طلب الهداية والتصفية لا يكفي للوصول من غير توسّل الأئمة والمهديين من الأمة، ما رضي الله سبحانه على هذا القدر من تعليم الدعاء، بل حثّ بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ على تحسّس المرشدين والهادين من أهل الاجتهاد والاصطفاء من المرسلين والأنبياء. فإنهم قوم آثروا دار الحق على دار الزور والغرور، وجذبوا بحبال المحبة إلى الله بحر النور، وأخرجوا بوحى من الله وجذب منه من أرض

الباطل، وكانوا قبل النبوة كالجملية العاقل. لا ينطقون إلا بإنطاق المولى، ولا يؤثرون إلا الذي هو عنده الأولى. يسعون كل السعي ليجعلوا الناس أهلاً للشرعية الربانية، ويقومون على ولدها كالحانية. ويُعطى لهم بيان يُسمع الضمَّ ويُنزل العُصم، وجنانٌ يجذب بعقدِ الهمة الأُمم. إذا تكلموا فلا يرمون إلا صائباً، وإذا توجَّهوا فيُحيون ميئاً خائباً. يسعون أن ينقلوا الناس من الخطيئات إلى الحسنات، ومن المنهيات إلى الصالحات، ومن الجهالات إلى الرزانة والحِصاة، ومن الفسق والمعصية إلى العقَّة والتقاة. ومن أنكرهم فقد ضيَّع نعمة عُرضت عليه، وبُعد من عين الخير وعن نور عينيه. وإن هذا القطع أكبر من قطع الرحم والعشيرة، وإنهم ثمرات الجنة فويل للذي تركهم ومال إلى الميرة. وإنهم نور الله ويُعطى بهم نورٌ للقلوب، وترياقٌ لسمِّ الذنوب، وسكينةٌ عند الاحتضار والغررة، وثباتٌ عند الرحلة وترك الدنيا الدنيَّة. أتظنُّ أن يكون الغير كمثل هذه الفئة الكريمة؟ كلا والذي أخرج العَذق من الجريمة. ولذلك علَّم الله هذا الدعاء من غاية الرحمة، وأمر المسلمين أن يطلبوا ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من النبيين والمرسلين من الحضرة. وقد ظهر من هذه الآية، على كل من له حظٌّ من الدِّراية، أن هذه الأُمَّة قد بُعثت على قدم الأنبياء، وإن من نبي إلا له مثل في هؤلاء. ولولا هذه المضاهاة والسواء، لبطل طلبُ كمال السابقين وبطل الدعاء. فالله الذي أمرنا أجمعين، أن نقول ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ مصلِّين ومُسمِّين ومُصبحين، وأن نطلب صراط الذين أنعمَ عليهم من النبيين والمرسلين، أشار إلى أنه قد قدر من الابتداء، أن يبعث في هذه الأُمَّة بعض الصلحاء على قدم الأنبياء، وأن يستخلفهم كما استخلف الذين من قبل من بني إسرائيل. وإنَّ هذا هو الحق فاترك الجدال الفضول والأقاويل. وكان غرض الله أن يجمع في هذه الأُمَّة كمالات متفرقة، وأخلاقاً متبددة، فاقتضت سنَّته القديمة أن يعلم هذا الدعاء، ثم يفعل ما شاء. وقد سُمِّي هذه الأُمَّة خير الأمم في القرآن، ولا يحصل خيرٌ إلا بزيادة العمل والإيمان والعلم والعرفان، وابتغاء مرضاة الله الرحمن. وكذلك وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات،

ليستخلفنهم في الأرض بالفضل والعنايات، كما استخلف الذين من قبلهم من أهل الصلاح والتقاة. فثبت من القرآن أن الخلفاء من المسلمين إلى يوم القيامة، وأنه لن يأتي أحد من السماء، بل يُبعثون من هذه الأمة.

وما لك لا تؤمن ببيان الفرقان؟ أتركت كتاب الله أم ما بقي فيك ذرة من العرفان؟ وقد قال الله ﴿مِنْكُمْ﴾، وما قال "من بني إسرائيل"، وكفاك هذا إن كنت تبغي الحق وتطلب الدليل. أيها المسكين اقرأ القرآن ولا تمش كالمرغور، ولا تبعد من نور الحق لئلا يشكو منك إلى الحضرة سورة الفاتحة وسورة النور. اتق الله، ثم اتق الله، ولا تكن أول كافر بآيات النور والفتحة، لكيلا يقوم عليك شاهدان في الحضرة. وأنت تقرأ قوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ (النور: ٥٦)، وتقرأ قوله ﴿لَيْسَتْخِلْفَتُهُمْ﴾ (النور: ٥٦)، ففكر في قوله ﴿مِنْكُمْ﴾ في سورة النور واترك الظالمين وظنهم. ألم يأن لك أن تعلم عند قراءة هذه الآيات، أن الله قد جعل الخلفاء كلهم من هذه الأمة بالعنايات، فكيف يأتي المسيح الموعود من السماوات؟ أليس المسيح الموعود عندك من الخلفاء، فكيف تحسبه من بني إسرائيل ومن تلك الأنبياء؟ أترك القرآن وفي القرآن كل الشفاء؟ أو تغلبت عليك شقوتك، فترك متعمداً طريق الاهتداء؟ ألا ترى قوله تعالى ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٦)، في هذه السورة؟ فوجب أن يكون المسيح الآتي من هذه الأمة، لا من غيرهم بالضرورة. فإن لفظ ﴿كما﴾ يأتي للمشابهة والمماثلة، والمشابهة تقتضي قليلاً من المغايرة، ولا يكون شيءٌ مُشابهٌ نفسه كما هو من البديهيات. فثبت بنصٍ قطعي أن عيسى المنتظر من هذه الأمة، وهذا يقيني ومنزّه عن الشبهات. هذا ما قال القرآن ويعلمه العالمون، فبأي حديث بعده تؤمنون؟ وقد قال القرآن إن عيسى نبي الله قد مات، ففكر في قوله ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨) ولا تُحْيِ الأموات، ولا تنصُر النصارى بالأباطيل والخزعيلات، وفنتهم ليست بقليلة فلا تزدها بالجهالات، وإن كنت تحب حياة نبيٍّ فأمِنْ بحياة نبيِّنا خير الكائنات. وما لك أنك تحسب ميتاً مَنْ كان رحمةً

للعالمين، وتعتقد أن ابن مريم من الأحياء بل من المحييين؟ انظرُ إلى "النور" ثم انظر إلى "الفاتحة"، ثم ارجع البصر ليرجع البصر بالدلائل القاطعة. أَلَسْتَ تَقْرَأُ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في هذه السورة، فَأَتَى تَوْفِكَ بعد هذا؟ أُنْسَى دعاءك أو تقرأ بالغفلة؟ فإنك سألت عن ربك في هذا الدعاء والمسألة، أن لا يغادر نبياً من بني إسرائيل إلا ويبعث مثيله في هذه الأمة. وَيُحْك، أُنْسَيْتَ دعاءك بهذه السرعة، مع أنك تقرأه في الأوقات الخمسة؟ عجبٌ منك كلَّ العجب، أهذا دعاؤك، وتلك آراؤك؟ انظرُ إلى الفاتحة وانظرُ إلى سورة النور من الفرقان، وأيَّ شاهد يُقبل بعد شهادة القرآن؟ فلا تكن كالذي سرى إيجاسَ خوفِ الله واستشعاره، وتَسْرَبَلْ لباسَ الوقاحة وشعاره. أتركُ كتاب الله لقوم تركوا الطريق، وما كتملوا التحقيق والتعميق، وإنَّ طريقهم لا يوصل إلى المطلوب، وقد خالف التوحيدَ وسبَلَ الله المحبوب. فلا تحسبَ وَعَزًا دَمَنًا وإنَّ دَمَنَهُ كثيرٌ من الحُطَى، وإنَّ اهتدتَ إليها أبايل من القطا، فإنَّ هُدى الله هو الهدى. وإنَّ القرآن شهد على موت المسيح، وأدخله في الأموات بالبيان الصريح. ما لك ما تفكر في قوله ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨) وفي قوله ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، وما لك لا تختار سبيل الفرقان وسرَّكَ السُّبُل. وقد قال ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦)، فما لكم لا تفكروا. وقال لكم فيها مستقرٌّ ومتاع إلى حين، فكيف صار مستقرُّ عيسى في السماء أو عرش رب العالمين؟ إنَّ هذا إلا كذب مبین. وقال سبحانه ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ (النحل: ٢٢)، فكيف تحسبون عيسى من الأحياء؟ الحياء الحياء، يا عباد الرحمن. القرآن القرآن، فاتقوا الله ولا تتركوا الفرقان. إنه كتاب يُسأل عنه إنسٌ وجانٌ. وإنكم تقرأون الفاتحة في الصلاة، ففكروا فيها يا ذوي الحصة. ألا تجدون فيها آية ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فلا تكونوا كالذين فقدوا نورَ عَيْنَيْهِمْ، وذهب بما لديهم. وَيُحْك، وهل بعد الفرقان دليل، أو بقي إلى مفرٍّ من سبيل؟ أيقبل عقلكم أن يبشِّر ربُّنا في هذا الدعاء، بأنه يبعث الأئمة من هذه الأمة لمن يريد طريق

الاهتداء، الذين يكونون كمثّل أنبياء بني إسرائيل في الاجتباء والاصطفاء، ويأمرنا أن ندعو أن نكون كأنبيا بني إسرائيل، ولا نكون كأشقياء بني إسرائيل، ثم بعد هذا يدعُّنا ويُلقينا في وهاد الحرمان، ويرسل إلينا رسولا من بني إسرائيل وينسى وعده كل النسيان؟ وهل هذا إلا المكيدة التي لا ينسب إلى الله المنان؟ وإن الله قد ذكر في هذه السورة ثلاثة أحزاب من الذين أنعم عليهم واليهود والنصرانيين، ورعَّبنا في الحزب الأول منها ونهى عن الآخرين، بل حثَّنا على الدعاء والتضرع والابتهاال، لنكون من المنعم عليهم لا من المغضوب عليهم وأهل الضلال.

ووالذي أنزل المطر من الغمام، وأخرج الثمر من الأكمام، لقد ظهر الحق من هذه الآية، ولا يشكُّ فيه مَنْ أُعطي له ذرة من الدراية. وإن الله قد منَّ علينا بالتصريح والإظهار، وأماطَ عنا وِغْثاء الافتكار، فوجب على الذين يُضْضِضُونَ نضنضة الصلِّ، ويُحْمِلِقُونَ حَمْلَقَةَ البازي المِطْلِّ، أن لا يُعْرِضُوا عن هذا الإنعام، ولا يكونوا كالأنعام.

وقد عَلِقَ بقلبي أن الفاتحة تأسُو جراحهم، وتريش جناحهم، وما من سورة في القرآن إلا هي تكذِّبهم في هذا الاعتقاد، فاقراً مما شئت من كتاب الله يُريك طريق الصدق والسداد. ألا ترى أن سورة "بني إسرائيل" يمنع المسيح أن يرقى في السماء، وأن "آل عمران" تعدّه أن الله مُتَوَفِّيهِ وناقِلُهُ إلى الأموات من الأحياء. ثم إن "المائدة" تبسُّط له مائدة الوفاة، فاقراً ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إن كنت في الشبهات. ثم إن "الزمر" يجعله من زُمرٍ لا يعودون إلى الدنيا الدنيّة، وإن شئت فاقراً ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ (الزمر: ٤٣). واعلم أن الرجوع حرام بعد المنية. وحرام على قرية أهلكها الله أن تُبعث قبل يوم النشور، وأما الإحياء بطريق المعجزة فليس فيه الرجوع إلى الدنيا التي هي مقام الظلم والنور. ثم إذا ثبت موت المسيح بالنص الصريح، فأزال الله وَهَمَ نزوله من السماء بالبيان الفصيح، وأشار في سورة النور والفاتحة، أن هذه الأمة يرث أنبياء بني إسرائيل

على الطريقة الظليّة، فوجب أن يأتي في آخر الزمان مسيح من هذه الأمة، كما أتى عيسى ابن مريم في آخر السلسلة الموسوية، فإن موسى ومحمدا - عليهما صلوات الرحمن - متماثلان بنصّ الفرقان، وإن سلسلة هذه الخلافة تشابه سلسلة تلك الخلافة، كما هي مذكورة في القرآن، وفيها لا يختلف اثنان. وقد اختُتمت مئآت سلسلة خلفاء موسى على عيسى كمثال عدّة أيام البدر، فكان من الواجب أن يظهر مسيح هذه الأمة في مدّة هي كمثال هذا القدر، وقد أشار إليه القرآن في قوله ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٢٤)، وإن القرآن ذو الوجوه كما لا يخفى على العلماء الأجلّة، فالمعنى الثاني لهذه الآية في هذا المقام، أن الله ينصر المؤمنين بظهور المسيح إلى مئتين تُشابه عدّتها أيام البدر التام، والمؤمنون أذلة في تلك الأيام. فانظر إلى هذه الآية كيف تشير إلى ضعف الإسلام، ثم تشير إلى كون هلاله بدرًا في أجلٍ مسمّى من الله العلام، كما هو مفهوم من لفظ البدر، فالحمد لله على هذا الإفضال والإنعام.

وحاصل ما قلنا في هذا الباب، أن الفاتحة تبشّر بكون المسيح من هذه الأمة فضلاً من رب الأرباب. فقد بُشِّرْنَا مِنَ الْفَاتِحَةِ بِأَمَّةٍ مَّا هُمْ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَا بُشِّرْنَا بِنَزُولِ نَبِيٍّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَدَبَّرَ هَذَا الدَّلِيلُ. وقد سمعت من قبل أن سورة النور قد بشّرتنا بسلسلة خلفاء تشابه سلسلة خلفاء الكليم، وكيف تتمّ المشابهة من دون أن يظهر مسيح كمسيح سلسلة الكليم في آخر سلسلة النبي الكريم. وإنّا آمنا بهذا الوعد فإنه من رب العباد، وإن الله لا يخلف الميعاد. والعجب من القوم أنهم ما نظروا إلى وعد حضرة الكبرياء، وهل يؤفّى ويُتجزّ إلا الوعد، فلينظروا بالتقوى والحياء. وهل في شرعة الإنصاف، أن ينزل المسيح من السماء ويُخلف وعدٌ مماثلة سلسلة الاستخلاف؟ وإنّ تشابه السلسلتين قد وجب بحكم الله الغيور، كما هو مفهوم من لفظ ﴿كَمَا﴾ في سورة النور. (إعجاز المسيح، الخزائن

"وحاصل الكلام أن الله تعالى يُبَشِّرُ لأمة نبينا ﷺ، فكأنه يقول يا عبادِ إنكم خلقتُم على طبائع المنعمين السابقين، وفيكم استعداداتهم، فلا تُضيعوا الاستعدادات، وجاهدوا لتحقيق الكمالات، واعلموا أن الله جوادٌ كريم وليس ببخيل ضنين. ومن ههنا يُفهم سرُّ نزول المسيح الذي يختصم الناس فيه.. فإن عبدًا من عباد الله إذا اقتدى هدي المهتدين، وتبع سنن الكاملين، وتأهَّب للانصبغ بصبغ المهديين، وعطف إليهم بجميع إرادته وقوّته وجنانه، وأدّى شرط السلوك بحسب إمكانه، وشَفَعَ الأقوال بالأعمال والمقال بالخال، ودخل في الذين يتعاطون كأس المحبة للقادر ذي الجلال، ويقتدحون زنادَ ذكر الله بالتضرع والابتهال، ويكون مع الباكين.. فهناك يفور بحر رحمة الله ليطهره من الأوساخ والأدران، ولترويه بإفاضة التهتان، ثم يأخذ يده ويُرقِّيه إلى أعلى مراتب الارتقاء والعرفان، ويدخله في الذين خلوا من قبله من الصلحاء والأولياء والرسل والنبين، فيُعطي كمالاً كمثلاً كمالهم، وجمالاً كمثلاً جمالهم، وجلالاً كمثلاً جلالهم، وقد يقتضي الزمان والمصلحة أن يُرسل هذا الرجلَ على قدم نبي خاص، فيُعطي له عِلْمًا كعلمه، وعقلاً كعقله، ونورًا كنوره، واسمًا كاسمه، ويجعل الله أرواحهما كمرايا متقابلة، فيكون النبي كالأصل، والولي كالظل، من مرتبته يأخذ من روحانيته يستفيد، حتى يرتفع منهما الامتياز والغيرية، وتردُّ أحكامُ الأول على الآخر، ويصيران كشيء واحدٍ عند الله وعند ملكه الأعلى، وينزل على الآخر إرادةُ الله وتصريفه إلى جهة، وأمّره ونهيه بعد عبوره على روح الأول، وهذا سرُّ من أسرار الله تعالى لا يفهمه إلا من كان من الروحانيين." (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، مجلد ٧، ص ١٢٧)

"فالحاصل أن دعاء: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يُنْجِي الإنسان من كل أودٍ ويُظهِر عليه الدين القويم، ويُخرجه من بيتٍ قفرٍ إلى رياض الثمر والرياحين. ومن زاد فيه إلحاحاً، زاده الله صلاحاً. والنبيون آنسوا منه أنسَ الرحمن، فما فارقوا الدعاء طُرْفَةً عين إلى آخر الزمان. وما كان لأحد أن يكون غنيًا عن هذه الدعوة، ولا

معرضاً عن هذه المنيّة، نبياً أو كان من المرسلين. فإن مراتب الرشد والهداية، لا تتم أبداً بل هي إلى غير النهاية، ولا تبلغها أنظارُ الدراية، فلذلك علّم الله تعالى هذا الدعاء لعباده، وجعله مدار الصلاة ليتمتعوا برشاده، وليكتمل الناس به التوحيد، وليذكروا المواعيد، وليستخلصوا من شرك المشركين.

ومن كمالات هذا الدعاء أنه يعمّ كلّ مراتب الناس، وكلّ فرد من أفراد الأناس. وهو دعاء غير محدود لا حدّ له ولا انتهاء، ولا غايَ ولا أرجاء، فطوبى للذين يداومون عليه بقلبٍ دامي القرح، وبروح صابرة على الجرح، ونفسٍ مطمئنة كعباد الله العارفين. وإنه دعاء تضمّن كلّ خير وسلامة، وسداد واستقامة، وفيه بشارات من الله رب العالمين. " (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، مجلد ٧، ص ١٣٦ - ١٣٧)

لقد جاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بإزاء: "الرحمن" لأن نيل الهداية ليس من حق أحد بل يُنال هذا الفيض بمحض رحمانية الله. وجاء "صراط الذين أنعمت عليهم" مقابل "الرحيم" لأن الذي يردد هذه الجملة ينال الفيض من نبع الرحيمية. ومعناها: يا من يجيب الدعوات برحمك الخاص أرنا صراط الرسل والصادقين والشهداء والصالحين الذين انهمكوا في الدعاء والمجاهدات وحازوا منك إنعاماً أنواع المعارف وأصناف الحقائق والكشوف والإلهامات وبلغوا إلى المعرفة التامة نتيجة الدعاء والتضرع المستديم والأعمال الصالحات. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٤، عدد: ١٧/٩/١٩٠١ ص ١)

والحقيقة السابعة المذكورة في سورة الفاتحة هي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ومعناها أن أرنا الصراط وثبتنا على الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه قط. وتفصيل هذه الحقيقة أن الدعاء الحقيقي للإنسان هو أن يتحرّى صراطاً مستقيماً للوصول إلى الله تعالى، لأن القاعدة الطبيعية لنيل كل مرام هي أن يختار المرء وسائل يُنال المرام بواسطتها. ولقد وضع الله تعالى قانوناً طبيعياً لتحصيل كل أمر أن يختار المرء

الوسائل التي تؤدي إلى تحصيله، وأن يسلك المسالك التي بالسلوك عليها يمكن بلوغ المرام. ولو سار المرء على صراط مستقيم تماما واختار السلوك على الطرق التي تؤدي إلى نيل المرام لناله. ولكن لا يمكن قط أن ينال أحد المرام بتركه سبلا هي وسيلة للحصول على تلك البُغية. بل القانون المتَّبِع منذ القِدم هو أن هناك طريقا محددا لنيل كل هدف. وما لم يَسِر المرء على ذلك الطريق المحدد لا ينال الهدف. فالشيء الذي يجب الحصول عليه بالجهد والسعي والدعاء والتضرع هو الصراط المستقيم. أما الذي لا يجْدُ في طلب الصراط المستقيم ولا يعير له اهتماما فهو ذو طبع زائغ في نظر الله تعالى. ولو طلب من الله الجنة والراحة في العالم الثاني لردّت عليه الحكمة الإلهية ونادت: يا أيها الجاهل، أطلب الصراط المستقيم أولا وستنال مبتغاك بسهولة. فالدعاء الذي له الأولوية على الأدعية كلها ويحتاج إليه طالب الحق بشدة متناهية هو طلب الصراط المستقيم.

والمعلوم أن معارضينا محرومون من اتباع هذه الحقيقة أيضا. أما المسيحيون فيسألون الخبز فقط في كافة أدعيتهم. ولو ذهبوا إلى الكنيسة ببطن مليئة بالطعام والشراب لتظاهروا بالجوع كذبا وزورا ولظلوا يسألون الخبز، وكأن مطلوبهم الأعظم هو الخبز ليس إلا.

أما أتباع آريا سماج وإخوانهم الوثنيون فيقرأون في أدعيتهم آياتا مختلفة بُغية اجتناب سلسلة الموت والولادة على طريق التناسخ الذي يروونه صحيحا بحسب زعمهم الباطل، ولا يطلبون الصراط المستقيم من الله تعالى.

وزدْ إلى ذلك أن الله تعالى قد أشار في هذا المقام مستخدما صيغة الجمع إلى أنه لا يُمنع أحدٌ من طلب الهداية ونيل الإنعام الإلهي. أما بحسب مبدأ الآريين فلا يجوز للمذنب أن يطلب الهداية، وأن الله تعالى سيعاقبه حتما، وأن نيله الهداية أو عدمه سيان. وأما أتباع برهمو سماج فلا يعتقدون بالدعاء أصلا، فهم يعتزون بعقلهم في كل حين وأن. وإضافة إلى ذلك يقولون: ليس ضروريا تخصيص دعاء معين بالعبادة

والعبودية، والإنسان محيّر ليدعو ما يشاء، ولكن هذا يدل على غباثهم البالغ. والمعلوم أنه مع أن الإنسان معرّض لمئات الحاجات الجزئية ولكن الحاجة العظمى الوحيدة التي يجب أن يفكر بها الإنسان ليل نهار دون غيرها هي أن ينجو من الحُجُب المظلمة المتنوعة ويصل إلى درجة المعرفة الكاملة، وألا يبقى فيه شيء من العماية والعمه والفتور والغدر بل يعرف الله تعالى حق المعرفة ويُملأ بحبه الخالص وينال مرتبة وصال الله التي فيها تكمن سعادته التامة. هذا هو الدعاء الوحيد الذي يحتاج إليه الإنسان بشدة متناهية، وعليه تتوقف جُلّ سعادته. والصراط السويّ ليلها هو أن يدعو الإنسان دائما: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لأن أمثل طريق لنيل الإنسان مراده هو أن يسلك بكل قوة المسالك التي بالسلوك عليها يُنال ذلك المراد، وأن يختار الطريق الذي يوصله إلى غايته المنشودة مباشرة، وأن يترك الطرق المعوجة. ومن البديهي تماما أن الله تعالى قد جعل في قانونه الطبيعي طريقا واحدا للحصول على المبتغى يمكن أن نَعُدّه وحده الصراط المستقيم. وما لم يختَر المرء ذلك الطريق على النحو الصحيح لا يمكنه نوال المبتغى. وكما أن جميع قوانين الله تعالى منضبطة وثابتة منذ القدم كذلك فإن طريق النجاة والسعادة الأخروية أيضا محدد وهو الصراط المستقيم والسديد. فالأسلوب السويّ في الدعاء هو أن يسأل المرء الله تعالى الصراط المستقيم. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٣٢ - ٥٤٥، الحاشية رقم ١١)

إن سلوك درب الحسنة الحقيقية هو الصراط المستقيم وهو ما يسمّى الوسطية والاعتدال، لأن التوحيد الفعلي المقصود بالذات إنما ينال به فقط. فالذي يتكاسل في كسب هذه الحسنة هو في مرحلة في التفريط، والذي يزيد فوق ذلك يرتكب الإفراط. الرحم في كل مقام هو الإفراط لأن ربط الأمر الذي في محله المناسب بالذي في غير محله ظلم، وهذا هو الإفراط بعينه. وإن عدم الرحم في كلّ مقام هو التفريط لأن ذلك يؤدي إلى فوات المحل والمناسبة وهذا هو التفريط بعينه. إن وضع الشيء في

محلّه هو الوسطية والاعتدال وهذا ما يسمى بالصراط المستقيم والسعي لتحصيله واجب على كل مسلم، وقد أُكِّد على الدعاء للحصول عليه في كل صلاة لأنه سيقم المرء على التوحيد. وذلك لأن القيام على الصراط المستقيم صفة من صفات الله. وإضافة إلى ذلك فإن الحق والحكمة هي حقيقة الصراط المستقيم. فلو عَمِلَ بمقتضى الحق والحكمة تجاه عباد الله لُسِّمِيَ حسنة وإذا عَمِلَ به بحق الله لُسِّمِيَ إخلاصا وإحسانا، وإذا عَمِلَ به الإنسانُ تجاه نفسه كان اسمه تزكية النفس. والصراط المستقيم هو لفظ يتضمن تلك الأمور الثلاث أي الحسنة الحقيقية والإخلاص لله وتزكية النفس. يجب التذكر في هذا المقام أن الصراط المستقيم المبني على الحق والحكمة ثلاثة أقسام، علمي وعملي وحالي. ثم لهذه الأنواع الثلاث ثلاثة أخرى. وهي معرفة حق الله وحق العباد وحق النفس في الحق العلمي، وأداء تلك الحقوق في الحق العملي. والمراد من الحق العلمي هو الإيمان بالله واحدا ومبدأً للفيوض كلها وجامعا للميزات كلها ومرجعا لكل شيء وماآبا له ومنزّها عن كل عيب ونقيصة، وبأنّه جامع الصفات الكاملة كلها وهو الجدير بالعبودية حصرا، فهذا هو الصراط المستقيم العلمي في حق الله. أما الصراط المستقيم العملي فهو طاعته بإخلاص وعدم إشراك غيره في طاعته، ودعاء المرء إياه وحده لنيل سعادته، والتركيز عليه وحده، والفناء في حبه. وهذا هو الصراط المستقيم العملي لأن هذا هو الحق بعينه.

والصراط المستقيم العلمي في حق العباد هو أن يعدّهم المرء بشرا وعبادا لله مثله وأن يعتبرهم كمن لا قيمة له لأن المعرفة الحقّة تجاه المخلوق هي أنه لا أهمية لوجودهم وأنهم قانون كلهم. وهذا هو التوحيد العلمي لأنه يوحي بعظمة ذات واحد لا نقص فيه وهو كامل في ذاته.

أما الصراط المستقيم العملي فهو كسب الحسنة الحقيقية أي كسب المرء ما هو أصْلَح وأنسب بشأنهم في الحقيقة. هذا هو التوحيد العملي لأن هدف الموحّد في ذلك هو أن تَفْنَى أخلاقه في أخلاق الله كليا.

والصراط المستقيم العلمي في حق النفس هو أن يطلع المرء على جميع الآفات التي تنشأ في النفس مثل العُجب والرياء والكِبَر والحقد والحسد والغرور والحرص والبُخل والغفلة والظلم. وأن يعتبرها أخلاقاً رذيلة كما هي في الحقيقة هو الصراط المستقيم العملي، وهذا هو التوحيد العلمي لأنه يوحى بعظمة ذات واحد لا عيب فيه وهو قدوس في ذاته.

والصراط المستقيم العملي في حق النفس هو استئصال تلك الأخلاق الرذيلة من النفس والتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل. وهذا هو التوحيد الحالي لأن الموحد يهدف من ذلك إلى تنزيه قلبه من دخل غير الله لينال درجة الفناء في قدوسية الله. ولكن هناك فرق دقيق بينها وبين حق العباد الذي هو الصراط المستقيم العملي، وهو أن الصراط المستقيم العملي بحق النفس هو مملكة ينالها الإنسان بالمجاهدة. وهو شرف بالمعنى سواء ظهر للعيان في الخارج في حين من الأحيان أم لا. ولكن حق العباد الذي هو الصراط المستقيم فهو خدمة تتحقق إذا وصل تأثيرها في الخارج إلى كثير من بني آدم وتتحقق شرط الخدمة كما هو حقها. باختصار، إن تحقق الصراط المستقيم العملي في حق العباد يكمن في تحقق أداء الخدمة. والصراط المستقيم العملي بحق النفس يعتمد على تزكية النفس بينما أداء الخدمات ليس ضرورياً. ويمكن أن تتحقق تزكية النفس هذه بوجود المرء وحيداً في الفلاة أيضاً ولكن حق العباد لا يمكن أدائه دون وجود بني آدم لذلك قيل: لا رهبانية في الإسلام.

وليكن معلوماً الآن أن الهدف الحقيقي من وراء الصراط المستقيم العلمي والعملي هو التوحيد العلمي والعملي، أي ذلك التوحيد الذي يتسنى بالعلم وكذلك التوحيد الذي يتأتى بالعمل. ولا بد من التذكر أن التوحيد فقط قد عُدَّ هو الهدف الحقيقي في القرآن الكريم وأما ما سواه فهي وسائله. (الحكم المجلد ٩، رقم ٣٣، عدد:

الإنسان يجتنب الذنب نتيجة الجلال والهيبة فقط. فإذا علم أن الله تعالى شديد العذاب على ذنب كذا وكذا وهو مالك يوم الدين أيضا فتستولي عليه هيبة تنقذه من الذنوب. أما الجمال فيجذب الإنسان إلى الحسنات. عندما يعلم أن الله رب العالمين رحمان ورحيم ينجذب قلبه إليه عفويا وتبدأ الحسنات تصدر بالسرور والمتعة. (الحكم، مجلده، رقم ٤٥، عدد: ١٠/١٢/١٩٠١، ص ١)

"وفي الآية إشارة أخرى، وهي أن الصراط المستقيم هو النعمة العظمى، ورأس كل نعمة وباب كل ما يُعطى، ويتتاب العبد نِعَمَ الله مُذْ أُعْطِيَ له هذه الدولة الكبرى ومُلكٌ لا يلى. ومن تَأَهَّبَ لهذه النعمة ووَفَّقَ للثبات عليها، فقد دُعِيَ إلى كل أنواع الهدى، ورأى العيشَ النضير والنور المنير بعد ليالي الدجى. نَجَّاهُ الله من كل الهفوات قبل الفوات، وأدخله في زمر الثَّقاة بعد مُقَاناة العُصاة، وأراه سبل الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأما حقيقة الصراط المستقيم، التي أُريدَتْ في الدين القويم، فهي أن العبد إذا أَحَبَّ رَبَّهُ الْمَنَّانَ، وكان راضيا بمرضاته وقَوَّضَ إليه الروح والجَنانَ، وأسلم وجهه لله الذي خلق الإنسان، وما دعا إلا إياه، وصافاه وناجاه، وسأله الرحمة والحنان، وتَبَنَّى مِنْ غَشِيهِ، واستقام في مشيه، وخَشِيَ الرحمن، وشَغَفَهُ اللهُ حُبًّا وَأَعَانَ، وقَوَّى اليقين والإيمانَ، فَمَالَ العبد إلى ربه بكل قلبه، وإِزْبَهُ وعقله، وجوارحه وأرضه وحقله، وأعرضَ عما سواه، وما بقي له إلا ربه وما تبع إلا هواه، وجاءه بقلب فارغ عن غيره، وما قَصَدَ إلا الله في سبل سيره، وتاب من كل إدلال واغترار بمال وذي مال، وحضَرَ حضرةَ الرب كالمساكين، ووَدَّرَ العاجلةَ وألغاهَا، وأَحَبَّ الآخرةَ وابْتَغَاهَا، وتَوَكَّلَ على الله، وكان لله، وفنى في الله، وسعى إلى الله كالعاشقين.. فهذا هو الصراط المستقيم الذي هو منتهى سير السالكين، ومقصد الطالبين العابدين. وهذا هو النور الذي لا يَحِلُّ الرحمةُ إلا بعد حلوله، ولا يحصل الفلاحُ إلا بعد حصوله، وهذا هو المفتاح الذي يُنَاجِي السالكُ منه بذات الصدور، وتُفْتَحُ عليه أبواب الفراسة، ويُجْعَلُ مُحَدَّثًا من الله الغفور.

وَمَنْ نَاجَى رَبَّهُ ذَاتَ بَكْرَةٍ بِهَذَا الدُّعَاءِ بِالْإِخْلَاصِ وَإِحْضِ النِّيَّةِ، وَرِعَايَةِ شَرَائِطِ الْإِتِّقَاءِ وَالْوَفَاءِ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَحِلُّ لِحَلِّ الْأَصْفِيَاءِ وَالْأَحْبَاءِ وَالْمُقَرَّبِينَ. وَمَنْ تَأَوَّاهُ آهَةً الثَّكْلَانِ فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ الْمَتَّانِ، وَطَلَّبَ اسْتِجَابَةَ هَذَا الدُّعَاءِ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ، خَاشِعًا مَبْتَهَلًا وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، فَيُسْتَجَابُ دَعَاؤُهُ وَيُكْرَمُ مَثْوَاهُ، وَيُعْطَى لَهُ هِدَاةٌ، وَتُقَوَّى لَهُ عَقِيدَتُهُ بِالْأَدَلَّةِ الْمُنِيرَةِ كَالْيَاقُوتِ، وَتُقَوَّى لَهُ قَلْبُهُ الَّذِي كَانَ أَوْهَنَ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَيُوفَّقُ لَتَوْسِيعَةِ الدَّرَجِ وَدَقَائِقِ الْوَرَعِ، فَيُدْعَى إِلَى قَرَى الرُّوحَانِيِّينَ، وَمَطَائِبِ الرِّبَانِيِّينَ. وَيَكُونُ فِي كُلِّ حَالٍ غَالِبًا عَلَى هَوَى مَغْلُوبٍ، وَيَقُودُهُ بِرِعَايَةِ الشَّرْعِ حَيْثُ يَشَاءُ كَأَشْجَعِ رَاكِبٍ عَلَى أَطْوَعِ مَرْكُوبٍ، وَلَا يَبْغِي الدُّنْيَا وَلَا يَتَعَنَّى لِأَجْلِهَا، وَلَا يَسْجُدُ لِعِجْلِهَا، وَيَتَوَلَّاهُ اللَّهُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. وَتَكُونُ نَفْسُهُ مَطْمَئِنَّةً وَلَا تَبْقَى كَالْمَبِيدِ الْمُضِلِّ، وَلَا تُحْمَلُ حَمَلَةً الْبَازِ الْمُطِلِّ، وَيَرَى مَقَاصِدَ سُلُوكِهِ كَالْكَرَامِ، وَلَا تَكُونُ سُحْبُهُ كَالْجَهَامِ، بَلْ يَشْرَبُ كُلَّ حِينٍ مِنْ مَاءِ مَعِينٍ.

وَحَثَّ اللَّهُ عِبَادَهُ عَلَى أَنْ يَسْأَلُوهُ إِدَامَةَ ذَلِكَ الْمَقَامِ، وَالتَّثَبُّتَ عَلَيْهِ وَالْوُصُولَ إِلَى هَذَا الْمَرَامِ، لِأَنَّهُ مَقَامٌ رَفِيعٌ، وَمَرَامٌ مَنِيْعٌ، لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ إِلَّا بِفَضْلِ رَبِّهِ، لَا بِجَهْدِ نَفْسِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَضْطَرَّ الْعَبْدُ لِتَحْصِيلِ هَذِهِ النِّعْمَةِ إِلَى حَضْرَةِ الْعِزَّةِ، وَيَسْأَلُهُ إِنْجَاحَ هَذِهِ الْمُنِيَّةِ بِالْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجْدَةِ وَالتَّمَرُّغِ عَلَى ثُرْبِ الْمَدْلَةِ، بِاسْطِ ذَيْلِ الرَّاحَةِ، وَمَتَعَرِّضًا لِلِاسْتِمَاحَةِ، كَالسَّائِلِينَ الْمُضْطَرِّينَ. " (كِرَامَاتُ الصَّادِقِينَ، الْخَزَائِنُ الرُّوحَانِيَّةُ، المجلد ٧، ص ١٣٣-١٣٥)

مِنْ مَعَانِي ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَنَّ الْإِنْسَانَ حِينَ يَصْبِحُ عَاجِزًا فِي مَسْعَاهُ يَضْطَرُّ لِلْعَوْدَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ. وَالدُّعَاءُ لَا يَكُونُ كَامِلًا إِلَّا إِذَا كَانَ جَامِعًا لِلْخَيْرِ كُلِّهِ، وَوَاقِعًا مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِي كَلِمَةِ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَنْوَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهَا، أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَهُوَ دُعَاءٌ لِتَجَنُّبِ الشُّرُورِ كُلِّهَا بِمَا فِيهَا فِتْنَةُ الدِّجَالِ. وَ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هُمُ الْيَهُودُ، وَ﴿الضَّالِّينَ﴾ هُمُ النَّصَارَى بِالْإِجْمَاعِ. إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الدُّعَاءِ سِرٌّ أَوْ

حقيقة فما الهدف من تعليمه أصلاً؟ ولماذا هذا التركيز الشديد عليه حيث لا تصلح الصلاة بدون هذا الدعاء، بل قد فُرضت قراءته في كل ركعة. إنما السر فيه هو الإشارة إلى عصري أنا، فإن الصراط المستقيم الآن إنما صراطي أنا وحدي.. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٦، عدد: ١٧/٢/١٩٠١ م ص ٧)

والصراط المستقيم ... هو أن في أيدي المسلمين ثلاثة أشياء للاعتصام بهدي الإسلام وهي:

(١) القرآن الكريم الذي هو كتاب الله، وليس في أيدينا كلام أكثر منه قطعية وبقينا، فهو كلام الله ونزيه من شوائب الشك والظن.

(٢) السُّنة. وهنا أتحدث بعيداً عن مصطلحات علماء الحديث، أي لا أعدّ الحديث والسنة شيئاً واحداً كما هو نهج المحدثين العاديين. بل الحديث شيء والسنة شيء آخر. المراد من السنة عندي هو عمل النبي ﷺ الذي يحظى بتواتر العمل به، وقد ظهر مع القرآن الكريم منذ البداية وسيبقى معه إلى الأبد، أو يمكن أن نقول بتعبير آخر بأن القرآن الكريم قول الله تعالى والسنة فعل رسول الله ﷺ. ومن سنة الله القديمة أنه عندما يأتي الأنبياء عليهم السلام بقول الله لهداية الناس يفسرونه بفعلهم؛ أي عملياً حتى لا يشبهه على الناس فهم ذلك القول. فيعمل به الأنبياء بأنفسهم ويطلبون ذلك من الآخرين أيضاً.

(٣) الوسيلة الثالثة للهداية هي الحديث، وأقصد من الحديث الآثار التي جمعت بصورة قصص بعد النبي ﷺ بمائة وخمسين عاماً تقريباً بواسطة مختلف الرواة. (التعليق على المناظرة بين البطالوي وجكرالوي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٠٩-٢١٠)

لقد سُمِّيَ (الإسلام) في القرآن الكريم بالاستقامة، كما علّم الله دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي صراط الذين نالوا إنعامات منك وفتحت عليهم أبواب السماء. وليكن معلوماً أن استقامة كل شيء تُعرف

بالنظر إلى غايته المنشودة. والغاية المنشودة من وجود الإنسان هي أنه خلق ليكون لله تعالى. فالمراد من استقامة الإنسان أن يصير لله تعالى في الحقيقة كما أنه قد خلق أصلاً للطاعة الأبدية لله تعالى. وحين يصبح الإنسان لله تعالى بكل قواه ستنزل عليه من الله بلا شك نعمة يمكن تسميتها بتعبير آخر بالحياة الطاهرة. كما ترون أنه إذا فُتحت النافذة إزاء الشمس دخلت أشعتها من خلالها حتماً كذلك إذا استقام الإنسان متوجهاً إلى الله تعالى ولم يبق بينه وبين الله حجاب عندها تنزل عليه شعلة نورانية فوراً وتنوره وتغسل أرجاسه الداخلية. فيصبح إنساناً جديداً تماماً ويحدث فيه تغيير كبير. عندها يقال إن ذلك الإنسان نال حياة طاهرة. وإن مقام الحصول على هذه الحياة الطاهرة هي هذه الدنيا كما يشير الله جلَّ شأنه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (نبي إسرائيل: ٧٣) أي مَنْ كان أعمى في هذه الدنيا ولم يُعطَ نوراً لرؤية الله فسيكون أعمى في الآخرة أيضاً. (الرد على أسئلة أربعة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، مجلد ١٢، ص ٣٤٤-٣٤٥)

لا شك أن من الشروط الضرورية للإلهام الصادق أن يشرح بنفسه مواضعه الجملة. كما في القرآن الكريم آية في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فإن عبارة: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ جملة وتحتاج إلى الشرح، فشرحها الله تعالى في آية أخرى: فقال: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (النساء: ٧٠) (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١١٥)

مراتب الكمال الأربع التي يجب على كل مؤمن أن يتحراها. ومن كان محروماً منها فهو محروم من الإيمان أصلاً. لذلك فقد بين الله ﷻ للمسلمين دعاءً في سورة الفاتحة أن يدعوا للحصول على هذه المراتب الأربعة، فقال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وقد فُسِّرَت هذه الآية في موضع آخر من القرآن

الكريم وقيل إن المراد من "المنعم عليهم" هم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون. وأما الإنسان الكامل فيجمع في نفسه هذه الكمالات الأربعة كلها. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٢٣)

إنما غاية حياة الإنسان وهدفها السير في الصراط المستقيم وطلبه، وقد بيّنها الله تعالى في هذه السورة بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي اللهم اهْدِنَا إلى الصراط السوي، الذي هو صراط مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ. إنه دعاء نقوم به في كل صلاة وفي كل ركعة، وإن تكرار هذا الدعاء إلى هذا الحد نفسه دليل على ضرورته.

وعلى أبناء جماعتنا أن يتذكروا أن هذا الأمر ليس بهيّن، وليس المقصود من هذا الدعاء ترديد هذه الكلمات باللسان كالبيغاء، بل إن هذا الدعاء وصفة ناجعة لا تخطئ لجعل الإنسان من الكاملين. فاجعلوها نصب أعينكم كل حين وانتفعوا منها كالتعويذة. إذا أحرز الإنسان هذه الكمالات الأربعة فكأنما أدى حقّ الدعاء، وحقّ خلقه، وحقّ استخدام القوى والكفاءات الموهوبة له.

ولا يغيب عن البال أبداً أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فإذا ذُكر أمرٌ ما في موضع فيه ذكراً مجملاً، فُصِّل في موضع آخر، وكأن الثاني تفسيرٌ للأول. لقد قال الله تعالى هنا: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وهذا ذكر مجمل، ولكنه قام بنفسه بتفسير المنعم عليهم في موضع آخر حيث قال: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (النساء: ٧٠). والمنعم عليهم أربعة؛ النبي والصدّيق والشهيد والصالح. والأنبياء يجمعون في أنفسهم هذه المراتب الأربع كلها، لأنّ النبوة هي ذروة الكمال. وعليه فمن واجب كل إنسان أن يسعى لنيل هذه الكمالات بمجاهدة صحيحة كالتّي قدّمها لنا النبي ﷺ بأسوته. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١١، عدد: ٣١/٣/١٩٠٥ م، ص ٥-٦)

سيكشف لكم التدبر في القرآن الكريم أن الله تعالى قد أمرنا بالدعاء في أول

سورة منه حيث قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٦-٧). ولا يكون الدعاء شاملاً إلا إذا جمعت فيه كل فائدة ونفع، وتنزهت عن كل ضرر وخسران. وهذا الدعاء القرآني قد طُلب به أفضل المنافع الممكنة كلها، والتُمست فيه النجاة من أكبر الأضرار المهلكة للإنسان.

لقد قلت مرارا إن المنعم عليهم أربع فئات، الأولى: الأنبياء، والثانية الصديقون، والثالثة الشهداء، والرابعة الصلحاء. فكأننا نطلب في هذا الدعاء كمالات هذه الفئات الأربع.

والكمال العظيم للأنبياء أنهم يتلقون من الله الأنباء، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن: ٢٧-٢٨). إن الذين يكون لهم حظ من كمالات النبوة يظهرهم الله تعالى على أحداث المستقبل قبل وقوعها. وهذه آية عظيمة لمأموري الله ومرسله، وليس فوقها معجزة.. (الحكم، مجلده، رقم ١٠، عدد: ١٧/٣/١٩٠١م، ص ٣)

بحسب منطوق الآيتين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٤٠-٤١)، فإن الحزب المحمدي، الخالص الطاهر من كل أنواع الشوائب والمتمتع بإيمان مغسول بالتوبة النصوح ودقائق العرفان والعلم والعمل والتقوى، جماعة كثيرة العدد، فله في الإسلام فريقان فقط؛ أي فريق الأولين وفريق الآخرين.. أي الصحابة وجماعة المسيح الموعود. فلما كان الحكم على كثرة العدد وكمال صفاء الأنوار فإن المراد من جملة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في سورة الفاتحة هذان الفريقان حصراً، أي رسول الله ﷺ مع جماعته، والمسيح الموعود مع جماعته. وملخص القول إن الله ﷻ منذ البدء قد بين لهذه الأمة فريقين، وإليهما أشير في جملة ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في الفاتحة، (١) أولهما الأولون، وهم جماعة النبي ﷺ (٢) والثاني الآخرون، وهم جماعة المسيح الموعود. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٢٥-٢٢٦)

لقد أكرمك الله تعالى أن تقرأوا في صلواتكم الخمسة دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي دُلَّنَا يا ربنا على صراط عبادك المنعم عليهم. من هم المنعم عليهم؟ هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون. كان الدعاء يتلخص في أنه إذا وجدتم زمن أي واحد من هؤلاء الأحزاب الأربعة يجب أن تستظلوا بظلمهم وتستفيضوا منهم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٦١٢)

"وقال الله جلّ شأنه ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٤٠ - ٤١)، وحثّ عباده على دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فما معنى الدعاء لو كُنّا من المحرومين؟ وأنت تعلم أن الذين أنعم الله عليهم أولاً هم الأنبياء والرسل، وما كان الإنعام من قسم درهم ودينار، بل من قسم علوم ومعارف، ونزول بركات وأنوار، كما تقرر عند العارفين.

وإذا أمرنا بهذا الدعاء في كل صلاة فما أمرنا ربنا إلا ليستجاب دعاؤنا، ونُعْطَى ما أُعْطِيَ من الإنعامات للمرسلين. وقد بشرنا - عز اسمه - بعباءة إنعامات أنعم على الأنبياء والرسل من قبلنا وجعلنا لهم وارثين. فكيف نكفر بهذه الإنعامات ونكون كقوم عمين؟ وكيف يمكن أن يُخْلِفَ الله مواعيده بعد توكيدها وجعلنا من المخيبين؟

أنت تعلم يا أخي أن سرّة المنعمين عليهم هم الأنبياء والرسل، وقد بشرنا الله بعباءة هُداهم وبصيرتهم الكاملة التي لا تحصل إلا بعد مكاملة الله تعالى أو رؤية آياته. عفا الله عنك.. كيف زعمت أن أولياء الله محرومون من مكاملة الله ومخاطباته وليسوا من المكملين؟" (تحفة بغداد، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ١٥ - ١٦)

ندعو في الصلاة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. والمراد من ذلك أننا نريد من الله تعالى - من الارتقاء في الإيمان ولخير البشر - أربع آيات بصورة الكمال؛ وهي: كمال الأنبياء وكمال الصديقين، وكمال الشهداء،

وكمال الصالحين.

فالكمال الخاص بالنبي هو أن ينال من الله تعالى علم الغيب آيةً. وكمال الصديق هو أن يتمكن من كنز الصدق كاملاً، أي أن يطَّلِع على حقائق كتاب الله بوجه أكمل حتى تكون آية لكونها خارقة للعادة، وتشهد على صدق هذا الصديق. وكمال الشهيد هو أن يُظهر، في وقت المصائب والمعاناة والابتلاءات، قوة الإيمان والأخلاق الفاضلة والصمود لتكون آية لكونها خارقة للعادة.

وكمال الرجل الصالح هو أن يكون بعيداً عن كل نوع من الفساد ويصير صلاحاً متجسداً حتى يُعدَّ صلاحه الكامل آيةً لكونه خارقاً للعادة.

فهذه الكمالات الأربعة حين نسألها في الصلوات الخمس، فإننا بتعبير آخر نسأل الله تعالى آية سماوية. ومن لم يكن فيه هذا الطلب فلا إيمان له أيضاً.

إن مغزى صلاتنا هو هذا الطلب إذ نسأل الله تعالى أربع آياتٍ بأربعة أساليب في صلواتنا الخمس، وبذلك نريد تقديس الله تعالى في الأرض لكيلا تتحول حياتنا إلى حياة الإنكار والشك والغفلة فتنجس الأرض. ولا يسع أحداً أن يقْدِس الله ما لم يسأله هذه الآيات الأربع باستمرار.. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥١٥-٥١٦)

باختصار، إن الحصول على الكمالات التي توجد في حزب المنعم عليهم والتي أشير إليها في: "صراط الذين أنعمت عليهم" هو الهدف الحقيقي لكل إنسان، وعلى جماعتنا أن ينتبهوا إليه بوجه خاص لأن الله تعالى أراد من تأسيس هذه الجماعة أن يقيم جماعة كالتي أقامها النبي ﷺ لتكون هذه الجماعة شاهدة على صدق القرآن الكريم وصدق النبي ﷺ في الزمن الأخير. والكمال الأول من الكمالات التي يُعطاه المنعم عليهم هو كمال النبوة وهو يحتل مقاماً رفيعاً جداً. إنني متأسف على أني لا أجد كلمات لبيان حقيقة هذا الكمال. فالقاعدة المتَّبعة هي أنه على قدر علو مرتبة الشيء تعجز الكلمات عن وصفه. أما النبوة فمقام ليس فوقه درجة أو مرتبة

للإنسان فأتى يمكن بيانها؟ (الحكم مجلد ٩، رقم ١١، عدد: ١٩٠٥/٣/٣١ ص ٦)
 إن الذين يحبون الله ويفنون في حبه تعالى، أي جماعة الأنبياء، يجدون في أنفسهم
 حماسا أكبر بكثير من عشق العشاق الدنيويين لأن الله يتوب على التائبين لدرجة أنه
 يتوجه إليهم أكثر منهم حتى إذا جاء أحد إلى الله مشيا جاءه الله تعالى هرولة. فلو
 توجه أحد إلى هذا الإله وفى في حبه لأحرقت نأز حبه وعشقه الأماني والأهواء
 النفسانية. ثم تدخلهم الروح الناطقة، فالنطق الذي يبدأ من جانبها يكون نطق الله
 تعالى. ويمكن القول بتعبير آخر بأن الإنسان يدعو الله والله يجيبه. فهذا كمال النبوة
 الذي ذكر في "أنعمت عليهم". لذا عندما يدعو الإنسان: "اهدنا الصراط المستقيم صراط
 الذين أنعمت عليهم" ينبغي عليه أن ينتبه - بالإضافة إلى ذلك - إلى نيل هذا الكمال
 الذي هو كمال النبوة. (الحكم مجلد ٩، رقم ١٣، عدد: ١٧/٤/١٩٠٥ م، ص ٥)

إن الكمال الثاني المذكور في ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هو كمال الصديقين. وبإحراز
 هذا الكمال تنكشف على المرء حقائق القرآن الكريم ومعارفه. ولكن هذا الفضل
 والفيض أيضا إنما يتيسر بتأييد الله تعالى. إن مذهبنا هو أن تحريك الإصبع أيضا
 محال دون تأييد الله وفضله. غير أن من واجب الإنسان أن يسعى ويجاهد قدر
 المستطاع ويسأل الله نفسه التوفيق لذلك، ولا ييأس منه أبداً، لأن المؤمن لا يقنط
 أبداً، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٨).
 اليأس شيء سيئ جداً. والحق أنه لا ييأس إلا من يسيء الظن بالله تعالى.
 تذكروا جيداً أن سوء الظن هو مصدر الفساد كله، لذا قد نهي الله عنه نهياً شديداً
 وقال: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٣). (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٤، عدد:
 ٢٤/٤/١٩٠٥ م، ص ٢)

إن قرب الله تعالى والحياة أيضا إنعام من الله ومشمول في: "أنعمت عليهم". إن
 معارضينا يعتبرون المسيح حائزا على هذا الإنعام ويعتدون النبي ﷺ محروما منه. لماذا
 لا يستحيون من هذا المعتقد؟ الحياة الطويلة يمكن عُدّها إنعاما إذا كانت بحسبما

ورد في القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٨).
(الحكم، المجلد ٩، رقم ٥، عدد: ١٠/٢/١٩٠٥ م، ص ٥)

يا أسفا عليهم، ماذا أصاب عقولهم؟ ولماذا لا يفهمون؟ هل كان قول الله تعالى في القرآن ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ عبثًا لا معنى له، وقصة فارغة من الحقيقة تمامًا؟ ألم يكن هناك أي إنعام للمسلمين؟ هل وعدهم الله به خداعًا فقط؟ هل يريد الله تعالى أن يترك طلابه الصادقين أشقياء محرومين؟ أي ظلم أكبر من أن يقال بأن الله تعالى يتكلم -معاذ الله- بكلام مزخرف معسول فارغ من المعنى فحسب. كلا، ليس هذا بالحق، إنما هو قولهم من أوهامهم.

الحق أن القرآن الكريم يريد أن يرفع الإنسان إلى تلك المراتب العليا والمدارج السامية التي خولها الله للمنع عليهم، وما من عصر إلا ويوجد فيه إثباتات ونماذج حية على صدق كلام الله القرآن. ليس مذهبننا - كما هو مذهب الآريين الهندوس - بأن الإنسان البار المحب لله تعالى مهما دعاه وفنى فيه تضرعًا وبكاءً عند أعتابه، فلا ينفعه بكأؤه شيئًا. كلا، إن الإسلام ليس دينًا جافًا ميتًا، بل هو دين حي خالد إلى الأبد، وإن آياته معه على الدوام، ولم تصبح قصة من الماضي. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٦، عدد: ٣٠/٩/١٩٠١ م، ص ٣)

إذا كان صحيحًا أن الله تعالى قد ختم على جميع أنواع البركات والإمامة والولاية، وقد أوصد هذا الباب إلى الأبد لما كان ثمة ما يكسر قلوب الباحثين الصادقين عن الله أكثر من هذا الكلام، وكأنهم ماتوا وهم أحياء ولن يبقى في أيديهم لبٌّ ولا مغزى وإنما قصص واهية فقط. وإذا كان الشيعة يعتبرون هذا المعتقد صحيحًا فلماذا يقرأون في صلواتهم الخمس كل يوم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؟ لأن هذا الدعاء لا يعني إلا أن: هَبْ لَنَا يَا رَبَّنَا القادر صراط قربك الذي وهبته للأنبياء والأئمة والصديقين والشهداء. إذن، هذه الآية توحى بجلاء أن باب كمالات الإمامة مفتوح إلى الأبد. وهكذا يجب أن يكون في الحقيقة. ولإثبات ذلك ورّعتُ عشرين ألف

إعلان على البلاد والأمصار المختلفة. ولولا وجود هذه البركة فأَيُّ أفضلية بقيت للإسلام أصلاً؟ (الحكم مجلد ٦، رقم ٩، عدد: ١٠/٣/١٩٠٢م، ص ٢)

ويقول الله في القرآن الكريم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وجميع المفسرين يقولون بأن الهدف من ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هو أن يصبح المرء مثيلاً للأنبياء، وهو أصل حقيقة الاتباع. ومن مذهب الصوفية أن الإنسان ما لم يحرز المماثلة مع الأنبياء عليهم السلام في الإيمان والأعمال والأخلاق لدرجة أن يحوز هو نفسه درجتهم، فلا يكتمل إيمانه ولا يسمى رجلاً صالحاً. فمن منتهى الظلم والخيانة أن يُقدّم المرء أمراً مختلفاً من عند نفسه كقضايا أهل الدنيا قبل الاطلاع على كتب الدين. لقد بعث الله ﷺ الأنبياء إلى الأرض لكي يُقيم أمثالهم في الدنيا، وإن لم يكن ذلك فالنبوة باطلة. فالأنبياء لا يأتون لكي يُعبدوا وإنما ليتأسى الناس بأسوتهم ويتشبهوا بهم، ويصبحوا بالتفاني فيهم كأنهم هم أنفسهم. يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)، فمن أحبه الله فأَيُّ نعمة يحرمه منها؟ ومعلوم أن المراد من الاتباع هو إحراز مرتبة الفناء التي توصل إلى درجة المثل. وهذه المسألة متفق عليها، ولا ينكرها غيرُ الجاهل السفیه أو الملحد الذي لا إيمان له. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٤١١ - ٤١٢)

الأنبياء يُثَقِّون من حيث الظل، وأن الله تعالى يخلق عبداً من عباده كنظير ومثيل لهم بصورة ظلية كلما مست الحاجة. فيكون هذا العبد سبباً لحياتهم الدائمة مُنصبغاً بصبغتهم. ولإبقاء هذا الوجود الظلي علّم الله عباده دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ والمعلوم أن إناعم الله الذي أنعم به على الأنبياء وأمرنا بطلبه في هذا الدعاء ليس من قبيل الدراهم والدنانير بل هو إناعم الأنوار والبركات والحب واليقين والخوارق والتأييدات السماوية والقبول والمعرفة التامة الكاملة والوحي والكشف. ولم يأمر الله تعالى هذه الأمة لتسأل هذا الإناعم إلا إذا أراد

أيضا أولا إعطاءه إياهم. فثبت من هذه الآية بكل وضوح أن الله تعالى قد جعل هذه الأمة وارثة للأنبياء جميعا بصورة ظليلة لكي يبقى وجود الأنبياء دائما بصورة ظليلة، وألا تخلو الدنيا من وجودهم أبدا. ثم لم يأمر الله بالدعاء فقط بل وعد في آية باستجابته أيضا فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠). ومعلوم أن سبل الله هي التي أُرِيهَا الأنبياء. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٥١-٣٥٢)

هل يمكنكم القول بأن شمس الوحي الإلهي كانت تطلع في الأزمنة الماضية على وجه اليقين ولكن لم يعد فيها الجلاء نفسه الآن؟ وكأنه لم تبق وسيلة للوصول إلى المعرفة اليقينية في المستقبل، بل اقتصرت على الأزمنة الحالية فقط؛ وكأن سلطنة الله وحكمه وإفاضته قد انقطعت بعد مدة وجيزة. ولكن كلام الله تعالى يشهد على عكس ذلك لأنه يعلم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ ففي هذا الدعاء قد أعطى الله تعالى أملا بالإنعام الذي أُعْطِيَ الأنبياء والرسل من قبل. ومعلوم أن أعظم تلك الإنعامات كلها إنما هو إنعام الوحي اليقيني، لأن كلام الله يقوم مقام رؤيته ﷻ، وبواسطته يطلع الإنسان على وجود الله. فإذا لم يحظَ أحد من الأمة بالوحي اليقيني، ولا يستطيع أحد منهم أن يتجرأ على أن يعدَّ وحيه وحيا يقينيا وقطعيا كوحي الأنبياء عليهم السلام، ولم يكن وحيه من النوع الذي يضرُّ الدنيا إهماله وتركُ اتباعه والعمل به - على غرار وحي الأنبياء - فإن تعليم مثل هذا الدعاء ليس إلا خداعا محضاً؛ لأنه لو لم يُرد الله تعالى أن يشرك الأمة، وفق الدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، في إنعامات أُعْطِيَهَا الأنبياء عليهم السلام، فلماذا علّم الدعاء أصلاً؟ ولماذا رغب في الدعاء الذي لا يمكن تحقيقه؟ فلو لم يكن تعليم هذا الدعاء لإكرامكم بنعمة اليقين والمعرفة، بل كان كلاما معسولا فقط، لثبت أنكم أتعس الأمم كلها حظاً، وأن الله تعالى لا يريد أن ينجيها بسقيها ماء عين اليقين، بل يريد هلاكها بتركها تهيم في

متاهات الشكوك والشبهات. ولكن اعلّموا يقينا أنه قد قُطع لهذه الأمة نصيب من الإنعامات التي أُعطيها الأنبياء من قبل، لأنه لو لم يُودع في فطرة الكُمل من المسلمين نصيب منها، لما وُجدت في قلوبهم رغبة الوصول إلى مرتبة حق اليقين في معرفة الله تعالى. وإن أعظم الإنعامات المذكورة سابقاً، إنعام المكالمات والمخاطبات اليقينية التي بسببها يتقدم الإنسان في معرفة الله وَعَلَيْهِ وكأنه يراه، فيؤمن به وَيُحِلُّ إيمان الرؤية. (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٨٧ - ٤٨٨)

يعلّم الله تعالى المؤمن في سورة الفاتحة التي هي في مستهل القرآن الكريم أن يدعو الله قائلاً: ﴿هُدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي دُلّنا على صراط الذين أنعمت وتفضلت عليهم. لقد علّم الله تعالى هذا الدعاء ليشحذ المرء همته ويفهم مشيئة خالقه، ألا وهي ألا تعيش هذه الأمة عيشة البهائم، بل تزول عنها الحُجُب كلها. فمثلاً يؤمن الشيعة أن الولاية انتهت بعد اثني عشر إماماً، ولكن يتضح من هذا الدعاء أن الله تعالى قد قضى سلفاً أن الذي يكون تقياً ويعيش تابِعاً للمشيئة الإلهية، فسيحوز تلك المراتب التي يحوزها الأنبياء والأصفياء. وهذا يكشف أيضاً أن الإنسان قد وُهب كفاءات كثيرة قُدّر لها أن تنمو وتتطور جداً. لكن قوى الكبح غير قابلة للتطور لأنه ليس بإنسان. فصاحب المهمة العالية عندما يسمع أحوال الرسل والأنبياء يتمنى ألا يكتفي بالإيمان بتلك الإنعامات التي نالتها تلك الجماعة الطاهرة فحسب، بل يناها هو أيضاً ليلغ علمه بتلك الإنعامات درجة علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين بالتدريج.

هناك ثلاثة مدارج للعلم: علم اليقين، عين اليقين وحق اليقين؛ فمثلاً حين يرى المرء دخاناً مرتفعاً من مكان يوقن بوجود النار، وهذا يسمى علم اليقين، وحين يراها بأم عينه فهذا عين اليقين، ولكن مرتبة حق اليقين هي فوق ذلك، وهي أن يُدخل يده في النار ويوقن بوجودها بإدراك حرقتها. فيا لشقاوة إنسان لا يحوز أيّاً من هذه المراتب الثلاث. إن هذه الآية تكشف أن المحروم من فضل الله تعالى يقلّد تقليداً

أعمى فحسب، بينما يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)، أي أن الذين يجاهدون في سبيلنا سوف نهديهم إليها. فهذا وعد من الله تعالى، وهناك دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لذا فعلى المرء أن يدعو بإلحاح أخذاً هذا الوعد في الحسبان، ويتمنى أن يكون من الحائزين على الرقي والبصيرة، كيلا يرحل من هذه الدنيا أعمى عديم البصيرة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٣).

والمقصود من قول الله هذا أن علينا أن نأخذ من هذا العالم عيوناً لمشاهدة عالم الآخرة. الحواس التي تصلح لاستيعاب ذلك العالم سيتم إعدادها في هذه الدنيا نفسها، إذ كيف يصح أن يعدنا الله وعداً ثم لا يفي به؟

والمراد من الأعمى هنا مَنْ لا حظاً له من المعارف الروحية واللذات الروحية. يولد المرء في بيت مسلم فيسمى مسلماً نتيجة تقليده الأعمى لأهله، ويولد غيره في بيت مسيحي فيصير مسيحياً، ومن أجل ذلك لا يكتف هذا المسلم أي احترام لله ولا لرسوله ولا للقرآن الكريم، بل إن حبه للدين أيضاً أمرٌ مشكوك فيه، إذ يتردد إلى قوم يسيئون إلى الله ورسوله، وليس سببه إلا أنه لا يملك عيوناً روحانية، ولا حباً للدين، وإلا فمتى يرضى المحب بشيء لا يحبه حبيبه؟

باختصار، لقد أخبرنا الله تعالى هنا أنه مستعد للعطاء إن كنتم مستعدين للتلقي، والقيام بهذا الدعاء هو بمنزلة الاستعداد لتلقي هذا الهدى.

ثم بعد هذا الدعاء قال الله تعالى في بداية سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وكأن هذا إعداد رباني لمنح الهداية للناس. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٣٨-٣٩)

ولو استنبط من كلمة "النبي" معنى أن الله جلّ شأنه يكلمه ويخاطبه ويكشف عليه بعض الأسرار الغيبية، فأَيُّ غضاضة في كون فرد من الأمة نبيا من هذا النوع؟ وخاصة ما دام الله تعالى قد أعطى في القرآن الكريم أملاً أكثر من مرة بأن فرداً من

الأمة يمكن أن ينال شرف المكاملة والمخاطبة الإلهية، وأن الله تعالى يخاطب أوليائه ويكلّمهم. بل علّمنا في سورة الفاتحة التي تُتلى في الصلوات الخمس يوميا دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لنيل هذه النعمة بالذات، فلماذا يُرفض إذاً نوال أحد من الأمة هذه النعمة؟ هل النعمة التي طُلبت من الله تعالى في سورة الفاتحة والتي أُعطيها الأنبياء تتمثل في الدراهم والدنانير؟ واضح أن الأنبياء عليهم السلام نالوا نعمة المكاملة والمخاطبة الإلهية التي بسببها بلغت معرفتهم مبلغ حق اليقين، وناب تجلّي الكلام مناب الرؤية. فالدعاء الذي ندعو به أي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ والذي بسببه نرث نحن أيضا تلك النعمة، ماذا عسى أن يكون معناه إلا أن هبّ لنا يا ربنا شرف المكاملة والمخاطبة؟

هنا يقول بعض من قليلي الفهم إن هذا الدعاء إنما يعني أن اجعل إيماننا قويا وورّقنا للأعمال الصالحة التي ترضاهنا. ولكنهم لا يدرون أن تقوية الإيمان وكسب الأعمال الصالحة والعمل بحسب مرضاة الله كلها أمور تأتي إثر المعرفة الكاملة. والقلب الذي لم ينل نصيبا من معرفة الله محروم من الإيمان القوي والأعمال الصالحة أيضا. إن خشية الله تتولد في القلب نتيجة المعرفة وحدها. وبالمعرفة فقط يهيج حب الله في القلب... فلما كان مدار الخوف والحب كله على المعرفة فلا يمكن للإنسان أن يخضع لله تعالى أيضا بوجه كامل إلا إذا كانت لديه معرفته، ليطلع أولا على وجوده ثم تتبين له صفاته الحسنة وقدراته الكاملة. وهذا النوع من المعرفة لا يتيسر إلا إذا كان المرء حائزا على شرف مكاملة الله ومخاطبته. ثم يوقن حق اليقين بإعلام من الله أنه ﷺ عالم الغيب وقادر يفعل ما يشاء. فالنعمة الحقيقية (التي تتوقف عليها قوة الإيمان والأعمال الصالحة) إنما هي مكاملة الله ومخاطبته، والتي بواسطتها يعرف المرء وجوده ﷻ أولا ثم يطلع على قدراته، ثم يرى تلك القدرات بأمر عينيه بحسب هذا الاطلاع. هذه هي النعمة التي أُعطيها النبيون عليهم السلام. ثم أمر الله الأمة أن أسألوني هذه النعمة وسأعطيكموها... إن مكاملة الله ومخاطبته هي وحدها أساس المعرفة ومصدر البركات

كلها. فلو أُوصد هذا الباب على هذه الأمة لَسُدَّتْ أبواب السعادة كلها في وجهها. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٠٧-٣٠٩)

يجب أن تتذكروا أن هناك وعدًا لهذه الأمة بأنها ستعطى كل الإنعامات التي أُعطيها الأنبياء والصديقون السابقون. ومن بين هذه الإنعامات تلك النبوءات والنبوءات التي دُعي بسببها الأنبياء السابقون أنبياء. لكن القرآن الكريم أغلق أبواب علوم الغيب على غير الأنبياء والرسل كما هو واضح من الآية الكريمة ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن: ٢٧-٢٨). فلتلقي علم الغيب المصفى لا بد للمرء أن يكون نبيًا. وإن آية ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ تشهد على أن هذه الأمة ليست محرومة من هذا الغيب المصفى، وتلقي الغيب المصفى يتطلب النبوة والرسالة حسب منطوق هذه الآية. وحيث إن هذا الطريق المستقل قد أُغلق، لذا فلا بد من الإيمان بأنه ليس لتلقي هذه النعمة إلا باب البروز والظلية والفناء في الرسول ﷺ. (إزالة خطأ، الخزائن الروحانية المجلد ١٨، ص ٢٠٩ الحاشية)

"ثم انظر إلى قوله تعالى ودعائه الذي علّمنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فإننا أُمِرنا أن نقتدي الأنبياء كلهم ونطلب من الله كمالاتهم، ولما كانت كمالات الأنبياء كأجزاء متفرقة وأُمِرنا أن نطلبها كلها ونجمع مجموعة تلك الأجزاء في أنفسنا، فلزم أن يحصل لنا شيء بالظلية ومتابعة رسول الله ﷺ ما لم يحصل لفردٍ فردٍ من الأنبياء. وقد اتفق علماء الإسلام أنه قد يوجد فضيلة جزئية في غير نبي لا توجد في نبي." (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية المجلد ٧، ص ٢٩٤-٢٩٥)

"إن المعجزات تقتضي الكرامات، ليبقى أثرها إلى يوم الدين. وإن الذين ورثوا نبيهم يُعطون من نعمه على الطريقة الظلية، ولولا ذلك لبطلت فيوض النبوة، فإنهم كأثرٍ لعينٍ انقضى، وكعكسٍ لصورة في المرآة يُرى، وإنهم اكتحلوا بمزودٍ الفناء، وارتحلوا من فناء الرياء، فما بقي شيء من أنفسهم وظهرت صورة خاتم

الأنبياء، فكل ما ترون منهم من أفعال خارقة للعادة، أو أقوال مشابجة بالصحف المطهرة، فليست هي منهم بل من سيدنا خير البرية، لكن في الحُلل الظلية. وإن كنتم في ريب من هذا الشأن، لأولياء الرحمن، فاقروا آية: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإمعان. " (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٧٤-٢٧٥)

إذن، ما دام الله قد أراد أن يهب لطلاب الحق العرفان الكامل فلا بد أن يكون سبحانه وتعالى قد ترك لهم باب المكاملة والمخاطبة مفتوحا أيضا.

قال الله جل شأنه في القرآن الكريم في هذا الشأن: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والمراد بالإنعام هنا الإلهام والكشف وما شابههما من العلوم السماوية التي يؤتاها الإنسان مباشرة من لدن الله تعالى. (فلسفة تعليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٦-٤٣٧)

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. يتبين من هذه الآية التي تُتلى في الصلوات الخمس أن الإنعام الروحاني الذي هو المعرفة الإلهية والحب الإلهي يُنال بواسطة الأنبياء والرسل فقط، ولا يُنال بأية وسيلة أخرى. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٤-١٣٥)

ولأن الله تعالى يعلم أن النبي ﷺ جامع كمالات جميع الأنبياء، لذا فقد أمرنا أن ندعو في صلواتنا الخمس كل يوم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي اللهم ارزقنا كمالات جميع الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء الذين سبقوا. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٥٦)

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. معنى هذه الآية أن الأفضال والإنعامات التي أنعم بها على جميع الأنبياء والصديقين من قبل، أنعم بها علينا أيضا ولا تحرمنا من أي فضل. لقد أعطيت الأمة في هذه الآية أملا عظيما لا تشاركها فيه أمم سابقة، لأن كمالات جميع الأنبياء كانت متفرقة فيما مضى، وتلقوا

بركات وإنعامات متفرقة. أما الآن فقد علّم الله تعالى هذه الأمة دعاء أن يطلبوا منه تلك الكمالات المتفرقة كافة. فمن الواضح أنه عندما تجتمع الكمالات المتفرقة في مكان واحد فإنها ستفوق مجموعها كثيرا الكمالات المتفرقة. فبناء على ذلك قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١)، أي أنكم أفضل من جميع الأمم من حيث كمالاتكم. (ينبوع المسيحية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٨٠-٣٨١)

وليكن معلوما أن باب المكالمات والمخاطبات مفتوح للأمة، وأن هذا الباب يشهد بصدق القرآن الكريم وصدق النبي ﷺ شهادة متجددة دائما. لذلك علّم الله تعالى في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وفي تعليم الدعاء "صراط الذين أنعمت عليهم" إشارة إلى الحصول على كمالات الأنبياء عليهم السلام. والمعلوم أن الكمال الذي أُعطيه الأنبياء عليهم السلام كان كمال معرفة الله تعالى. وقد حازوا على هذه النعمة بالمكالمات والمخاطبات، فتمنّوها أنتم أيضا. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٧، عدد: ٢٤/١٠/١٩٠٦م، ص ٤)

اقرأوا كلام الله بتدبر لتعرفوا ما الذي يريد الله منكم. إنما يريد ﷻ منكم ما علّمتموه في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. فما دام الله تعالى ينصحكم أن تدعوا في صلواتكم الخمس لتعطوا نِعْمًا أعطيها الأنبياء والرسل؛ فأنتي لكم أن تنالوها بدون وسيلة الأنبياء والرسل؟ فلا بد من أن يأتي أنبياء الله بين حين وآخر بُغية رفعكم إلى مرتبة اليقين والحب لتنالوا النعم بواسطتهم. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٢٧)

أيّ كتاب سوى القرآن علّم قراءه منذ البداية هذا الدعاء وأراهم بارقة الأمل هذه؟ أعني قوله تعالى: ﴿اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: أرشدنا إلى سبيل نعمائك التي أرشدت إليها الأولين من المنعم عليهم من النبيين والرسل والصدّيقين والشهداء والصالحين. لذلك فارفعوا هممكم، ولا تردّوا دعوة

القرآن، فإنه يريد أن يهبكم النعم التي وهبها للأولين. ألم يُعطيكم مُلْك بني إسرائيل وقُدْسهم التي لا تزال في قبضتكم حتى اليوم؟ فيا ضعفاء الإيمان وضعفاء الهمّة، أتظنّون أن الله جعلكم خلائفَ لأُملاك بني إسرائيل المادية كلها، لكنه لم يقدر أن يجعلكم خلائف لهم روحانيًا! كلا، بل إن الله يريد أن يُنعم عليكم أكثر مما أنعم عليهم. لقد أورثكم ربُّكم أمتعتهم وأموالهم الروحية والمادية، أما أنتم فلن يرثكم أحد حتى تقوم القيامة. لن يحرمكم الله أبدًا نعمة الوحي والإلهام والمكاملة والمخاطبة الإلهية وسيُتمّ عليكم جميع النعم التي أوتيها الأولون... فعليكم أن تزدادوا صدقًا وسدادًا وتقوى وحبًّا لله حبًّا ذاتيًا، واجعلوا هذا الأمر نصب أعينكم ما دمتم أحياء، ثم يشرف الله بمخاطبته وكلامه أيضًا من يشاء له ذلك منكم. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٧-٢٨)

لا يؤمن المرء إيمانًا حقيقيا ما لم يتصف بهاتين الصفتين، أي ما لم يترك السيئات ويكسب الحسنات، إذ قد قيل في نعت المؤمن الكامل: "أنعمت عليهم". فكروا الآن هل كان الإنعام المذكور هنا يقتصر في أنهم ما كانوا يسرقون ولا ينهبون أو أريد أكثر من ذلك؟ كلا، بل المراد في "أنعمت عليهم" هي الإنعامات العظيمة التي تسمّى المخاطبة والمكاملة الإلهية. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢، عدد: ١٧/١/١٩٠٥م، ص ٣)

لقد أراد الله تعالى من نقل النبوة أن يُري فضله وكماله الذي أنزله على النبي ﷺ، وإلى ذلك أشار في: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي أنزل علينا يا ربنا إنعامات وأفضالا أنزلتها على الذين سبقوا من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. إذا لم يكن الله قادرا على إنزال هذه النعم والأفضال وكان بابها مغلقا فماذا كانت الحاجة إلى تعليم هذا الدعاء؟ كان هذا الباب مغلقا سلفا على الإسرائيليين، ولو أُغلق على هذه الأمة أيضا فما الفائدة؟ وفيَمَ فاقت الأمة بني إسرائيل؟ بَمَ يمكن أن يفخر الأعمى على أعمى آخر؟

إذا انقطع الوحي والإلهام والخوارق على اليهود فأخبرونا هل بقي هذا الباب مفتوحا في أيّ مكان آخر أم لا؟ يقول معارضونا: لا، هو مغلق علينا أيضا. أي شقاوة أنهم يقرؤون: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في الصلوات الخمس ومع ذلك لا يُعْطُونَ شيئا، يا للعجب!

إن تعليم الله تعالى هذا الدعاء يعني أنه جاهز لإنزال الإنعامات والأفضال علينا. فمثلا إذا كان أمام حاكم خمسة مرشّحين وقال لأحدهم: "أنت ابق هنا"، فهذا يعني أنه سيُعْطَى الوظيفة حتما. كذلك علّم الله تعالى هذا الدعاء الذي يُتلى في الصلوات الخمس يوميا، ولكن يقول معارضونا بأنه ليس له تأثير ولا نتيجة. أليست هذه إساءة إلى القرآن الكريم والإسلام؟ الأمر الوحيد المتنازع فيه بيني وبينهم هو أنني أقول بأن بركات الإسلام وتأثيراته ما زالت كما كانت، ويُري الله تعالى تصرفاته الآن أيضا ويتكلم، ولكنهم يقولون مقابل ذلك أن هذا الباب مسدود الآن ولزم الله الصمت ولم يعد يكلم أحدا (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٨، عدد: ٣١/١٠/١٩٠٥م، ص ٥-٦)

كل مسلم يدعو في كل صلاة من صلواته الخمس كل يوم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وقد قال الله تعالى بنفسه أن الصراط المستقيم هو صراط الأنبياء والصديقين والشهداء. ففي هذه الحالة نكون أغبياء جدا إن لم نتحرّر الطرق التي أمرنا الله تعالى بتحريرها، ونتوه وراء الفلاسفة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٤٥-٢٤٦، الحاشية)

أقول صدقا وحقا بأنه يمكن للمرء أن يفوق أيضا عيسى عليه السلام نتيجة الاتّباع الكامل لهذا النبي. يقول العمهون بأن هذا كفرٌ. ولكني أقول: ما دمتم أنتم محرومون من الإيمان، فما أدراكم ما الكفر؟ الكفر فيكم. لو علمتم معنى الآية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لما تفوّهتم بهذا الكفر. إن الله تعالى يرغبكم في أنكم تستطيعون ببركة الاتّباع الكامل لهذا النبي ﷺ أن تجمعوا في

نفوسكم كمالات جميع الأنبياء المتفرقة، وأنتم تحسبون نيل كمالات نبي واحد فقط كفرا!! (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٥٤-٣٥٥)

إن عبد الله الذي اسمه عيسى ويُدعى في العبرية "يسوع" قد تبع شريعة موسى رسول الله إلى ثلاثين عاما فصار مقربا إلى الله وحاز مرتبة النبوة، ومقابل ذلك إذا اتبع أحد النبي ﷺ ولو إلى خمسين عاما بدلا من ثلاثين عاما لن ينال تلك المرتبة، وكأن أتباع النبي ﷺ لا يهبه أيّ كمال قط، ولا يفكرون أن ذلك يستلزم أن يكون تعليم الله تعالى الدعاء ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ خديعة محضة. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٨١-٣٨٢، الحاشية)

في "اهدنا الصراط المستقيم" طلب "صراط الذين أنعمت عليهم". ولقد بينت مرارا وتكرارا أن الجملة: "أنعمت عليهم" تتضمن ذكر أربعة أحزاب، أي الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. فحين يدعو المؤمن بهذا الدعاء فإنه يلتمس من الله التوفيق للتحلي بأخلاقهم وعاداتهم وعلومهم. وإن لم يحصل على أخلاق هؤلاء الأحزاب الأربعة بعد ذلك لكان الدعاء بلا جدوى وكأنه حيوان يلفظ فقط ألفاظا لا حياة فيها. إن هذه الفئات الأربع هم الذين نالوا من الله تعالى علوما عظيمة ومراتب عالية. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد: ١٩٠٢/٧/٢٤، ص ٦)

لقد علم الله في: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ دعاء وهو يُقرأ في كل ركعة، فإذا لم يكن لأحد أن ينال هذه النعمة فماذا كانت الحاجة إلى تعليم هذا الدعاء إذن؟ (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٢، عدد: ١٩٠٢/١١/٢٤، ص ٥)

لو أنكرت المكاملة الإلهية لكان الإسلام دينا ميتا، ولو أغلق هذا الباب أيضا لكانت الأمة مغضوبا عليها وما كانت خير الأمم، ولكان دعاء: "اهدنا الصراط المستقيم" بلا جدوى. غريبٌ حقا أن تصبح هذه الأمة يهودا ويأتي المسيح من غيرهم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٥، عدد: ١٩٠٣/٢/٧، ص ١٤)

إن علامة النبوة هي المكاملة، ولكن المسلمين يعتقدون الآن مذهبا أن باب المكاملة موصد، وهذا يوحي أن غضب الله العظيم نازل على هذه الأمة. وفي هذه الحالة سيكون الدعاء: "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" خديعة كبيرة. ما الفائدة من هذا التعليم أصلا؟ وكأن الله تعالى أعطى هذا التعليم عبثا! (بدر مجلد ٢، رقم ٦: عدد: ٢٧/٢/١٩٠٣م، ص ٤٢)

فإذا كان الله تعالى يريد أن يحرم هذه الأمة من هذا الشرف فلماذا علم هذا الدعاء أصلا؟ يتبين من: "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" بجلاء أن وفّقنا يا ربنا للسلوك على صراط المنعم عليهم السابقين، ولإلهامات التي رزقوها وارزقنا أيضا تلك الإنعامات نفسها. من هم الذين كانوا مصداق "أنعمت عليهم"؟ يقول الله تعالى بنفسه بأنهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون. وقد كان الإنعام الذي أنعم به عليهم هو نزول الوحي والإلهام. فإذا كان الله تعالى قد قرر أن يحرم نتيجة هذا الدعاء الصادقة، فلماذا علم دعاء مثله؟ (الحكم، مجلد ١، رقم ١٤، عدد: ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ٥)

معنى النبوة هو المكاملة. ومن يعطي أنباء الغيب فهو نبي. لو أبطلتم النبوة في المستقبل لما بقيت الأمة خير أمة بل ستكون كالأنعام. وسيكون تعليم سورة الفاتحة: "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" بلا جدوى تماما لأنه إذا كان نزول إنعام الله وفضله على أحد مستحيلا فما الفائدة من هذا الدعاء؟ وبهذه الحالة لا بد من التسليم بأنه لا توجد القوة القدسية في النبي ﷺ. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٣، عدد: ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ٩٩)

إذا كان الله تعالى قد قطع سلسلة المعجزات والبركات بعد رسول الله ﷺ ولم يكن لأحد أن ينال بركة أو فيضا، فما معنى هذا الدعاء أصلا؟ وإن لم تكن لهذا الدعاء أية نتيجة، فما الفرق بين تأثير تعليم النصراني ونتائجه وبين تأثير هذا التعليم ونتائجه؟ ورد في الإنجيل أنكم لو اتبعتموني لاستطعتم أن تنقلوا الجبل من مكان إلى

آخر، ولكنهم لا يستطيعون الآن أن يسوّوا حتى الحذاء! وورد فيه أيضا أنكم سَظْهَرُونَ المعجزات مثلي، ولكن لا أحد منهم يستطيع أن يُري شيئا. وورد فيه أنكم لو تناولتم السموم لما أثرت فيكم، ولكنهم يهلكون بلدغ الحيات وعضّ الكلاب وبتأثير السموم ولا يستطيعون أن يُروا نموذجًا لاستجابة دعاء. إن فشل المسيحيين في إراءة نموذج إجابة الدعاء حربة قوية وحجة دامغة للمسيحية ودليل على بطلانها وفقدانها روح الحياة وتأثيرها وعلى أنهم قد تركوا طريق نبيهم.

ولو أقررنا نحن المسلمين أيضا بأنه لم تبق الخوارق والآيات في الإسلام الآن، ولن تكون لهذا الدعاء الذي علّمناه نتيجة ولا تأثير؛ أفلا يعني ذلك أن أعمالنا هذه عديمة الجدوى، والعياذ بالله؟ كلا، بل الله الحكيم يُقي تأثيرات هذه النبوة قائمة، وقد أسس هذه الجماعة الآن أيضا لكي تكون شاهدة على صدق هذا الأمر.

(الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد: ٣١/٥/١٩٠٣م، ص ٢-٣)

يقول الله تعالى ويعلم: "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم"، ومعناه أن ارزقنا يا ربنا طريق القرب والحب والمعرفة الذي رزقته الأنبياء والمقدسين والمعصومين جميعا. فبتين من ذلك أن الله تعالى ليس بخيلا. فلما كان الإنسان يصل إلى مراتب الأنبياء بصورة ظلية فما المانع في سبيل وصوله إلى مرتبة أهل البيت أو مرتبة الإمام الحسين؟ لو لم تكن أبواب القرب والحب والمعرفة مفتوحة وانقطعت هذه الكمالات الثلاث على سيدنا علي أو الإمام الحسين أو على بعض من أهل البيت الآخرين وقُفلت بإحكام في المستقبل لما بقي الإسلام في هذه الحالة إسلاما حقيقيا، ولكانت تلاوة "صراط الذين أنعمت عليهم" عبثا. إن الله تعالى لا ييخل على عباده بل من جدّ وجد. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٦، عدد: ٢٥/٩/١٩٠٣م، ص ٣٨٣)

إن الله تعالى ليس ضعيفا من حيث قدراته بل إنه يختار طرقا خارقة للعادة ليجعل الإنسان يستيقن ويعرف كلام الله كما يستيقن بوجود الشمس برؤية العين. هل يزعمون أن الله كان قادرا منذ زمن آدم إلى النبي ﷺ على أن يوصل الباحثين عن

الحق إلى نبع اليقين بواسطة وحيه المقدس ولكنه لم يعد قادرا على هذا الفيض بعد ذلك؟ أو كان قادرا ولكنه بخل على الأمة المرحومة قصدا منه ونسي أنه بنفسه علم الدعاء: "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم؟" (بدر، مجلد ٣، رقم ٥، عدد: ١/٢/١٩٠٤م، ص ٢)

إن الله تعالى يسمي الجميع "أولياء"، ويريد أن يجعل الجميع أولياء، لذلك نصح بدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ويريد أن تكونوا مثل حزب المنعم عليهم. والذي يقول بأن هذا مستحيل فهو يتهم الله بالبخل، لذا هذا القول كفر (الحكم، المجلد ٩، رقم ٣٥، عدد: ١٠/١٠/١٩٠٥م، ص ١١)

اعلموا جيدا أنه فيوض الله ﷻ لا حصر لها، والذي يحدها في حدود فهو يحدّ الله في الحقيقة وبعد كلامه عبثا، فليخبر هو بنفسه أنه عندما يطلب من خلال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الكمالات والإنعامات نفسها التي أنزلت على الذين خلّوا فكيف يزعمها محدودة الآن؟ وإذا كانت محدودة واقتصرت على ١٢ إماما فقط كما يقول الشيعة فلماذا يقرأ سورة الفاتحة في الصلاة؟ فهي تحتوي على تعليم ينافي اعتقاده وتجعل الله مجرما إذ من ناحية ختم الكمالات بنفسه على اثني عشر إماما، ومن ناحية ثانية يأمر الناس أن يظلوا يطلبونها إلى يوم القيامة. اعلموا أن اليأس ليس من شيمة المؤمن ومعلوم أنه لا نهاية للترقيات والمراتب. من الخطأ الكبير أن يخصص الإنسان شيئا معيناً بشخص معين. (بدر المجلد ٣، رقم ٢٢-٢٣، عدد: ٨-١٦/٦/١٩٠٤م، ص ٣)

الذي يأتي إلى الله بصدق القلب لا يعود صفر اليدين، غير أن هناك حاجة إلى أن يكون الإنسان طيب القلب، وإلا يصبح التعليم والتأكيد على: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بلا جدوى. إذا كان من المقدر ألا ينال الآن أحد هذا الإنعام والإكرام فما الحاجة إلى هذا الدعاء في الصلوات الخمس كل يوم؟ هذا خطأ كبير راجع بين المسلمين، مع أن مزية الإسلام وجماله هي أن بركاته

وفيوضه والثمرات المتجددة لتعليمه الطاهر تُنال بكثرة. هذا هو مذهب الصوفية والسلف الصالح كلهم، بل يقولون أيضا إن المرء لا يكون متبعا كاملا ما لم تكن في نفسه كمالات النبي ﷺ بصورة بروزية. وهذا صحيح أيضا في الحقيقة لأنه من الضروري للاتباع الكامل للنبي ﷺ أن يخلق الإنسان ثمراته في نفسه. عندما يطيع أحد النبي ﷺ طاعة كاملة ويمحو نفسه ويفنى في طاعته ﷺ عندها تستولي عليه حالة كأن هناك مرآة موضوعة بالمقابل وتنعكس فيها الصورة بالتمام والكمال. لا يسعني أن أحدد أفضل الله تعالى وبركاته والتأثيرات التي تُنال نتيجة اتباع النبي ﷺ الكامل في حدود، بل أرى ذلك كفرا. (الحكم، المجلد ٩، رقم ٣٥، عدد: ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ١٠)

ما دام ثابتا ومتحققا تماما أن الله تعالى قد أعطى الخضر علما يقينيا من لدنه، فأنتي لأحد أن يعدّ نفسه مسلما ومؤمنا بالقرآن الكريم ثم ينكر وجود أحد من أفراد الأمة المحمدية مثل الخضر في الكمالات الباطنية؟ لا شك أن هذا ممكن، بل الله الحي القيوم قادر على أن يهب الخواص من الأمة المحمدية المرحومة نِعما باطنية أفضل وأعلى منه أيضا. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٧) ألم يعلم الله تعالى هذه الأمة دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؟ (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية المجلد ١، ص ٢٩٥، الحاشية في الحاشية رقم ١)

لقد أعطى تعليم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وبذلك بشر الطلاب الصادقين جميعا أنهم يقدرّون باتباع رسولهم الأكرم ﷺ على الوصول إلى العلم الظاهري والباطني الذي أعطيه أنبياءه ﷺ دون وسيط. وبهذا المعنى يُعدّ العلماء ورثة الأنبياء. أمّا إذا استحال أن يرثوا العلوم الباطنية، فكيف صاروا ورثة؟ (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية المجلد ١، ص ٢٥٦، الحاشية على الحاشية رقم ١)

﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فهذه الآية تبين بصراحة أن بعض أفراد هذه الأمة سيوهبون كمالات أنبياء خلّوا. وكذلك سيُعطي بعض المنكرين عادات كفار خلّوا، وستظهر أوجه التشابه بكل قوة وشدة بين أجيالٍ خلت وأجيال آتية؛ فيظهر يهود مثل اليهود تماما، وكذلك تظهر أسوة الأنبياء الكاملة. (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٨٢-٣٨٣، الحاشية)

إذا قيل إن باب مكاملة الله ومخاطبته ووحيه مغلق على هذه الأمة إلى يوم القيامة، فأنتى لفرد من الأمة أن يدعى نبيا في هذه الحالة، لأنه من الضروري للنبي أن يكلمه الله؟ فجوابه أن هذا الباب ليس مسدودا على هذه الأمة قط، ولو كان مغلقا لكانت الأمة أمة ميّنة ومطرودة وبعيدة عن الله تعالى أبما بُعد. ولو كان هذا الباب موصدا عليها لما علّم في القرآن الكريم دعاء: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٥٣)

اعلموا أن الدين الذي يغلق أبواب الكمالات في المستقبل إنه عدو التقدّم البشري. الدعاء الأهم للإنسان بحسب القرآن الكريم هو أن يتنمى الترقّيات الروحانية. يجب أن تُقرأ الآية: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بتدبر. (الحكم، مجلد ٢، رقم ٣٨، عدد: ١٨٩٨/١٢/٨ م، ص ٣)

كما أنه يشكّل عارا على الإسلام أيضا إذ كان بنو إسرائيل يتلقّون إلهاما يقينيا حتى ألقت أم موسى بموجبه رضيعها البريء في اليمّ ولم يساورها أي شك في الإلهام ولم تعدّه ظنّا منها، كما أقدم الخضر على قتل ولدٍ، لكن هذه الأمة المرحومة لم تحظَ بمرتبة نالها نساء بني إسرائيل! فما معنى آية ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ إذن؟ أفهذه الإلهامات الظنية - التي يشترك فيها الرحمن والشيطان على سواء - تُسمّى نعمة؟ يا للخجل! (التجليات الإلهية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤١٣)

النبوة المحمدية ليست بعاجزة عن الإفاضة الذاتية، بل إن فيضها يفوق سائر الرسالات، وطاعة هذه النبوة تُوصل المرء إلى الله بأسهل الطرق، وباتباعها يتشرف المرء بالمحبة الإلهية، والمكاملة والمخاطبة، أكثر مما كان مُتاحاً من قبل... عندما تبلغ المكاملة والمخاطبة الإلهية درجة الكمال كيفاً وكمّاً، بحيث لا تشوبها شائبة ولا نقیصة، وتكون مشتملةً على الأمور الغيبية بصورة بينة، فإنها بتعبير آخر تسمى النبوة، الأمر الذي اتفق عليه الأنبياء جميعهم.

فمن المستحيل للأمة التي قيل بحقها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١) وعُلِّمت دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أن يبقى جميع أفرادها محرومين من هذه المرتبة الرفيعة ولا ينالها فرد منهم. ولو كان الأمر كذلك لكانت الأمة المحمدية ناقصة يعوزها الكمال، ولصار أفرادها كلهم كالعُميان، بل ولكانت قوة فيضان الرسول عرضة للطعن ولاعتُبرت قوّته القدسية ناقصة، ولصار من العبث دعاء سورة الفاتحة الذي علمنا الله إياه وأمرنا أن ندعو به في صلواتنا الخمس. (الوصية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣١١-٣١٢)

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فإذا لم تكن هذه الأمة واثرة للأنبياء السابقين ولم يكن لها نصيب من هذا الإنعام فلماذا علّمت هذا الدعاء؟ (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٠٤، الحاشية)

الآية السادسة في هذه السورة هي "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" وفيها إشارة إلى أن الظلام في الألفية السادسة سيقضي الهداية السماوية. وستطلب طبائع إنسانية سليمة هادياً؛ أي المسيح الموعود من الله تعالى. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٤٨، الحاشية)

"اعلم أن في آية ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ تبشير للمؤمنين، وإشارة إلى أن الله أعد لهم كلّ ما أعطى للأنبياء السابقين، ولذلك علّم هذا الدعاء ليكون بشاراً للطالبيين، فلزم من ذلك أن يختتم سلسلة الخلفاء المحمدية على مثيل عيسى، ليتّم المماثلة

بالسلسلة الموسوية، والكريم إذا وعد وفى. (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية المجلد ١٨، ص ١٧٠، الحاشية)

"والله ليس في القرآن الذي هو أهل الفصل والقضاء إلا خبر ظهور خاتم الخلفاء من أمة خير الورى، فلا تقفوا ما ليس لكم به علم وقد أُعطيتم فيه من الهدى، ولا تُخرجوا من أفواهكم كلماتٍ شتى، التي ليست هي إلا كسهم في الظلمات يُرمى. وإنّ هذا الوعد وعدٌ حقّ فلا تغرّبكم ما تسمعون من أهل الهوى. وقد أُشير إليه في الفاتحة مرة أخرى، وتقرأون في الصلاة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثم تستقرون سبل الإنكار وتُسِرّون النجوى. ما لكم تدوسون قول الله تحت الأقدام؟ ألا تموتون أو تُتركون سُدى؟" (الخطبة الإلهامية الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٠٩-١١٠)

إذا استحال أن يكون أحد نبيا أو رسولا بالمعنى البروزي أيضا فما معنى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾؟ (إزالة خطأ، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٠٩)

لقد أقام القرآن الكريم أيضا سلسلة مقابل السلسلة الموسوية، وإلى ذلك تشير الآية: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إضافة إلى آيات أخرى، أي أعطنا أيضا ما أعطي النبيون من قبل. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد: ٢٨/٢/١٩٠٣م، ص ٤)

تكون هناك أطلال للصالحين والطالحين أيضا. فالموعود في أطلال الصالحين هو واحد فقط أي المسيح الموعود. إننا نعتقد أن المراد من: ﴿اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ هو بروز للصالحين، والمراد من ﴿الضَّالِّينَ﴾ هو بروز للمسيحيين، والمراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هو بروز لليهود. لقد خلُق هذا العالم بصفة بروزية بمعنى أنه كما خلا الصالحون والطالحون كذلك يوجد الآن أيضا أناس يملكون صفاتهم. إن الله تعالى لا يضيع تلك الأخلاق والصفات بل يأتي أناس آخرون حاملين صفاتهم. فلما كان الحال على هذا المنوال لا يسعنا الإنكار أن

الأبرار والأخيار سيأتون في أوقاتهم المناسبة، وستظل هذه السلسلة جارية إلى يوم القيامة. وعندما تنقطع هذه السلسلة تنتهي الدنيا أيضا. ولكن الموعود الذي كُلف بمهمة عظيمة هو واحد فقط لأن الذي هو ظله هو أيضا واحد؛ أي محمد عليه السلام.

(الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد: ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ١٠)

أن الله علّم جميع المسلمين دعاء في الفاتحة أن يسألوا الله على الدوام صراط الفريق المنعم عليهم، وإنّ مصداق المنعم عليهم بصفة كاملة من حيث كثرة العدد وصفاء الكيفية والحصول على نعماء حضرة الأحدية في ضوء النص القرآني الصريح والأحاديث المتواترة لحضرة المرسل الرباني فريقان فقط؛ أحدهما فريق الصحابة، والفريق الثاني جماعة المسيح الموعود؛ لأن هذين الفريقين كليهما تربّيا على يدي النبي عليه السلام وليسوا بحاجة إلى اجتهداهم الشخصي، والسبب أن في الفريق الأول كان يقيم النبي عليه السلام نفسه والذي كان يتلقى الهدى مباشرة من الله ثم ينفخ الهدى نفسه في قلوب الصحابة عليهم السلام بتركيز النبوة الطيب، وكان مريهم دون أي توسط، وفي الفريق الثاني المسيح الموعود الذي يتلقى الإلهام من الله وينال فيضا من روحانية النبي عليه السلام. لذا فإن جماعته أيضا ليست بحاجة إلى اجتهداهم عقيم. (التحفة الغلورية، الخزائن

الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٢٤)

الهدف الحقيقي لكل إنسان هو الحصول على كمالات المنعم عليهم التي أشار الله تعالى إليها في: "صراط الذين أنعمت عليهم". وعلى جماعتنا أن تتوجه إليها بوجه خاص لأن الله يريد بتأسيس هذه الجماعة أن يقيم جماعة كالتي أقامها النبي عليه السلام لتكون هذه الجماعة شاهدة على صدق القرآن الكريم وصدق النبي عليه السلام وعظمتهم في الزمن الأخير." (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٦، عدد:

٢٤/١٠/١٩٠٤م، ص ٢)

محمل القول إن أعلى مراتب الإنسان هي حالة النفس المطمئنة التي تحدث عنها في البداية. وفي هذه الحالة بل في الحالات كلها، يتطور الإنسان ويرتقي، لتتحول

علاقته العادية مع الله تعالى إلى علاقة خاصة، وهي لا تكون أرضية سطحية، بل تكون غُلوِيَّةً سماويةً. أعني أن هذه الطمأنينة التي يقال لها الفلاح والاستقامة أيضاً، والتي قد أُشير إليها في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦)، والتي قد عَلِّمْنَا الدعاءَ للاهتمامِ إليها، أقول إن صراط الاستقامة هذا هو صراط المنعم عليهم الذين شَرَّفهم الله بفضله وإكرامه.

والحكمة في ذكر صراط المنعم عليهم خاصةً هي أن سبل الاستقامة مختلفة، ولكن الاستقامة التي هي اسمٌ آخر لسبل النجاح والفلاح إنما هي سبلُ الأنبياء عليهم السلام.

وثمة إشارة أخرى في ذلك، وهي أن دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هذا إنما ينطلق من لسان المرء وقلبه وفعله. وإنه حين يدعو ربه من أجل صلاحه فإنه يشعر بالخجل، ولكن هذا الدعاء هو وحده يسهِّل عليه هذه المعضلات. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٤٤-١٤٥)

لا مناص لكم من تسخير قواكم في أعمالها الفطرية الطبيعية أولاً، وعندها تنالون المزيد أيضاً. ونعلم بخبرتنا الذاتية أن المرء كلما سَخَّر قواه العمليَّة أنزل الله عليه البركة. غاية القول، أَصْلِحُوا عقائدكم وأخلاقكم وأعمالكم أولاً، ثم ادعوا: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وعندها سيظهر تأثير الدعاء على أكمل وجه. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٤٦)

يجب على المسلمين جميعاً أن ينتهبوا إلى جملة: "إياك نعبد" عند الدعاء: "اهدنا الصراط المستقيم" لأن الجملة: "إياك نعبد" قدِّمت على "إياك نستعين"، لذا لا بد من أداء الشكر على الصعيد العملي أولاً. وهذا هو المراد في "اهدنا الصراط المستقيم"، أي يجب مراعاة الأسباب الظاهرية والانتباه إليها قبل التوجه إلى الدعاء. بمعنى أنه يجب إصلاح المعتقدات والأخلاق والعادات ثم الدعاء: "اهدنا الصراط المستقيم".

... لقد أراد الله تعالى عند تعليم الدعاء: "اهدنا الصراط المستقيم" أن ينبته الإنسان إلى ثلاثة أمور بالضرورة: أولاً، الحالة الأخلاقية، ثانياً: الحالة العقدية، وثالثاً: الحالة العملية. يمكن القول بوجه عام بأنه يجب على المرء أن يصلح حالته مستفيداً من القوى التي أعطاها الله إياها ثم ليدعُ الله تعالى. ليس المراد من ذلك ألا يدعو عندما يكون في طور الإصلاح بل يجب أن يستمر فيه في تلك الحالة أيضاً. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٤٨)

يجب على المرء أن يطلب فيض الله تعالى في الصلاة بوجه خاص بالتضرعات القلبية والخضوع القلبي والحماس القلبي الصادق، وأن يحسب نفسه منكوباً وعاجزاً وبلا حيلة، وأن يؤمن بالله تعالى قادراً وقديراً ورحيماً وكرماً ويدعو لأجل علاقة الحب والتقرب. الدعاء الصادر من الشفاه وحدها لا يُقبل في حضرته ﷺ. بل الاضطراب الشديد والحماس والتضرع شرط لنوال البركات السماوية. وبالإضافة إلى ذلك يجب عليه - من أجل خلق الاستعداد للتقرب - أن ينزه قلبه ويطهره من أفكار غير الله، بحيث لا يبقى في قلبه حسد أو حقد تجاه أحد. ويجب أن تكون يقظته ونومه أيضاً بطهارة الباطن. الكلام بلا معنى والعبث الذي لا علاقة له مع نور الروح، هو ظلمة بحتة. (الحكم، مجلد ٢، رقم ٢٦، عدد: ٦-١٣/٩/١٨٩٨م، ص ٧)

يجب أن يسأل الله القادر التواضع والفناء، وما طُلب في "اهدنا الصراط المستقيم" إنما هو التواضع والفناء. (مكتوبات أحمد، المجلد الأول، ص ٥٨١)

ألا من هو الناجي؟ هو ذاك الذي يوقن بأن الله حق، وأن محمداً ﷺ شفيعُ الخلق كلهم عند الله، وأن لا مثيلَ له ﷺ من رسول ولا مثيلَ للقرآن من كتاب تحت أديم السماء، وأن الله تعالى لم يشأ لأحد أن يحيا حياة الخلود، إلا أن هذا النبي المصطفى حيّ خالد إلى أبد الآبدين. وقد مهد الله ﷺ لحياته ﷺ الأبدية أن جعل إفاضته التشريعية والروحانية مستمرة إلى يوم القيامة، وبركة فيضانه ﷺ الروحاني

أرسل إلى العالم أخيراً المسيح الموعود هذا الذي كان مجيئه ضرورياً لتكميل بنيان الإسلام، إذ كان لازماً أن لا ينتهي هذا العالم ما لم يُبعث في السلسلة المحمدية مسيحٌ روحاني كما بُعث مسيح في السلسلة الموسوية. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٤)

الحقيقة المتحققة والنبوع الحقيقي للنجاة هو الحب الذاتي الذي يؤدي إلى وصال الله تعالى. والسبب في ذلك أن المحب لا يستطيع أن يبقى منفصلاً عن حبيبه. ولما كان الله تعالى نوراً بنفسه فإن حبه يؤدي إلى نشوء نور النجاة. والحب الموجود في فطرة الإنسان يجذب حب الله تعالى. وبذلك يبعث حب الله حماساً ذاتياً خارقاً للعادة في حب الإنسان لله، وبالتقاء هذين الحبين تنشأ حالة الفناء أولاً ثم يتولد نور البقاء بالله. أما القول بأن التقاء الحبين يؤدي إلى نتيجة حتمية أن تكون عاقبة مثل هذا الشخص هي الفناء في الله ويصبح هذا الوجود (وهو حجاب) كالرماد، وتنفى الروح في حب الله تعالى كلياً؛ فمثله كمثل صاعقة عندما تنزل من السماء على الإنسان تخرج نار الإنسان الداخلية للعيان دفعة واحدة بجذب النار السماوية فتكون نتيجتها فناء الجسد. إذًا، فعلى غرار ذلك يقتضي الموت الروحاني أيضاً ناراً من نوعين: نارٌ سماوية ونارٌ داخلية. وبالتقاءهما ينشأ الفناء الذي لا يتم السلوك بغيره. وعلى هذا الفناء ينتهي سلوك السالكين، وهو النقطة الأخيرة لمجاهدات الإنسان. وبعد هذا الفناء ينال الإنسان مرتبة البقاء فضلاً من الله وموهبة منه وَعَلَىٰ. وهذا ما أشير إليه في الآية: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وملخص هذه الآية أن الذي ينال هذه المرتبة ينالها كإنعام من الله، أي بفضل المحض وليس كأجر على عمل. وهذه هي النتيجة الأخيرة لحب الله تعالى الذي بسببه تتسنى له الحياة الأبدية وينجو من الموت.. (ينبوع المسيحية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٦٤-٣٦٥)

عقيدة النجاة المستنبطة من القرآن الكريم هي أن النجاة لن تنال بالصوم ولا بالصلاة ولا بالزكاة والصدقات، وإنما تتوقف على فضل الله فقط الذي يستنزله المرء بالدعاء. ولذلك عَلِّمَنَا دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أولاً، لأنه حين يُتَقَبَّلَ هذا الدعاء يجذب الإنسان فضل الله وبذلك يوفَّق للأعمال الصالحة، فحين يجاب دعاء الإنسان الصادر بصدق القلب والإخلاص، يتيسر له تلقائياً إحراز الصلاح وشروطه أيضاً.. (الحكم، المجلد ٧ رقم ٣٠، عدد: ١٧/٨/١٩٠٣م، ص ١٠-١١)

عقيدة النجاة المستنبطة من القرآن الكريم هي أن النجاة لن تنال بالصوم ولا بالصلاة ولا بالزكاة والصدقات، وإنما تتوقف على فضل الله فقط الذي يستنزله المرء بالدعاء. ولذلك عَلِّمَنَا دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أولاً، لأنه حين يُتَقَبَّلَ هذا الدعاء يجذب الإنسان فضل الله وبذلك يوفَّق للأعمال الصالحة، فحين يجاب دعاء الإنسان الصادر بصدق القلب والإخلاص، يتيسر له تلقائياً إحراز الصلاح وشروطه أيضاً.

وإذا كانت النجاة تعد متوقعة على الأعمال فقط واعتُبر فضل الله والدعاء عبثاً محضاً، فهذا شرك دقيق؛ لأن مدلول ذلك بتعبير آخر أن الإنسان يمكن أن ينال النجاة بنفسه، وأنه قادر على أعمال ينجزها من تلقاء نفسه.... فحين يوفق أحد لمثل هذا الدعاء فهو يجذب أفضال الله، ويوفر جميع الشروط واللوازم التي هي مغزى الأعمال الصالحة، هذا هو ديننا في النجاة. (بدر، المجلد ٢، رقم ٢٩، عدد: ١٧/٨/١٩٠٣م، ص ٢٢٧)

الدعاء الذي يصدر من أجل الدنيا إنما هو جهنم. فينبغي أن يصدر الدعاء من أجل رضوان الله تعالى واجتناب الذنوب فقط، فهذا الدعاء يشمل الأدعية الأخرى كلها. ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هو دعاء عظيم، فكأن الفوز بالصراط المستقيم هو معرفة الله و﴿أنعمت عليهم﴾ هو تجنب الذنوب والانضمام إلى الصالحين إذا كان المرء لله يكون الله كفيلاً كالوالدين

إلى سبعة أجيال له. فحينها يكون الله متوليا وكفيلا... يجب أن تدعوا الله أولا لكي تنقلب النفس الأماراة مطمئنة، إذا ظل المرء يدعو الله تعالى دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فهو سيتكفل حاجاته الأخرى بنفسه. (بدر، مجلد ٣، رقم ١١، عدد: ١٦/٣/١٩٠٤م، ص ٤-٥)

الذنب الحقيقي هو الشرك ولكن الذي يؤمن بالله وحده متبرئا من الشرك أي من المال والرزق والعلم والفتنة والأعمال والنفس والأوثان والشيطان وغيرها من الآلهة الزائفة ويصبح لله وينتظر فضله فقط ينال النجاة ويدخل الجنة حتما. أما الذي يبقى متورطا في أي نوع من الشرك المذكور فسيُسجن في سقر ويبقى في لباس مكروه إلا إذا نزل عليه فضل من الله. إن هذا الموضع حساس ودقيق جدا ومقام زلة، والذين ينجون منه فقليل ما هم. اسمعوا الآن الآيات التي وردت لدفع هذا الشرك، أولها الآية: "إياك نعبد وإياك نستعين" في سورة الفاتحة. أي نعبدك وحدك ونستعينك وحدك لعبادتك والتقرب إليك. فهذا الاعتقاد يدفع كل نوع من الشرك المذكور آنفا. ثم علّم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٦، عدد: ٢٤/١٢/١٩٠٢م، ص ٥).

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.. أي أنر لنا يا ربنا صراطا مستقيما أنرتَه لجميع الكُمَّل الذين أنعمت عليهم وأكرمتهم. فلما كان صراط أهل الكمال المستقيم هو أنهم يتحرون الحقائق على وجه البصيرة لا كالعميان؛ فمحصلة هذا الدعاء أن اجتمع فينا يا ربنا جميع العلوم الحقّة والمعارف الصحيحة والأسرار العميقة والحقائق الدقيقة التي وهبتها بين حين وآخر لجميع الكُمَّل في الدنيا بصورة متفرقة. لاحظوا الآن، فقد طُلب من الله العلم والحكمة في هذا الدعاء أيضا، وطُلب العلم الذي كان مفرقا في العالم كله. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٥٠٢-٥٠٥)

إن نظائر استجابة الدعاء لموجودة في نواميس الطبيعة، ويرسل الله في كل زمان نماذج حية لذلك، ومن أجل ذلك علّمنا الله تعالى دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ. إن هذه مشيئة الله وقانونه، وليس بوسع أحد أن يبدلها.

إن قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ دعاء بأن يجعل الله أعمالنا كاملة أتمّ الكمال. والتدبر يكشف أن هذه الكلمات، وإن كانت تأمرنا بالدعاء للاهتمام إلى الصراط المستقيم، إلا أن كلمات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ التي سبقتها تشير إلى أن واجبنا اغتنام هذه الفرصة المتاحة لنا، أعني أن نستعين بالله تعالى مستخدمين قوانا السليمة على السير في الصراط المستقيم. لذا فلا بد من الأخذ بالأسباب الظاهرية أيضاً، ومن تركها فقد كفر بنعمة الله. فمثلاً إن اللسان الذي خلقه الله من العروق والأعصاب، إذا لم يكن كما هو لما قدرنا على الكلام. لقد رزقنا الله للدعاء لساناً قادراً على التعبير عما تختلج في قلوبنا من نوايا وأفكار، وإذا لم نستخدم اللسان للدعاء فهي شقاوتنا. هناك أمراض عديدة لو أصابت اللسان لتعطلّ عن العمل. فهذا المثال يبين لنا رحيمية الله تعالى. كذلك قد أودع الله قلوبنا الخشوع والخضوع وقوة التفكير والتدبر، ولو دعونا الله تعالى بدون بذل هذه القوى والقدرات فلن يكون دعاءً مجدياً ونافعا أبداً، إذ لم نستفد من العطية الأولى فماذا عسى أن نستفيد من الثانية؟ فكان ورود ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قبل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يعني أننا نقول لربنا: ربنا إننا ما أضعنا المواهب والقوى التي أعطيتنا من قبل أيضاً. واعلموا أن ميزة الرحمانية أنها تجعل الإنسان أهلاً للاستفادة من الرحيمية، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١). هذا ليس كلاماً فارغاً، بل هذا ما يقتضيه الشرف الإنساني. إن الدعاء من صفات الإنسان، ومن لم يسأل الله تعالى استجابة دعائه فهو ظالم... الحق أننا بقولنا: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ نسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا أكمل وأتمّ، ثم نصرح أكثر ونقول: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ»، أي أننا نريد أن تهدينا إلى صراط المنعم عليهم، وتنفذنا من صراط المغضوب عليهم الذين حلَّ بهم العذاب نتيجة سوء أعمالهم. وأما قوله تعالى ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فعلمنا فيه أن ندعوه بأن نحفظنا من أن نكون من المحرومين من حمايته، فنظل هائمين على وجوهنا بعيدا عن الصراط المستقيم. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٣، عدد: ١٠/٩/١٩٠١م، ص ١-٢)

عَلَّمَ هذا الدعاء لكي لا نكتفي بالإيمان فحسب، بل يجب أن نحز أعمالا، لكي ننال الإنعامات التي ينالها عبادُ الله المقربون.

بعض الناس يتوجهون إلى المساجد ويصلُّون أيضًا، ويمارسون سائر طقوس الإسلام، ولا يخالفهم نصرُ الله وعونه ولا يُرى التغيير الملحوظ في عاداتهم وأخلاقهم، مما يتبين أن عباداتهم أيضًا تقليدية، وليست لها أي حقيقة؛ لأن الاستجابة لأوامر الله كمثل بذرة، تؤثر في الروح والجسم كليهما، فالإنسان الذي يسقي الحقل ويذر فيه بمنتهى الجهد، إن لم تنبت خلال شهر أو شهرين فلا بد من الإيمان بأن البذرة فاسدة. وهذا هو حال العبادات، إذا كان الإنسان يؤمن بأن الله واحد لا شريك له، ويصلي ويصوم، وفي الظاهر يستجيب لأوامر الله قدر الإمكان، ومع ذلك لا يخالفه النصر المتميز من الله، فلا بد من الإيمان أن البذرة التي بذرها فاسدة. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٢، عدد: ١٢/٦/١٩٠٨م، ص ٣)

"ثم اعلم أن في آية: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» إشارة عظيمة إلى تزكية النفوس من دقائق الشرك واستئصال أسبابها، ولأجل ذلك رغب الله في الآية في تحصيل كمالات الأنبياء واستفتاح أبوابها، فإن أكثر الشرك قد جاء في الدنيا من باب إطراء الأنبياء والأولياء، وإن الذين حسبوا نبينهم وحيدا فريدا، ووحدته لا شريك له كذات حضرة الكبرياء، فكان مآل أمرهم أنهم اتخذوه إلهًا بعد مدة، وهكذا فسدت قلوب النصارى من الإطراء والاعتداء. فالله يشير في هذه الآية إلى هذه المفسدة والغواية، ويومئ إلى أن المنعمين من المرسلين والنبين والمحدثين إنما

يُعْتَوْنَ لِيَصْطَبِغَ النَّاسَ بِصَبْغِ تِلْكَ الْكِرَامِ، لَا أَنْ يَعْبُدُوهُمْ وَيَتَّخِذُوهُمْ آلِهَةً كَالْأَصْنَامِ، فالغرض من إرسال تلك النفوس المَهْدَبَةِ ذوي الصفات المطهرة، أن يكون كلُّ متَّبِعٍ قَرِيبَ تِلْكَ الصِّفَاتِ، لَا قَارِعَ الْجَبْهَةِ عَلَى هَذِهِ الصَّفَاةِ. فَأَوْماً اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِأَوَّلِي الْفَهْمِ وَالدَّرَايَةِ إِلَى أَنَّ كِمَالَاتِ النَّبِيِّينَ لَيْسَتْ كَكِمَالَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ أَحَدٌ صَمَدٌ وَحِيدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلَيْسُوا كَذَلِكَ، بَلْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ وَارَثِينَ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ الصَّادِقِينَ، فَأَمَّتُهُمْ وَرَثَاؤُهُمْ.. يَجِدُونَ مَا وَجَدَ أَنْبِيَائُهُمْ إِنْ كَانُوا لَهُمْ مُتَّبِعِينَ. وَإِلَى هَذَا أَشَارَ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)، فَانْظُرْ كَيْفَ جَعَلَ الْأُمَّةَ أَحْبَاءَ اللَّهِ بِشَرَطِ اتِّبَاعِهِمْ وَاقْتِدَائِهِمْ بِسَيِّدِ الْمَحْبُوبِينَ.

وتدل آية ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أن تراث السابقين من المرسلين والصدِّيقين حَقٌّ وَاجِبٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ وَمَفْرُوضٌ لِلْآخِقِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَهُمْ يَرِثُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَيَجِدُونَ مَا وَجَدُوا مِنْ إِنْعَامَاتِ اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.

وَأَمَّا سِرُّ ذَلِكَ التَّوَارِثِ وَلِمِّيَّةُ الْمَوْرَثِ وَالْوَارِثِ، فَتُنْكَشِفُ مِنْ تِلْكَ الْآيَةِ الَّتِي تُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ، وَتُعْظِّمُ الرَّبَّ الْوَحِيدَ، فَإِنَّ اللَّهَ الْمَعِينُ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِذَا عَلِمَ دَقَائِقَ التَّوْحِيدِ وَبَالَغَ فِي التَّلَقُّينِ، وَقَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فَأَرَادَ عِنْدَ هَذَا التَّعْلِيمِ وَالتَّفْهِيمِ أَنْ يَقْطَعَ عُرُوقَ الشَّرْكِ كُلِّهَا فَضْلاً مِنْ لَدُنْهِ وَرَحْمَةً مِنْهُ عَلَى أُمَّةٍ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، لِيَنْجِي هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ آفَاتٍ وَرَدَّتْ عَلَى الْمُتَّقِدِّمِينَ. فَعَلَّمَنَا دَعَاءَ مَبْرَرَةٍ وَعَطَاءَ وَجَعَلَنَا مِنْهُ مِنَ الْمُسْتَخْلِصِينَ. فَنَحْنُ نَدْعُو بِتَعْلِيمِهِ، وَنَطْلُبُ مِنْهُ بِتَفْهِيمِهِ، فَرَحِينُ بِرِفْدِهِ، مَفْصِحِينُ بِحَمْدِهِ، قَائِلِينَ: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا فِي هَذَا الدَّعَاءِ كُلِّ مَا أُعْطِيَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنَ النِّعَمَاءِ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ تُثَبَّتَ كَالْأَنْبِيَاءِ عَلَى الصِّرَاطِ، وَتَنْجَانِي عَنِ الْإِشْتِطَاطِ، وَتَدْخُلَ مَعَهُمْ فِي مَرْبَعِ حَظِيرَةِ الْقُدْسِ، مُتَطَهِّرِينَ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الرَّجْسِ،

ومبادرين إلى دَرَى رَبِّ العالمين. فلا يخفى أن الله جعلنا في هذا الدعاء كأظلال الأنبياء، وأورثنا وأعطانا المعلوم والمكتوم، والمعكوم والمختوم، ومن كل الآلاء والنعماء، فاحتملنا منها وقرنا، ورجعنا بما يسد فقرنا، وسالت أودية بقدرها، فأحللنا محلّ الفائزين. وهذا هو سرّ إرسال الأنبياء وبعث المرسلين والأصفياء، لنُصَبِّغَ بصبغ الكرام، وننتظم في سلك الالتئام، ونرث الأولين من المقرّبين المنعمين.

ومع ذلك قد جرت سُنَّة الله أنه إذا أعطى عبداً كمالاً، وطفق الجهّال يعبدونه ضالّالاً، ويُشركونه بالرب الكريم عزةً وجلالاً، بل يحسبونه ربّاً فعلاً، فيخلق الله مثله، ويُسمّيه بتسميته، ويضع كمالاته في فطرته، وكذلك يجعل لغيرته لئيطل ما خطر في قلوب المشركين. يفعل ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل وهم من المسؤولين. يجعل من يشاء كالذرّ السائغ للاغتذاء، أو كالذرة البيضاء في اللعان والصفاء، ويسوق إليه شرباً من التسنيم، ويضمّخه بالطيب العميم، حتى يُسفر عن مرأى وسيم، وأرج نسيم للناظرين.

فالحاصل أنه تعالى أشار في هذا الدعاء لطلاب الرشاد إلى رحمته العامّة والوداد، فكأنه قال إني رحيم.. وسعت رحمتي كل شيء.. أجعل بعض العباد وارثاً لبعض من التفضل والعطاء، لأسدّ باب الشرك الذي يشيع من تخصيص الكمالات ببعض أفراد من الأصفياء. فهذا هو سرّ هذا الدعاء، كأنه يُبشّر الناس بفيض عام، وعطاء شامل لأنام، ويقول إني فيّاض وربّ العالمين، ولستُ كبخيل وضنين. فاذكروا بيت فيضي وما تمّ، فإن فيضي قد عمّ وتمّ، وإن صراطي صراط قد سوّي ومُدّ، لكل من نهض وأعتد واستعدّ، وطلب كالمجاهدين. وهذه نكتة عظيمة في آية: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، وهي إزالة الشرك وسدّ أبوابه، فالسلام على قوم استخلصوا من هذا الشرك وعلى من لديهم، وعلى كل من تبعهم من الطالبين الصادقين. (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٣١ - ١٣٣)

في سورة الفاتحة هذه كما بيّنا ترغيبٌ للمسلمين أن يداوموا على الدعاء، بل قد علّموا دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وكُتِبَ عليهم أن يرددوا هذا الدعاء في صلواتهم الخمس. فمن أنكر روحانية الدعاء فقد ارتكب خطأ فادحاً؛ إذ قرر القرآن الكريم أن الدعاء يتمتع بالروحانية، وبالدعاء ينزل فيضٌ يُكسب ثمار النجاح في أساليب متنوعة. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٩)

هذا الدعاء من أجل مواساة عامة للبشرية لأننا قد أشركنا في الدعاء جميع بني البشر ودعونا للجميع أن ينجيهم الله من آلام الدنيا ويحميهم من الخسارة في الآخرة ويهدي الجميع إلى الصراط المستقيم (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٩، الحاشية)

وثمة نقص آخر في الإنجيل؛ إنه لم يعلم في أي موضع أن الطريق الأسمى للعبادة هي أن لا تكون بدافع الأغراض النفسانية، وإنما علّم دعاءً لطلب الخبز، أما القرآن الكريم فقد علّمنا دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي ثبّتنا على طريق الأنبياء والصديقين ومحبي الله، بينما يعلم الإنجيل: "خُبِرْنَا كَفَافًا أَعْطَيْنَا الْيَوْمَ". لقد قرأنا الإنجيل كله فليس فيه أي أثر لهذا التعليم السامي. (نور القرآن الخزان الروحانية المجلد ٩، ص ٤٤٣)

ولا يغيّر عن البال أن من المقاصد العظيمة لسورة الفاتحة دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فكما أنه قد سُئِلَ الخبز في دعاء الإنجيل، فقد سُئِلَ في دعاء الفاتحة جميع تلك النعم التي أوتيها الرسل والأنبياء الأولون. وإنّ هذه المقارنة هي الأخرى لجديرة بالملاحظة؛ فكما أن المسيحيين نالوا كثيراً من أسباب الخبز نتيجة استجابة دعاء المسيح عليه السلام، كذلك قد جعل أخيار المسلمين وأبرارهم وخصوصاً الكُمل منهم ورثة أنبياء بني إسرائيل نتيجة استجابة هذا الدعاء القرآني بواسطة النبي ﷺ. والحق أن تولّد المسيح الموعود من بين هذه الأمة هو الآخر نتيجة استجابة هذا الدعاء، ذلك أنه مما

لا شك فيه أن كثيراً من أخيار هذه الأمة وأبرارها قد نالوا حظاً من مماثلة أنبياء بني إسرائيل بشكل خفيّ، ولكن المسيح هذه الأمة قد بُعث بأمر من الله وإذنه مقابل المسيح الإسرائيلي بشكل جليّ، لتتضح المماثلة بين السلسلتين الموسوية والمحمدية. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٥٢-٥٣)

إن سورة الفاتحة تزخر بحقائق ودقائق ومعارف لو دُوّنت كلها لما وسعها دفتر. خذوا مثلاً هذا الدعاء الحكيم الذي علّمناه في هذه السورة، أعني: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فهو ينطوي على مفهوم شامل يمكن اعتباره المفتاح الوحيد لمقاصد الدين والدنيا كلها. ذلك أننا لا نستطيع الوقوف على حقيقة شيء ولا الانتفاع بما فيه من فوائد ما لم نجد للوصول إليه سبيلاً مستقيماً. إن النجاح لصعب جداً بل مستحيل في كلّ ما يوجد في الدنيا من أمور صعبة ومعقّدة، سواءً منها ما يتعلق بمسؤوليات الدولة والوزارة، أو الجندية والحرب والقتال، أو المسائل الدقيقة في علم الطبيعة والهيئة، أو طرق الفحص والمعالجة في علم الطب، أو التجارة والزراعة، ما لم نعرّض على طريق مستقيم يبيّن لنا كيفية بدء تلك الأعمال. وإن كل ليبس يرى لزماً عليه وقت الشدائد أن يفكر طويلاً بالليل والنهار فيما حلّ عليه من مشكلة معقّدة لكي يجد للخلاص منها سبيلاً. والحق أن القيام بأيّ صنعة أو اكتشاف أو أمرٍ معقّد عويص ليتطلب شقّ طريق له. لقد ثبت من هنا أن الدعاء الحقيقي لنيل مقاصد الدنيا والدين إنما هو دعاء الاهتمام إلى الطريق السليم، فإذا تيسّر الطريق السويّ للأمر تحقّق حتماً بفضل الله تعالى. لقد جعل الله تعالى بقدرته وحكمته طريقاً لتحقيق كل مطلب، فمثلاً، من المستحيل أن يعالج المريض علاجاً صحيحاً ما لم يتوافر لفحص مرضه ووصف الدواء له سبيلٌ يُفتي القلب بأنه سيؤدي إلى النجاح حتماً، بل لا يمكن أن يستتبّ في الدنيا نظام ما لم يمهد له الطريق أولاً، لذا يتحتم على طالب غرض أن يتحرى السبيل إليه. فكما أنه لا بد لنا للنجاح في أمور الدنيا من تيسّر سبيلٍ للسير عليه إلى الهدف، كذلك قد مسّت الحاجة منذ

القديم إلى سبيل من أجل أن يحظى الإنسان بولاية الله وحبه وفضله، فلذلك قد قال الله تعالى في مستهل السورة الثانية، سورة البقرة التي تلي سورة الفاتحة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٣) .. أي أن الصراط الذي يؤدي إلى الإنعام هو ما نُبِئَنَّهُ نحن^١ (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٥٨-٥٩)

إذن، إن هذا الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لدعاء جامع ينبه الإنسان إلى أن أول ما يجب عليه عند حلول مشكلة دينية أو دنيوية أن يبحث عن الطريق المستقيم لحلها، أي أن يبحث عن طريق واضح سوي يؤدي به إلى المطلوب بكل سهولة، ويملاً قلبه يقيناً ويخلصه من الشبهات. ولكن الذي يسأل الخبز وفق التعليم الإنجيلي لن يختار سبيل الوصال مع الله تعالى، لأن مقصوده هو الخبز، فإذا وجد الخبز فما له والله؟! ومن أجل ذلك زلت قدم النصارى عن الصراط المستقيم، وغُلَّت أعناقهم بعقيدة مخجلة للغاية أعني: اتخاذ البشر إلهًا. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٥٩-٦٠)

الإسلام دينٌ قد جعل الله تعالى أتباعه المخلصين ورثةً للصادقين السابقين كلهم، وأعطى هذه الأمة المرحومة كافة نعمهم المتفرقة، وقد استجاب دعاء علمه بنفسه في القرآن الكريم وهو: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. أي اهدنا يا رب إلى صراط الذين نالوا منك جميع أنواع البركات ونالوا شرف مكالمتك ومخاطبتك، وحظوا منك باستجابة أدعيتهم، وحالفتهم نصرتك وعونك وهدايتك دائماً، وجببنا سبل الذين حل بهم غضبك، والذين تركوا سبيلك واختاروا سبلاً غيرها. هذا هو الدعاء الذي نقرأه في الصلوات الخمس كل يوم، ويتبين بجلاء أن الحياة الدنيا في حالة العمى هي بمنزلة جهنم، والموت أيضاً بمنزلة جهنم. والحق أن المطيع الحقيقي لله تعالى والناجي الحقيقي؛ هو ذلك

^١ في سورة الفاتحة دعا المؤمنون بمعرفة الصراط المستقيم، أما في السورة التالية فقد دهم الله على الصراط المستقيم إعلاماً منه بأن دعاءهم قد استجيب. منه

الذي يعرف الله تعالى ويؤمن به إيماناً كاملاً، وهو الذي يستطيع أن يهجر الذنوب ويفنى في حب الله، (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٦١-١٦٢) إن الله تعالى يعلمنا في القرآن الكريم بكل وضوح ويعطينا في سورة الفاتحة، أم الكتاب، أملاً في أننا نستطيع أن نكون أمثال الأنبياء، ويؤكد لنا أن ندعو قائمين في حضرته تعالى في صلواتنا الخمس كل يوم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي اهدنا يا ربنا الرحمن الرحيم هدايةً نصبح بسببها أمثال آدم صفي الله، وأمثال شيث نبي الله، وأمثال نوح آدم الثاني، وأمثال إبراهيم خليل الله، وأمثال موسى كلیم الله، وأمثال عيسى روح الله، وأمثال أحمد المجتبي محمد المصطفى حبيب الله، وأن نكون أمثال كل صديق وشهيد في الدنيا. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٢٩)

القرآن الكريم يصدق ادّعائي بأدلته الدامغة، ويستأصل وساوس خصومنا الباطلة. ويغلق باب عودة الأنبياء السابقين إلى الدنيا، ويفتح باب مجيء أمثال بني إسرائيل. وهو الذي علّمنا دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. إن مفهوم هذا الدعاء أن اجعلنا يا ربنا أمثال الأنبياء والرسل. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٨٩-٣٩٠)

وهذا هو الدعاء الذي علّمنا الله إياه، ولكنه لم يعلمنا إياه من دون أن يهيئ لنا الأسباب لاستجابته. كلا، بل علّمنا إياه وجعل الأسباب لإجابته أيضاً. وقد أشار إلى استجابته في السورة التالية حيث قال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٣) فكأنها مآدبة قد أُعدّت أسبابها سلفاً. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٣٦، عدد: ٢٤/١٠/١٩٠٤م، ص ٢)

في بداية القرآن الكريم جاء الوعد بالترقيات التي تقتضيها الروح بالطلع. فقد علّم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في سورة الفاتحة وقال: ادعوا دائماً أن اهدنا يا ربنا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم. وبعد الدعاء فوراً بشّر في الآية الأولى

من سورة البقرة قائلا: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وكأن الأرواح تدعو الله ويُري استجابة الدعاء تأثيرها فورا ويتحقق وعد قبول الدعاء بصورة نزول القرآن الكريم. ففي جانب يتم الدعاء وفي جانب آخر تتراءى النتيجة ظاهرة للعيان. هذا فضل من الله تعالى الذي أكرمنا به. (الحكم المجلد ١٠، رقم ٣، عدد: ٢٤/١/١٩٠٦م، ص ٥)

"هذا الدعاء ردُّ على قول الذين يقولون إن القلم قد جفَّ بما هو كائن، فلا فائدة في الدعاء، فالله تبارك وتعالى يُبشِّر عباده بقبول الدعاء، فكأنه يقول يا عباد ادعوني أستجب لكم. وإن في الدعاء تأثيرات وتبديلات، والدعاء المقبول يُدخل الداعي في المنعمين.

وفي الآية إشارة إلى علامات تُعرف بها قبولية الدعاء على طريق الاصطفاء، وإيماء إلى آثار المقبلين. لأن الإنسان إذا أحبَّ الرحمن وقوى الإيمان، فذلك الإنسان وإن كان على حُسن اعتقاد في أمر استجابة دعواته، ولكن الاعتقاد ليس كعين اليقين، وليس الخبر كالمعاينة، ولا يستوي حال أولي الأبصار والعمين، بل من يُدرَّب باستجابة الدعاء حق التدرَّب، وكان معه أثر من المشاهدات، فلا يبقى له شكٌ ولا ريبٌ في قبولية الأدعية. والذين يشكُّون فيها فسيبُهُ حرماؤهم من ذلك الخطِّ، ثم قلَّة التفاتهم إلى ربهم، وابتلاؤهم بسلسلة أسبابٍ توجد في واقعات الفطرة وظهورات القدرة، فما ترقَّت أعينهم فوق الأسباب المادية الموجودة أمام الأعين، فاستبعدوا ما لم تُحِط بها آراؤهم وما كانوا مهتدين" (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٢٢)

في ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ردُّ على المشايخ المعاصرين الذين يعتقدون أن الفيوض والبركات الروحانية كلها قد انقطعت، ولا يمكن أن يأتي جهد أحد أو مجاهداته بنتيجة مفيدة، ولا يمكن الحصول على نصيب من البركات والثمرات التي نالها المنعم عليهم من قبل. إن هؤلاء يرون أن فيوض

القرآن الكريم عديمة التأثير الآن، وينكرون قوة النبي ﷺ القدسية، لأنه إن لم يكن هناك ولو شخص واحد يمكن أن يتصبغ بصبغة المنعم عليهم فما الفائدة من هذا الدعاء أصلاً؟ ولكن اعتقادهم هذا خطأ منهم. إنما الحق أن باب فيوض الله وبركاته مفتوح أيضاً، إلا أن تلك الفيوض والبركات كلها تُنال الآن باتباع النبي ﷺ فقط. ومن ادّعى أنه ينال نصيباً من البركات الروحانية والأنوار السماوية دون اتباع النبي ﷺ فهو كاذب. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٩، عدد: ٢٤/٥/١٩٠٣، ص ٢)

"وفي آية: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إشارةٌ وحثٌ على دعاء صحة المعرفة، كأنه يُعلّمنا ويقول ادعوا الله أن يُريكم صفاته كما هي ويجعلكم من الشاكرين، لأن الأمم الأولى ما ضلوا إلا بعد كونهم عُميةً في معرفة صفات الله تعالى وإنعاماته ومرضاته، فكانوا يُفانون الأيام فيما يزيد الآثام، فحلّ غضبُ الله عليهم، فضرِبَ عليهم الذلة وكانوا من الهالكين. وإليه أشار الله تعالى في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٢٣)

إن دعاء: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يحيط بالحاجات الدينية والدينية كلها لأنه ما لم يتسنّ الصراط المستقيم في أمر ما لا يتم شيء. فكل شخص سواء كان طبيباً أو زارعاً أو غيره بحاجة إلى الصراط المستقيم في كل شيء. (الحكم المجلد ٧، رقم ٣، عدد: ٢٤/١/١٩٠٣، ص ١٢)

الدعاء الأمثل هو ما ورد في سورة الفاتحة لأنه دعاء شامل. عندما يصبح الفلاح خبيراً في الزراعة يبلغ الصراط المستقيم في مجال الزراعة وينجح. كذلك عليكم أن تتحروا الصراط المستقيم للقاء الله وادعوه أيضاً قائلين: يا إلهي، أنا عبدك المذنب والساقط فاهديني. اسألوا الله تعالى حاجاتكم - الكبيرة منها والصغيرة - دون أدنى استحياء، لأنه هو المعطي الحقيقي. الذي يدعو الله أكثر هو الأكثر تقاةً، لأنه إذا ذهب أحد إلى باب بخيل أيضاً كل يوم متسولاً فيستحيي يوماً ويعطيه شيئاً.

(الحكم، المجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد: ١٠-١٧/١١/١٩٠٤، ص ٦)

لا تفكّروا مثل الأموات الذين يعدّون الإسلام أيضا ميتا مثلهم. الحق أن الإسلام دين يتقدم صاحبه شيئا فشيئا حتى يصفح الملائكة، وإلا فلماذا علّم: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؟ لم تُطلب فيه الأموال المادية بل تُلبت الإنعامات الروحانية. فإن كنتم تريدون أن تبقوا عميانا فحسب فماذا تسألون؟ إن دعاء سورة الفاتحة دعاء شامل وعجيب لدرجة أنه لم يعلمه أحدٌ من الأنبياء السابقين. إذا كانت هذه محض كلمات لا يريد الله قبولها فلماذا علّمنا إياها؟ إن كنتم لا تستطيعون أن تنالوا هذا المقام فلماذا نضيع أوقاتنا في الصلوات الخمس؟ إن الله ليس بخيلا ولا يأتي الأنبياء ليعبدوا، بل يأتون لينحوّ السالكون مسلكهم تحت ظلهم. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩ عدد: ١٧-١٠/١١/١٩٠٤، ص ٧)

لا يكون الدعاء شاملاً إلا إذا جمعت فيه كل فائدة ونفع، وتنزهت عن كل ضرر وخسران. وهذا الدعاء القرآني قد طُلب به أفضل المنافع الممكنة كلها، والثُمست فيه النجاة من أكبر الأضرار المهلكة للإنسان. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١٠، عدد: ١٧/٣/١٩٠١ م، ص ٣)

أما الجماعتان اللتان ذُكرتا مقابل هؤلاء فهم المغضوب عليهم والضالون. وعَلّمنا في الفاتحة نفسها أن ندعو الله أن يحمينّا من أن نكون منهم، وهذا الدعاء عندما يردّد كاملاً.. أي حين يقال: ربّنا اجعلنا من "الذين أنعمت عليهم" واجتنبنا أن نكون من "المغضوب عليهم والضالين"، يتبين بجلاء أن في علّم الله هناك فريقاً من المنعم عليهم معاصراً للمغضوب عليهم والضالين. ثم لما كان المراد من المغضوب عليهم في هذه السورة يقينا من سوف ينكرون المسيح الموعود ويكفّرونه ويكذّبونه ويسئّون إليه، فلا شك أن المراد من المنعم عليهم بمحادثتهم من يؤمنون بالمسيح الموعود بصدق القلب ويعظّمونه من صميم الفؤاد، وهم من أنصاره ويشهدون على صدقه أمام العالم. (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٢٨-٢٢٩)

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١﴾ كل هذه الآيات تفيد بأن الاختلاف سيبقى إلى يوم القيامة، حيث يبقى المنعم عليهم أيضاً، وكذلك المغضوب عليهم أيضاً. غير أن الملل الباطلة ستهلك عن بينة. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٢٠، الحاشية في الحاشية)

كما أكد لنا القرآن الكريم بخصوص الحضارة المادية أن نسير تحت حكم ملك واحد، كذلك أكد على ذلك بخصوص الحضارة الروحانية أيضاً. وإلى هذا أشار الله تعالى لما علّمنا الدعاء التالي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. يجب أن نتدبر أنه ليس من مؤمن ولا إنسان ولا حتى حيوان يخلو من نعمة الله تعالى، ولكن لا يسعنا القول بأن الله تعالى قد أمرنا في هذه الآية باتّباع هؤلاء كلهم. لذلك فمعنى هذا الدعاء هو: أن يهديننا الله تعالى سبل الذين هطلت عليهم أمطار غزيرة من النعم الروحانية بصورة أكمل وأتم حتى نتبعهم. فعبارة أخرى تشير هاتان الآيتان إلى أن نكون مع إمام الزمان.

لا يغيبن عن البال أن لفظ إمام الزمان يشمل كلاً من النبي والرسول والمحدث والمجدّد. ولكن الذين لم يؤمروا بهداية خلق الله تعالى، وما أعطوا كما لآلهما؛ فلا يسمّون إمام الزمان حتى ولو كانوا أولياء أو أبدالاً. (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٩٤ - ٤٩٥)

يقول البعض: لماذا يدعو الأنبياء؟ إنهم لا يعرفون أنهم دعوا من أجل التريقات. لأن الله تعالى غير محدود وفيوضه وأفضاله أيضاً غير محدودة، فكانوا يدعون بهذا الدعاء للحصول على أفضاله غير المحدودة. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٣، عدد: ١٩٠٣/١/٢٤، ص ١٢)

يتضح من القرآن الكريم والحديث الشريف أن الصلة بين المريد والمرشد يجب أن تكون مشابهة للصلة التي بين الرجل والمرأة، فلا يرفض المريد أي أمر من أوامر

المرشد، ولا يسأله الدليل عليه. ومن أجل ذلك قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي وفقنا لأن نضل سائرين في درب المنعم عليهم دومًا.

وحيث إن الإنسان يحب الحرية بطبعه، فأمر الله تعالى بسلوك هذا الطريق (الحكم، المجلد ٤، رقم ٤٦، عدد: ٢٤/١٢/١٩٠٠م، ص ٢-٣)

يتبين من: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أنه عندما تفشل مساعي الإنسان يضطر للرجوع إلى الله تعالى في نهاية المطاف. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٦، عدد: ١٧/٢/١٩٠١م، ص ٧)

لقد أُعطيَ خطاب العزة في سورة الفاتحة. وما أدراك ما هو ذلك الخطاب يا ترى؟ ألا إنه خطاب: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٧، عدد: ٢٤/٢/١٩٠١م، ص ١٢)

فكروا الآن ماذا يريد الإنسان في هذه الدنيا. إن أكبر أمنية للإنسان في الدنيا أن يعيش راحة وسكينة البال، وقد جعل الله لذلك سبيلا واحدا، وهو سبيل التقوى، وبتعبير آخر، سبيل القرآن الكريم، أو ما يسمى الصراط المستقيم. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١١، عدد: ٢٤/٣/١٩٠١م، ص ٣)

إن مغزى الصلاة ولَبَّهَا هو الآخر الدعاء حصرا الذي عُلِّمناه في سورة الفاتحة، فحين نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإنما نتوخى بواسطة هذا الدعاء انجذاب ذلك النور الذي ينزل من الله وينور القلوب باليقين والحب. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٤١)

فئة الشهداء هي ضمن الفئات المنعم عليها المذكورة في قول الله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وإنما المراد من الشهادة أن يوهب المرء من الاستقامة ما يجعله لا يزول من موطنه ولو كلفه ذلك الفداء بنفسه (الحكم، المجلد ٥، رقم ٢٥، عدد: ١٠/٧/١٩٠١م، ص ١)

في ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إشارة إلى التكميل العلمي، أما التكميل العملي فقد ذُكر في الجملة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بأن ننال النتائج الأتم والأكمل. كما أنه عندما تُزْرَع شجرة فإنها لا تحمل الثمار ما لم تنم نموا كاملا. كذلك لو لم تسفر الهداية عن نتائج أعلى وأكمل ولم تملك قوة النمو لكانت ميتة... لذلك وضع الله تعالى في سورة الفاتحة شرط ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي أن هذا الصراط ليس عديم الأثمار ولا محيرا بل به يبلغ الإنسان مرامه وبسلوكه ويفلح. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣١، عدد: ٢٤/٨/١٩٠١م، ص ١)

إن صراط الصالحاء والمنعم عليهم هو المقصود الحقيقي الذي أراده الله تعالى للناس. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٤٥، عدد: ١٠/١٢/١٩٠١م، ص ٢) والذي يبايع يجب عليه أن يضع في الحسبان الأهداف من البيعة. الأمور مثل زيارة رسول الله ﷺ بعيدة عن الهدف والغرض الحقيقي....

كذلك لو رأى أحدٌ جميع الأنبياء في الرؤيا ولم يتولد في قلبه الإخلاص الصادق والإيمان الصادق بالله وخشيته وتقواه فهو شقي جدا عند الله ولا قيمة له عنده ﷻ. اعلموا يقينا أن الزيارات وحدها لا تنفع شيئا. الدعاء الأول الذي علّمه الله تعالى أي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿لو كان غرضه الحقيقي هو الزيارة لقال الله تعالى: "أرنا صور الذين أنعمت عليهم" بدلا من قوله: ﴿اهْدِنَا﴾ ولكنه لم يقل ذلك. انظروا إلى حياة رسول الله ﷺ العملية، لم يتمم النبي قط رؤية إبراهيم عليه السلام، وإن تمكّن من زيارته في المعراج. إذن، يجب ألا تكون الزيارة هي المقصود بالذات، بل الهدف الحقيقي هو الاتباع الصادق.

(الحكم، المجلد ٦، رقم ٢٩، عدد: ١٧/٨/١٩٠٢م، ص ٧-٨)

يجب أن يكون نصب عين الإنسان دائما نوال تركية النفس والتقوى بحسب مرضاة الله تعالى وأن يوفق لكسب أعمال حسنة تُرضيه. فعندما يرضى الله عنه يمكنه أن يُكرم بمكالماته إذا اقتضت حكمته ومشئته. ولكن يجب ألا يعتبر

الإنسان هذا الأمر هو المقصود الحقيقي قط لأن هذا هو أصل الهلاك. بل يجب أن يكون المقصود الحقيقي هو التوفيق للعمل بالالتزام بأوامر الله تعالى وأن تتسنى له تزكية النفس وأن يترسخ حب الله وعظمته في القلب وأن ينفر من الذنب. هذا هو الدعاء الذي علّمه الله تعالى أي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فلم يقل الله هنا بأن عليكم أن تدعوا لتلقوا الإلهام بل أمر أن تدعوا لتهدوا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أكرموا بإنعامات الله تعالى في نهاية المطاف. ما حاجة الإنسان إلى طلب الإلهام؟ الحق أنه ليس في ذلك أية أفضلية للإنسان بل هو فعل الله تعالى وليس عملا صالحا من الإنسان حتى يتوقع عليه الأجر. (الحكم، المجلد ١١، رقم ٤٢، عدد: ٢٤/١١/١٩٠٧م، ص ٧)

الهدف من الصلاة -وهي معراج المؤمن- هو أن يدعو الإنسان في أثنائها، لذا يُدعى فيها بأمر الأدعية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٣٨، عدد: ٢٤/١٠/١٩٠٢م، ص ١١)

"ينبغي أن يكون" أمر، بينما "هو موجود بالفعل" أمر آخر تماما. وهذا العلم بأنه فعلا موجود لا يتحقق إلا بالدعاء، فالذين يستخدمون العقل فقط لا ينالون العلم بأنه موجود، ولذلك قيل: "خدارا بخدراتوان شاخت" أي: لا تتأتى معرفة الله إلا بتوفيقه. وهذا هو معنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام: ١٠٤)، أنه لا يُعرف بالعقول فقط، بل يجعل المرء يعرفه من خلال الوسائل التي يبينها هو نفسه. ولتحقيق ذلك ليس هناك دعاء مثل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (بدر، المجلد ٣، رقم ١٠، عدد: ٨/٣/١٩٠٤م، ص ٧)

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)، أي أن الذين يجاهدون في سبيلنا سوف نهديهم إليها. فهذا وعد من الله تعالى، وهناك دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، لذا فعلى المرء أن يدعو بإلحاح آخذاً

هذا الوعد في الحساب، ويتمنى أن يكون من الحائزين على الرقي والبصيرة، كيلا يرحل من هذه الدنيا أعمى عديم البصيرة. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٣٨-٣٩)

ليس المراد من نداء الله له إلا أن الحجاب الحائل قد رُفِع ولم يعد بينه وبين الله تعالى بُعد. هذه هي الغاية القصوى للمتقي حيث ينال الطمأنينة والراحة. وفي آية أخرى سمى القرآن هذه الطمأنينة فلاحا واستقامة أيضا، وإن في قول الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إشارة لطيفة إلى نفس الاستقامة أو الطمأنينة أو الفلاح، كما أن كلمة "المستقيم" نفسها تدل على ذلك. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٣٧)

وتذكروا أيضا أن الدعاء الحقيقي هو ما يُسأل به مرضاة الله ﷻ وبه تُتقبل سائر الأدعية التي هي طفيلية تلقائيا. لأن بزوال الذنب تنزل البركات. أما الدعاء لمكاسب الدنيا فقط فلا يجاب. (١) لذا يجب على أن الإنسان أن يسأل الله ﷻ أولا رضوانه، وأفضل دعاء لذلك هو ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٢). وعندما سيواظب على هذا الدعاء فسوف يدخل جماعة المنعم عليهم، الذين أغرقوا أنفسهم في بحر حب الله. وعندها سيفوز بالإنعامات الإلهية بالانضمام إلى جماعة المنقطعين، كما هي عادة الله معهم. من المؤكد أن أحدا لم يسمع قط أن الله - سبحانه وتعالى - ترك أي متق أو عبد صالح يعاني قلة الرزق، كلا بل هو يرحم حتى سبعة أجيال، لقد ورد في القرآن الكريم حادث الخضر وموسى أنهما وجدا كنزا لغلامين قيل فيه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٣)، ففي هذه الآية ذكر صلاح الوالدين ولم يذكر كيف كان خلق ذينيك الغلامين. وقد حُفِظ الكنز بسبب الأب، رحمة لهما، ولم يذكر الله الغلامين بل سترهما.

إن التوراة وسائر الكتب السماوية تفيد أن الله لا يضيع المتقي، لذا يجب أن تدعوا الله أولا لكي تنقلب النفس الأمارة مطمئنة، ويرضى الله عنكم. فادعوا الله

بالدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأن بقبوله يعطي الله ﷻ بنفسه ما يسأله العبد. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٧، عدد: ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٧)

لو كان المقصود مقتصرًا على اجتناب السيئات المعروفة كما يفهم بعض الناس لما علّم الله دعاء الهداية لـ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الذي قمته وغايته المتوخاة هي المكاملة والمخاطبة مع الله تعالى. لم يقتصر كمال الأنبياء على أنهم ما كانوا يسرقون، بل الحق أنه لم يكن لهم نظير في حبهم لله وصدقهم وإخلاصهم. فقد علّم الله تعالى بتعليمه هذا الدعاء أن الحسنة والإنعام شيء آخر تماما، وما لم يحصل الإنسان عليه لا يسمى صالحا وتقيًا، ولا يدخل في زمرة المنعم عليهم. ثم قال ﷻ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وقد بين القرآن هذا المفهوم في آية أخرى قائلا بأن نفس المؤمن تكتمل بشربه شرابين، أحدهما يسمى الشراب الكافوري والثاني هو الشراب الزنجبيلي. الشراب الكافوري هو الذي يشربه تبرد النفس تماما فلا يشعر فيها بأدنى حرارة لكسب السيئات، كما هي خاصية الكافور أنه يكبت المواد السامة، لذلك يسمى كافورا. كذلك يزيل الشراب الكافوري سم الذنب والسيئة ولا يسمح للمواد الرديئة التي يمكن أن تثور فتهلك روح الإنسان، أن تطل برأسها ويُطَل تأثيرها. والشراب الثاني هو الشراب الزنجبيلي الذي بسببه يحوز الإنسان قوة وقدرة على كسب الحسنات، وتتولد فيه الحرارة. إذن، فالدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ هو الهدف والغرض الحقيقي وكأنه الشراب الزنجبيلي، و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هو الشراب الكافوري. (الحكم، المجلد ٩، رقم ٣، عدد: ٢٤/١/١٩٠٥م، ص ٢)

ما لم يملك أحد رصيда من الحسنات الحقيقية فهو ليس مؤمنا لذا فقد علّم الله تعالى في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لئلا يعتبر الإنسان ترك السرقة والزنا وغيرها من الذنوب العادية فقط حسنة بل بين بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أن الحسنة والإنعام شيء آخر، ما لم يجرهما فلن يسمى صالحا

وتقيا. اعلّموا أن الله تعالى لم يعلم دعاء: لا تُدخلني في الفساق والفجار ولم يكتف به بل علّم أن أدخلني في المنعم عليهم. ثم المراد من الآية التالية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هو أن نفوس المؤمنين تكتمل حين يشرب كِلا الشرابين، أحدهما يسمى الشراب الكافوري الذي يشربه تفتّر النفس تجاه السيئات لما في الكافور من خاصية أنه يجذب المواد السامة كذلك يُجذب بسبب الشراب الكافوري سمّ الذنب والسيئة الموجودة في الإنسان. والشراب الثاني هو الشراب الزنجبيلي الذي بسببه ينال الإنسان قوة على كسب الحسنات لذا علّم الله تعالى الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الذي طُلب بواسطته كِلا الشرابين. (بدر، المجلد ٤، رقم ٢، عدد: ١٠/١/١٩٠٥م، ص ٣)

إنما غاية حياة الإنسان وهدفها السيرُ في الصراط المستقيم وطلبه، وقد بيّنها الله تعالى في هذه السورة بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي اللهم اهْدِنَا إلى الصراط السويّ، الذي هو صراطٌ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ. إنه دعاء نقوم به في كل صلاة وفي كل ركعة، وإن تكرار هذا الدعاء إلى هذا الحدّ نفسه دليل على ضرورته.

وعلى أبناء جماعتنا أن يتذكروا أن هذا الأمر ليس بهيّن، وليس المقصود من هذا الدعاء ترديد هذه الكلمات باللسان كالبيغاء، بل إن هذا الدعاء وصفة ناجعة لا تخطئ لجعل الإنسان من الكاملين. فاجعلوها نصب أعينكم كل حين وانتفعوا منها كالتعويذة. إذا أحرز الإنسان هذه الكمالات الأربعة فكأنما أدى حقّ الدعاء، وحقّ خلقه، وحقّ استخدام القوى والكفاءات الموهوبة له.... أود هنا أن أبين أيضا أن كثيرا من الناس يريدون إحراز هذه الكمالات وإنشاء العلاقة الحقيقية مع الله تعالى بتزديد أورا وأذكار اختلقوها من عند أنفسهم، ولكني أقول لكم إن الطريقة التي لم يتبعها النبي ﷺ هي عديمة الجدوى تماما. مَنْ الذي هو أصدقُ خبرةً بصراط المنعم

عليهم من النبي ﷺ الذي قد حُتِمت عليه كمالات النبوة كلها؟ إن الطريقة التي اتبعها النبي ﷺ هي الأمثل والأقرب، وتركُ طريقته واختلاقُ طرق أخرى، هُلكةٌ عندي، مهما كانت تلك الطرق رائعة في ظاهرها. وهذا ما كشفه الله عليّ.... إن الفوز بكمالات المنعم عليهم المشار إليها في قول الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هو الغاية الحقيقية لكل إنسان، ويجب أن يهتم بها أبناء جماعتنا خاصةً، لأن الله تعالى إنما أراد بإقامة هذه الجماعة إعدادَ جماعةٍ كالتي أعدها الرسول ﷺ، لكي تكون هذه الجماعة في هذا الزمن الأخير شاهدةً على صدق القرآن الكريم والنبي ﷺ وعظمتهما. (الحكم، المجلد ٩، رقم ١١، عدد: ٣١/٣/١٩٠٥، ص ٥-٦)

يعتقد المشايخ المعاصرون أن باب الإلهام مسدود الآن لمات الباحث العارف وهو حيّ. إن الله ليس بخيلا بل قد علّم بنفسه الدعاء ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وبيّن فيه أن باب هذه النعم مفتوح. (بدر، المجلد ١، رقم ١٨، عدد: ٣/٨/١٩٠٥ م، ص ٢)

اعلموا يقينا أن الله لا يرضى ولا يستطيع أحد أن يصل إليه ما لم يسلك الصراط المستقيم. وهذا لا يمكن ما لم يحظ المرء بمعرفة ذات الله وصفاته وما لم يعمل بهداه الذي يطابق مرضاته ومشيئته. ما دام ذلك ضروريا فينبغي على الإنسان أن يؤثر الدين على الدنيا. (بدر، المجلد ١، رقم ٢٢، عدد: ٣١/٨/١٩٠٥ م، ص ٢)

إيثار الله ﷻ على كل شيء واختيار أنواع مرارة الدنيا من أجله بحب صادق وحماس حقيقي، بل خلق الإنسان أنواعَ المرارة لنفسه بيده مرتبة لا ينالها إلا الصديقون. وهذه هي العبادة التي أمر بها الإنسان. والذي يؤدي هذه العبادة يترتب على فعله هذا فعلٌ من الله، ويسمى إنعاما كما يعلمنا تعالى في القرآن الكريم دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾... واصطفيتهم بالطفلك الخاصة. فمن سنة الله ﷻ أنه حين تُقبل في حضرته خدمةٌ يترتب عليها إنعام حتمًا. فالخوارق والآيات التي لا يسع الآخرين أن يأتوا بنظيرها

هي أيضا إنعامات إلهية تنزل على خواص عباده. (حقيقة الوحي، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٢، ٥٤-٥٥)

اعلموا أن الذين يتمسكون بجانب واحد هم مشركون. معنى التقدم إلى الله تعالى ودعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بصورة حقيقية هو أن أرنا يا ربنا صراطا ترضى به، ونجح الأنبياء جميعا بالسلوك عليه. عندما يدعو المرء للسلوك على صراط الأنبياء يجب أن يكون مستعدا للابتلاءات والامتحانات أيضا، وليستعز بالله تعالى بالاستمرار للصمود. فمن كان يريد أن يحظى بالصحة والعافية ويحظى بالتقدم في المال والثروة وينال جميع أسباب الراحة والرفاهية في المال والنفوس دون أن يواجه ابتلاء وأن يرضى به الله أيضا، فهو أبله ولن يحظى بنجاح. الذين رضي الله بهم قد عوملوا على هذا النحو وامتحنوا بأنواع الامتحانات وواجهوا أصناف المصائب والشدائد. (الحكم، المجلد ١١، رقم ٣٨، عدد: ٢٤/١٠/١٩٠٧م، ص ١١)

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي يا إلهي الذي هو رب العالمين، والرحمن، والرحيم، ومالك يوم الدين، أرنا طريق أولئك الذين نزل عليهم فضلك العظيم وأكرمتهم بإنعامات عظيمة. على المؤمن ألا يقر بالإله المتصف بهذه الصفات الأربع باللسان فقط، بل يجب أن يجعل حالته بحيث يتبين أنه اتخذ الله وحده ربًّا له، وهو لا يعرف زيْدًا وعَمْرًا ويوقن بأن الله هو وحده يجزي على الأعمال، ومطلع على الذنوب الخفية جدًا. تذكروا أن مجرد الكلام باللسان لا يفيد ما لم تنصلح الأعمال، فالذي يؤمن في الحقيقة أن الله وحده ربّه وهو مالك يوم الدين، يستحيل أن يرتكب الأفعال الشنيعة مثل السرقة، والسيئة، والقمار، أو أعمالا شنيعة أخرى. لأنه يعلم أن كل هذه الأمور مُهلكة، وأن ارتكابها معصية صريحة لله. باختصار، ما لم يُثبت المرء عمليًّا أنه يؤمن بالله في الحقيقة إيمانًا صادقًا وقويًا، فلا يسعه الفوز بالفيوض والبركات التي ينالها المقربون وأهل الله. (الحكم؛ المجلد ١٢، رقم ١، عدد: ٢/١/١٩٠٨م ص ٢. والحكم؛ المجلد ١٢، رقم ٢، عدد: ٦/١/١٩٠٨م ص ٢)

اقرأوا القرآن الكريم لن تجدوا فيه قط أن الله يرضى بالغافلين ومهملي سبل مرضاته. إن الله لا يرضى إلا باختيار سبل مرضاته التي حددها بنفسه. فقد علّم بكل وضوح دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. انظروا أن الإنسان عندما يرضى بأحد يعطيه إنعامات، أفلن يحب الله تعالى أولئك الذين يسلكون مسلك مرضاته ويتحرون رضاه؟ ولكن لا بد من القدرة أيضا على تلقي فيوضه. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٢٤، عدد: ٢/٤/١٩٠٨م، ص ٢)

قصارى القول إن الدعاء هو السلاح الأمثل الذي ينجي من المشاكل كلها. حين لا ينفع سلاح آخر يكون الفلاح ممكنا ويقينيا بواسطة الدعاء فحسب ولكن الشرط هو أن تتسنى جميع مستلزمات وشروط استجابة الدعاء. الدعاء الأمثل هو: "اهدنا الصراط المستقيم" الذي لا يذكر مذهبا معينا ولا يركز على جانب معين. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٢٤، عدد: ٢/٤/١٩٠٨م، ص ٤)

فما دعاء الإنسان عندما يردّد باللسان: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وقلبه مشغول في إبرام صفقة ما وأنه قد بقي شيء فلائي، وكان ينبغي أن ينجز ذلك العمل على نحو كذا، وأنه إذا حصل له كذا فسوف يحدث كذا، إنما هذا تضييع العمر. ما دام الإنسان لا يقدّم كتاب الله ولا يعمل بحسبه فقط، فإن صلواته مضیعة للأوقات. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٣، عدد: ١٠/١/١٩٠٨م، ص ٣)

فليكن معلوما في الدعاء أن الله تعالى قد علّم في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ويجب مراعاة ثلاثة أمور فيه، أولا: أن يشمل هذا الدعاء بني البشر أجمعين. ثانيا: أن يشمل المسلمين كافة وثالثا: أن يشمل جميع الحاضرين في الصلاة بالجماعة. فهذه النية يدخل في هذا الدعاء البشر كلهم، وهذا ما يريد الله تعالى، لأنه ﷻ سمى نفسه من قبل في هذه السورة ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهذا الاسم يرغب في مواساة شاملة تشمل الدواب أيضا. ثم سمى نفسه ﴿الرَّحْمَنَ﴾، وهذا الاسم

يرغّب في مواساة نوع البشر لأن الرحمة هنا خاصة بالناس. ثم سمى نفسه ﴿الرَّحِيمَ﴾، وهذا الاسم يرغّب في مواساة المؤمنين لأن كلمة ﴿الرَّحِيمَ﴾ خاصة بالمؤمنين، ثم سمى نفسه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وهذا الاسم يوجّه إلى مواساة الجماعة الحاضرة، لأن يوم الدين هو اليوم الذي تحضر فيه الجماعات أمام الله. ونظرًا إلى هذا المفهوم الواسع جاء الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. فيتبين من هذه القرينة أن هذا الدعاء يشمل مواساة البشر أجمعين. وإن مبدأ الإسلام هو أن يكون الإنسان مواسيا للجميع. (الحكم، رقم ٣٣، مجلد ٢، عدد: ٢٩/١٠/١٨٩٨ م ص ٤).

لقد جرت عادة الله أنه عندما يعزم المرء عزمًا صميما على أمر ما ينال القوة لإنجازه. لذا يجب التوجه إلى الأعمال بالعزم الصميم والعهد الوثيق. ويجب تلاوة الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في الصلاة بكل خشوع وخضوع وقوة ويجب قراءته بالتكرار. الإنسان ليس شيئًا مذكورًا بدون العبادة بل يكون شر البرية وأسوأ من الدواب كلها. (الحكم، المجلد ٤، رقم ٢٤، عدد: ٣٠/٦/١٩٠٠ م، ص ٤)

والحقيقة الثامنة والتاسعة والعاشرة المذكورة في سورة الفاتحة هي: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ومعناها أن أرنا يا ربنا صراط هؤلاء السالكين الذين اختاروا طرقًا كانت مدعاة لنزول إنعامك عليهم، وجنبنا طرق الذين لم يحاولوا السير على الطريق المستقيم غفلة وإهمالا منهم، فحرموا من تأييدك وضلوا الطريق. هذه هي الحقائق الثلاث التي تفصيلها أن بني آدم ثلاثة أقسام من حيث أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم ونياتهم. بعضهم يبحثون عن الله بصدق القلب ويرجعون إليه بصدق وتواضع. فالله تعالى أيضا يبحث عنهم ويتوب عليهم برحمته وإنعام. هذه الحالة تسمى إنعاما من الله، وقد أشار الله تعالى إليها في الآية المذكورة فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي أنهم يسلكون طريقًا سويًا وسديدًا وبالتالي

يستحقون فيض رحمة الله. ولأنه لا يبقى بينهم وبين الله حجاب ويكونون بمحاذاة رحمة الله فتنزل عليهم أنوار فيض الله ﷻ.

والقسم الثاني منهم أولئك الذين يختارون طريق المعارضة قصدا ويُعرضون عن الله كالأعداء، فيعرض الله عنهم، ولا يتوب عليهم برحمة. والسبب في ذلك أن العداوة والبراءة والغضب والغيظ وعدم الرضا الكامن في قلوبهم تجاه الله تعالى يصير حجابا بينهم وبين الله ﷻ. هذه الحالة تسمى غضب الله الذي أشار إليه في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

والقسم الثالث هم أولئك الذين يهملون الله ولا يتحرونه بالسعي والجهد، فيهملهم الله ﷻ ولا يُريهم طريقه لأنهم يتكاسلون في طلب الصراط ولا يجعلون أنفسهم مستحقين لفيض قُدْر في قانون الله منذ القدم للساعين والمجتهدين. هذه الحالة تسمى إضلال الله بمعنى أنهم ما داموا لم يتحروا طرق نيل الهداية بجهدهم فإن الله تعالى لم يهدهم التزاما بقانونه القديم وحرَمهم من تأييده. فيقول تعالى مشيرا إلى هذا الأمر: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

تتلخص هذه الحقائق الثلاثة أنه كما يعامل الإنسان الله تعالى بثلاثة أساليب مختلفة كذلك يعاملهم ﷻ أيضا معاملة مختلفة كُلا بحسب حالته. والذين يرضون به ويطلبونه بالحب وإخلاص القلب يرضى الله بهم، وينزل عليهم أنوار رضاه. أما الذين يُعرضون عن الله ويتعمدون المعارضة فيعاملهم الله تعالى كالمعارض. والذين يتكاسلون ويتهاونون في طلبه ﷻ فإن الله أيضا يهملهم، ويتركهم في ضلالهم يعمهون. فكما أن الإنسان يرى في المرأة صورته الحقيقية تماما كذلك إن الله الذي هو نقي من كل تكدُّر وقدوس يحب الذين يحبونه ويغضب على الذين يستحقون الغضب ويهمل المهملين، ويقطع صلته بالذين يتوقفون، ويتوب على الذين يتوبون، ويحب الذين يحبون، وينفر من الذين ينفرون. فكما أن الهيئة التي تتخذونها أمام المرأة ترونها بالضبط فيها كذلك يلاحظ المرء من قبل الله ﷻ الأسلوب الذي يختاره

للسير تجاهه ﷺ. كذلك الذي يختاره العبد لنفسه يحصد بحسبما يزرع. عندما يخلص الإنسان قلبه من كل نوع من الخُجُب والكُدورات والشوائب، ويتطهر صدره من المواد الرديئة كلها ومن كل ما سوى الله ﷻ يكون مثله كمثل الذي يفتح باب بيته أمام الشمس فتدخله أشعتها ولكن كلما اختار لنفسه الكذب والزور وأنواع الشوائب ونبذ الله تعالى مستحقرا إياه كان مثله كمثل الذي ينفر من الضوء ويغلق جميع أبواب بيته لعدم إعجابه بالضوء لكي لا تدخله أشعة الشمس. وإن لم يسع الإنسان للتخلص من هذه الأخطاء والشوائب المتنوعة نتيجة التهاون والتكاسل وعدم المبالاة بعد تورطه في الأهواء النفسانية بسبب شرفه ومكانته أو نتيجة تقليده قومه كان مثله كمثل الذي يجد أبواب بيته مغلقة ويرى البيت كله مظلمًا ومع ذلك لا يفتح أبوابه ويجلس عاطلاً دون أن يحرك ساكناً ويقول في نفسه أتى لي أن أخض في هذا الوقت وأتحمل هذا العناء كله.

إن هذه الأمثلة الثلاثة تنطبق على الحالات التي تنشأ نتيجة فعل الإنسان أو كسله. والحالة الأولى منها تسمى إنعام الله بحسب التصريح السابق، والحالة الثانية تسمى غضب الله والحالة الثالثة تسمى إضلال الله. ويجهل معارضونا هذه الحقائق الثلاث أيضا لأن أتباع برهمو سماج ليسوا مطلعين قط على الحقيقة التي بسببها يعامل الله المتمردين وأهل الغضب من العباد معاملة الغضب. فقد أَلَفَ أحد من أتباع برهمو سماج مؤخرًا كتيبًا بهذا الموضوع اعترض فيه على كتب الله وقال: كيف نُسبت فيها صفة الغضب إلى الله ﷻ؟ هل يستاء الله تعالى من ضعفنا؟ فالمعلوم أنه لو كان هذا المؤلف ملماً بهذه الحقيقة لما هدر وقته في نشر كتيب افتضح بسببه جهله على الناس جميعاً. إذ لم يفهم مع ادّعاءه العقل أن غضب الله ﷻ يعكس حالة الإنسان. فإذا حجب الإنسان نتيجة شرّ وعداوة وأعرض عن الله فهل يستحق أن ينزل عليه فيض الرحمة نفسه الذي ينزل على الصادقين والمحبين المخلصين؟ كلا، بل إن قانون الله القديم الجاري منذ الأزل الذي جرّبه المتقون والصادقون دائماً ولا

يزالون يجربون حقائقه نفسها بتجارب صحيحة هو أن الذي يخرج من حجب مظلمة ويتوجه بروحه إلى الله تعالى ويختر على عتباته، ينزل عليه فيض رحمة الله الخاصة. أما الذي يختار طريقا مخالفا لهذا الطريق يحل به حتما ما كان ضد رحمة الله أي غضب الله ﷻ. وحقيقة الغضب هي أنه كلما ترك أحد الصراط المستقيم الذي هو طريق إفاضة رحمة الله بحسب قانونه ﷻ حُرِمَ من فيض الرحمة. وإن هذا الحرمان يسمّى غضب الله. ولأن حياة الإنسان وأمنه وراحته إنما هي نتيجة فيض من الله، لذا فإن الذين يتركون طريق فيض رحمة الله تعالى يواجهون أنواع العذاب، إما في هذا العالم أو العالم الثاني لأن الذي لا تحالفه رحمة الله لا بد أن تتوجه إليه أصناف العذاب الروحي والجسدي. ولما كان المبدأ المتبع في قانون الله أن الرحمة الخاصة إنما تحالف الذين يختارون طريق الرحمة أي الدعاء والتوحيد؛ فالذين يتركون هذا الطريق يواجهون ألوان الآفات. هذا ما أشار الله إليه في قوله: ﴿قُلْ مَا يَعْْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان: ٧٨) وقال أيضا: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٨) أي إن لم تدعوا الله ﷻ ولم تطلبوا من الله فيضه فإن الله تعالى ليس بحاجة إلى حياة أحد أو وجوده فإنه غني عن العالمين.

إذن، إن أتباع آريا سماج، والمسيحيين أيضا يجهلون الحقيقة الأولى والثالثة من هذه الحقائق الثلاث. فمنهم من يعترض: لماذا لا يهدي الله الناس جميعا؟ ومنهم من يقول: كيف توجد صفة الإضلال في الله؟ إن الذين يعترضون على هداية من الله تعالى لا يفكرون أن هدايته إنما تحالف الذين يسعون لنيلها، ويسلكون مسالك لا بد من السلوك عليها لنزول فيض الرحمة. والذين يعترضون على إضلال الله لم يخطر ببالهم أن الله تعالى يعامل كل شخص بحسب قوانينه الثابتة وبمقتضى الحال. فالذي يترك السعي في سبيله كسلا أو تهاونا من عند نفسه فإن قانون الله الثابت منذ القدم لمثل هؤلاء الناس هو أنه ﷻ يحرمهم من تأييده، ولا يهدي إلى سبيله إلا الذين يسعون فيها قلبا وروحا. كيف يمكن لشخص يتهاون إهمالا شديدا منه أن

يستفيض من فيض الله كالذي يبحث عنه وَعَلَيْكَ بكل عقله وقوته وبكل إخلاص؟ وإلى هذا الأمر أشار الله تعالى في آية أخرى فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠).

لاحظوا الآن معنا، كم هي الحقائق العشرة المذكورة في سورة الفاتحة عظيمة وعديمة النظير وقد قصر باع معارضينا جميعا عن اكتشافها. ثم يجب الانتباه أيضا كيف ملأ الله تعالى أقصر عبارة بهذه الحقائق العظيمة بكمال الدقة والروعة. كذلك يجب الانتباه إلى الروائع العجيبة التي مُلئت بها هذه السورة المباركة بالإضافة إلى الحقائق المذكورة وكمال الإيجاز. لو بيّنا هنا تلك الروائع كلها لصار المقال دفترًا ضخما. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٤٥ - ٥٦٨ الحاشية رقم ١١)

ليس بمقدور أحد أن يعيش عيشة التذلل والتواضع بدون معونة الله. فافحصوا أنفسكم، فإذا وجدتم أنفسكم ضعفاء كالطفل فلا تقلقوا، بل داوموا كالصحابة على ترديد دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فاستيقظوا في جوف الليالي، وادعوا الله تعالى أن يهديكم صراطه. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧، ص ٥٦)

الثابت من دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أن الله تعالى أراد أن يقيم في هذه الأمة سلسلة ظلية للأنبياء، ولكن القرآن الكريم لم يذكر كل الأنبياء، إنما أكثر من ذكر موسى وعيسى عليهما السلام. وهذا يدل على أن مثل موسى، أي النبي ﷺ ومثل عيسى، أي الإمام المهدي، سيكونان في هذه الأمة أيضا أعظم شأنًا وأجدر ذكرًا. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١٠، عدد: ١٧/٣/١٩٠١م، ص ٨)

ثم سئل المسيح الموعود عليه السلام: الذين لا يؤمنون بك، هل يدخلون في "أنعمت عليهم" أم لا؟ فقال عليه السلام:

أنا لا أستطيع أن أدخل حتى أفراد جماعتي أيضا في "أنعمت عليهم"، ما لم يدخل الله بنفسه أحداً في المنعم عليهم. مَنْ كان جاهزا للعمل بالقرآن بصدق القلب ممن

ينطقون بالشهادتين، شريطة أن يُشرَح له الأمر، فسوف ينال أجره. بقدر ما يقبل أحد سيؤجر، وبقدر ما يرفض سيعاني بالقدر نفسه. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١٠، عدد: ١٧/٣/١٩٠١م، ص ٨)

في حالة الذنب يكون الإنسان في انخطاط ومذلة، وكلما ارتكب ذنبًا سقط إلى الأسفل أكثر فأكثر. ولكن عندما يطرأ الموت على ذنوب الإنسان يظل في هوة الانخطاط نفسها إلى أن يُعطى شراب الزنجبيل للصعود إلى الأعلى. فعندما يوفق للحسنات يبدأ بالصعود. وهذه العقبات الجبلية هي التي قد ذُكرت في ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. إن صراط الصادقين والمنعم عليهم هو المقصود الحقيقي الذي فرضه الله على الإنسان. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٤٥، عدد: ١٠/١٢/١٩٠١م، ص ٢)

هناك نبوءة كامنة في سورة الفاتحة، ألا وهي أنه صار اليهود مغضوبا عليهم بتكفيرهم عيسى وتسميتهم إياه دجالا، كذلك سيصير بعض المسلمين. لذلك فقد علّم الصالحون دعاء أن يأخذوا نصيبا من المنعم عليهم ولا يكونوا من المغضوب عليهم. والهدف الأسمى من سورة الفاتحة هو الإخبار عن زمن المسيح الموعود وجماعته، والذين أسلموا من اليهود وجماعتهم، وعن زمن تقدم الضالين (أي النصارى). فكم هي فرصة سعيدة إذ تحققت الآن كل هذه الأمور. (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤١٤-٤١٥)

لقد علّم الله المسلمين في سورة الفاتحة دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ وقد ثبت من الأحاديث بكمال التواتر أن المراد من المغضوب عليهم هم اليهود الفجار والفساق الذين كفّروا المسيح عليه السلام وأرادوا قتله، وحقّروه وأهانوه كثيرا، وقد لعنهم عيسى عليه السلام كما هو مذكور في القرآن الكريم. والمراد من الضالين هم فرقة النصارى الضالين الذين ألهّوا عيسى عليه السلام واعتنقوا عقيدة التثليث وحسروا النجاة على دم المسيح وأجلسوه على عرش الإله الحيّ.

فالمراد من هذا الدعاء هو أن ارحمنا يا ربنا حتى لا نكون كاليهود الذين كفروا المسيح وأرادوا قتله، وألا نؤله المسيح ولا نعتقد بالتثليث. فلأن الله تعالى كان يعلم أن المسيح الموعود في الزمن الأخير سيأتي من هذه الأمة وأن بعض المسلمين المتحلين بصفات اليهود سيكفرونه ويريدون قتله ويهينونه ويحرقونه كثيرا، وكان ﷺ يعلم أيضا أن مذهب التثليث يكون في أوج رقبته في ذلك الزمن، وسيتنصر كثير من المسلمين الأشقياء، لذا فقد علم المسلمين هذا الدعاء. وعبارة ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في الدعاء تعلن بأعلى صوتها أن الذين يعارضون مسيح الإسلام سيكونون أيضا مغضوبًا عليهم في نظر الله كما كان معارضو المسيح الإسرائيلي مغضوبا عليهم. (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤١٩)

لقد رأينا اليهود في هذا العصر، وقد آمنّا أن الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ كانت تشير إلى أنه سيكون يهود مغضوب عليهم في هذا القوم أيضا حتما؛ فكانوا فعلا، وبذلك تحققت نبوءة النبي ﷺ. ولكن هل هذه الأمة شقية إلى هذا الحد بحيث لم يُكتب في نصيبها إلا أن يكونوا يهودا؟ لا يسعنا أن ننسب هذه الفعلة إلى الله تعالى أبدا أن يجعل أبناء هذه الأمة يهودا مردودين دون غيرهم، وأما المسيح فيرسله من بني إسرائيل! إن هذا الوضع يجلب العار والشنار على هذه الأمة، ولا تبقى جديرة بأن تُسمى أمة مرحومة. فإن كون هذه الأمة يهودا، كما يُفهم من الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يقتضي أن يأتي في هذه الأمة أيضا مثل للمسيح الذي جاء إلى اليهود المغضوب عليهم. فهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. (إعجاز أحمد، ضميمة نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ١١٩-١٢٠)

يقول الله ﷻ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، أي يا أيها المسلمون، داوموا على الدعاء أن لا يجعلكم الله من الذين حلَّ بهم غضبه في هذه الحياة الدنيا، ولا يهديكم سبيل من ضلُّوا الطريق الصحيح. ولم يقل الله هذا قصة أو أسطورة. بل

كان يعلم أنه كما ارتكبت الأمم السابقة السيئات، وتجاوزت حدود تكذيب الأنبياء والتفسيق، مثل ذلك سيأتي على المسلمين زمنٌ يتجاوزون فيه حدود الفسق والفجور، ويرتكب المسلمون أيضًا الأعمال التي بسببها كان قد ثار غضبُ الله على تلك الأمم، ومن ثم سينزل غضب الله عليهم أيضًا.

قد ورد في التفاسير وكتب الحديث أن المراد من المغضوب عليهم هم اليهود، لأنهم استهزأوا بأنبياء الله كثيرا وسخروا منهم، وآذوا عيسى عليه السلام بشكل خاص، وارتكبوا أنواع التجاسر والاستكبار مما أدى في نهاية المطاف إلى أن نزل عليهم غضب الله في هذه الدنيا بالذات.

لكن لا يفهم أحدٌ هنا من غضب الله أنه يتعنت والعياذ بالله، وإنما المراد منه أن الإنسان بسبب ذنوبه يتعد عن الله القدوس، أو يمكن أن نقول مثلا إذا كان الإنسان جالسا في حجرة ذات أربعة أبواب، وفتحها فسوف يدخل ضوء الشمس والنور إلى الغرفة بانتظام، لكنه إذا أغلق جميع الأبواب فهذا يؤدي إلى انقطاع النور. باختصار، من الحق أن الإنسان حين يقوم بأي عمل فمن السنة الإلهية أن يترتب عليه فعل من الله. فمثلا حين أغلق ذلك الإنسان الجالس في الغرفة الأبواب كلها لسوء حظه، ترتب على فعله فعلٌ من الله تمثل في إحلال الظلام في الغرفة، فإحلال هذا الظلام هو غضب من الله.

ولا تظنوا أن غضب الله كمثل غضب الإنسان، لأن الله إله والإنسان إنسان، فمن المستحيل أن يقوم الله أيضًا بفعل على شاكلة الإنسان. فمثلا إذا كان الله يسمع فهل هو بحاجة إلى الهواء كإنسان، وهل سماعه كسماع الإنسان؟ إن الإنسان يسمع بسهولة وبوضوح حين يأتي الصوت من حيث يأتي الهواء. وكذلك الرؤية مثلا فلا يستطيع الإنسان أن يرى شيئا ما لم يكن هناك ضوء الشمس والقمر أو السراج. فهل الله أيضًا يحتاج إلى الضوء؟ باختصار، إن رؤية الله تختلف عن رؤية الإنسان، ويجب أن تفوّض حقيقتها إلى الله.

إن اعتراض الآريين وغيرهم على وصف القرآن الكريم لله بالغاضب هو خطوهم الصريح. كان يجب عليهم أن ينظروا إلى آيات أخرى من القرآن الكريم أيضا فقد ورد فيها صراحة: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٧) فرحمة الله تشمل كل شيء، لكن مشكلة هؤلاء أنهم لا يؤمنون برحمة الله أصلا، فبحسب مبادئهم الدينية حين يحظى الإنسان بالنجاة بعد مواجهة مئات المشاكل فلا يجد بداً من الخروج منها.

باختصار، تذكروا جيدا أنه لا يرد أي اعتراض على كلام الله، فكما أنه ﷺ منزه من كل عيب، كذلك كلامه أيضا منزه من كل نوع من الأخطاء. أما ما ورد: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فالمراد من ذلك أن اليهود أمة تؤمن بالتوراة، وقد كذبوا عيسى عليه السلام كثيرا، وتجاسروا عليه كثيرا حتى أرادوا مرات كثيرة قتله. فمن القاعدة أن الإنسان حين يوصل أي خصلة كمالها فهو يشتهر بها، وعندما تُذكر تلك الخصلة يُذكر هو حصرا. فقد خلا في العالم آلاف الأبطال وفي العصر الراهن أيضا هناك آلاف، إلا أن "رستم" مشهور جدا في هذا المجال، حتى إذا كان أحد يُمنح لقباً في البطولة أو المصارعة فهو يلقَّب باسم "رستم الهند". فكذلك هو حال اليهود، فلم يُبعث أي نبي لم يتجاسروا عليه، أما عيسى عليه السلام فقد عارضوه لدرجة أنهم لم يتورعوا حتى عن تعليقه على الصليب، واستخدموا ضده كل شر.

أما إذا نشأ السؤال إن اليهود كانوا قد أثاروا الفتن ضد الأنبياء وعادوهم، لكن سلسلة النبوة قد انقطعت الآن، لذا لم تكن هناك حاجة لدعاء: "غير المغضوب عليهم". فجواب ذلك أنه لما كان الله ﷻ يعلم أن المسيح الموعود سينزل في الزمن الأخير، وسوف يصبح المسلمون يهوديَّي الخصال بعد تكذيبه، وسوف يتقدمون في أنواع السيئات والتكبر والفتن، فلذا علَّم دعاء: "غير المغضوب عليهم"، بمعنى: أيها المسلمون، ردِّدوا هذا الدعاء في كل ركعة من الصلوات الخمس: رَبَّنَا اعصِّمْنَا من صراط هؤلاء، الذين حلَّ عليهم غضبك في هذه الحياة الدنيا، والذين واجهوا

أنواع الآفات الأرضية والسماوية بسبب معارضتهم لمسيحك الموعود. فليكن معلومًا أن هذا هو الزمن الذي تشير إليه الآية ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. والذي يحدثكم هو المسيح الصادق، وهو من الله.

تذكروا أن الله ظل يصبر على مدى ٢٥ عامًا، ولم يدخر هؤلاء جهدًا في معارضي، فقد صدرت أنواع الخيلاء وألصقت بنا أنواع التهم، وبُذِل النشاط التام في هذه التجاسرات والفتن، وقد بُذِلَت الجهود لإفنائي وإعدامي على كافة الأصعدة، وأعدت ضدي فتاوى التكفير، واعتُبرت أسوأ من النصارى واليهود، مع أنني كنت أؤمن بصدق القلب والروح بالكلمة الطيبة "لا إله إلا الله محمد رسول الله". وكنت أؤمن بأن القرآن الكريم كتاب الله الحق والكمال، وكنت أؤمن بصدق القلب أنه خاتم الكتب، وكنت أؤمن بصدق القلب أن النبي ﷺ هو خاتم النبيين. كنت أصلي الصلوات نفسها، وأستقبل القبلة نفسها، كنت أصوم رمضان مثلهم، ولم يكن أي فرق في إيماني بالحج والزكاة أيضًا. إذن لا أعرف لأي سبب عُددت أسوأ من اليهود والنصارى، وحُسِب إطلاق الشتائم علي ليل نهار جالب الثواب؟ فهل كل ذلك من النبل والدمائة في شيء؟ ألا لا يتخذ هذا الطريق إلا الذين سُلِب منهم الإيمان واسودّت قلوبهم.

باختصار، لما كان الله يعلم أن وقتًا سيأتي حين يصبح المسلمون يهوديّي السيرة فقد علّم دعاء "غير المغضوب عليهم" ثم "الضالين"، أي يا رب، لا تسيّرنا على صراط الذين أعرضوا عن سبيلك الحق المستقيم. وفيه إشارة إلى أن النصارى قد تلقوا تعليمًا بواسطة الإنجيل أن يعبدوا إلها واحدًا لا شريك له، لكنهم تركوا هذا التعليم، واتخذوا ابن امرأة إلها.

لا يخطر ببال أحد أن كلمة "المغضوب عليهم" قاسية جدًا، بينما "الضالين" لينة، كلا، فهي ليست لينة. الواقع أن ذنب اليهود كان قليلًا، وكانوا متمسكين بالتوراة، ويعملون بأوامرها. وإن كانوا قد تمادوا كثيرًا في إثارة الفتن والشرور، إلا أنهم

كانوا يعارضون جدًا فكرة اتخاذ الإنسان إلهًا أو ابنَ إله، فلم يرد ذكرهم في الفاتحة أولاً نظراً لأن ذنوبهم كانت أكثر، بل نظراً لكونهم قد عوقبوا في هذه الدنيا. ومثال ذلك أن رئيس المديرية يُعزَّم فقط أولئك الذين لا يكون ذنبهم خارج نطاق صلاحياته، فمثلاً إذا كان يستطيع -بحسب صلاحياته- أن يغرم أحداً خمسين أو ستين روبية على أكثر تقدير، وكان المجرم يستحق أكثر، فـرئيس المديرية يحوِّله إلى مسؤول أكبر منه قائلًا: إن معاقبته خارج صلاحيتي. فمثل ذلك كانت فتن اليهود وشروهم محدودة بحيث يمكن معاقبتهم في هذا العالم، أما عقوبة الضالين فلا يسعها هذا العالم، لأن اعتقادهم مكروه جداً ومقرف لدرجة أن قال الله في القرآن الكريم بحقه ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (مريم: ٩١-٩٢)، باختصار، لما كانت عقوبة اليهود قليلة لذا قد عوقبوا في هذا العالم، أما عقوبة النصارى فهي قاسية لدرجة لا يتحملها هذا العالم، لذا قد حُدد العالم الآخر لعقوبتهم. ثم مما يجب الانتباه إليه أن النصارى ليسوا ضالِّين فحسب بل هم مُضِلُّون أيضاً، فشغلهم الشاغل ليل نهار أن يُضلوا الناس، فهم ينشرون يومياً خمسين أو ستين ألفاً بل مئات الألوف من نُسخ الجرائد، ولنشر هذه العقيدة الباطلة يوظِّفون كل أنواع الأعمال والمكايد. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٢، عدد: ١٩٠٨/١/٦ م، ص ٤-٣)

سأل شخص: يقول بعض المعارضين بأنهم أيضاً يقولون: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فلم يُطْلَق عليهم يهودا ومغضوباً عليهم؟ فقال ﷺ: اليهود أيضاً يطلبون الهداية إلى الآن ويدعون: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فلماذا هم ضالون مع أنهم يقرؤون التوراة؟ (الحكم مجلد ٧، رقم ٣، عدد: ١٩٠٣/١/٢٤ م، ص ٩)

طرح السيد عرب سؤالاً آخر: أين ذُكر المسيح الموعود في القرآن الكريم؟ فقال حضرته في الجواب: في سورة الفاتحة، وفي سورة النور، وفي سورة التحريم وغيرها. أما في سورة الفاتحة فقولته تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وفي سورة النور: ﴿وَعَدَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ (النور: ٥٦)، وفي سورة التحريم حيث ضُربت أمثلة المؤمنين فقال: ﴿وَمَرِّمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ (التحريم: ١٣). (الحكم، المجلد ٧، رقم ٣، عدد: ١٠٣/٢٤/١، ص ١٠)

الصلاة ليست أمرًا بسيطًا عاديًا، بل يُدعى فيها دعاءٌ مثل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. فهذا الدعاء يفيد أن الذين يرتكبون السيئات في الدنيا يحل بهم غضب الله في هذه الدنيا. (بدر، المجلد ٢، رقم ١٤، عدد: ١٠٣/٤/٢٤، ص ١٠٩)

لو فهم أنّ باب النبوة مغلق نهائيًا، فهذا والعياذ بالله يستلزم انقطاع الفيض، وهو يؤدي إلى النحوسة والإساءة إلى النبي، فكأن الله ﷻ قد كذب حين وصف هذه الأمة بـ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (آل عمران: ١١١) والعياذ بالله. فلو فسرنا أنّ باب النبوة في المستقبل مغلق من كل النواحي لصارت هذه الأمة شر الأمم بدلا من خير أمة، فحين لم تُفَرِّجْ بشرف المكاملة والمخاطبة الإلهية فقد أصبحت ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الأعراف: ١٨٠) وينبغي أن توصف ببهائية السيرة، لا بخير الأمم. كما يصبح دعاء الفاتحة أيضًا لاغيًا، حيث ورد ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. فهل علّمنا أن ندعو الله تعالى أن يرزقنا الأطعمة الشهية التي رزقها السابقين؟ وهل هناك أمنية لنرث إنعاماتهم ولذاتهم المادية؟ كلا، وإذا كان هذا هو المعنى فما الذي بقي لإثبات فضل الإسلام؟ (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٤، عدد: ١٠٣/٤/١٧، ص ٨)

إن أتباع مذهب وحدة الوجود جديرون بالنفور منهم والكرهية الكبيرة. من المؤسف أنه قد لا تكون زاوية واحدة من الزوايا التي لا يعتنق أتباعها هذا المذهب. والأسف فوق ذلك هو أن فرقة أتباع السيد عبد القادر الجيلاني الذين يسمّون "القادرية" صاروا أيضا من الوجوديين، مع أن السيد عبد القادر الجيلاني لم يكن وجوديا لأن سلوكه وتأليفاته تصدّق: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ عمليا.

يزعم المشايخ أن الآية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هي للقراءة فقط ولا تأثير لها ولا نتائج ولكنهم يُروون عمليا أن أمثلة المنعم عليهم توجد في هذه الأمة.

باختصار، إنه لمن فضل الله تعالى أن الذين يحبون الله حبا كاملا وينقطعون عن الدنيا مع وجودهم فيها ويستعدون للآخرة موجودون حتما وإن كانوا قلة. هذه الأمور لا تكون إلا في نصيب أناس مثل السيد عبد القادر الجليلاني رحمة الله عليه. (الحكم، المجلد ٩، رقم ٣٥، عدد: ١٠/١٠/١٩٠٥ م ص ٨)

لو لم ينزل الوحي فما معنى قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، فهل المراد من الإنعام هنا الأرز واللحم وغيره من الأطعمة، أم أن المقصود هو خلعة النبوة والمكاملة الإلهية التي ظل الأنبياء يتمتعون بها؟ باختصار؛ لا يحرز الأنبياء المعرفة التامة دون الوحي، إن مغزى الهدف الذي من أجله يعتنق المرء الإسلام هو أن يتشرف بالوحي نتيجة اتباعه له. (بدر، المجلد ٢، رقم ٣٣، عدد: ٤/٩/١٩٠٣ م، ص ٣٥٨)

إن حالة الدنيا في العصر الراهن غريبة حقا. يمكنكم أن تلقوا نظرة فاحصة، فانظروا في المدن والأسواق تروا أن مئات الآلاف بل الملايين من الناس يتخبطون ويتيهون هنا وهناك من أجل الدنيا فقط، وقليل ما هم الذين يسيرون في سبيل الدين مع أن الله تعالى قد علّم دعاء: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. (الحكم، المجلد ١١، رقم ٤٠، عدد: ١٠/١١/١٩٠٧ م، ص ٧)

"وتعلمون أن الفاتحة أم الكتاب، وإنها تنطق بالحق، وفيها ذكر أخبار أمة خلت من قبل وذكر شرهم الذين غضب الله عليهم في هذه الدنيا، وذكر الذين اختتمت عليهم هذه السورة، أعني الضالين، وقد أقرتم بأنهم النصاري، وآخر الله ذكرهم في هذه السورة ليعلم أن فتنهم آخر الفتن، فلم يبق لِدَجَالِكُمْ موضع قدم يا أولي النهى. وإن هذه فرق ثلاث من أهل الكتاب، وكذلك منكم ثلاث، شابه بعضكم بعضهم وضاهى." (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ١١٧-١١٨)

"وقد سَمَّى الله تلك اليهودَ ﴿المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وحذَّركم في أَمِّ الكتاب أن تكونوا كمثليهم، وذَكَرَكم أنهم أَهْلَكُوا بالطاعون، فما لكم تنسون وصايا الله ولا تَتَّقُونَ رَبَّكم ولا تحذرون؟ ولا تفكِّرون في قول الله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ولم يقل "غير اليهود"، فإنه أَوْمَى في هذه إلى عذابٍ أصابهم وإلى عذابٍ يصيبكم إن لم تنتهوا، فهل أنتم منتهون؟ وإنه نبأٌ عظيم وقد ظهرت آثاره، وإنَّ في هذا لآية لقوم يفكِّرون." (الخطبة الإلهامية، الخزانة الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٤٧-١٤٨)

"وإن الفاتحة كَفَتْ لسعيدٍ يطلب الحق ولا يمرّ علينا كالذين يستكبرون. فإن الله ذكر فيه فِرْقًا ثلاثًا خَلَوْا من قبل، وهم المنعم عليهم، والمغضوب عليهم، والضالون، ثم جعل هذه الأُمَّةَ فِرْقَةً رابعة، وأومأَ الفاتحةُ إلى أنهم ورثوا تلك الثلاثة: إمَّا من المنعم عليهم، أو من المغضوب عليهم، أو من الذين يضلُّون ويتنصَّرون، وأمر أن يسأل المسلمون ربَّهم أن يجعلهم من الفرقة الأولى ولا يجعلهم من الذين غضب عليهم ولا من الضالين الذين يعبدون عيسى وبربهم يشركون. وكان في هذا أنباءٌ ثلاثة لقوم يتفرَّسون. فلما جاء وقت هذه الأنباء بدأ الله من الضالين كما أنتم تنظرون، فخرج النصراني من دَيْرِهِم بقوة لا يدان لها وهم من كل حَدَبٍ ينسلون، وزُلْزِلَت الأرض زلزالها وأُخرجت أثقالها، وتنصَّرت فوج من المسلمين كما أنتم تشاهدون. ثم جاء وقت النبأ الثاني.. أعني وقت خروج المغضوب عليهم كما كان الوعد الرباني، فصار طائفة من المسلمين على سيرة اليهود الذين غضب الله عليهم، وصارت أهواؤهم كأهوائهم وآراءهم كأرائهم ورياءهم كريائهم وشحنائهم كشحنائهم وإبائهم كإبائهم.. يكذبون ويفسقون، ويظلمون ويستكبرون، ويحبُّون أن يسفكوا الدماء بغير حق، ومُلِئَتْ نفوسهم شُحًّا وبخلًا وحسدًا، وضُرِبَت عليهم الذلَّة، فهم لا يُكْرَمُونَ في السماء ولا في الأرض، ومن كل باب يُطْرَدُونَ. وكذلك مُلِئَت الأرض ظلما وجورًا وقَلَّ الصالحون. فنظر الله إلى الأرض فوجد أهلها في ظلمات ثلاث: ظلمة الجهل وظلمة الفسق وظلمة الداعين إلى التثليث والوسواس الخناس، فتذكَّرَ فضلاً ورُحماً وعدَّه الثالث الذي

يَدْعُونَ لَهُ الدَّاعُونَ، فَأَنعَمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِإِرْسَالِ مِثْلِ عِيسَى، وَهَلْ يُنْكِرُ بَعْدَهُ إِلَّا الْعَمُونَ؟" (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٦٠ - ١٦٥)

"فَفَكِّرُوا فِي أَمِّ الْكِتَابِ حَقَّ الْفِكْرِ.. لِمَ حَذَّرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ، مَا لَكُمْ لَا تَفَكَّرُونَ؟ فَاعْلَمُوا أَنَّ السِّرَّ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَوْفَ يَبْعَثُ فِيكُمْ الْمَسِيحَ الثَّانِي كَأَنَّهُ هُوَ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ حِزْبًا مِنْكُمْ يَكْفُرُونَهُ وَيَكْذِبُونَهُ وَيَحْقِرُونَهُ وَيَشْتَمُونَهُ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَيَلْعَنُونَهُ، فَعَلَّمَكُمْ هَذَا الدِّعَاءَ رُحْمًا عَلَيْكُمْ وَإِشَارَةً إِلَى نَبَأٍ قَدَّرَهُ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مَسِيحُكُمْ فَإِنْ لَمْ تَنْتَهَوْا فَسَوْفَ تُسْأَلُونَ. وَثَبْتَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ اللَّهِ الْعَلَامُ هُمُ الْيَهُودُ الَّذِينَ فَرَطُوا فِي أَمْرِ عِيسَى رَسُولِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ، وَكَفَرُوا وَأَدَّوهُ وَلُغِنُوا عَلَى لِسَانِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ مَنْ شَاجَهَهُمْ مِنْكُمْ بِتَكْفِيرِ مَسِيحِ آخِرِ الزَّمَانِ وَتَكْذِيبِهِ وَإِذْيَائِهِ بِاللِّسَانِ، وَالتَّمْيِ لِقَتْلِهِ وَلَوْ بِالْبَهْتَانِ، كَمَا أَنْتُمْ تَفْعَلُونَ. وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿الضَّالِّينَ﴾ النَّصَارَى الَّذِينَ أَفْرَطُوا فِي أَمْرِ عِيسَى وَأَطْرَأُوهُ وَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ وَهُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، يَعْنِي الثَّالِثُ الَّذِي يَوْجَدُ فِيهِ الثَّلَاثَةُ كَمَا هُمْ يَعْتَقِدُونَ. وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هُمُ النَّبِيُّونَ وَالْأَخْيَارُ الْآخَرُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ صَدَّقُوا الْمَسِيحَ وَمَا فَرَطُوا فِي أَمْرِهِ وَمَا أَفْرَطُوا بِأَقْوَالِهِ، وَكَذَلِكَ الْمُرَادُ عِيسَى الْمَسِيحُ الَّذِي خُتِمَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ السَّلْسَلَةُ وَانْتَقَلَتْ النُّبُوءَةُ، وَشُدَّ بِهِ مَجْرَى الْفَيْضِ كَأَنَّهُ الْعَرْمَةُ، وَكَأَنَّهُ لِهَذَا الْإِنْتِقَالِ الْعِلْمُ وَالْعَلَامَةُ، أَوْ الْحُشْرُ وَالْقِيَامَةُ، كَمَا أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَكَذَلِكَ الْمُرَادُ مِنْ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ سِلْسَلَةُ أَبْدَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ صَدَّقُوا مَسِيحَ آخِرِ الزَّمَانِ، وَآمَنُوا بِهِ وَقَبِلُوهُ بِصَدَقِ الطَّوَيَّةِ وَالْجَنَانِ.. أَعْنِي الْمَسِيحَ الَّذِي خُتِمَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ السَّلْسَلَةُ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ كَمَا تَقْتَضِي الْمُقَابَلَةُ وَلَا يَنْكَرُ الْمُتَدَبِّرُونَ، فَإِنَّهُ إِذَا عُلِمَ بِالْقَطْعِ وَالْيَقِينِ وَالتَّصْرِيحِ وَالتَّعْيِينِ أَنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَسِيحَ وَحَسَبُوهُ مِنَ الْمَلْعُونِينَ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَرِينَةُ قَوْلِهِ ﴿الضَّالِّينَ﴾، فَلَا يَسْتَقِيمُ التَّرْتِيبُ وَلَا يَحْسُنُ نِظَامُ كَلَامِ الرَّحْمَنِ إِلَّا بِأَنْ يُعْنَى مِنْ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

مسيح آخر الزمان، فإن رعاية المقابلة من سنن القرآن ومن أهم أمور البلاغة وحسن البيان، ولا ينكره إلا الجاهلون. فظهر من هذا المقام بالظهور البين التام أنه من قرأ هذا الدعاء في صلاته أو خارج الصلاة، فقد سأل ربه أن يُدخله في جماعة المسيح الذي يكفره قومه ويكذبونه ويفسقونه ويحسبونه شرّ المخلوقات، ويسمونه دجالاً وملحدًا ضالاً كما سَمَّى عيسى اليهود الملعون. " (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٩٠ - ١٩٨)

"فالذين سَمَّاهم الله المغضوب عليهم في الفاتحة هم اليهود الذين كذبوا المسيح وأرادوا أن يصلبوه، ويعلمه العالمون. وإنّ لفظ ﴿الضَّالِّينَ﴾ الذي وقع بعد ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قرينة قطعية على هذا المعنى، ولا يرتاب فيه إلا الجاهلون. فإن ﴿الضَّالِّينَ﴾ قومٌ أفرطوا في أمر عيسى، فثبت من هذا أن ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قوم فرطوا في أمره، وهذان اسمان متقابلان أيها الناظرون. ثم خوفكم الله أن تكونوا كمثلهم فيحلّ الغضب عليكم كما حلّ على أعداء المسيح ومستمهم لعنته المذكورة في القرآن. " (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٠٢ - ٢٠٤)

"وتفصيل المقام أن الله قد أخبر عن بعض اليهود في سورة الفاتحة أنهم كانوا محلّ غضب الله في زمن عيسى ابن الصديقة، فإنهم كفّروه وآذوه وأثاروا له كل نوع الفتنة، ثم أشار إلى أن طائفة منكم كمثلهم يكفّرون مسيحهم ويكملون جميع أنحاء المشابهة، ويفعلون به ما كانوا يفعلون. وأنتم تقرأون آية ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ثم لا تلتفتون. أعلمكم الله هذه السورة عبثاً كوضع الشيء في غير محله، أو كتبها لتذكير جريمة ترتكبوها؟ ما لكم لا تُثَمِّنُون؟ وما غضب الله على تلك اليهود إلا لما كفّروا رسوله عيسى وكذبوه وشتموه وكادوا أن يقتلوه من الحسد والهوى، وقد كتب عليكم قدر الله أنكم تفعلون بمسيحكم كما فعل اليهود بمسيحهم. " (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية المجلد ١٦، ص ٢١٥ - ٢١٦)

"إن لفظ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قد حذا لفظ ﴿الضَّالِّينَ﴾، أعني وقَعَ ذلك بجذاء هذا كما لا يخفى على المبصرين. فثبت بالقطع واليقين أن المغضوب عليهم هم الذين فرطوا في أمر عيسى بالتكفير والإيذاء والتوهين، كما أن الضالين هم الذين أفرطوا في أمره باتخاذهم رب العالمين." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية المجلد ١٦، ص ١٩٢-١٩٣ الحاشية)

"ثم اعلم أن الله في هذه السورة المباركة يُبين للمؤمنين ما كان آخر شأن أهل الكتاب ويقول إن اليهود عصوا ربهم بعد ما نزلت عليهم الإنعامات وتواترت التفضلات، فصاروا قوما مغضوبا عليه، والنصارى نسوا صفات ربهم وأنزلوه منزل العبد الضعيف عاجز، فصاروا قوما ضالين.

وفي السورة إشارة إلى أن أمر المسلمين سيؤول إلى أمر أهل الكتاب في آخر الزمان، فيشابهونهم في أفعالهم وأعمالهم، فيدركهم الله تعالى بفضلٍ من لدنه، وإنعام من عنده، ويحفظهم من الانحرافات السُبعية والبهيمية والوهمية، ويدخلهم في عباده الصالحين." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية المجلد ٧، ص ١٢٥)

حين يجتنب المرء السيئات، ويتحمس ويتشوق للحسنات، ويدعو الله تعالى؛ فإن الله بفضلِهِ يمسك بيده، ويوصله إلى دار الأمان ويسمع نداء ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (الفجر: ٣٠) أي قد انتهى صراعك الآن، وقد عقدت الصلح والسلام معي، فتعال وادخل في عبادي، الذين هم مصداق ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ والذين ينالون نصيباً من الإرث الروحاني ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الحكم، المجلد ٨، رقم ٢، عدد: ١٧/١/١٩٠٤م، ص ٢)

كذلك ورد في الأحاديث الصحيحة أن معظم المسلمين في الزمن الأخير سيشبهون اليهود، وهذا ما أشير إليه في سورة الفاتحة أيضاً، لأننا قد عَلِّمنا فيها دعاءً أن جَبَّبنا يا رَبَّنَا أن نكون مثل اليهود في زمن عيسى عليه السلام الذين عارضوه؛ فحلَّ بهم غضب الله في هذه الدنيا. ومن سنة الله تعالى أنه حين يأمر قوماً أو يعلمهم دعاءً؛ يكون

المراد من ذلك أن بعضاً منهم سيرتكبون الذنب الذي مُنعوا منه. فلما كان المراد من الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أولئك اليهود الذين كانوا في زمن الملة الموسوية الأخير، أي في عصر عيسى ﷺ، وكانوا محل غضب الله لعدم الإيمان بالمسيح الناصري ﷺ، فإن هذه الآية تتضمن بحسب السُّنة المذكورة أنفاً نبوءة أن في الزمن الأخير للأمة المحمدية أيضاً سينزل المسيح الموعود من الأمة نفسها، وسيعارضه بعض المسلمين، وبذلك سيشبهون اليهود الذين كانوا في زمن المسيح الناصري ﷺ. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢١٤ - ٢١٥)

لقد عدّ الله بعض المسلمين يهوداً وأشار بكل صراحة أن بعض السيئات التي ارتكبتها علماء اليهود سيرتكبها علماء المسلمين أيضاً؛ وإلى ذلك تشير الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، لأن جميع المفسرين متفقون على أن المراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود الذين نزل عليهم الغضب بسبب رفضهم عيسى ﷺ، وكذلك في الأحاديث الصحيحة: المراد من عبارة ﴿المغضوب عليهم﴾ هم اليهود الذين حل بهم غضب الله في الدنيا. ويشهد القرآن الكريم أيضاً أن اليهود لُعنوا على لسان عيسى ﷺ لبيان أنهم مغضوب عليهم. فالمراد أن المغضوب عليهم - بصورة قاطعة ويقينية - هم اليهود الذين أرادوا أن يقتلوا عيسى على الصليب. إن تعليم الله دعاء ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ - ومعناه ألا نكون يا ربنا مثل اليهود الذين حاولوا قتل عيسى على الصليب - يبيّن بكل جلاء أن "عيسى آخر" سيُبعث في الأمة المحمدية أيضاً، وإلا فما الحاجة لتعليم هذا الدعاء؟

ولما ثبت من الآية السالفة الذكر أن بعضاً من علماء المسلمين سيشبهون علماء اليهود تماماً في زمن من الأزمنة وكأنهم سيصيرون يهوداً، فمن غير المعقول أبداً أن يقال بعد ذلك أن عيسى الإسرائيلي سينزل من السماء لإصلاحهم. وذلك لأنه بمجيء نبي من خارج الأمة المحمدية، يَنْقُضُ ختم النبوة أولاً، والقرآن الكريم يؤكد بصراحة تامة على أنّ النبي ﷺ خاتم النبيين؛ فلا تُتصور إهانة أكبر من أن تُشَبَّه

هذه الأمة باليهود، ثم يأتي عيسى من خارجها. فلو صحَّ أن يصير معظم علماء هذه الأمة يهودا في وقت من الأوقات، أي سيتصفون بصفات اليهود، لوجب أيضا أن لا يأتي عيسى من خارج الأمة لإصلاحهم؛ بل كما سَمِّي بعض أفرادها يهودا كذلك سَيُسَمَّى مقابل ذلك فرد من أفرادها بعيسى.

لا يسع الإنكار أن القرآن الكريم والحديث الشريف قد سَمَّيا بعض أفراد هذه الأمة يهودا كما يتبين من الآية: ﴿عَبْرَ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، لأنه لو لم يكن مقدرا أن يصير بعض أفرادها يهودا، لما عَلِّم الدعاء المذكور إطلاقا. إن الأسلوب المتبع في الكتب الإلهية منذ أن نزلت، أنه عندما يمنع الله تعالى قوما من عمل ما وينهاهم مثلا عن الزنا أو السرقة أو التهوُّد، فإن في ذلك نبوءة كامنة أن بعضهم سوف يرتكب هذه الجرائم. لا يمكن لأحد في الدنيا أن يأتي بمثال منع الله تعالى فيه جماعة أو قوما عن مُنكَرٍ، ثم امتنعوا كلهم عنه، بل الحق أن بعضهم سيقترف المنكر نفسه حتما؛ فكما أمر الله تعالى اليهود في التوراة ألا يحرفوها، فكانت النتيجة أن حَرَفَهَا بعضهم. ولكن الله تعالى لم يأمر المسلمين في القرآن بألا يحرفوه، بل قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠) لذلك ظل القرآن الكريم محفوظا من التحريف.

إذن، فمن سنة الله القطعية واليقينية والمسلَّم بها، أنه حين يمنع - في كتاب - قوما أو جماعة من سيئة، أو يأمرهم بحسنة، فإنه يفعل ذلك بناء على علمه القديم أن بعضهم سوف يخالف هذا الأمر. فيُفهم مما أمر الله به المسلمين في سورة الفاتحة أن عليهم أن يدعُوا ألا يكونوا مثل اليهود الذين أرادوا أن يقتلوا عيسى عليه السلام على الصليب، مما أدى إلى غضب الله عليهم في الدنيا؛ إذ كان من المقدر بحسب علمه تعالى أن بعض أفراد هذه الأمة - الذين يُدْعَوْنَ علماء - سيحذون حذو اليهود بسبب مكائدهم وتكذبيهم مسيح الزمان، وإلا لم تكن هناك حاجة لتعليم الدعاء عبثا.

من الواضح أنه لا يمكن لعلماء هذه الأمة أن يصبحوا من بني إسرائيل ثم يحاولوا أن يقتلوا على الصليب عيسى الذي خلا من الدنيا منذ مدة مديدة. ولما كان يهود ذلك

العصر ليسوا موجودين في الدنيا في أيامنا هذه، ولا عيسى السابق أيضًا، تبين أن في ذلك إشارة إلى حادث سيحدث في المستقبل، ويراد من هذا البيان أن شخصا سيُبعث في هذه الأمة على شاكلة عيسى المسيح في الزمن الأخير، وأن بعضا من علماء المسلمين في عصره سيسبونه ويؤذونه كما آذى علماء اليهود عيسى بن مريم من قبل. ويُفهم من الأحاديث الصحيحة أن المراد من كون علماء المسلمين يهودا، أن يتولّد فيهم، ما ساء من أخلاق اليهود وعاداتهم، ومع أنهم سيُدعون مسلمين في الظاهر، ولكن تُمسحُ قلوبهم وتنصبغ بصبغة اليهود الذين آذوا عيسى عليه السلام وصاروا "المغضوب عليهم". فإذا كان المسلمون المزعمون أنفسهم، سيتحولون إلى "يهود"، أفليس إهانة لهذه الأمة، أن يُقدّر لهم أن يصبحوا يهودا، ثم يأتي المسيح المُقدّر له أن يصلح هؤلاء اليهود من الخارج؟ هذا ينافي منطوق القرآن الكريم أيما منافاة. لقد وضع القرآن الكريم الأمة الحمديدية إزاء الأمة الموسوية في كل خير وشر على السواء، وليس في الشر فقط. وبالإضافة إلى ذلك فإن المنطوق الصريح لآية ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هو أنهم يُسمّون يهودا لأنهم سينظرون إلى مبعوث الله الآتي لإصلاحهم بنظرة التحقير، ويرفضونه ويحاولون قتله ويهيج غيظهم وغضبهم في معارضته، ولذلك يسمّون في السماء بـ"المغضوب عليهم" مثل اليهود الذين كذبوا عيسى عليه السلام. وقد كانت نتيجة تكذيبهم أن تفشى فيهم طاعون جارف، ودُمّروا وأبيدوا على يد "طيّطس" الرومي. فيتين من آية ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، أنه سيحل بهم غضب في الدنيا. أما في الآخرة فيكون جميع الكفار مغضوبا عليهم. ولماذا ذكر الله تعالى في هذه الآية - بقوله: المغضوب عليهم - اليهود الذين حاولوا صلب عيسى، بل صلبوه بحسب زعمهم: فليكن واضحا أنهم نُعتوا بـ "المغضوب عليهم" لأن غضب الله تعالى حل بهم في الدنيا، ولذلك علّمت هذه الأمة دعاء مفاده: ربّنا، لا تجعلنا مثل هؤلاء اليهود. لقد كانت هذه نبوءة، ومعناها: أنه حين يُبعث مسيح هذه الأمة، سيتولّد مقابله هؤلاء اليهود أيضا، فيحل بهم غضب الله في هذه الدنيا.

ومدلول هذا الدعاء أن بعثة المسيح قد قدّرت فيكم أيضاً، وسيتولّد مقابله يهودٌ ينزل عليهم الغضب في الدنيا، فادعوا الله تعالى باستمرار ألا تكونوا مثل هؤلاء اليهود. والجدير بالذكر أيضاً أن غضب الله تعالى سيحل بكل كافر يوم القيامة، ولكن المراد هنا، هو حلول الغضب في الدنيا عقاباً للمجرمين. واليهود الذين آذوا عيسى ولُعنوا على لسانه - وفق النص القرآني - كانوا أولئك الذين نزل عليهم الغضب في الدنيا، فأهلكوا أولاً بالطاعون الجارف، أما الذين بقوا منهم، ففُرقوا في البلاد بعذاب شديد على يد "طيّطس" الرومي. ففي قوله وَلَقَدْ كَذَّبْنَاكَ بِآيَاتِنَا **﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾**: نبوءة كامنة، أن الذين سيُدعون يهوداً من المسلمين، سيكذبون مسيحاً يأتي على شاكلة المسيح الذي جاء قبله؛ أي أنه لن يقاتل ولن يرفع السيف، بل سينشر الدين بتعليم طاهر وبآيات سماوية، وسيتفشى الطاعون في الدنيا إثر تكذيب هذا المسيح الأخير أيضاً، وسيتحقق كل ما قاله الأنبياء منذ البداية.

أما الوسوسة بأن المسيح بن مريم نفسه، سيأتي إلى الدنيا مرة أخرى، فهي تنافي منطوق القرآن الكريم أيما منافاة. ومن يقرأ القرآن الكريم بنظرة التقوى والإيمان والعدل والتدبر، ينكشف عليه مثل النهار الساطع أن الله تعالى قد خلق هذه الأمة مشابهة للأمة الموسوية تماماً، وقدر لها الخيرات مقابل خيراتهما والشرور مقابل شرورها. ومن هذه الأمة مَنْ يشبّهون بأنبياء بني إسرائيل ومنهم مَنْ يشبّهون باليهود المغضوب عليهم، ومثلها كمثل بيت فيه عُرف مزخرفة جيدة التزيين، لجلوس أناس مثقفين ذوي مراتب عليا، وفيه بيوت خلاء وقنوات ماء آسن أيضاً، وأراد صاحب هذا القصر أن يبني مقابله قصراً آخر ويوفر فيه كل ما وُجد في القصر الأول. فالقصر الثاني هو قصر الإسلام والقصر الأول كان قصر السلسلة الموسوية. والقصر الثاني ليس بحاجة إلى القصر الأول في شيء، أي أن القرآن ليس بحاجة للتوراة، كما ليست الأمة المحمدية بحاجة إلى نبي إسرائيلي. كل كامل يأتي لهذه الأمة، سيُرَبَّى بفيض النبي ﷺ، ووحْيهِ ظلّ لוחي النبي ﷺ؛ وهذه النقطة جديرةٌ بالفهم والاستيعاب.

الأسف كل الأسف أن معارضينا الذين يستنزلون عيسى عليه السلام، لا يدركون أن المطلوب هو أن ينال الإسلام شرف المشابهة، لا أن يُهان بمجيء نبي إسرائيلي لإصلاح الأمة المسلمة. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٣-١٧)

كذبني المشايخ مع وجود كل هذه الشهادات والمعجزات والآيات القاهرة، وكان من المفروض أن يفعلوا ذلك لكي تتحقق النبوة الكامنة في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٧)

لقد جئت إلى أهل الحق فضلاً من الله، وقد استهزئ بي وكفرت واعتبرت دجالاً ومن الذين لا يؤمنون. وكان من المقدر أن يكون كذلك بالتمام لتتحقق النبوة الكامنة في ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لأن الله تعالى قد أخبر من خلال وعده في هذه الآية أنه سيكون في الأمة يهوداً أيضاً وسيشبهون علماء اليهود الذين أرادوا أن يقتلوا عيسى عليه السلام على الصليب، وسموه كافراً ودجالاً. فتفكروا الآن إلى ما أشير إليه هنا. الواضح أن الإشارة أن المسيح الموعود سيأتي من هذه الأمة فيخلق في زمنه أناس يزعمون أنهم علماء وهم كاليهود؛ وقد تحققت تلك النبوة في بلادكم. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٦٥-٦٦)

كان قد تقرر في قدر الله أن يهوداً مثلهم سيكونون في هذه الأمة أيضاً، لذا فقد سُمِّيَتْ عيسى كما سُمِّيَ يحيى باسم إلياس. فهذا ما تشير إليه الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

إذاً، إن النبوة بمجيء عيسى كانت لهذه الأمة كمثل النبوة بمجيء يحيى عليه السلام لليهود؛ وقد سُمِّيَتْ عيسى لتحقيق هذه المماثلة. وليس ذلك فحسب، بل قد سُمِّيَتْ أجيال هذه الأمة القادمة من مكذبي عيسى هذا يهوداً، والآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ تشير إلى هؤلاء اليهود. أي أن اليهود الذين ينكرون عيسى هذه الأمة يشبهون يهوداً لم يقبلوا عيسى عليه السلام. فبذلك تحققت المماثلة الكاملة؛ بمعنى أنه كما لم يؤمن بعيسى عليه السلام اليهود - الذين كانوا ينتظرون عودة النبي إلياس - بعذر أن

إلياس لم يُعد إلى الدنيا، كذلك لم يؤمن هؤلاء الناس بعيسى هذه الأمة بعذر أن عيسى الإسرائيلي لم يُعد إلى الدنيا. فبذلك تحققت المماثلة بين اليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى ﷺ بعذر أن إلياس لم يُعد إلى الدنيا، وبين اليهود الذين لا يزالون ينتظرون عودة عيسى ﷺ، وهذا ما أَرَادَهُ اللهُ. وكما تحققت المماثلة بين اليهود الإسرائيليين واليهود الحاليين كذلك بلغت المماثلة كما لها بين عيسى الإسرائيلي وعيسى هذه الأمة الذي هو أنا، لأن عيسى السابق لقي الرفض من قبل اليهود آنذاك لأن نبيا لم يُعد إلى الدنيا، كذلك عيسى هذا- الذي هو أنا- لقي الرفض من قبل اليهود المعاصرين لأن نبيا لم يُعد إلى الدنيا بشخصه. والواضح أن الذين تَعُدُّهم الأحاديث النبوية يهود هذه الأمة وتشير إليهم الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أيضا ليسوا يهودا حقيقيين بل هم من هذه الأمة الذين سُمُّوا يهودا. كذلك عيسى أيضا ليس عيسى الحقيقي الذي كان نبيا من بني إسرائيل، بل هو أيضا من هذه الأمة. وبعيدٌ عن فضل الله تعالى ورحمته التي ترافق هذه الأمة أن يلقَّب الأمة بلقب اليهود، بل وبلقب اليهود الذين كَفَرُوا وكَدَّبُوا عيسى ﷺ معتذرين بعدم عودة النبي إلياس، ثم لا يلقَّب فردا من أفراد هذه الأمة بلقب عيسى. أفلا يُسْتَنَجَ لو حدث ذلك أن هذه الأمة شقية وتعيسة الحظ في نظر الله بحيث يمكن أن تنال منه رَحْمَتُهُ لِقَبِّ اليهود الأشرار والعصاة، ولكن لا يوجد فيها فرد واحد لينال لقب عيسى؟ فبناء على هذه الحكمة سَمَّى اللهُ تعالى بعض أفراد هذه الأمة يهودا من ناحية، ومن ناحية أخرى سَمَّى فردا منها بعيسى أيضا. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الأحمدية، المجلد ٢١، ص ٤٠٧ - ٤٠٩)

النقطة الجديرة بالاهتمام هنا هي أن آية ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ في الفاتحة، تشير إلى هذه المعركة فقط، أي إن اليهود وصفوا نبي الله المقدس ملعونا عن عمد قصْدَ الفتنة، فاستنزلوا عليهم غضبَ الله وصاروا "المغضوب عليهم" مع أنهم كانوا قد عرفوا أن المسيح لا يوجد في القبر وتحققت نبوءته بأن حاله سيشبه

حال يونس، أي سيدخل القبر حيا ويخرج منه حيا. أما النصارى وإن كانوا يحبون المسيح، إلا أنهم لجهلهم قبلوا وصمة اللعنة بحق قلب المسيح ولم يفقهوا أن مفهوم اللعنة يتعلق بنجاسة القلب، ومعلوم أن قلب النبي لا يمكن أن ينجس ويعادي الله ويتبرأ منه ﷺ في أي حال. ففي هذه السورة تعليم إشارة للمسلمين ألا يتسرعوا في تكذيب المسيح الموعود كاليهود، ولا يعدّوا فتاوى المكر؟ ولا يسموه ملعونا، وإلا ستعود عليهم لعنتهم، وكذلك يجب ألا يكونوا له أصدقاء أغبياء كالنصارى ولا ينسبوا الصفات غير اللاتقة إلى مقتداهم، فلا شك في أن هذه السورة تتضمن ذكرى خفية، ونبوءة لطيفة بيعتي، وفهم المسلمون في صيغة دعاء أن مثل هذا الزمن سيأتي عليهم أيضا وأنهم أيضا سينسجون المكاييد ليجعلوا المسيح الموعود ملعونا، لأنه قد ورد الحديث أيضا أن اليهود لو دخلوا جحر ضب لدخله المسلمون أيضا. فمن رحمة الله العجيبة أنه تنبأ بيعتي في أولى سور القرآن الكريم التي يقرأها المسلمون خمس مرات يوميا، فالحمد لله على ذلك. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧ ص ١١٠-١١١، الحاشية)

فلما كانت هذه الأمة مرحومة ولا يريد الله ﷻ أن تهلك، فقد علم دعاء ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هذا، وأنزله في القرآن الكريم وبدأ به القرآن الكريم وأدخل هذا الدعاء في صلوات المسلمين ليتفكروا ويفقهوا لماذا حُذروا من سيرة اليهود التي أبدوها بأسوأ أسلوب على عيسى عليه السلام. من السهل جدا أن يفهم أن في هذا الدعاء الذي علّمه المسلمون في الفاتحة لم تكن للمسلمين أي علاقة بفرقة ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في الظاهر، لأنه حين ثبت من القرآن الكريم والأحاديث واتفاق علماء الإسلام أن المراد من ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، أولئك اليهود حصرا الذين آذوا عيسى عليه السلام وآلموه وسموه كافرا وملعونا، ولم يدخروا جهدا في محاولات قتله وأهانوا نساءه؛ فبأي صلة يمت المسلمون إليهم؟ ولماذا علّموا هذا الدعاء؟ الآن عرفنا أن هذه هي العلاقة بحيث كان مقدرا مجيء مسيح هنا على شاكلة المسيح

السابق، وكان مقدرا له أن يتلقى الإساءة والتكفير كليهما، فنظرا إلى ذلك علّم الدعاء: يا ربنا احفظنا من أن نرتكب إثم إيذاء مسيحك الموعود وإصدار فتوى تكفيره وجرّه إلى المحاكم لمعاقبته، والإساءة إلى أهل بيته الأطهار وأن نلصق به أنواع البهتانات ونفتي بقتله.

باختصار، واضح جدا أنّ هذا الدعاء علّمناه لكي يوجّه القوم انتباههم إلى الورقة التي تُحَفَظ في الجيب كل حين وأن أو تُلصق على جدار الصلاة لتذكّر دوماً أن مسيحا موعودا نازل فيهم أيضا، وأن فيهم أيضا الخصلة التي كانت في اليهود. باختصار، يثبت من تدبر هذه الآية بنظرة باحثة، أن هذه نبوءة صدرت بصورة دعاء، فلما كان الله ﷻ يعلم أن آخر خلفاء هذه الأمة سيأتي على سيرة عيسى ﷺ بحسب الوعد في ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٦)، ومن الضروري أن يتلقى الألم والأذى على أيدي القوم مثل عيسى ﷺ، وأن تُكتب ضده فتوى التكفير وتحاك المؤامرات لقتله؛ لهذا علّم المسلمين هذا الدعاء رحمة بهم، أن يستعينوا بالله ﷻ من أن يكونوا مثل اليهود الذين كانوا كفّروا مسيح السلسلة الموسوية وكانوا يهينونه ويسبّون إليه ويسبّونه. وفي هذا الدعاء إشارة واضحة إلى أن الوقت سيأتي سيأتي عليهم وأن في كثيرين منهم توجد هذه الخصلة، فليتنبهوا ويحذروا وينشغلوا في الدعاء دوماً، لكيلا يتعثروا. فالجملة الثانية من هذه الآية أي ﴿الضَّالِّينَ﴾ التي تعني يا ربنا احمنا من أن نتنصر، تتضمن إشارة إلى أن النصارى في زمن ظهور المسيح الموعود سيكونون أقوياء جدا، وأن ضلال المسيحية سينتشر في الأرض كالفيضان، وسيتدفق طوفان الضلالة لدرجة لن تبقى عندها أي وسيلة غير الدعاء وأن مبشري الثالوث سينشرون شرك المكر لدرجة يوشكون حينها أن يضلوا الصالحين أيضا؛ لهذا قد ضم هذا الدعاء إلى الدعاء السابق، وقد أشير إلى زمن الضلالة في الحديث أنه إذا رأيتم الدجال فاقروا أوائل سورة الكهف. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٠١-٢١١)

تذكروا جيدا أننا عُلِّمنا الدعاءَ في الفاتحة لاجتناب فتنتين فقط: (١) الفتنة الأولى تتمثل في تكفير المسيح الموعود والإساءة إليه والطعن في حياته الخاصة وإصدار الفتوى بوجوب قتله، كما قد أشير إلى كل هذه الأمور في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. (٢) وثانياً عُلِّمنا الدعاء لاجتناب فتنة النصارى. وقد أشير في نهاية السورة عند هذا الذكر إلى أن فتنة النصارى ستكون كالسيل العظيم ولن تكون أي فتنة أكبر منها. الخلاصة أنه يتبين من هذا البحث أن القرآن الكريم قد شهد لهذا العبد الضعيف في سورتِه الأولى، وإلا يجب البحث عمّن يكون "المغضوب عليهم" الذين حُذِّرنا منهم في هذه السورة؟ أليس من الحق أن بعض العلماء في الزمن الأخير قد شَبَّهوا في القرآن الكريم والحديث باليهود؟ أليس من الحق أن المراد من المغضوب عليهم هم أولئك اليهود الذين كَفَرُوا عيسى ﷺ الذي كان آخر خلفاء السلسلة الموسوية وكان مسيحاً موعوداً لها، وأسأوا وإليه إساءة شنيعة وأظهروا العيوب في حياته الخاصة افتراءً. فلما كانت عبارة "المغضوب عليهم" نفسها استُخدمت بحق أمثال اليهود الذين سُمُّوا باسم "المغضوب عليهم" نتيجة تكفيرهم وإهانتهم للمسيح ﷺ، فلو تأمل أحد هنا واضعاً في الاعتبار المدلول التام لعبارة المغضوب عليهم، لتبين له أنها تتضمن نبوءة صريحة واضحة عن المسيح القادم بأنه سيتعرض أولاً كالمسيح لإيذاء المسلمين. والدعاء أن يا إلهي اجنُبنا أن نكون من المغضوب عليهم إنما معناه الحقيقي واليقيني أن احننا من أن نُؤذي مسيحك الموعود الذي هو مثيل المسيح الأول ونكفِّره. وتكفي القرينة لهذا المعنى أن المغضوب عليهم إنما هم أولئك اليهود الذين آذوا المسيح ﷺ، وسُمِّي علماء الزمن الأخير في الأحاديث باليهود، أي الذين كَفَرُوا عيسى ﷺ وأسأوا إليه. وهذا الدعاء يفيد بأن يا إلهي لا تجعلنا من تلك الفرقة التي سُمِّيت بالمغضوب عليهم. فهذا الدعاء يتضمن نبوءة تحتوي على أمرين؛ أحدهما أن في هذه الأمة أيضاً سيظهر مسيحٌ موعود، والثاني أن بعض أفراد هذه الأمة سيكفِّرونه ويسبُّون إليه وسيكونون محل غضب الله. وعلامة ذلك الزمن أن فتنة النصارى أيضاً ستكون قد تجاوزت حدودها

في تلك الأيام، واسمها الضالين. وإن كان الغضب الإلهي على "الضالين" أي النصارى أيضاً، لأنهم لم يستجيبوا لأمر الله، إلا أن آثار ذلك الغضب ستظهر يوم القيامة. وإن المراد من "المغضوب عليهم" هنا أولئك الذين سينزل عليهم الغضب الإلهي في هذا العالم نتيجة تكفيرهم للمسيح الموعود والإساءة إليه وإيذائهم له ومحاولتهم قتله؛ فهذه نبوءة القرآن الكريم ضد أعدائي الذين يريدون قتلي. (التحفة الغلورية الخزان الروحانية، المجلد ١٧ ص ٢١٢ - ٢١٣)

المراد من "المغضوب عليهم" هم علماء اليهود الذين لم يجيزوا لعيسى ﷺ لشدة عداوتهم أن يعدّ مؤمناً بل كفّروه وعدّوا قتله واجبا. إن المغضوب عليه هو ذلك الإنسان المستشيط غضبا الذي غلّوه في الغضب يدفع الآخرين أيضا إلى الغضب. وقد وردت هاتان الكلمتان متقابلتين. أي الضالون هم أولئك الذين اتخذوا عيسى ﷺ إلها نتيجة الإفراط في الحب، والمغضوب عليهم هم اليهود الذين كفّروه نتيجة الإفراط في العداوة. لذا فقد حذّر المسلمون في هذه الآية وأشير إلى أنهم سيواجهون كِلا هذين الامتحانين. أي سيأتي المسيح الموعود وسيكفّر مثل المسيح الأول، وستصل غلبة الضالين - أي النصارى الذين يعتبرون عيسى ﷺ إلها - أوجها، فانقذوا أنفسكم من كليتي الفتنتين وادعوا الله تعالى لاجتنابهما. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧ ص ٢٦٩، الحاشية على الحاشية)

ليس المراد من الضالين هنا هم الضالون بوجه عام بل المراد هم المسيحيون الذين يُغالون بحق عيسى ﷺ لفراط حبهم لأن من معاني الضلال أيضا الحب المفرط لأحد لدرجة لا يتحمل صاحبه أن يسمع قط اسم أحد بالاحترام مقابله كما هو المراد في الآية: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف: ٩٦). (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧ ص ٢٦٩، الحاشية على الحاشية)

وأخى هذه السورة على "الضالين"، أي على الآية السابعة التي تنتهي على كلمة الضالين. ففيها إشارة إلى أن القيامة ستقوم على الضالين. هذه السورة

في الحقيقة جامعة لحقائق ودقائق كثيرة، كما بينا في السابق. وإن دعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ في هذه السورة، يشير بصراحة إلى أن هذه الأمة ستعرض لابتلاء عظيم عند ظهور فريق "المغضوب عليهم"، وفي زمن غلبة الفريق الآخر "الضالين"، الذي لاتقائه يجب تكرار هذا الدعاء في خمس صلوات. وعُلمنا دعاء الفاتحة هذا بحيث يتضمن أولا من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بحمد الله والصفات الجمالية والجلالية، لكي ينطق القلب بأنه هو وحده المعبود، وإعجابا بهذه الصفات الطيبة أقرت الفطرة الإنسانية قائلة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ثم حين لاحظت ضعفها لم تجد بدا من القول: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. ثم تقدمت بعون الله بدعاء وافٍ وشامل لاجتناب جميع أقسام الشر وكسب جميع أنواع الخير، أي ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين. (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧ ص ٢٨٤ و ٢٨٥، الحاشية)

إن بعثة عدد من الناس كانت مقدرة بروزا من القرآن الكريم؛ (١) أولا مثل موسى، أي بعثة النبي ﷺ ثابتة من الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (المزمل: ١٦) (٢) ثانيا مثلوا خلفاء موسى بمن فيهم مثل المسيح أيضا كما هو ثابت من الآية: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٦)، (٣) ثالثا مثلوا عامة الصحابة كما هو ثابت من الآية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤)، (٤) رابعا مثلوا أولئك اليهود الذين كتبوا فتوى كفر عيسى عليه السلام وأفتوا بقتله واستنزفوا الجهود لإيذائه وقتله كما يتبين بجلاء من آية الدعاء الذي عُلِّم في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، (٥) خامسا مثلوا ملوك اليهود الذين وُلدوا في الإسلام، كما يُفهم من الآيتين التاليتين اللتين تتشابه مفرداتهما أيضا وهما:

عن ملوك اليهود	عن ملوك الإسلام
﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠)	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ١٥)

(التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٠٦)

فلو لم يُفْتِ هؤلاء بتكفيرى وقتلى فكيف كان يمكن تحقق الدعاء الذي علمناه في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في الفاتحة، الذي كان يتسم بسمة النبوة، لأن المراد من جملة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في الفاتحة هم اليهود كما ورد في فتح الباري والدر المنثور وغيرهما. وإن أكبر حادث لليهود الذي ظهر في الزمن الأقرب إلى النبي ﷺ كان وصفهم لعيسى ﷺ كافرا وملعوناً وواجب القتل، واستشاطتهم غضبا شديدا عليه، لذا قد عُذُوا - من جراء غضبهم هم أنفسهم - من المغضوب عليهم في نظر الله. وُبُعِثَ النبي ﷺ بعد هذا الحادث بست مائة عام، فالواضح أن أمته حين عُلِّمَت الدعاء في الفاتحة أن لا يكونوا من المغضوب عليهم، وصدر التأكيد بحقهم أن يقرأوه في الصلوات الخمس والتهجد والإشراق وفي العيدين، فما السر في ذلك؟ ومعلوم أن زمن اليهود كان قد انقطع قبل مدة من الإسلام، فلماذا لُفِّنَ المسلمون هذا الدعاء ولماذا عُلِّمُوا في هذا الدعاء أن يستعينوا على الدوام في خمس صلوات يوميا من أن يكونوا من فرقة اليهود الذين هم المغضوب عليهم؟ فمن هذا الدعاء يُفهم بوضوح أن في هذه الأمة أيضا سيُبْعَثُ مسيخٌ موعود، وأن فرقة من علماء المسلمين ستكفِّره وتُفْتِي بقتله. لهذا إن المسلمين نَبِّهُوا بتعليم دعاء: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في سورة الفاتحة أن يدعوا أن لا يكونوا أمثال اليهود الذين أفتوا بتكفير عيسى بن مريم وقتله. وبالإضافة إلى التدخل في حياته الخاصة كانوا قد افتروا على أمه. وفي جميع كتب الله سنة وعادة مستمرة أنه حين يمنع أي جماعة من عمل ما أو يعلم الدعاء

لاجتنابه، وإنما يقصد من ذلك أن بعضا منهم سيرتكبنّ حتما ذلك العمل. لهذا فبحسب هذا المبدأ في كُتب الله يتضح جليا أن الغاية من تعليم دعاء: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هو البيان أن فرقة من المسلمين ستقلد اليهود تقليدا كاملا حتما، وستثير غضب الله بتكفير المسيح الله وإصدار الفتوى بقتله، وتنال لقب: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ على شاكلة اليهود. هذه النبوءة واضحة لدرجةٍ إذا لم يكن المرء حينها قد عقد العزم على الخيانة، فلا يسعه إنكارها. وإن القرآن الكريم لم يجعل وحده اليهود أمثال هؤلاء، بل قد أعطاهم الحديث أيضا اللقب نفسه، وبيّن بجلاء أن علماء هذه الأمة أيضا سيلصقون بالمسيح الموعود فتوى الكفر كاليهود، وأن المشايخ سيكونون ألد أعداء المسيح الموعود. لأنهم بسببه سيفقدون كل شرف كانوا يحوزونه بصفته العلماء، وأن احترام الناس لهم سيتضاءل. وهذه الأحاديث مشهورة جدا في الإسلام حتى إنه قد ورد في "الفتوحات المكية" أن المسيح الموعود حين ينزل سينال التكريم بحيث يُخرج من حظيرة الإسلام، وسيقول أحد المشايخ "إن هذا الرجل غيّر ديننا"، كيف يدّعي هذا الرجل أنه المسيح الموعود، وقد أفسد ديننا، أي لا يقبل اعتقادنا بالأحاديث ويعارض عقائدنا القديمة. وقد ورد في بعض الأحاديث أن بعض علماء هذه الأمة سيتبعون اليهود اتباعا كبيرا لدرجة لو أن شيخا يهوديا قد زنى بأمه فهم أيضا سيزنون بأمهاتهم، وإذا كان فقيه يهودي قد دخل جحر ضب فسوف يدخلونه هم أيضا، ومن الجدير بالانتباه أيضا أن الإنجيل والقرآن الكريم حيثما بيّنا مفاصد اليهود لم يذكرنا رجال الدنيا وعامة الناس، بل المراد مشايخهم وكتبتهم ورؤسائهم الكهنة الذين بأيديهم فتاوى الكفر، والذين يثور الناس نتيجة خطاياهم. ولهذا شبه القرآن الكريم أمثال هؤلاء اليهود كمثل الحمار يحمل أسفارا، إذ من البين أن العامة لا تكون لهم أي علاقة بالأسفار، وإنما المشايخ يحوزون الأسفار. لهذا من الجدير بالاهتمام أنه حيثما ذُكر اليهود في الإنجيل

والقرآن والحديث فالمراد منهم علماءهم ومشايخهم، وكذلك ليس المراد من: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ عامة المسلمين بل مشايخهم. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٢٨-٣٣٠)

لقد نصحن الله تعالى في أول سورة قرآنية وقال لا تكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين، أي أيها المسلمون، لا تحذوا حذو اليهود والنصارى. وفي ذلك نبوءة بأن بعض المسلمين سيفعلون ذلك، أي سيأتي على المسلمين زمان يحذو فيه بعضهم حذو اليهود والنصارى، ذلك أنه لا يصدر النهي عن شيء إلا يكون من المقدر ألا ينتهي منه بعض الناس. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١٢، عدد: ١٩٠١/٣/٣١ م، ص ١٠)

لقد بدأ القرآن بسورة الفاتحة التي انتهت بجملة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، ولكن عندما تلقي نظرة على معتقدات المسلمين نرى أنهم يعدّون فتنة الدجال فتنة عظيمة، ولا يمكننا أن نقبل أن ينسى الله ذكر الدجال تماما. كلا، بل الحق أن الناس أخطؤوا في فهم مفهوم الدجال. لقد علّم الله في سورة الفاتحة دعاء لاجتناب الفتنتين. الأولى: المراد من ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود بإجماع المسلمين. ويتبين أيضا أنه سيأتي على الأمة زمان يحذو فيه المسلمون حذو اليهود تماما، وذلك الزمن هو زمن المسيح الموعود حين يركّز على إنكاره وتكفيره كما ركّز اليهود على تكفير المسيح بن مريم. باختصار، قد علّم في هذا الدعاء أن: أنقذنا يا رب من الإساءة إلى المسيح وتكفيره مثل اليهود. والفتنة الثانية المذكورة في سورة الفاتحة التي انتهت السورة على ذكرها هي فتنة النصارى التي ذكرت في القول ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾. والآن عندما تلقي نظرة فاحصة على السور الأخيرة في القرآن الكريم نجدها تشهد شهادة بيّنة على هاتين الفتنتين. فمثلا وردت سورة المسد مقابل ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. كما تلقيت أنا أيضا إلهاما قبل فتاوى التكفير ما نصه: "وإذ يمكر بك الذي كفّر. أوقد لي يا هامان، لعلني أطلع على إله موسى، وإني

لأظنه من الكاذبين. تبّت يدا أبي لهب وتبّ. ما كان له أن يدخل فيها إلا خائفاً. وما أصابك فمن الله. "أي اذكر الزمن الذي فيه يُصدر مكفّر فتوى لتكفيرك، ويقول لأحد مؤيديه الذي يمكن أن يؤثر في الآخرين أن أوقد لي نار الفتنة لأرى أن الذي يدّعي كونه كليم الله مثل موسى، هل ينصره الله أم لا؟..."

باختصار إن في سورة المسد إشارة إلى فتنة ﴿الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ومقابل ﴿الضَّالِّينَ﴾ وردت سورة الإخلاص في نهاية القرآن الكريم. أما السورتان الأخيرتان أي سورة الفلق وسورة الناس فتفسرهما. في هاتين السورتين استعادة من ذلك الزمن المظلم والحالك حين يُفتى بتكفير المسيح وتثور فتنة ﴿الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وتحيط ضلالة المسيحية وظلمتها بالعالم كله. فكما علّم في سورة الفاتحة التي هي بداية القرآن الكريم الدعاء لاجتناب كلتا الفتنتين كذلك أُعطي في نهاية القرآن الكريم تعليم لاجتناب هذه الفتن ليثبت أن هناك علاقة متينة بين الأول والآخر....

لقد جاءت السور الثلاث الأخيرة مقابل ﴿الضَّالِّينَ﴾؛ الأصل هو ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أما السورتان الأخريان فهما تفسيرا....

وفي نهاية السورة علّم اجتناب وساوس الشيطان. كما أنهى سورة الفاتحة على ﴿الضَّالِّينَ﴾ كذلك أنهى السورة الأخيرة على ذكر ﴿الْخَنَاسِ﴾ لتبين العلاقة بين الخناس والضالين. كيف أقام الله تعالى هذه السلسلة على غرار دائرة، إذ أنهى سورة الفاتحة التي يبدأ بها القرآن الكريم على: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، ثم وضع في نهاية القرآن الكريم سورتين لهما علاقة مع ما ورد في نهاية سورة الفاتحة. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٨، عدد: ٢٨/٢/١٩٠٢م، ص ٤-٥)

لو تعلّم أحد مني لوجد أن القرآن الكريم كله مليء بذكرى. فقد جاء في مستهل القرآن الكريم: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. فليسألهم أحد أية فرقة قُصد بها ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾؟ جميع فرق المسلمين متفقة على أن المراد منها هم اليهود، ومن ناحية ثانية ورد في الحديث الشريف أن أمته ﷺ

ستحذو حذو اليهود، فأخبرونا إذن، لو لم يأت المسيح كيف يصبحون يهودا؟ (بدر المجلد ١، رقم ٩، عدد: ٢٦/١٢/١٩٠٢م، ص ٦٨)

فقد أنبأ الله تعالى عن المسيح الموعود في سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ثم ذكر في السورة نفسها حزبين، أي المغضوب عليهم والضالين، وأخبر أنه عندما يأتي المسيح الموعود سيكون هناك قوم يعادونه ويحذون حذو اليهود المغضوب عليهم. وقد أشار في ﴿الضَّالِّينَ﴾ إلى أن المسيح سيأتي لقتل الدجال وكسر الصليب، لأن ﴿الضَّالِّينَ﴾ هم "النصارى" و﴿المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم "اليهود" إجماعاً. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٦، عدد: ٣٠/٤/١٩٠٣م، ص ٢)

أتأسف على حالة المسلمين إذ يوجد أمامهم نظير مما حصل باليهود، وإنهم يدعون الله في صلواتهم الخمس كل يوم: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ويقولون بالإجماع إن المراد من ﴿المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، ومع ذلك لا أدري لماذا يحذون حذو اليهود؟ (الحكم، المجلد ٩، رقم ٣٢، عدد: ١٠/٩/١٩٠٥، ص ٨)

إن المسلمين في زمن المسيح المحمدي سيشبهون اليهود في زمن المسيح الناصري في الفساد والضلال، وإلى ذلك حصراً تشير الآية ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فاسألوا المسلمين أنفسهم ماذا ورد عن المسلمين وعلمائهم في الزمن الأخير. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٤١، عدد: ١٤/٧/١٩٠٨، ص ١٢)

كان الحديث يدور حول سورة الفاتحة فقال حضرته عليه السلام: لقد ذكرت فيها ثلاث فئات، الأولى: المنعم عليهم، الثانية: المغضوب عليهم، والثالثة: الضالين. المراد من المغضوب عليهم هم اليهود بالاتفاق، والمراد من الضالين هم النصارى. فمن الواضح أنه لا يعلم والد عاقل أولاده تعليماً لا ينفعهم فكيف نقبل أن الله تعالى أعطى تعليماً عن أمور ما كانت لتحدث؟ كلا، بل الحق أن كل هذه الأمور سوف تحدث حتماً. المراد من المغضوب عليهم هم اليهود. ومن ناحية ثانية قال رسول الله

ﷺ إن بعض أفراد أمتي سيتصفون بصفات اليهود حتى سيحذون حذوهم، حتى إذا أتى يهودي أمه لفعل ذلك هؤلاء أيضا. فاليهود الذين كانوا محط عذاب الله لعنوا على لسان عيسى عليه السلام، فيتبين من ذلك بكل جلاء أن كل هذه الأحداث ستقع في زمن المسيح الموعود. وقد حان ذلك الوقت الآن إذ لم يتأخر هؤلاء القوم في معارضي عن اليهود خطوة واحدة. (الحكم، المجلد ٦ رقم ٢٩، عدد: ١٧/٨/١٩٠٢م، ص ٨)

وقد أشار الله تعالى إلى اليهود الذين كانوا موجودين في زمن عيسى عليه السلام بتعليم دعاء: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وقال بأنه سيكون في هذه الأمة أيضا يهود بصورة بروزية ليؤذوا المسيح الموعود المبعوث فيها بروزا، بل بفرض قراءة سورة الفاتحة في كل صلاة، أكد ﷺ على أن مجيء المسيح الموعود مقدرٌ حتما. كذلك شبه القرآن الكريم الأشرار من هذه الأمة باليهود. وليس ذلك فحسب بل الشخص الذي كان مقدرا له أن يتحلى - بعد تحليه بصفات مريمية - بصفات "عيسى" بنفخ من الله فقط؛ قد سُمِّي "ابن مريم" في سورة التحريم، لأن الله تعالى يقول بأن مريم التي ضُرب بها المثل حين سلكت مسلك التقوى؛ نفخنا فيها روحنا. وفي ذلك إشارة إلى أنه لا خصوصية للمسيح بن مريم في كونه كلمة الله، بل المسيح الأخير أيضا كلمة الله وروح الله معاً، بل سيكون أكمل من الأول في كلتا الصفتين كما هو مفهوم من سورة التحريم وسورة الفاتحة وسورة النور، ومن آية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ (آل عمران: ١١١) (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٤٨٤)

باختصار، إن هذه السلسلة ليست أقل من السلسلة الموسوية بأي وجه. فقد قال رسول الله ﷺ في بيان المماثلة والمشابهة لدرجة أنكم أيضا ستنالون نصيبا من السيئة كما ناله اليهود، وقيل مرارا وتكرارا عن هذه السلسلة أن الله تعالى سيحافظ على عظمتها إلى آخر الأيام. فقد ورد هذا الذكر في سورة الفاتحة أيضا حين قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. المراد من "المغضوب عليهم" هم اليهود.

الجدير بالتأمل هنا هو: كيف صار اليهود مغضوبا عليهم؟ لم يؤمنوا بالأنبياء وأنكروا عيسى عليه السلام، فكان ضروريا أن يأتي على هذه الأمة أيضا زمان مثله وأن يأتي مسيح فينكره الناس لتحقيق المماثلة، وإلا فليخبرنا أحد أنه إن لم يكن من المقدر أن يأتي على الإسلام زمان مماثل فما الفائدة من تعليم دعاء سورة الفاتحة. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٣، عدد: ٢٤/١/١٩٠٣م، ص ٩)

افتحوا كتاب الله، لتروا ما هو قراره. اقرأوا سورته الأولى سورة الفاتحة التي لا تصلح بدونها الصلاة، وانظروا ماذا تعلّمنا؟ يقول الله تعالى فيها: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. والواضح أنه دعاء لاجتناب صراط المغضوب عليهم والضالين. والمراد من ﴿المغضوب عليهم﴾ اليهود ومن ﴿الضالين﴾ النصارى بالاتفاق. فلو لم يكن هناك احتمال لوقوع الفتنة والفساد في هذه الأمة، فلماذا علّمنا هذا الدعاء؟ كانت أكبر الفتن فتنة الدجال، ولكن لم يقل الله تعالى في الفاتحة هنا: "ولا الدّجال". ألم يكن الله يعلم عن هذه الفتنة؟ الحق أن في هذا الدعاء نبوءة عظيمة بأنه سيأتي على هذه الأمة زمان تحذو فيه حذو اليهود. واليهود قوم أنكروا المسيح عليه السلام، فالله تعالى قد أمر هنا المسلمين بأن يدعوا لأن يجتنبوا طريق اليهود، أي قال الله لهم: لا تصيروا أنتم أيضا يهودا، أي لا تنكروا المسيح الموعود. أما الدعاء لاجتناب طريق الضالين، أي طريق النصارى، فيتضح منه أن الفتنة الصليبية ستفاقم جدا عندها، وستكون هذه الفتنة أصل الفتن وأُمّ الفتن كلها، وأن فتنة الدجال لا تكون منفصلة عنها، بل هي هي، إذ لو كانت فتنة الدجال غير الفتنة الصليبية، لذكر اسمها أيضا. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٧، عدد: ٢١/٢/١٩٠٣م، ص ٢)

إن ترجمة القرآن الكريم وحدها لا تفيد ما لم يكن معها تفسير، فمثلا كيف يمكن أن يفهم أحد ما المراد من ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، ما لم يُفصَح له

صراحة أن المراد هم اليهود والنصارى، وأنه لماذا علّم المسلمون هذا الدعاء. ألا إنما القصد من ذلك أنه كما كسب اليهود غضب الله بإنكارهم للمسيح عليه السلام كانت هذه الأمة أيضا ستكتسب غضب الله بإنكارها للمسيح الموعود، ولذلك قد أخبروا سلفا كنبوءة لكي تنجو الأرواح السعيدة من الغضب آنذاك. (بدر، المجلد ٢، رقم ٤١-٤٢، عدد: ٢٩/١٠/١٩٠٣م، ص ٣٢٢)

لقد علّمنا الله تعالى في سورة الفاتحة دعاء ألا تجعلنا يا ربنا من المغضوب عليهم ولا من الضالين. الجدير بالانتباه هنا أن محورهما هو عيسى عليه السلام وحده. المغضوب عليهم قوم بالغوا في عداوة عيسى وإيذائه بكل طريقة ممكنة. أما الضالون فهم الذين غالوا في حبه ونسبوا إليه صفات الألوهية. وقد علّمنا هذا الدعاء لاجتناب حالة كلتا الفتنتين. لو كان الدجال غيرهما لجاء هذا الدعاء على النحو التالي: غير المغضوب عليهم ولا الدجال. هذه نبوءة تحذّر المسلمين قبل الأوان بكلا النوعين من الشر المتعلق بهذا الزمان. إنما مراكز المسيحيين التي تسعى بكل ما في وسعها لمحو الإسلام من على وجه الأرض، وهي مضرّة للإسلام بشدة. (الحكم، المجلد ١٠ رقم ٣٢، عدد: ١٧/٩/١٩٠٦م، ص ٤)

"لا شك أن سيدنا، سيد الأنام وصدر الإسلام، كان مثيل موسى، فاقترض رعاية المقابلة أن يُبعث في آخر زمن الأمة مثيل عيسى. وإليه أشار ربنا في الصحف المطهرة، فإن شتم ففكروا في سورة النور والتحريم والفتحة. هذا ما كتب ربنا الذي لا يبلغ علمه العالمون، فبأي حديث بعده تؤمنون؟" (مواهب الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٧٨-٢٧٩)

كان ضروريا لهذه الأمة لتحقيق المماثلة مع السلسلة الموسوية أن يأتي فيها مسيح. وإضافة إلى ذلك قيل عن هذه الأمة إنها ستحدو في الزمن الأخير حذو اليهود. فالمراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود باتفاق الجميع. فكان من المفروض أن يصبح المسلمون كاليهود حين يأتيهم عيسى وينكروه كما أنكره اليهود. وهذا ما

كان على صعيد الواقع إذ جاء عيسى المنتظر وأنكره. (الحكم، المجلد ٩، رقم ٣٩، عدد: ١٠/١١/١٩٠٥م، ص ٤)

حين تدبرنا قول الله في الفاتحة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ تبين لنا أن القادم يجب أن تكون فيه الصفات من نوعين، أولاً: الصفات العيسوية، والثاني: الصفات الحمديّة، لأن المراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود والمراد من ﴿الضَّالِّينَ﴾ هم النصارى. فحين أثار اليهود الفتن جاء عيسى ﷺ لإصلاحهم، وحين تجاوزت فتنة النصارى حدودها شرف النبي ﷺ العالم ببعثته، وهنا قد جمع الله الفتنين كليهما، اليهود من داخل الأمة والنصارى من الخارج، وهما يتطلبان أن يكون القادم بروراً كاملاً للنبي ﷺ ونقشاً تاماً لعيسى ﷺ. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٨، عدد: ١٧/٥/١٩٠٣م، ص ٢)

يُستنبط من القرآن الكريم أنه سيأتي على الأمة زمانان خطيران جداً؛ الزمن الأول أتى في عهد خلافة أبي بكر ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ، والزمن الثاني هو زمن الفتنة الدجالية الذي كان سيأتي في زمن المسيح، وقد أشير للاستعاذة من هذا الزمن في الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وعن الزمن نفسه جاءت النبوءة في سورة النور بقوله تعالى: ﴿وَلَيَبْدِلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٦). ومعنى هذه الآية مع الآية التي سبقتها هو أن الله تعالى يقول بأنه سيقع بهذا الدين في الزمن الأخير زلزال، وسيُخشى فيه أن يتلاشى هذا الدين من الدنيا كلها؛ عندها سوف يمكّن الله الدين على الأرض كلها من جديد، وسيبدّل الخوف أمناً. (محاضرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٨٧)

المراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم المشايخ لأنهم الهدف الأول في مثل هذه الأمور، أما الناس العاديون من أهل الدنيا فلا علاقة لهم بالدين إلا قليلاً. (بدر، المجلد ٢، رقم ١٧، عدد: ١٥/٥/١٩٠٣م، ١٣١)

اليهود قوم سُمُّوا بأمة موسى، ولكن هؤلاء الأشقياء تصرفوا بالخذلقة والتجاسر وآذوا جميع الأنبياء. من المعروف بوجه عام أن الذي يبلغ في سيئة ذروتها ويشتهر بها تُذكر تلك السيئة مقرونة باسمه. معلوم أن هناك نهابا كثيرين ولكن بعضهم معروفون ببعض خواصهم. فعلى غرار ذلك فقد مضى كثير من المصارعين ولكن اسم "رستم" ذائع الصيت في هذا المجال. ولما كان اليهود أشرارا من الدرجة الأولى وكانوا يتجاسرون مع الأنبياء لذا سُمُّوا المغضوب عليهم مع أن هناك آخرون أيضا هم مغضوب عليهم. (بدر، المجلد ٧، رقم ١، عدد: ١٩٠٨/١/٩م، ص ٧)

"وفي آية: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إشارةٌ وحثٌ على دعاء صحة المعرفة، كأنه يُعلِّمنا ويقول ادعوا الله أن يُريكم صفاته كما هي ويجعلكم من الشاكرين، لأن الأمم الأولى ما ضلوا إلا بعد كوثهم غُمياً في معرفة صفات الله تعالى وإنعاماته ومرضاته، فكانوا يُفانون الأيام فيما يزيد الآثام، فحلَّ غضبُ الله عليهم، فضُربت عليهم الذلة وكانوا من الهالكين. وإليه أشار الله تعالى في قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وسياق كلامه يُعلم أن غضب الله لا يتوجه إلا إلى قوم أنعم الله عليهم من قبل الغضب، فالمراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في الآية قوم عصوا في نعماء وآلاء رزقهم الله خاصة واتبعوا الشهوات، ونسوا المنعم وحقه وكانوا من الكافرين. وأما الضالون فهم قوم أرادوا أن يسلكوا مسلك الصواب، ولكن لم يكن معهم من العلوم الصادقة والمعارف المنيرة الحق، والأدعية العاصمة الموفقة، بل غلبت عليهم خيالات وهمية فركنوا إليها وجهلوا طريقهم، وأخطأوا مشربهم من الحق فضلّوا، وما سرّحوا أفكارهم في مراعي الحق المبين. والعجب من أفكارهم وعقولهم وأنظارهم أنهم جَوَّزوا على الله وعلى خلقه ما يأبى منه الفطرة الصحيحة والإشراقات القلبية، ولم يعلموا أن الشرائع تخدم الطبائع، والطبيب معينٌ للطبيعة لا منازعٌ لها، فيا حسرةً عليهم.. ما ألهاهم عن صراط الصادقين!

وفي هذه السورة يُعَلِّمُ الله تعالى عباده المسلمين.. فكأنه يقول يا عباد.. إنكم رأيتم اليهود والنصارى، فاجتنبوا شَبَةَ أَعْمَالِهِمْ، واعتصموا بحبل الدعاء والاستعانة، ولا تنسوا نعماء الله كاليهود، فيحلّ عليكم غضبه، ولا تتركوا العلوم الصادقة والدعاء، ولا تَهِنُوا مِنْ طلب الهداية كالنصارى فتكونوا من الضالين." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٢٣-١٢٤)

"وجملُهُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة إلى رعاية حسن الآداب، والتأدب مع ربّ الأرباب، فإنّ للدعاء آدابًا، ولا يعرفها إلا من كان تَوَّابًا، ومن لا يُبَالِي الآداب، فيغضب الله عليه إذا أَصْرَّ على الغفلة وما تاب، فلا يرى من دعائه إلا العقوبة والعذاب، فلأجل ذلك قَلَّ الفائزون في الدعاء، وكثر الهالكون لِحُجْبِ الْعُجْبِ والغفلة والرياء. وإن أكثر الناس لا يدعون إلا وهم مشركون، وإلى غير الله متوجهون، بل إلى زيد وبكر ينظرون، فالله لا يقبل دعاء المشركين، ويتركهم في بيدائهم تائهين، وإن حَبَوَ الله قريب من المنكسرين. وليس الداعي الذي ينظر إلى أطراف وأنحاء، ويُتَلَبَّ بكلِّ برق وضياء، ويريد أن يُتْرَعَ كُفُّهُ ولو بوسائل الأصنام، ويعلو كلَّ ربة راغبًا في حَبَوَ، ويبغي معشوق المرام ولو بتوسل اللثام، والفاسقين. بل الداعي الصادق هو الذي يتبتل إلى الله تبتيلًا، ولا يسأل غيره فتيلًا، ويحيي الله كالمنقطعين المستسلمين، ويكون إلى الله سيره، ولا يعبأ بمن هو غيره، ولو كان من الملوك والسلاطين. والذي يكبّ على غيره، ولا يقصد الحق في سيره، فهو ليس من الداعين الموحّدين، بل كزاملة الشياطين، فلا ينظر الله إلى طلاوة كلماته، وينظر إلى خِبْتَةِ تَيَّاتِهِ، وإنما هو عند الله، مع حلاوة لسانه وحسن بيانه، كمثل روثٍ مفضّض، أو كنيفٍ مبيّض، قد آمنت شفتاه وقلبه من الكافرين. فأولئك الذين غضب الله عليهم وهم المرادون من قوله: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. إنهم دُعُوا إلى سُبُلِ الحق فتركوها بعد رؤيتها، وَتَحَيَّرُوا المفسد بعد التنبه على خِبَتَتِهَا، وانطلقوا ذات الشمال وما انطلقوا ذات اليمين، وإنهم ركنوا إلى الميّن وما بقي إلا قَيْدَ رُحْمَيْنِ، وعدموا الحق بعد ما كانوا عارفين.

وأما الضالون الذين أُشير إليهم في قوله **وَعَلَّكَ**: **﴿الضَّالِّينَ﴾** فهم الذين وجدوا طريقاً طامساً في ليل دامس، فزاعوا عن المحجة قبل ظهور الحجة، وقاموا على الباطل غافلين. وما كان مصباح يؤمنهم العثار، أو يبين لهم الآثار، فسقطوا في هوة الضلال غير متعمدين. ولو كانوا من الداعين بدعاء: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**، لحفظهم ربهم ولأراهم الدين القويم، ولنجاهم من سبل الضلالة، ولهداهم إلى طرق الحق والحكمة والعدالة، ليجدوا الصراط غير ملومين. ولكنهم بادروا إلى الأهواء، وما دعوا ربهم للاهتمام، وما كانوا خائفين، بل لوّوا رؤوسهم مستكبرين. وسرّت حمياً العجب فيهم، فرفضوا الحق لهفواتٍ خرجت من فيهم، ولفظتهم تعصباتهم إلى بوادي الهالكين. " (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٣٥-١٣٦)

والمراد من **﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾** أولئك الذين يستعملون قوة غضبهم بما يخالف مرضاة الله، وهكذا ينقادون للقوى السبعية فيهم. والمراد من "الضالين" أولئك الذين يطاوعون القوى البهيمية فيهم. وأما الأمر الوسط فهو الذي ذكره في قوله "أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ". قصارى القول، إن الله قد أمر هذه الأمة المباركة في القرآن المجيد بالوسطية. أما في التوراة فقد ركز الله على أحكام الانتقام، وفي الإنجيل ركز على تعليم العفو والسماح. وأما هذه الأمة فعلمها مراعاة الظروف والوسطية. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٧)

المغضوب يكون مغلوباً بالقوة السبعية، فكان اليهود تحت هذه الصفة ومغلوبين بها، أما المسيحيون فظلوا متأثرين بالأوهام. والمعلوم أن الشرك ينتج عن الأوهام. إن صاحب القوة السبعية يقوم بالإفراط ولا يخاف حيث يجب الخوف، أما المغلوب بالأوهام فيتوهم الحبل ثعباناً ويخافه. لقد انحط المسيحيون لدرجة اتخذوا إنساناً ميتاً إلهاً، أما اليهود فقد أفرطوا لدرجة أنكروه نهائياً. ولقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم ثلاثة أقوام ويّين ثلاثة أنواع للناس. أولاً: المعتدلين أي المنعم عليهم، وصراطهم هو الصراط المستقيم. ثانياً: المفرطين الذين أسماهم المغضوب عليهم. والثالث: المفرطين

أي الضالين. إن كلمة المغضوب عليهم توحى بأن الله لا ينزل غضبه على أحد بل الإنسان هو الذي يجلب لنفسه غضب الله نتيجة أعماله. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٥، عدد: ١٠/٢/١٩٠١م، ص ١٢)

لقد قال الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فلو كان الدجال كيانا غيرهم لقال أيضًا: "ولا الدجال" حتما. لقد اتفق جميع المفسرين في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أن المراد منهم اليهود والنصارى. فلما علم لاجتناب هذه الفتنة دعاء لئلتلى في الصلوات الخمس كل يوم ألا تجمعنا يا ربنا من الضالين ولا من المغضوب عليهم، فتبين من ذلك بصراحة تامة أن هذه هي الفتنة الكبرى والعظمى التي يمكن أن تُسمّى أمّ الفتنة. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٣٩، عدد: ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٢)

المراد من المغضوب عليهم اليهود ومن الضالين النصارى. إن اليهود تمسكوا بظواهر الأمور لدرجة لم يهتموا بالأحكام الباطنية، أما النصارى فقد اعتصموا بالباطن لدرجة لم يعيروا أدنى اهتمام للأوامر الظاهرية، واعتبروا أحكام الله التي كانت كسراج لإراءة الحق لغوا ونبذوها واستنبطوا منها معنى باطنيا وزعموا أنها تحققت كلها في شخص المسيح فضلّوا ووقعوا في الإفراط والتفريط، ولكن القرآن الكريم يقيم كِلَي الحزبين على الاعتدال. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٣، عدد: ٢٤/١/١٩٠٣م، ص ٤)

لقد أطلق اسم "المغضوب عليهم" في كلام الله على اليهود الذين تمسكوا بظواهر الأمور وأنكروا الباطن. أما "الضالين" فهو اسم النصارى الذين أنكروا الظاهر وضلوا لأن الظاهر نموذج وسراج للباطن. والذي ينبذ النموذج يضلّ. فقد أشار الله تعالى في سورة الفاتحة إلى الإفراط والتفريط لهاتين الفتنتين إذ قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الحكم، المجلد ٧، رقم ٣، عدد: ٢٤/١/١٩٠٣م، ص ٤)

لقد تبين نتيجة التدبر المتكرر في سورة الفاتحة أن المفسرين أيضا متفقون على أن المراد من المغضوب عليهم هم علماء اليهود والمراد من الضالين هم علماء النصارى. وفي ذكرهما معا إشارة صريحة إلى أن هناك شخصا سيُبعث كالبروز.

المغضوب عليهم هم الذين تمردوا على المسيح والضالون هم الذين تمردوا على سيدنا محمد ﷺ لذا فإن القادم سينصبغ بكلتي الصبغتين. فلما علّمت الأمة المحمدية هذا الدعاء تبين من ذلك أن هذا الحادث واقع، وقد جُمع الأمران في مكان واحد لأن القادم سيتحلى بكلتي الصبغتين. (بدر، المجلد ٢، رقم ١٧، عدد: ١٥/٥/١٩٠٣م، ص ١٣١)

إن مثل البروز كمثّل انعكاس صورة الإنسان في المرآة رغم استقلالها. سرُّ البروز يكمن في سورة الفاتحة نفسها؛ إذ ورد فيها: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وقد أجمع المفسرون على أن المراد من المغضوب عليهم هم اليهود والمراد من الضالين هم النصارى. (بدر، المجلد ٢، رقم ٣٣، عدد: ٤/٩/١٩٠٣م، ص ٣٥٨)

لقد ذُكر الحسن والإحسان أولاً في سورة الفاتحة. وإن لم يتوجه الإنسان إليه نتيجة الحسن والإحسان فالخيار الثالث هو الغضب. لذلك أُنذر الله بالقول: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ولكن المبارك هو الذي يستفيد من حسنه وإحسانه ويتّبع أحكامه، فيقترب الله منه ويجيب أَدْعِيَتِهِ. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٢، عدد: ٣١/٣/١٩٠٣م، ص ٣)

لقد قال المفسرون إن المراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود ولكن الحق أن كل من يعمل سوءاً يؤاخذ ويواجه غضب الله، وهذا ليس خاصاً باليهود فقط. (بدر، المجلد ٧، رقم ١، عدد: ٩/١/١٩٠٨م، ص ٧)

الجماعة الكبيرة من الأبرار والأخيار التي لم تتلطخ من المذاهب السيئة اثنتان فقط؛ جماعة الأولين.. أي جماعة الصحابة الذين تلقوا التربية من النبي ﷺ، وجماعة الآخرين الذين بسبب التربية الروحانية للنبي ﷺ يُعَدُّون على سيرة الصحابة، كما يُفهم من آية: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾. فهاتان الجماعتان حصراً من المنعم عليهم في الإسلام على وجه حقيقي، وإن إنعام الله عليهم يتمثل في أن الله خلّصهم من

أنواع الأخطاء والبدع المتنوعة وطهَّره من كل أنواع الشرك، ووهب لهم التوحيد الخالص والنيّر، فلا يُحسبُ الدجال إلها، ولا ابن مريم شريكا في الصفات الإلهية، وقوَّى إيمان هذه الجماعة من خلال آياته وجعلها بيده جماعة طيبة. إن الذين يتلقون الإلهام الإلهي منهم والمنجذبين بجذب إلهي خاص، فهم على سيرة الأنبياء، أما الذين يُبدون الصدق والإخلاص منهم بأعمالهم ويعبدون الله لحبهم الذاتي له لا طمعاً في أي مصلحة، فهم على سيرة الصّديقين. أما الذين يتحملون الأذى أملاً في الحصول على نعماء الآخرة ويغامرون بأرواحهم نتيجة مشاهدتهم يوم الدين بعين القلب، فهم على شاكلة الشهداء، والذين يجتنبون منهم كل أنواع الفساد فهم بمنزلة الصلحاء، وهذا هو الهدف المتوخى للمسلم الصادق، أن يطلب هذه الدرجات وأن لا يتوانى في التحري ولا يتكاسل ما لم يحصل عليها. أما الجماعتان اللتان ذُكرتا مقابل هؤلاء فهم المغضوب عليهم والضالون. وعُلمنا في الفاتحة نفسها أن ندعو الله أن يحمينا من أن نكون منهم، وهذا الدعاء عندما يردّد كاملاً.. أي حين يقال: ربَّنَا اجعلنا من "الذين أنعمت عليهم" واجنُبنا أن نكون من "المغضوب عليهم والضالين"، يتبين بجلاء أن في علم الله هناك فريقاً من المنعم عليهم معاصراً للمغضوب عليهم والضالين. ثم لما كان المراد من المغضوب عليهم في هذه السورة يقينا من سوف ينكرون المسيح الموعود ويكفّرونه ويكذبونه ويسئئون إليه، فلا شك أن المراد من المنعم عليهم بمحاذاتهم من يؤمنون بالمسيح الموعود بصدق القلب ويعظّمونه من صميم القوِّاد، وهم من أنصاره ويشهدون على صدقه أمام العالم. أما الضالون فالمراد منهم النصارى، كما بيّنا سابقاً بشهادة النبي ﷺ^١ وجميع أكابر

^١ لقد أورد البيهقي في "شعب الإيمان" رواية عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال إن المراد من المغضوب عليهم في الفاتحة هم اليهود، ومن الضالين النصارى. (الدر المنثور) وأخرج عبد الرزاق وأحمد في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير والبغوي في معجم الصحابة وابن المنذر وأبو الشيخ عن عبد الله بن شقيق قال: أخبرني من سمع النبي ﷺ وهو بوادي القرى على فرس له، وسأله

الإسلام. والدعاء بالألا نكون منهم يتصبغ بصبغة النبوة، لأننا قد كتبنا سلفاً أن في زمن النبي ﷺ لم يكن للنصارى أي شأن يذكر، بل كانت سلطنة الفرس قوية وذات شوكة، وكانت البوذية من بين الأديان من حيث عدد الأتباع متفوقة على جميع الأديان، كما كان دين المجوس أيضاً قويا ومتحمسا، وكان الهندوس أيضاً بالإضافة إلى اتحادهم القومي حائزين على شوكة وسلطنة وكثرة عددية، والصينيون أيضاً كانوا أقويا جداً. فهنا ينشأ السؤال بالطبع: لماذا لم يعلمنا الله دعاءً لاتقاء شر جميع هذه الأديان القديمة التي كانت لها سلطة قديمة وقوية، وكانت أوضاعها متقدمة جداً من حيث الاتحاد القومي والثروة والقدرة والقِدم والأسباب الأخرى؟ ولماذا علمنا الدعاء لاجتناب فتنة الأمة المسيحية التي كانت ضعيفة نسبياً؟ فإنما جواب ذلك الذي يجب أن يُذكر جيداً، أنه كان مقدراً في علم الله أن هذه الأمة ستظل تتقدم يوماً بعد يوم، حتى تنتشر في العالم كله وستبذل جميع الوسائل الممكنة لأن يعتقد الناس دينها. سواء بالعلوم أو بالإغراء بالأموال وبالأخلاق والكلام المعسول، وببريق الثروة والشوكة وبشهوات النفس والإباحة والتحرر. وسيستنزفون الجهود، سواء بإثارة الاعتراضات والطعن أو كفالة المرضى والفقراء والمساكين والأيتام، ليدخلوا في دينهم أي سفيه شقي أو طماع أو شهواني أو طالب جاه أو عديم حيلة أو مسكين أو يتيم أبوين بالسيطرة عليه. باختصار؛ كانت للإسلام فتنة عظيمة لم تسبق لعين الإسلام رؤية نظيرها، وكان الإسلام عرضة لابتلاء عظيم يُخشى منه هلاك مئات الألوف من الناس. لهذا قد علمنا الله في سورة الفاتحة التي افتتح بها القرآن الكريم دعاءً لاجتناب هذه الفتنة المهلكة، وليكن معلوماً أن هذه نبوءة عظيمة في القرآن الكريم لا تماثلها نبوءة أخرى درجةً. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٢٧-٢٣٠)

رجل من بني العين فقال: مَنْ المغضوب عليهم يا رسول الله؟ قال: اليهود قال: فمن الضالون؟ قال: النصارى. الدر المنثور ص ١٧. منه

"الفاتحة" تفتح عليكم باب الهدى، فإن الله بدأ فيها من المبدأ، وجعل آخر الأزمنة زمن الضالين، وإنهم هم النصارى، كما جاء من نبينا المجتبى. فأين فيها ذكر دجالكم؟ فأرونا من القرآن." (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ١١٥)

"وهذا المقام ليس كمقام تمرّ عليه كغافلين، بل هو المنبع للحقيقة المخفية التي سُميت النصارى لها "الضالين". ولقد سمّاهم الله بهذا الاسم في سورة الفاتحة، ليشير إلى هذه الضلالة، وليشير إلى أن عقيدة حياة المسيح أمّ ضلالاتهم كمثل أم الكتاب من الصحف المطهرة. فإنهم لو لم يرفعوه إلى السماء بجسمه العنصري لما جعلوه من الآلهة، وما كان لهم أن يرجعوا إلى التوحيد من غير أن يرجعوا من هذه العقيدة، فكشف الله هذه العقدة رُحماً على هذه الأمة، وأثبت بثبوت بين واضح أن عيسى ما صُلب، وما رُفِع إلى السماء، وما كان رفعه أمراً جديداً مخصوصاً به، بل كان رفع الروح فقط كمثل رفع إخوانه من الأنبياء." (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٦٢)

يَعْلَم القرآن الكريم المسلمين في سورة الفاتحة أن يستعينوا بالله من فتنة المسيحية كما استنبط جميع المفسرين المعنى نفسه من جملة: "الضالين". (تتمه حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٩٧)

لقد سمّى الله تعالى اليهود "الضالين" في سورة الفاتحة وفي ذلك إشارة إلى أنه صحيح أن الضلال موجود في مئات الفرق الموجودة في العالم ولكن ضلال المسيحيين سيبلغ كماله وكأنها هي الفرقة الضالة الوحيدة. (تتمه حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٠٠)

"اعلم، أَسْعَدَكَ الله، أنّ الله قسم اليهود والنصارى في هذه السورة على ثلاثة أقسام، فَرَعَبْنَا في قسمٍ منهم وبَشَّرَ به بفضل وإكرام، وَعَلَّمْنَا دعاءً لنكون كمثل تلك الكرام، من الأنبياء والرسل العظام. وبقي القسمان الآخران، وهما المغضوب عليهم من اليهود والضالون من أهل الصلبان، فأمرنا أن نعوذ به من أن نلحق بهم من الشقاوة

والطغيان. فظهر من هذه السورة أنّ أمرنا قد ترك بين خوفٍ ورجاء، ونعمةٍ وبلاء، إمّا مشابهةً بالأنبياء، وإمّا شربٌ من كأس الأشقياء. فاتقوا الله الذي عظم وعيده، وجلّت مواعيده. ومن لم يكن على هدى الأنبياء من فضل الله الودود، فقد خيف عليه أن يكون كالنصارى أو اليهود. فاشتدّت الحاجة إلى نموذج النبيين والمرسلين، ليدفع نوزهم ظلمات المغضوب عليهم وشبهات الضالين. ولذلك وجب ظهور المسيح الموعود في هذا الزمان من هذه الأمة، لأنّ الضالّين قد كثروا فاقترضت المسيح ضرورةً المقابلة. وإنكم ترون أفواجًا من القسيسين الذين هم الضالّون، فأين المسيح الذي يدبّهم إن كنتم تعلمون؟ أما ظهر أثر الدعاء، أو تركتم في الليلة الليلاء؟ أم علّمتهم دعاء ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾، ليزيد الحسرة وتكونوا كالحرومين؟ فالحق والحق أقول، إن الله ما قسم الفرق على ثلاثة أقسام في هذه السورة، إلا بعد أن أعدّ كلّ نموذج منهم في هذه الأمة. وإنكم ترون كثرة المغضوب عليهم وكثرة الضالين، فأين الذي جاء على نموذج النبيين والمرسلين من السابقين؟ ما لكم لا تفكّرون في هذا وتمّرون غافلين؟

ثم اعلم أن هذه السورة قد أخبرت عن المبدأ والمعاد، وأشارت إلى قوم هم آخر الأقبام ومنتهى الفساد، فإنها اختتمت على الضالّين، وفيه إشارة للمتدبّرين. فإن الله ذكر هاتين الفرقتين في آخر السورة، وما ذكر الدجال المعهود تصريحًا ولا بالإشارة، مع أن المقام كان يقتضي ذكر الدجال، فإن السورة أشارت في قولها ﴿الضَّالِّينَ﴾ إلى آخر الفتن وأكبر الأهوال، فلو كانت فتنة الدجال في علم الله أكبر من هذه الفتنة، لختّم السورة عليها لا على هذه الفرقة. ففكّروا في أنفسكم.. أنسي أصل الأمر ربّنا ذو الجلال، وذكر الضالّين في مقام كان واجبًا فيه ذكر الدجال؟ وإن كان الأمر كما هو زعم الجهّال، لقال الله في هذا المقام: غير المغضوب عليهم ولا الدجال. وأنت تعلم أن الله أراد في هذه السورة أن يبحث الأمة على طرق النبيين، ويحدّثهم من طرق الكفرة الفجرة، فذكر قومًا أكمل لهم عطاءه، وأتمّ نعماءه، ووعد أنه باعث من هذه الأمة من هو يشابه النبيين، ويضاهي المرسلين. ثم ذكر قومًا آخر تركوا في الظلمات،

وجعل فتنّهم آخرَ الفتن وأعظمَ الآفات، وأمر أن يعوذ الناسُ كلُّهم به من هذه الفتن إلى يوم القيامة، ويتضرّعوا لدفعِها في الصلوات في أوقاتها الخمسة. وما أشار في هذا إلى الدجال وفتنته العظيمة، فأَيُّ دليل أكبر من هذا على إبطال هذه العقيدة؟

ثم من مؤيّدات هذا البرهان، أن الله ذكر النصارى في آخر القرآن كما ذكر في أوّل الفرقان، ففكّر في: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وفي: ﴿الْأَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، وما هم إلا النصارى فعُدّ من علمائهم ربّ الناس. وإن الله كما ختم الفاتحة على الضالين، كذلك ختم القرآن على النصرانيين، وإن الضالين هم النصارى كما رُوي عن نبيّنا في الدر المنثور، وفي فتح الباري فلا تُعرض عن القول الثابت المشهور، ومُسلّم الجمهور. (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية المجلد ١٨، ص ١٩٠ - ١٩٥)

فليخبرونا أين أنبئ عن هؤلاء القوم الذين فتنّهم أكبر من فتنة الدجال؟ ولذلك لم يذكر القرآن الكريم اسم الدجال بل قال ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، والمراد منه قوم النصارى حصراً. فلماذا لم يقل ﷺ "ولا الدجال"؟ فالواقع أنهم قومٌ قد حذّر منهم جميع الأنبياء أممهم. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٣، عدد: ١٠/٤/١٩٠٣م، ص ١٣)

فالدجال الذي ورد ذكره في الأحاديث ليس إلا شيطانا سيُقتل في الزمن الأخير، وهذا ما قاله النبي دانيال كما تبينه بعض الأحاديث أيضاً. ولما كانت النصرانية هي المظهر الأتم للشيطان، لذا لم يرد في سورة الفاتحة ذكر الدجال قط وإنما ورد أمر الاستعاذة بالله من شر النصارى. فلو كان الدجال مفسداً وهو غيرهم لقال الله تعالى في فاتحة القرآن الكريم: "ولا الدجال" بدلا من: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤١)

إن هذا الشيطان^١ يُسمى غول النصرانية بكلمات أخرى. وهذا الشبح كان أسيراً في الكنيسة في زمن النبي ﷺ وكان يطلع على الأخبار عن الإسلام بواسطة "جساسة" فقط. ثم بعد القرون الثلاثة تحرر هذا الشبح بحسب نبوءات الأنبياء وظل

^١ أي الدجال. (الناشر)

يزداد قوة يوماً بعد يوم حتى خرج بكل قوة في القرن الثالث عشر من الهجرة. وهذا الشبح سُمِّي دجالاً، فليفهم من كان من الفاهمين. وهذا هو الشبح الذي حذر الله منه في نهاية سورة الفاتحة في الدعاء: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٥، الحاشية)

أين الدجال الذي تُرهبون به؟ أمّا الدجال المذكور في: ﴿الضالين﴾ فيحزر التقدم في الدنيا يوماً إثر يوم، وتكاد السماء والأرض يتفطران من فتنته. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٩)

لقد علّمنا الله تعالى في سورة الفاتحة أن الدجال الذي جاء التحذير عنه إنما هم القساوسة الضالون في الزمن الأخير الذين تركوا منهج عيسى عليه السلام، لأن الله تعالى قد علّمنا في الفاتحة أن ندعو الله تعالى ألا نكون مثل اليهود الذين نزل عليهم غضبه بسبب عصيانهم وعداوتهم لعيسى عليه السلام، ولا نكون مثل النصارى الذين اتخذوا عيسى عليه السلام إلهاً نابذين تعليمه وراء ظهورهم، واختاروا كذباً ما هو أكبر وأسوأ من كافة أنواع الكذب على الإطلاق، وتجاوزوا كل الحدود في الافتراء والمكائد تأييداً له، لذا سُمُّوا في السماء "الدجال". لو كان هناك دجال آخر لكانت الاستعاذة منه ضرورية في الآية المذكورة. أي كان لزوماً أن ترد في سورة الفاتحة كلمات: "ولا الدجال" بدلاً من ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وهذا هو المعنى الذي كشفه الدهر لأنه قد وجّه الأنظار إلى الفتنة الأخيرة التي جاء التحذير منها، ألا وهي فتنة الغلو في التشليث. (حقيقة الوحي الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٢٣، الحاشية)

لقد نسب هؤلاء المشايخ نصف الألوهية إلى المسيح، كما يعتقدون أن الدجال سيُحيي الأموات، وسيأتي بعجائب الأفعال. وأسفاً عليهم، فإن القرآن الكريم قتل كلّ الآلهة الباطلة التي تُعزى إليها صفات الألوهية بضربة سيف "لا إله إلا الله"، فمن أين جاء هذا الدجال الغريب؟ لقد علّمنا في سورة الفاتحة دعاءً بأن لا نكون

كاليهود والنصارى، فهلا ذكر الله فيها الدجال الذي فتنته هائلة لهذه الدرجة؟
(الحكم، المجلد ٥، رقم ٣، عدد: ٢٤/١/١٩٠١م، ص ٥)

حين قلت الضالين فالمراد منه المسيحيون والقسوس وليس الإنجليز. لأن معظم الإنجليز لا يقرأون الإنجيل ولو مرة واحدة طول الحياة، فالإسلام صدمة كبيرة لهؤلاء القساوسة، لأنهم يعرفون أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يقدرّون على أن يغلبوه.....

حين ذكرت الضالين فإنما المراد منهم القساوسة فقط الذين لم يضلوا بأنفسهم فحسب، بل يستنزفون الجهود في إضلال الآخرين أيضًا. وأما ما ورد في الأحاديث ذكر الدجال فإنما المراد منه الضالين حصراً، لأنه إن لم تفسر كلمة الدجال بالضالين فلا بد من التسليم بأن الله ذكر الضالين في القرآن الكريم بل قد علّمنا الدعاء لنُعصم من فتنهم العظيمة ولكنه لم يذكر الدجال مطلقاً، مع أنه فتنة عظيمة كان سيضل بها الملايين من البشر.

باختصار، إنما القول الحق إن الدجال والضالين اسمان لفئة واحدة وهم يُضلّون الناس، ونشاطهم في هذا الزمن الأخير على أوجه، وهم يسعون لإضلال الناس باستخدام كافة أنواع المكر والخداع، فلما كان الدجال يعني المضل أيضاً، فلذا استخدمت هذه الكلمة في الأحاديث بدلا من الضالين.

ولورود كلمة الدجال في الأحاديث بدلا من الضالين سبب آخر وهو أن الله ﷻ كان يعلم أن الناس سوف يخترعون من عندهم الدجال، وينسبون إليه أعجب الأفكار؛ منها أنه ستكون الجنة في إحدى يديه وفي الأخرى النار، وسوف يدّعي الألوهية والنبوة أيضاً، وسيكون مكتوباً على جبينه "كافر"، وسيكون له حمائر تكون المسافة كذا بين أذنيه، وستكون له صفات معينة. لذا يقول الله ﷻ: إن فئة الدجال هي الضالين حصراً، الذين يتجولون لإضلال الناس بطرق مختلفة، وإعطاء الوعود الكبيرة، ويحرفون ويبدّلون كتب الله ويجعلون الناس مُعرضين عن أوامر الله تماماً، حتى

إنهم يخللون شيئا خبيثًا كالخنزير، مع أنه قد حُرِّم في التوراة بصفة خاصة. كما قد قال المسيح عليه السلام أيضًا لا تُلْقُوا الدرر أمام الخنازير.

ومثل ذلك قد أعدُّوا ميدانا واسعا لارتكاب الذنوب باختراع مسألة خبيثة كالكفارة، فمهما كان الإنسان قد ارتكب الكبائر من الذنوب، فهي تُغسل كلها بإيمانه بأن يسوع إله أو ابن إله، وينجو الإنسان. أخبروني الآن ألا تفهمون صراحة أن هذه الفئة المضلة نفسها التي دُعيت في الأحاديث باسم الدجال وسميت في القرآن الكريم بالضالين. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٣، عدد: ١٠/١/١٩٠٨ م، ص ٢) ذكر القرآن الكريم ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿الضَّالِّينَ﴾ في بدايته وفي آخره أيضا كما تدل عليه صراحة آية ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وورد هذا الاهتمام الإضافي من أجل التأكيد، لكي لا تبقى نبوءة ظهور المسيح الموعود وغلبة النصراري نظريةً فحسب، بل تتألق كالشمس. (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٢٢)

طُرح اعتراض أن سلسلة الأنبياء قد انقطعت الآن فلماذا نُجْعَل مغضوبا عليهم. فجوابه أن الله تعالى كان يعلم أن الكثيرين من هذا القوم أيضا سيحذون حذو اليهود. كان اليهود يريدون أن يصلبوا عيسى كذلك جاء في الحديث الصحيح أن اليهود الحاليين أيضا سيحذون حذو أولئك اليهود ويكذبون الذي يأتي من الله تعالى ويعدّون نسج المكائد لقتله مدعاة للثواب. إن كلام الله ليس بلا معنى. هل الأيام الراهنة أيام العذاب أم لا؟ إني صابر منذ ٢٥ عاما. أما هؤلاء القوم فلم يدخروا جهدا. لقد قرأت في فتاوى تكفيرهم أن كفر هذا الشخص أشد من كفر اليهود والنصارى. من الغريب حقا أن الذين ينطقون بالشهادتين ويصلون مستقبلين القبلة ويذكرون النبي ﷺ بكل احترام وتعظيم وجاهزون لتقديم التضحية بأرواحهم في سبيله أسوأ عندهم من الذين يسبون ﷺ ليل نهار! لا يمكن لأحد أن يلصق مثل هذه التهمة إلا الذي سُلِب إيمانه. ولكنهم أناس تلاشى منهم النبل والنباهة أيضا دع

عنك الإيمان. والله تعالى كان يعلم جيدا أنه ستكون هناك فرقة تعدّ تكفير المسيح جزءا من إيمانهم لذا علّم الله تعالى دعاء لاجتناب هذا الصراط. (بدر، المجلد ٧، رقم ١، عدد: ١٩٠٨/١/٩م، ص ٧)

"ولا الضالين"، أي أنقذنا من صراط الذين تركوا الصراط السوي، الصراط الذي علّموه في الإنجيل أن آمنوا بالله واحدا ولكنهم نبذوا هذا التعليم نهائيا. لقد قيل لهم بأن الله إله واحد وهو إله عيسى عليه السلام أيضا ولكنهم يؤمنون بعيسى إلهاء، وأنه هو مالك يوم الدين. (بدر، المجلد ٧، رقم ١، عدد: ١٩٠٨/١/٩م، ص ٧)

لا تظنوا أن المغضوب عليهم كلمة قاسية، و"الضالين" لينة. الأمر ليس كذلك بل الحق أن ذنب اليهود كان أخف نسبيا من هؤلاء الضالين، إذ كانوا متمسكين بالتوراة. سألت مرة يهوديا عن دينه فقال بأننا نعتقد بالله بمثل ما هو مذكور في القرآن الكريم ولم نتخذ إنسانا إلهاء إلى الآن. فمن هذا المنطلق إنهم أفضل من الضالين غير أنهم يسبقونهم في الوقاحة والخذلقة. لذا فقد عوقبوا في الدنيا وورد ذكرهم أولا. فمثلا إذا عُرضت على حاكم قضية وكان في ذهنه أن يغرم المجرم غرامة خفيفة أو يسجنه لمدة وجيزة فإنه يُصدر الحكم في حقه أما إذا كان يستحق عقوبة تفوق صلاحيته فإنه يحوّل القضية إلى محكمة أخرى. كانت أعمال اليهود من نوع بحيث أن المعاقبة عليها في الدنيا ممكنة. أما الضالون فكان ذنبهم أكبر من اليهود إذ ألّٰهوا مخلوقا لذا سينالون العقوبة في العالم الآخر لأنهم مرتكبون ذنبا يقول الله تعالى فيه: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (مريم: ٩١-٩٢). ولكن لم يقل الله ذلك عن اليهود إذ كان ذنبهم أخف فعاقبهم في هذه الدنيا، أما الضالون فعقوبتهم أشد. لا شك أنه يكون هناك تفاوت في العقوبات حتما، فمثلا إذا كان هناك سارق بسيط فتكون عقوبته أخف ولكن إذا كان لصا متعودا ورئيس اللصوص فإن عقوبته تكون مختلفة. لقد نشر القساوسة هذا المعتقد الباطل لدرجة تُنشر أحيانا خمسون ألف نسخة من كل جريدة تأييدا

لهذا المذهب الذي يخالف الحق تماما ومضر له من كل الجوانب. (بدر، المجلد ٧، رقم ١، عدد: ١٩٠٨/١/٩م، ص ٧-٨)

سورة الفاتحة التي يتلوها في كل ركعة من كل صلاة. لقد تحدثت هذه السورة عن ثلاث فئات من الأولين؛ إحداها فئة "أنعمت عليهم"، والثانية "المغضوب عليهم"، والثالثة "الضالين".

وليس المراد من المغضوب عليهم أن الغضب سيحل بهم يوم القيامة فقط، لأن الذين يهيجون كتاب الله ويخالفون أوامر الله سيحلّ بهم الغضب جميعا.

والمراد من "المغضوب عليهم" هم اليهود بالإجماع، ومن "الضالين" النصارى. وقد اتضح من هذا أنه دعاء للحاق بفئة المنعم عليهم ولاجتناب الفئتين الآخرين. وقد جرت سنة الله منذ فجر سلسلة النبوة، كقانون عام أنه عندما يأمر قومًا بشيء أو ينهى عن شيء، فإن بعضهم سيعمل به وبعضهم يخالفه حتما. فلا بد أن يكون البعض من هذه الأمة من المنعم عليهم، والبعض من المغضوب عليهم، والبعض الآخر من الضالين. ويعلن عصرنا هذا بأعلى صوته أن الأمر الأخير من هذه الأمور الثلاثة المذكورة هنا في سورة الفاتحة قد أخذ يتحقق. خذوا أولاً فئة النصارى المذكورة في آخر هذا الترتيب، فترون كم من بشر انضموا إلى هذه الفئة، حتى قال أحد الأساقفة في خطابه إن مليونين من المسلمين قد ارتدوا عن الإسلام وتنصروا. لقد خرجت هذه الفئة بشدة وقوة وقد استخدمت لإضلال الناس من الأساليب ما يؤكد أنه ليست هناك فتنة هي أكبر من هذه. فثبت أن واحداً من هذه الأمور الثلاثة قد تحقق.

أما الفئة الأخرى، أعني المغضوب عليهم، فأرى أنه قد حان وجودها في هذه الأمة، بل قد وجدت في الواقع. كان غضب الله اشتعل على اليهود في الدنيا، وأهلكهم الطاعون، وترون الطاعون الآن أيضا يتفشى على نطاق واسع نتيجة سوء أعمال الناس وفسقهم وفجورهم، والذين يُدعون علماء ومشايخ لا يتورعون من كتمان الحق.

وبعد تحقق هذين الأمرين، قد صار الأمر الثالث واضحاً جلياً. والقاعدة أن الإنسان إذا علم ثلاثة أمور من أربعة اكتشف الرابع أيضاً، وتوقع تحققه. فبعد أن انضم مئات الآلاف من المسلمين إلى النصارى، كما يدخلون في زمرة المغضوب عليهم أيضاً باستمرار نتيجة سوء أعمالهم، فيريد الله الآن إراءة نموذج فئة المنعم عليهم أيضاً.

كان في سورة الفاتحة دعاء، وكان في سورة النور وعد، فتبين من هنا بجلاء أن الدعاء قد استُجيب في سورة النور.

باختصار، إن الفئة الثالثة هي فئة المنعم عليهم، ونرجو الله تعالى أنه سيظهرها بجلاء تام. هذا فعل الله الذي سيتم حتماً، ولكن الله تعالى يريد أن يُشرك الناس في الأجر ليثبتوا استحقاقهم للجنة، كما حدث في زمن رسول الله ﷺ. كان الله تعالى قادراً على أن يكتب لرسوله ﷺ انتصارات عظيمة بدون نصرة الصحابة، ولكنه لم يفعل ذلك، بل أشركهم فيها ليكونوا من المقبولين عند الله تعالى. ووفقاً لسنة الله المستمرة هذه قد اضطررنا لرهق جماعتنا أيضاً مرة بعد أخرى، ونسألهم التبرعات.

(الحكم، المجلد ٥، رقم ١٤، عدد: ١٧/٤/١٩٠١ م، ص ٦-٧)

عَلِّمْنَا فِي الْفَاتِحَةِ ثَلَاثَ أَدْعِيَةٍ:

(١) أحدها أن يُيقِنَا الله تعالى في جماعة الصحابة ويُدخلنا في جماعة المسيح الموعود التي قال الله عنها ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤). باختصار؛ هاتان الجماعتان في الإسلام من "المنعم عليهم"، وإليهما أشير في ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. فاقروا القرآن الكريم كله فلن تجدوا غير هاتين الجماعتين، إحداهما جماعة الصحابة رضي الله عنهم، والثانية جماعة ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ التي على سيرة الصحابة، وهي جماعة المسيح الموعود. فإذا قرأتم في الصلاة أو خارجها دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، فضعوا في البال دوماً أنكم تطلبون من الله صراط الصحابة وجماعة المسيح الموعود، فهذا أول دعاء لسورة الفاتحة.

(٢) والدعاء الثاني هو ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ والمراد منه أناس يؤذون المسيح الموعود، وبمحاذاة هذا الدعاء هناك سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد: ٢) في أواخر القرآن الكريم.

(٣) والدعاء الثالث هو ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وبمحاذاته هناك سورة الإخلاص في أواخر القرآن الكريم، أي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وبعدها سورتان أخريان؛ أي سورة الفلق وسورة الناس. وكلتا هاتين السورتين بمنزلة الشرح لسورة المسد وسورة الإخلاص. وفي هاتين السورتين استُعِيدَ بالله من الزمن الحالك الذي سوف يؤذي الناس فيه مسيح الله حين يكون ضلال المسيحية منتشرا في العالم، فتعليم هذه الأدعية الثلاثة في سورة الفاتحة بمنزلة براعة الاستهلال، أي إن الغاية المهمة التي ذُكرت في القرآن الكريم بالتفصيل قد ورد ذكرها الإجمالي في الفاتحة. ثم في سورة المسد وسورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس، استُعِيدَ بالله من هاتين الآفتين حصرا عند ختم القرآن الكريم. فكان افتتاح كتاب الله أيضا بهذين الدعائين، وكان اختتامه أيضا على هذين الدعائين. وليكن معلوما أن هاتين الفتنتين المذكورتان في القرآن الكريم تفصيلا، وفي سورة الفاتحة والسور الأخيرة إجمالا، فقد فُهِمَ مثلا في دعاء سورة الفاتحة بكلمتي: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقط، أن نواظب على الدعاء لاتقاء فتنة المسيحية. مما يُفهم أن فتنة عظيمة قادمة، وقد صدر هذا الاهتمام لمقاومتها؛ بحيث فُرضت قراءة هذا الدعاء في الصلوات الخمس، وأُكِّدَ على ذلك لدرجة أنه ذُكر أنَّ الصلاة لا تصح من دونه، كما يتبين من حديث "لا صلاة إلا بالفاتحة". فالواضح أن في العالم آلاف الأديان مثل الزرداشتية المجوس والبراهمة أي الهندوسية والبوذية، التي تحتل جزءا كبيرا من العالم، والديانة الصينية التي يقدر عدد أتباعها بعشرات الملايين، وكذلك جميع الوثنيين الذين يفوق عددهم أتباع جميع الأديان، وكل هذه الأديان كانت منتشرة في زمن النبي ﷺ بمنتهى الحماس والقوة، وكان الدين المسيحي مقابلها كالعود مقابل

الجل. فلاي سبب لم يعلم الدعاء في الفاتحة أن يحمينا الله من ضلال الدين الصيني أو أن يُعيدنا من ضلالات المجوس أو ضلالات البوذية أو ضلالات الآريا أو ضلالات الوثنيين الآخرين، بل قد علّمنا أن ندعو الله تعالى أن يحمينا من ضلالات الدين المسيحي، فما السر في ذلك؟ وأي فتنة عظيمة كانت ستظهر في الدين المسيحي مستقبلاً إذ قد أمر جميع المسلمين في العالم - نظراً إليها - بالدعاء ليسلموا منها؟ فافهموا وتذكروا أن تعليم هذا الدعاء صدر بحسب العلم الإلهي عن الزمن الأخير، فكان ﷺ يعلم أن كل هذه الأديان للوثنيين وأهل الصين والمجوس والهندوس وغيرها ستتردى ولن يُبقي لها أتباعها أي حماس يعرّض الإسلام للخطر. أما المسيحية فيأتي زمنٌ يصدر فيه الحماس العظيم لتأييدها، حيث تُبذل الجهود لتفقدُها بإنفاق عشرات الملايين من الروبيات ويُتخذ كل تدبير وحيلة ومكر لازدهارها، وسيتمنى أصحابها أن يكون العالم كله عابِدَ المسيح، فستكون تلك الأيام عصيبة على الإسلام وجالبة الابتلاء العظيم، فالزمن الذي تعيشونه اليوم هو زمن الفتن نفسها. لقد تحققت في زمنكم وفي بلدكم النبوءة التي صدرت في الفاتحة قبل ثلاثة عشر قرناً، وثبت أن الشرق نفسه كان مهد هذه الفتنة.

وكما ذُكرت هذه الفتنة في بداية القرآن الكريم فقد ذُكرت في نهاية القرآن الكريم أيضاً، لكي يترسخ هذا الأمر في القلوب مؤكداً. (التحفة الغولوية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢١٧ - ٢٢٠)

إن سورة الفاتحة ليست مجرد تعليم فحسب، بل تتضمن أيضاً نبوءةً عظيمة بياها أن الله تعالى ذكر أولاً صفاته الأربع: الربوبية والرحمانية والرحيمية ومالكية يوم الدين - أي قدرته على الثواب والعقاب، وقدرته بوجه عام - ثم علّمنا في الآيات التالية دعاء: ربّنا اجعلنا ورثة الأبرار السابقين من الأنبياء والرسل، واهدنا إلى صراطهم، وارزقنا ما رزقته من النعم، واحفظنا ربّنا من أن نكون من الذين حلّ بهم عذابك في الدنيا. أي اليهود الذين كانوا في زمن المسيح ﷺ وأهلكوا بالطاعون، واحفظنا

رَبَّنَا مَنْ أَنْ نَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَرَكُوا هُدَاكَ فَضَلُّوا، أَيِ النَّصَارَى. وهذا الدعاء يحتوي على نبوءة بأنه سيكون من المسلمين مَنْ يرثون الأنبياء الأولين ببركة صدقهم وصفائهم ويحظون بنعم النبوة والرسالة، وسيكون منهم أيضاً مَنْ يَتَّصِفُونَ بصفات اليهود فينزل عليهم العذاب في الدنيا، وسيكون منهم مَنْ يَرْتَدُّونَ رَدَاءَ الْمَسِيحِيَّةِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنَ السَّنَةِ الْمُتَّبَعَةِ فِي كَلَامِ اللَّهِ أَنَّهُ إِذَا خَفِيَ قَوْمًا عَنْ عَمَلٍ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ سَيَقْعُونَ فِيهِ حَتْمًا، وَبَعْضًا مِنْهُمْ سَيُنَالُونَ حُطًّا مِنَ الْبَرِّ وَالسَّعَادَةِ. إِنَّهُ لَمِنْ سَنَةِ اللَّهِ الْقَدِيمَةِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا مِنْذُ بَدَايَةِ الْخَلْقِ حَتَّى الْيَوْمِ أَنَّهُ عِنْدَمَا يَنْهَى قَوْمًا عَنْ عَمَلٍ أَوْ يَرْغَبُهُمْ فِي عَمَلٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَهُمْ سَيَقُومُ بِهَذَا الْعَمَلِ وَبَعْضُهُمْ لَنْ يَقُومَ بِهِ. إِذَنْ فَهَذِهِ السُّورَةُ تَنْبِئُ بِأَنَّ شَخْصًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيُظْهِرُ بِمُظْهِرِ الْأَنْبِيَاءِ بِشَكْلِ كَامِلٍ لِيَتَحَقَّقَ النَّبُوءَةُ الْمُسْتَنْبَطَةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ وَآثَمِهِ. وَأَنَّ فَرِيقًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيُظْهِرُونَ بِمُظْهِرِ الْيَهُودِ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ عِيسَى عليه السلام وَحَلَّ بِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ، وَذَلِكَ لِيَتَحَقَّقَ النَّبُوءَةُ الْمُسْتَنْبَطَةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وَأَنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ سَيَتَنَصَّرُونَ وَيَنْصَبُغُونَ بِصَبْغَةِ الْمَسِيحِيِّينَ، الَّذِينَ أَصْبَحُوا مُحْرَمِينَ مِنْ هِدَايَةِ اللَّهِ مِنْ جَرَاءِ شُرْهِمِ الْخَمْرِ وَالْإِبَاحِيَّةِ وَالْفَسْقِ وَالْفَجُورِ، وَذَلِكَ لِيَتَحَقَّقَ النَّبُوءَةُ الْمُسْتَنْبَطَةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

ولما كان من معتقدات المسلمين أن آلافاً مؤلفة ممن يُدْعَوْنَ مُسْلِمِينَ سَيَتَّصِفُونَ بِصِفَاتِ الْيَهُودِ فِي الزَّمَنِ الْآخِرِ -وهذه النبوءة قد تنبأ بها القرآن المجيد أيضاً في مواضع عديدة- ولما كان تنصُرُ آلاف المسلمين أو اتخاذهُم حَيَاةَ الْإِبَاحَةِ والتحرر مثل النصارى قد أصبح أمراً مشهوداً وملموساً، حتى ترى كثيراً منهم يَحْبُونَ تَقْلِيدَ الْمَسِيحِيِّينَ فِي أَسْلُوبِ الْحَيَاةِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَأَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ بِاحْتِقَارٍ كَبِيرٍ مَعَ انْتِمَائِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَتَجِدُونَ هَاتَيْنِ الْفَتْنَتَيْنِ الْمُتَصَفَتَيْنِ بِصِفَاتِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي هَذِهِ الْبِلَادِ بِكَثْرَةٍ، فَتَبَّتْ أَنْكُمْ قَدْ رَأَيْتُمْ تَحَقُّقَ هَاتَيْنِ النَّبُوءَتَيْنِ الْوَارِدَتَيْنِ فِي سُورَةِ

الفاتحة، إذ رأيتم بأم أعينكم كثيراً من المسلمين قد اتصفوا بصفات اليهود وكثيراً منهم انصبغوا بصبغة النصارى، وما دام الأمر كذلك فلا بد لكم الآن من الإقرار بتحقيق النبوة الثالثة، أعني أنه كما نال المسلمون نصيباً من شر اليهود والنصارى باتصافهم بصفاتهم، كذلك كان لازماً أن يتبوء أفراد منهم المقام الذي بلغه الأبرار الذين خلوا من قبل في بني إسرائيل. فمن سوء الظن بالله تعالى أنه قد جعل أبناء أمة الإسلام شركاء اليهود والنصارى في شرهم حتى سماهم يهوداً أيضاً، ولكنه لم يعطهم شيئاً من مراتب رسلهم وأنبيائهم! فكيف تكون هذه الأمة إذن خير الأمم؟ كلا، بل تكون عندها شر الأمم، إذ وُجد فيها كل نموذج من شرّ الأولين ولم يوجد فيها أي نموذج لخيرهم. أفليس ضرورياً - يا ترى - أن يأتي بين هذه الأمة أيضاً أحد بجلّة الأنبياء والرسول ويكون وارثاً وظالماً لأنبياء بني إسرائيل كلهم؟ فمن المستبعد من رحمة الله تعالى أن يجعل الملايين من هذه الأمة في هذا الزمن يتصفون بصفات اليهود ويجعل مئات الآلاف منها يتنصرون، ولكن لا يجعل حتى شخصاً واحداً منها يرث الأنبياء السالفين ويفوز بالنعمة التي فازوا بها، وذلك لكي تتحقق النبوة المستنبطة من قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، كما تحققت نبوة التهؤد والتنصّر. لما كانت هذه الأمة قد لُقبت بآلاف الألقاب القبيحة - حتى قُدّر لأبنائها أن يصبحوا يهوداً كما هو ثابت من القرآن والأحاديث - فكان من مقتضى فضل الله تعالى أن يرثوا الخير أيضاً، كما ورثوا السيئات من النصارى السابقين. ومن أجل ذلك قد بشّر الله تعالى في قوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في سورة الفاتحة بأن بعض أفراد هذه الأمة سينال ما أُنعِم به على الأنبياء السابقين، وليس أنهم يتهودون أو يتنصرون فحسب ويرثون سيئات هاتين الملتين ولن يرثوا حسناتهما. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية المجلد ١٩، ص ٤٥ - ٤٨)

"وما قصّ الله علينا الفرق الثلاث في الفاتحة إلا ليشير إلى أن هذه الأمة ورثتهم في كل قسم من الأقسام المذكورة، فقد ظهرت هذه الوراثة في مسلمي زماننا الذي

هو آخر الزمان بظهور تام، تعرفها كل نفس من غير الحاجة إلى الإمعان، كما لا يخفى على الذين ينظرون إلى مسلمي زمننا هذا وإلى ما يعملون.

ولكل فرقة من هذه الورثاء الثلاث درجات ثلاث.. أما الذين ورثوا المنعم عليهم فمنهم رجال ما وجدوا حظهم من الإنعام إلا قليلا من العقائد أو الأحكام وهم عليه يقنعون، ومنهم مقتصدون وإنهم وقفوا على مرتبة الاقتصاد وما يُكْمَلون، ومنهم فرد اجتباه ربه وكمله وجعله سابقا في الخيرات، وهو يجتبي إليه من يشاء ويخص بالدرجات، فذلك المخصوص هو المسيح الموعود الذي ظهر في القوم وهم لا يعرفون.

وأما الذين ورثوا المغضوب عليهم من اليهود فمنهم رجال من المسلمين شابهوهم في ترك الفرائض والحدود، لا يصومون ولا يصلّون، ولا يذكرون الموت ولا يبالون، ومنهم قوم اتخذوا الدنيا معبودهم ولها في ليلهم ونهارهم يعملون، ومنهم سابقون في الرذائل، وأولئك الذين يتخذون أهل الحق سُخْرِيًّا وعليهم يضحكون، ويعادوهم ويكفروهم ويشتموهم، ويعملون رياءً وبطراً ولا يخلصون. ويصولون على مسيح الله وحزبه ويجرّوهم إلى الحكم، وفي كل طريق يقعدون، ويقولون اقتلوهم فإنهم كافرون. وإذا قيل لهم تعالوا إلى كلام الله واجعلوه حَكَمًا بيننا وبينكم ترى أعينهم تحمّر من الغيظ ويمرّون شاتمين وهم مشتعلون. وكأَيُّنَ من آي الله رأوها بأعينهم ثم يمرّون مستكبرين كأنهم لا يبصرون. ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ظلماً وعُلُوًّا، وقالوا لا تسمعوا دلائله والعُؤا فيها لعلكم تغلبون.

وأما الذين ورثوا الضالين فمنهم قوم أحبّوا شعار النصارى وسيرتهم وإليها يميلون. وتجدهم يرغبون في حُللهم وقمصانهم وقلانسهم ونعالهم وطُرز معيشتهم وجميع خصالهم، وعلى من خالفها يضحكون، ويتزوّجون نساءً من قومهم وعليهن يعشقون. ومنهم قوم مالوا إلى الفلسفة التي أشاعوها، وفي أمر الدين يتساهلون. وكم من كليم تخرج من أفواههم، ويحقّرون دين الله ولا يبالون. ومنهم قوم أكملوا أمر الضلالة، وارتدّوا من الإسلام وعادّوه من الجهالة، وكتبوا كتباً في ردّه، وشتّموا رسول

الله وصالوا على عرضه، وتلك أفواج في هذا الملك بعدما كانوا يُسلمون. فتمّ ما أُشير إليه في الفاتحة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون! (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٦٦ - ١٧٣)

الفرقة السعيدة الناجية هي المذكورة في: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والفرقة التي سيصيبها العذاب هي ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. هناك فرق بين ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿الضَّالِّينَ﴾ مثل المصاب بالحمى والمصاب بالسل؛ إذ يهلك أحدهما سريعا ويهلك الآخر ببطء شديد، ولكن عاقبة كليهما هو هلاك عاجلا أم آجلا. (بدر، المجلد ١، رقم ١، عدد: ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٦)

إن أمثل دعاء ما يشمل ويجمع جميع الخيرات ويمنع جميع المضرات. لذا فقد طُلب في دعاء ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إنعاماتُ جميع المنعم عليهم من آدم إلى النبي ﷺ وفي ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ دعاء لاجتناب جميع أنواع المضرات. فلما كان المراد من ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود ومن ﴿الضَّالِّينَ﴾ هم النصارى بالاتفاق، فإن الغاية من هذا الدعاء بيّن واضح، أنه كما كان اليهود عادوا المسيح بغير حق، فسيفقد هم المشايخ تمامًا في زمن المسيح الموعود، والأحاديث تؤيد هذا الموضوع، حتى ورد أنهم سيتبعون اليهود حذو النعل بالنعل. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٢٠، عدد: ٣١/٥/١٩٠٣م، ص ٣)

لا بد من مراعاة مقتضى الأدب عند سؤال الله تعالى. عندما يسأل العاقلون شيئاً من الملك يراعون الأدب دائما لذلك علّم الله تعالى في سورة الفاتحة أسلوب السؤال. وبيّن فيها: "الحمد لله رب العالمين" الذي هو رحمن العالمين أيضا أي الذي يعطي دون المساءلة، وهو الرحيم أي الذي يثمر مساعي الإنسان الصادقة بثمرات حسنة، وهو مالك يوم الدين، أي الذي بيده الجزاء والعقاب ويحيي من يشاء ويميت من يشاء. وبيده الجزاء في الدنيا والآخرة. عندما يثني الإنسان على هذا النحو يخطر بباله كم هو عظيم ذلك الإله الذي هو "الرب" و"الرحمن" و"الرحيم" الذي ظل

يؤمن به كغائب. أما الآن فيدعوه إيماناً منه أنه **وَعَجَّلَ** حاضر وموجود في كل مكان، فيقول: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** هناك صراط العميان الذين يكادون يهلكون بكثرة المساعي والجهود ولكنها لا تسفر عن نتيجة، وهناك صراط آخر إذا اجتهد أحد بحسبه أسفر عن النتيجة. ثم يقول تعالى: **﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾** وهو الصراط المستقيم الذي إذا سلكه الإنسان حظي بالإنعامات. ثم قال: **﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** أي ليس صراط الذين حل بهم غضبك ولا الذين ضلوا الطريق.

المراد من: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** هو صراط الأمور الدينية والدنيوية كلها. فمثلاً عندما يعالج الطبيب أحداً فإنه لا يقدر على علاجه ما لم يهتد إلى الصراط المستقيم. كذلك عندما يهتدي المحامون وغيرهم من أصحاب المهن والعلوم المختلفة إلى الصراط المستقيم تسهل عليهم أمورهم.

في هذا المقام أثار أحد الناس اعتراضاً وقال: ما حاجة الأنبياء إلى هذا الدعاء لأنهم يكونون على الصراط المستقيم سلفاً؟ فقال تلميذ الرحمن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: بل المؤمنون سيدعون: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** في الآخرة أيضاً لأنه كما لا حدود لله كذلك ليس للتقدم في الدرجات والمرتبات عنده من حدود أيضاً. (بدر، المجلد ٢، رقم ٤، عدد: ١٣/٢/١٩٠٣ م، ص ٢٧-٢٨)

إن الله تعالى ذكر في سورة الفاتحة ثلاث فئات من السابقين، فإنه قد قرر أن يُري تلك الفئات الثلاث في هذه الأمة أيضاً. والفئة المذكورة أخيراً، فئة الضالين، قد صارت هي الأولى ظهوراً في هذه الأمة. في الماضي إذا ارتد شخص واحد عن الإسلام قامت القيامة، أما اليوم فقد تنصر مليونان من المسلمين، وبدؤوا يسبون الأطهار المقدسين بعد أن تنجسوا بنجاسة التنصر. كما بدأ الله تعالى الآن يُري نموذج فئة "المغضوب عليهم" من خلال الطاعون. وبقي الآن أن تظهر فئة "أنعمت عليهم". (الحكم، المجلد ٥، رقم ٦، عدد: ٣٠/٤/١٩٠١ م، ص ٥)

لم ينفع هؤلاء الناس (الذين يسمّون موحدين في العصر الراهن) الإسلام شيئاً سوى الكلام المعسول بل أرادوا أن يثبتوا بأعمالهم أن الإسلام دين ميّت حين قالوا بأنه لا يوجد الآن ما تصحبه الآيات الحية في تأييد الإسلام. الأسف كل الأسف! ما الذي حدث بعقولهم؟ لماذا لا يكادون يفهمون؟ هل الآية الواردة في القرآن الكريم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ جاءت سدى، ولا معنى لها ولا مغزى؟ أو ليست إلا قصة محضة؟ ألم يكن الإنعام المذكور فيها شيئاً قط؟ هل قام الله بخديعة سافرة؟ وهل يريد الله تعالى أن يترك الباحثين الصادقين عنه وغيرهم من الصادقين أشقياء فقط. ما أشده من ظلم أن يُنسب إلى الله تعالى أنه يستخدم كلاماً عقيماً ومسعولاً فقط!

هذه الأفكار ليست مبنية على الحقيقة، وإن هي إلا مزاعمهم الواهية. والحق أن القرآن الكريم يريد أن يوصل الإنسان إلى مراتب ودرجات عليا أُعطيها مَنْ كانوا مصداق: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وما من زمان يخلو من أدلة تُثبت كلام الله الحيّ. ليس مذهبنا مثل الآريين مطلقاً، أن الحبّ والورع مهما دعا الله تعالى باكياً متضرعاً حتى يكاد يهلك نفسه، لا تظهر لأدعيته نتيجة. الإسلام ليس بدين جاف، بل هو دين حيّ إلى الأبد، وتصحبه علاماته ولم تنقطع. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٦، العدد: ١٩٠١/٩/٣٠، ص ٣).

يغرق الناس في همّ الدنيا وغمّها لدرجة أنهم لا ينتبهون إلى عاقبتهم، ولا يشبعون منها كما لا يشبع المصاب بالحكة من حكّ جسده وإنّ نزع جسده دماً، ويلعق دمه بنفسه مثل الكلب ولا يدري أنه لا حقيقة للحياة الدنيوية. لذلك علّم الله تعالى المسلمين دعاء: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي الذين هم ديدان الأرض ينكرون الرسل والأنبياء من أجل هذه الدنيا، ثم يحل بهم العذاب في الدنيا نفسها، فأنقذنا يا ربنا من أن نكون منهم. (الحكم، المجلد ١١، رقم ٤٠، عدد: ١٩٠٧/١١/١٠، ص ٧)

بعض التفاسير الوجيزة لسورة الفاتحة

"اعلم أن الله تعالى افتتح كتابه بالحمد لا بالشكر ولا بالثناء، لأن الحمد أتم وأكمل منهما وأحاطهما بالاستيفاء. ثم ذلك ردُّ على عبدة المخلوقين والأوثان، فإنهم يحمّدون طواغيتهم وينسبون إليها صفات الرحمن.

وفي الحمد إشارة أخرى وهي أن الله تبارك وتعالى يقول أيها العباد اعرفوني بصفاتي، وآمنوا بي لكمالاتي، وانظروا إلى السماوات والأرضين، هل تجدون كمثلي رب العالمين، وأرحم الراحمين، ومالك يوم الدين؟

ومع ذلك إشارة إلى أن إلهكم إلهٌ جمع جميع أنواع الحمد في ذاته، وتفرّد في سائر محاسنه وصفاته. وإشارة إلى أنه تعالى منزّه شأنه عن كل نقص وحؤول حالةٍ ولحوق وصمةٍ كالمخلوقين، بل هو الكامل المحمود، ولا تحيطه الحدود. وله الحمد في الأولى والآخرة ومن الأزل إلى أبد الآبدين. ولذلك سمّى الله نبيّه أحمد، وكذلك سمّى به المسيح الموعود ليشير إلى ما تعمّد.

وإن الله كتب الحمد على رأس الفاتحة، ثم أشار إلى الحمد في آخر هذه السورة، فإن آخرها لفظ ﴿الضَّالِّينَ﴾، وهم النصارى الذين أعرضوا عن حمد الله وأعطوا حقّه لأحدٍ من المخلوقين. فإن حقيقة الضلالة هي تركُ المحمود الذي يستحقُّ الحمد والثناء، كما فعل النصارى ونحتوا من عندهم محمودًا آخر وبالغوا في الإطراء، واتبَعوا الأهواء، وبُعِدوا من عين الحياة، وهلكوا كما يهلك الضالُّ في المومة. وإن اليهود هلكوا في أول أمرهم وباءوا بغضبٍ من الله القهّار، والنصارى سلكوا قليلا ثم ضلّوا وفقدوا الماء فماتوا في فلاة من الاضطرار.

فحاصل هذا البيان أن الله خلقَ أحمدَيْن في صدر الإسلام وفي آخر الزمان، وأشار إليهما بتكرار لفظ الحمد في أول الفاتحة وفي آخرها لأهل العرفان. وفعل كذلك ليردّ على النصارانيين، وأنزل أحمدَيْن من السماء ليكونا كالجدارَيْن لحماية الأولين والآخرين. " (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٩٥-١٩٨)

لن نستطيع مطلقاً أن نحظى بوصال ذلك الحي القيوم بوسائلنا المجردة، وإنما الصراط المستقيم الوحيد في ذلك.. هو أن نكرس حياتنا وجميع قوانا في سبيله أولاً.. ثم لا نبرح ندعو حتى نجد الله بمساعدة منه عز وجل.

دعاء رائع

الدعاء الرائع الذي يعلّمنا الوقت الصحيح والفرصة الملائمة لطرح السؤال أمام الله، ويرينا صورة الابتغال الروحاني الفطري (عند السؤال) - هو ذلك الدعاء الذي علّمنا الله إياه في مستهل كتابه المجيد.. أي دعاء سورة الفاتحة وهو: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. كل المحامد الممكنة هي لله خالق كل العوالم وحافظها .
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.. الذي هيأ لنا أسباب رحمته حتى قبل أعمالنا، ثم - بعد أعمالنا - يجزيها عليها برحمته. ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.. هو وحده مالك يوم الجزاء، ولا يفوض هذا الأمر إلى أحد سواه. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.. يا من تجمع في ذاتك هذه المحامد كلها.. نعبدك ونسألك وحدك التوفيق في كل عمل. إن الاعتراف بالعبودية بصيغة الجمع هنا إنما يعني أن جميع قوانا منهمكة في عبادتك، وخاضعة على بابك. فالإنسان - باعتبار قواه الباطنة - يصبح بمثابة جماعة وأمة، وهكذا فإن سجود جميع القوى لله بهذا المعنى هو الحالة نفسها التي تسمى "الإسلام".
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ دُلْنَا على صراطك المستقيم وثبتنا عليه، ثم دُلْنَا على صراط القوم الذين أنعمت عليهم وأكرمهم، فأصبحوا مورداً لفضلك وكرمك. ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. واحمنا من سلوك طريق قوم غضبت عليهم ولم يستطيعوا الوصول إليك، وإنما ضلوا سبيلك. (آمين).. أي يا رب حَقِّقْ لنا هذا.

تُبَيِّنْ لنا هذه الآيات أن نِعَمَ الله تعالى - التي تسمى "فيوضاً" أيضاً - لا تنزل إلا على أولئك الذين قد ضحوا بحياتهم في سبيل الله، ونذروا كل وجودهم لأجله، وتفاؤوا في مرضاته، ثم ما برحوا يدعون .. حتى يسعدوا بكل ما يمكن أن يُعطى

للإنسان من النعم الروحانية.. من قرب الله ووصاله ومكاملته ومخاطبته. ثم إلى جانب هذا الدعاء يعبدون الله بجميع قواهم، ويجتنبون الذنوب، ولا يبرحون العتبة الربانية، ويحمون أنفسهم من السيئة بأقصى جهدهم، ويتعدون عن سبل المغضوب عليهم. وبما أنهم يبحثون عن الله تعالى بهمة عالية وصدقٍ لذلك يجدونه، ويُسقَوْنَ من كؤوس المعرفة الإلهية الحقيقية.

إن الاستقامة المذكورة في هذه الآية تشير إلى أن الفيض الحقيقي الكامل الذي يوصل الإنسان إلى العالم الروحاني إنما يتوقف حصوله على الاستقامة الكاملة. والمراد بالاستقامة الكاملة حالة من الصدق والوفاء لا يضرها أي ابتلاء بتاتا؛ أي هي صلة متينة لا يمكن أن يقطعها السيف، ولا تحرقها النار، ولا تُضعفها أية آفة أخرى، ولا يصرمها موث الأعزة، ولا يخل بها فراق الأوبة، ولا يُرهب صاحبها خوفُ الهوان والذلة، ولا يُفزع قلبه القتل ولا المظالم المروعة. إن هذا الباب ضيقٌ جدًّا، وإن هذا الطريق جدُّ وعَرٌّ.. ما أشدَّ عُورته!! آهًا ومئة آه!! (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٨١-٣٨٢)

هنالك ثلاثة أساليب للإيمان بالله تعالى وإحكام الإيمان وتقويته، وقد بيّنها الله تعالى كلها في سورة الفاتحة وهي، أولاً: أظهر الله تعالى حسنه للعيان حين جعل نفسه متصفاً بجميع المحامد. من المعروف بوجه عام أن الحُسن يجذب القلوب إلى نفسه تلقائياً. الحسن جذب مغناطيسي يجذب القلوب، مثل بريق الدُرّ وجمال الحصان ولمعان اللباس وبريقه. باختصار، حيثما كان الجمال سواء في الأزهار أو في الأوراق أو الحجارة أو الحيوانات أو النباتات أو الجمادات؛ ميزته أنه يجذب القلوب تلقائياً. فقد جعل الله تعالى الحسَنَ مرحلة أولى للإقرار بالوحيته حين قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. والدرجة الثانية هي الإحسان. فكما يميل الإنسان إلى الحسن كذلك تماماً يميل إلى الإحسان. لذلك لفت الله تعالى الأنظار إلى الإحسان بعد ذلك ببيان صفاته: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. ولكن إذا كانت مادة الإنسان فاسدة

أصلاً ولم يفهم من الحسن والإحسان أيضاً فنبّه إلى وسيلة ثالثة بقوله: ﴿عَبِّرِ الْمَغْضُوبِ﴾ في سورة الفاتحة. الحائزون على الدرجة العليا يستفيدون من الحسن ومن دونهم يستفيدون من الإحسان، أما ذوو الطبائع النجسة فقد تبّهّم بجلاله وغضبه، وسمى اليهود مغضوباً عليهم وكان الطاعون قد حلّ بهم. لقد منع الله تعالى في سورة الفاتحة من سلوك مسلك اليهود، أو قولوا إن شئتم بأنه حدّر من عذاب الطاعون بشدة. الشيطان مسيطر على الناس المتجاسرين فيسمعون ولا يعملون. والحق أن الإيمان بالله تعالى صعب ما لم يحلّ الموت على العواطف والشهوات ويبرّدها كلياً.

(الحكم، المجلد ٦، رقم ٩، عدد: ١٠/٣/١٩٠٢، ص ٥ - ٦)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ... إلى آخر السورة. كل هذه الأمور تقتضي أن هناك إلهاً وأن هناك مخلوقاً أيضاً. فلهم أن يُثبتوا لنا ألوهيتهم. لقد خلق الله الإنسان، وخلق كل شيء في العالم فألّى لنا أن نؤمن بالقمر والشمس وغيرهما آلهة؟ (الحكم، المجلد ٦، رقم ٣٨، عدد: ٢٤/١٠/١٩٠٢، ص ٧)

باختصار، إن مذهب عبادة الأوثان والعناصر موغل في القدم في هذه البلاد لدرجة يتعذر تحديد بدايته على وجه التحقيق إلا أن يُسلّم بأن هذا المذهب ظل يمشي جنباً إلى جنب مع الفيدا. ومع ذلك... يُخيّل إليّ بالنظر إلى بعض آيات القرآن أنه ربما كان تعليم الفيدا الحقيقي نزيهاً من عبادة العناصر، ويكون المراد من مدح العناصر والثناء عليها شيئاً آخر.... وكما ذكرت إن ظني هذا سيبلغ مرتبة اليقين عندما يثبت من خمسين أو ستين أو سبعين فقرة من الفيدا أنه يمنع بصراحة ووضوح من عبادة جميع العناصر والأجرام السماوية التي ورد مدحها وثناؤها في "رج فيدا".

إن تأويل فقرات الفيدا الذي ذكرته من قبل يُخطر ببالي بالتأمل في بعض الآيات القرآنية. الآية الأولى هي قول الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي أن الحمد والثناء كله لله الذي ربوبيته مشهودة ومحسوسة في كل عالم؛ أي في كل أسلوب وبواسطة كل ما خلقه الله لفائدة البشر، بمعنى أن كل

الوسائل المتفرقة التي يتوقف عليها بقاء الناس في هذه الدنيا وعافيتهم وتكميلهم تعمل وراءها قوة واحدة خافية اسمها "الله". فمثلا تعمل الشمس لتكميل تربية نظام هذا العالم وتدقّ جسد الإنسان إلى حد ما لتبقى الدورة الدموية جارية فيه وتجنّب الإنسان الموت وتدعم نورَ عينيه. فالشمس الحقيقية التي تدقّ في الحقيقة وتهب النور الحقيقي هو الله تعالى، لأن الشمس الظاهرية أيضا تعمل بقوة الله وقدرته. وإن عمل هذه الشمس الحقيقية لا يقتصر على مجرد إبقاء الدورة الدموية التي تعتمد عليها الحياة الجسدية جارية بحيث يجعل ربك قلب الإنسان أداة لهذا العمل، ويساعد نور الأعين بالنور السماوي؛ بل يختار ربك شخصا من جملة الناس لإيصال حياة روحانية إلى كافة أعضاء البشر ويجعله كالقلب لمجموعة سلسلة الناس التي هي بمنزلة الجسد، ويجعله أداة لإيصال دم الحياة الروحانية إلى كافة أعضاء الإنسان. فيؤدي هذا الشخص تلك الخدمة بطبيعة الحال؛ أي يأخذ من جانب ويوزّع على جميع الجهات المناسبة. وكما توصل الشمس غير الحقيقية أي المادية نورا كاملا إلى الأعين وتكشف لها جميع الأشياء الطيبة والسيئة، كذلك توصل هذه الشمس الحقيقية عين القلب إلى منارة عليا من المعرفة وكأنها تُطّلع النهار. وكما تُنضج الشمس المادية الفواكه بمساعدة الشمس الحقيقية وتودعها الحلاوة وتزيل منها العفونة وتلبس الأشجار كلها لباسا أخضر في فصل الربيع وتحملها بثروة الثمار اللذيذة، ثم تُظهر تأثيرها في فصل الخريف على النقيض من ذلك وتُسقط أوراق الأشجار كلها وتجعلها دميمة الشكل وتحرمها من الثمار وتجعلها عارية تماما من الأوراق ما عدا تلك التي تبقى خضراء دائما فلا تُؤثر فيها؛ كذلك تماما هي أعمال الشمس الحقيقية التي هي منبع كافة أنواع الأنوار والفيوض، فثري تأثيراتها المختلفة بتجلياتها المختلفة؛ فتخلق الربيع بتجلٍ، وتأتي بالخريف بتجلٍ من نوع آخر. وتجلٍ تخلق حلاوة المعرفة للعارفين، وتجلٍ آخر تزيل من الدنيا مادة الكفر والفسق العفنة.

فلو تدبر الإنسان جيداً لرأى أن جميع الأعمال التي تنجزها الشمس المادية إنما هي أظلال تلك الشمس الحقيقية. وهذا لا يعني أنها تُنجز الأعمال الروحانية فقط بل جميع الأعمال المادية الموكولة إليها لا تُنجزها بنفسها، بل الحق أن قوة المعبود الحقيقي الكامنة هي التي تعمل فيها وتنجز جميع تلك الأعمال. وللإشارة إلى الأمر نفسه وردت في القرآن الكريم قصة ملكة اسمها "بلقيس" كانت تحكم بلدها وكانت تعبد الشمس. فحدث أن هددها نبي عصرها قائلاً بأن تحضر إليه وإلا سيغزوها بجيشه وذلك لن يكون خيراً لها. فخافت وانطلقت من مدينتها لتحضر إلى ذلك النبي. وقبل حضورها أعدّ النبي صرحاً أرضيته ممرّدة من قوارير، وأعدّ تحتها خندقاً واسعاً على غرار قناة يجري فيها الماء وتسبح الأسماك. عندما وصلت الملكة قيل لها: ادخلي الصرح. فحين اقتربت رأت أن الماء يجري بكل قوة وفيه أسماك، تأثرت بهذا المشهد بحيث كشفت عن ساقها لئلا تبطل ثيابها بالماء. عندها نادى النبي الملكة التي كان اسمها "بلقيس" وقال إنك مخطئة في ذلك. وهذا الذي خشيةً منه كشفت عن ساقك ليس ماء، بل هي أرضية زجاجية والماء يجري تحتها. لقد جاء هذا الذكر في القرآن الكريم في آية: ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُرَدُّ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ (النمل: ٤٥) أي قال ذلك النبي: يا بلقيس لا تنخدعي، فإنه زجاج رُصِّعت بها أرضية الصرح، أما الماء فيجري تحت الزجاج، وأن الزجاج ليس ماءً بحد ذاته. ففهمت الملكة أنها قد تبَّهت إلى خطئها الديني، وأدركت أنها كانت مخطئة في الحقيقة إذ قد سلكت مسلك الجهل بعبادتها الشمس. فأمّنت بالله الواحد الذي لا شريك له وفُتحت عيناها، واستيقنت أن تلك القوة العظمى التي يجب عبادتها هي غير التي كانت تعبدتها، وأنها كان مخطئة إذ اتخذت الأشياء السطحية معبوداً لها. وكان بيان ذلك النبي يتلخص في أن الدنيا كمثال صرح من القوارير، وما تنجزه الشمس والقمر والنجوم وغيرها من العناصر لا تنجزها بقوتها الذاتية بل هي بمنزلة القوارير، وأن هناك قوة كامنة وراءها وهو الله تعالى. وكل هذه الأعمال إنما ينجزها الله تعالى بنفسه. فبرؤية

هذا المشهد ثابت بلقيس توبة صادقة عن عبادة الشمس وفهمت أن هناك قوة أخرى تستخدم الشمس وغيرها. أما هذه الأشياء فليست إلا كالقوارير فقط.

هذا ما بينته عن الشمس، والحال نفسها تنطبق على القمر، أي أنّ الصفات التي تُنسب إلى القمر هي صفات الله في الحقيقة؛ فالقمر ينير الليالي الحالكة والمخيفة، وعندما يسطع القمر تزول ظلمة الليلة الليلاء فوراً، ففي بعض الأحيان يبدأ بالسطوع منذ البداية وأحياناً أخرى يطلع بعد انتشار بعض الظلام. إنه لمشهد رائع إذ لا يبقى للظلام أيّ أثر قط عندما يطلع القمر. كذلك عندما يسطع نور الله تعالى أيضاً على أناس قذرين وذوي بواطن مظلمة فينبون إليه، ينيرهم كما يُنير القمرُ الليل. ومن الناس مَنْ يأخذ نصيباً من نور هذا القمر في المرحلة الأولى من حياته ومنهم مَنْ يأخذه في الوسط من عمره ومنهم من يأخذه في المرحلة الأخيرة. وهناك بعض الأَشقياء هم كليالي السَّلخ؛ أي يعمّهم الظلام مدى عمرهم، ولا يُكتب لهم أن ينالوا نصيباً من نور هذا القمر الحقيقي. فملخص الكلام أن هذه السلسلة لنور القمر تشبه كثيراً نور ذلك القمر الحقيقي.

كما ينمّي القمرُ الفواكه ويكسبها الطراوة، كذلك الذين يُحمّلون شجرة وجودهم بشمار العبادات تحالفهم رحمة الله مثل القمر وتنمّي تلك الثمار وتجعلها طرية. هذا هو المعنى الكامن في كلمة "الرحيم"، وهي صفة الله الثانية المذكورة في سورة الفاتحة، وتفصيلها أن هناك أربعة أنواع من الربوبية المادية التي يرتبط بها نظام العالم. منها الربوبية السماوية، وهي مصدر التربة المادية إذ بها ينزل الماء. وإن لم ينزل لفترة من الزمن لغارت مياه الآبار أيضاً كما أُثبت في العلوم الطبيعية. إن هذه الربوبية السماوية أي الماء النازل من السماء أيضاً يحيي العالم ويأتي بالمعدوم إلى الوجود إذ إن السماء هي رب النوع الأول التي ينزل منها الماء، وسمّيت في الفيدا باسم "إندر". كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (الطارق: ١٢) والمراد من السماء هنا هو طبقة الزمهرير التي ينزل منها الماء. وقد أُقسِم في هذه الآية بطبقة الزمهرير

التي تُنَزِّلُ المطر. و﴿الرَّجْعِ﴾ تعني المطر. وملخص الآية أن الله تعالى يقول بأني أُشهد السماء التي ينزل منها الماء للدلالة على ظاهرة الوحي.. أي أن حالتكم الروحانية أيضا بحاجة إلى ماء ينزل من السماء فقط كما ينزل ماؤكم المادي أيضا من السماء. ولولا ذلك الماء لجفّت مياه عقولكم أيضا. العقل أيضا يكتسب الطراوة والنور من ذلك الماء السماوي، أي من وحي الله تعالى.

فلباب القول: الخدمة التي تقوم بها السماء أي خدمة إنزال الماء إنما هي ظل صفة الله الأولى، كما يقول تعالى بأن بداية كل شيء من الماء، كما يولد الإنسان أيضا من الماء. وبحسب الفيدا إن إله الماء هو السماء التي تُسمّى "إندر" في مصطلحه. ولكن من الخطأ الظن أن "إندر" هذا شيء يُعتدُّ به في حد ذاته. بل الحق أن القوة العظمى الخفية والكامنة التي اسمها "الله" هو الذي يعمل فيها. لبيان ذلك يقول الله عز وجل في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي لا تظنوا أن هناك ربًّا آخر أيضا غير الله الذي يرِّي العالم بربوبيته بل هو ربكم الواحد الأحد الذي تعمل قدرته في كل شيء. في الترتيب الوارد في هذه السورة ردُّ على الإله "إندر"، لأن المرحلة الأولى الأولى من التربية تبدأ منه وهو يُسمّى سماء بتعبير آخر. ولهذا السبب ينسب أهل الدنيا القدرَ والقضاء كله إلى السماء عادة. أما المشركون فربُّ النوع الأكبر عندهم هو ذلك الذي يُسمّى "إندر". فالمقصود هنا هو تفنيده، والبيان أن "إندر" الحقيقي هو الله الواحد الأحد، وإن قدرته هي التي تُنَزِّلُ الماء. إن عدَّ السماء "رب العالمين" حمقٌ محض، بل ربّ العالمين هو وحده الذي اسمه "الله". باختصار، هذه هي ربوبية الله الأولى التي نسبها الجهلاء إلى السماء، أي إلى "إندر". وسبب ذلك أن هؤلاء العمهين يرون الماء نازلا من السماء ولكن القوة التي تُنَزِّلُها هي غيرها. والمراد من إنزاله على هذا النحو هو إظهار تجلٍّ أن هذه أيضا صفة من صفاته. إذًا، إن ربوبية السماء الظاهرية ظلٌّ لربوبيته عز وجل الحقيقية. أما الرعد والصاعقة وغيرها مما يلاحظ في السحاب إنما هو تجلٍّ من تجليات صفاته.

إن ربوبية الله الثانية التي تعمل في الأرض هي "الرحمانية". وبكلمة "الرحمن" أُريدَ دحض الإله الشمس لدى الوثنيين. إذ يرى عبدة الأوثان أنه كما أن السماء تُنبِت الأشياء بواسطة الماء كذلك تُلبس الشمسُ الأشجارَ كلها لباساً في فصل الربيع، وهذه رحمة منه ﷻ وليس نتيجة عملٍ. فالشمس مظهر الرحمانية من الناحية المادية لأنها تُلبس الأشجار العارية رداء الأوراق في الربيع، وإلى ذلك الحين لا تكون الأشجار قد عملت أي عمل أي لم تصنع شيئاً حتى يُضاف شيء على ما كانت عليه سابقاً، بل تكون قد أصبحت عارية تماماً بسبب عبث الخريف بها. ثم تبدأ كل شجرة بتزيين نفسها شيئاً فشيئاً نتيجة لطف الشمس وعطوفتها، حتى يبلغ فعل الأشجار بمساعدة الشمس درجة تتكون فيها الثمار. وعندما تكون قد أنجزت عملها بعد تكوين الثمار يُلقى القمرُ عليها ظل رحيمته. والرحيم هو الذي يعين العامل على إكمال عمله حتى لا يبقى عمله ناقصاً. فالقمر يعين ثمار الأشجار من حيث تنميتها وترطيبها بتأثيره. فمن المسلم به من حيث العلم الطبيعي أن البستانيّ يسمعون صوت تفتُّح الرمان في الليالي المقمرة. لذا فقد سُمِّي القمر -وهو النِّير الثاني- باسم الرحيم لأن عمله الأكبر هو أن يعين الثمار الموجودة وينمِّيها ويرطبها، وعندما تنضج الثمار وتبلغ كمالها تجذبها الأرضُ إلى نفسها بصفقتها مالكةً لتناول الثمار جزاءها. فإذا كانت الثمار جيدة ورائعة نالت حفاوة كبيرة على الأرض وأنزلت منزلة التقدير. وإذا كانت رديئة وفاسدة رُمي بها في أماكن سيئة. وكأن هذا الجزاء يكون بيد الأرض كما جعله الله تعالى من خواصها أي تُكرم الثمرة الطيبة وترمى الثمرة السيئة في مكان حقير.

فهذه هي الأسماء الأربعة التي أُعطيها الآلهة الأربعة الكبرى في الفيدا على سبيل الاستعارة. الأولى: السماء التي تسمَّى إلهة "إندر" وهي إلهة الماء. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (الأنبياء: ٣١). أي كل شيء حيٌّ بسبب الماء فقط، لذا فالإلهة المجازية، أي "إندر" التي يجب أن تُسمَّى "السماء" هي كبرى

الآلهة المجازية كلها التي في كنفها تتربى الشمس والقمر، وهي إلهة الربوبية العامة مقارنة بالآلهة الأخرى. وتليها إلهة "الشمس" وهي مظهر الرحمانية. وربوبيتها تفوق ربوبية القمر وتقلّ عن السماء. والعمل الذي يخلصها هو أن تُظهر لطفها ورحمتها على الأشجار دون وجود أيّ عمل منها؛ بمعنى أن الأشجار تكون عارية من الأوراق وتكون مضروبة بالحريف وكأنها أموات مغروسة في الأرض، وواقفة على قدم واحدة مثل المتسولين صفر اليدين. فتطرب إلهة الشمس وتزهو وتهبها لباسا في فصل الربيع، وتَمْلُؤُهَا ثمارا وأزهارا وتضع على رؤوسها أكاليل من الزهور خلال بضعة أيام، وتلبسها الرداء الحريري بأوراقها الخضراء، وتُغْنِيها بثروة الثمار؛ وبذلك تجعلها كعريس جميل. فأَيُّ شك بقي في رحمانية مَنْ يرحم ويتلطف إلى هذا الحد بهذه الدراويش العراة دون عمل سابق منها؟! مثل هذه الاستعارات موجودة في الفيدا بكثرة وهي تبدو في البداية كأفكار الشعراء، ولكن لو تعمقنا فيها أكثر لتراءى فيها شيء من لمعان علمي أيضا. وبعد الشمس هناك إله القمر -بحسب الفيدا- الذي ينظر إلى أعمال الضعفاء ويبلّغها بمساعدته مبلغ الكمال. بمعنى أن الأشجار تحمل الثمار في فصل الربيع ولكن لولا القمر ل بقي عملها هذا ناقصا ولما نالت الثمار نضرة ونموا وطرأوة قط. فالقمر متمم عملها، لذا استحق مجازا أن يُدعى رحيمًا. فالفيدا يُعَدُّه رحيمًا، ولا ضير في ذلك على سبيل الاستعارة.

تم يأتي بعد القمر دور إلهة الأرض التي وسّعت ظهرها كثيرا لتبوّئ المسافرين. كل ثمرة على الشجرة إنما هي كالمسافر وإن مستقرها الأخير هو الأرض، فتبوّئها الأرض على ظهرها حيثما تشاء بناء على صلاحياتها كمالك. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (بني إسرائيل: ٧١) أي حملنا الإنسان في البر والبحر، كذلك تحمل الأرض أيضا كل شيء. والمستقر الدائم لشيء فإن هو الأرض، فتُحَلّ من تشاء محل الإكرام وترمي بمن تشاء مقام الذلة. وبذلك سيّيت الأرض: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ أي تتجلّى هذه الصفات الإلهية الأربع في مرآة الفطرة

على سبيل الاستعارة. إذًا، فقد أراد الله تعالى أن يُظهر صفاته في مظاهر مجازية أيضاً، ليطمئن قلب الباحث عن الحق بصفات دقيقة نتيجة الاطلاع على الأمثال. فتبين من هذا البحث كله أن هذه الآلهة الأربعة المجازية المذكورة في الفيدا تتصف بأربع صفات مجازية. فالسماء تملك مجازاً صفة الربوبية الكبرى، وتتصف الشمس بصفة الرحمانية، وأما القمر فقد أُعطي نصيباً من صفة الرحيمية، وتحظى الأرض بصفة: "مالك يوم الدين"، وكل هذه الصفات مشهودة ومحسوسة. وبناءً على هذه الأمور عدّها ذوو العقول السطحية آلهةً حقيقية، وحسبوا "أرباب النوع" وجديرة بالعبادة. فلتفنيد مزاعم هؤلاء الناس يقول الله تعالى في كلامه المقدس في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، أي أن الحمد والمدح والثناء خاص بذلك الرب الأعظم الذي اسمه "الله"، وهو رب العالمين، ورحمن العالمين، ورحيم العالمين، ومالك العوالم كلها ومالك يوم الدين. أي أن مرتبة العبادة خاصة بالله تعالى بحيث إن ربوبيته ورحمانيته ورحيميته ومالكيته ليوم الدين ليست محدودة على عالم واحد، أو في أسلوب واحد، بل كلّ هذه الصفات تتجلى بأساليب لا تُعدّ ولا تحصى، ولا يسع أحداً أن يبلغ منتهاها. أما ربوبية السماء والشمس وغيرها فمحدودة في أسلوب معين ونوع معين ولا تتعدى دائرتها الضيقة، لذا فإن هذه الأشياء لا تستحق العبادة. وإضافة إلى ذلك، إن أعمالها ليست ناتجة عن إرادتها، بل إن قوة الله تعمل وراءها كلها.

ثم قال: يا رب الجميع الذي يُجَلِّي صفاته هذه بأساليب لا تُعدّ ولا تُحصى، أنت وحدك تستحق العبادة، أما الشمس والقمر وغيرها فليست جديرة بالعبادة. إذ قال في آية أخرى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ (حم السجدة: ٣٨) أي اسجدوا فقط للذي خلق كل هذه الأشياء بما فيها الشمس

والقمر والسماء والنار والماء وغيرها. السبب وراء إيراد صيغة الجمع بعد بيان الشمس والقمر هو أن الأمم الأخرى تعبد هذه الأشياء، ولكن لا تعبدوها أنتم مطلقا. ثم في هذه السورة أي سورة الفاتحة جوابٌ على أنه ما دمنا قد مُنعنا من عبادة السماء والشمس والقمر والنار والماء وغيرها فما هي الفائدة الكامنة في عبادة الله ولا توجد في عبادة تلك الأشياء؟ فقد رُدَّ على ذلك بأسلوب الدعاء بأن ذلك الإله يعطي النعم ظاهرة وباطنة، ويجلِّي نفسه على عباده بنفسه. والإنسان لا يستطيع أن يعرف بمجرد عقله، بل ذلك الإله القادر يعرف نفسه بتجليه الخاص، وبقدراته وآياته العظيمة. وعندما يحل غضبه وسخطه بالدنيا يُنقذ منه عباده العابدين. وهو الذي ينور عقل الإنسان ويهبه معرفة من عنده وينجيه من الضلال ولا يتركه ليضل. هذا هو ملخص سورة الفاتحة التي يقرأها المسلمون في صلواتهم الخمس يوميا. بل الحق أن هذا الدعاء هو الصلاة في الحقيقة. وما لم يقرأه الإنسان بقلب متألم واقفا أمام الله ﷻ ولم يدعُ له حلّ مشاكله التي علّم الدعاء لحلها، فكأنه لم يصل أصلا. وقد علّمت في هذه الصلاة ثلاثة أمور هي:

الأول: وحدانية الله، ووحدانية صفاته؛ ليصرف الإنسان وجهه عن القمر والشمس وغيرها من الآلهة الزائفة ويصير للإله الحق وحده، ويصعد من روحه صوت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

والثاني: قد علّم أن يشارك إخوته أيضا في أدعيته ليؤدي بذلك حق البشر، لذا فقد جاء في الدعاء لفظ: ﴿هْدِنَا﴾ ومعناه: يا ربنا أرنا جميعا صراطك المستقيم، وليس معناه أن أرني وحدي صراطك المستقيم. فبهذا الدعاء الذي جاء بصيغة الجمع يؤدّي الإنسان حق بني البشر أيضا.

والثالث: قد أريد في هذا الدعاء التعليم أيضا ألا تترك حالتنا يا ربنا مقتصرة على إيمان ظاهري فقط، بل أعطنا تلك النعم الروحانية التي أعطيت الصالحاء من قبل. ثم قال تعالى بأن ادعُوا الله أيضا أن أنقذنا من صراط الذين لم يُعطوا أعينًا

روحانية، فخاضوا في نهاية المطاف في أعمال أدّت إلى حلول غضب الله بهم في هذه الدنيا، أو اجتنبوا الغضب في هذه الدنيا ولكنهم ماتوا موت الضلال وواجهوا الغضب في الآخرة.

إدّا، فملخص الدعاء هو أن الذي لم يهبه الله تعالى نعمًا روحانية وأعنيًا مبصرة ولم يملأ قلبه باليقين والمعرفة يهلك في النهاية، ويحل به الغضب في هذه الدنيا بسبب تجاسره وخُبثه لأنه يستخدم لسانا بذيئا في حق الأطهار ويلهث مثل الكلاب. فيهلك كما أهلك اليهود بسبب تجاسرهم وخُبثهم، وحلّ بهم عذاب الطاعون مرارا واستأصلهم. وإن لم يتجاسر أو يتخابث أحد في الدنيا ولم يستخدم لسانا بذيئا ولم يشترك في مكاييد بذاءة اللسان والخبث فإن العذاب سيحل به في العالم الثاني بعد أن يرحل من هذه الدنيا. (نسيم الدعوة، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٠٨ - ٤٢٠)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، أي ليس هناك شيء لم يخلقه الله ولم يرّه. فهو رحمان، أي ينعم على عباده جميعا دون أعمال منهم سواء أكانوا كفارا أو مؤمنين. ولقد أعطاهم لراحتهم وسهولتهم نعمًا لا تُعدّ ولا تحصى. وهو رحيم، أي أنه يهب أولا عباده نتيجة رحاميته قوى وقدرات، لا دخل فيها لسعي الإنسان، ليكسبوا بها أعمالا صالحة ويهبهم الأسباب كلها لتكميل الأعمال. وعندما يصبح الإنسان بسبب رحاميته قادرا على كسب الأعمال الصالحة فالله رحيم ليجازيه عليها. وعندما يستحق الإنسان مستفيضا برحيميته أن ينال إنعاما وإكراما أبديا يعطيه الله إنعاما وإكراما أبديا لكونه مالك يوم الدين. ثم يقول بعد ذلك: يا ربنا، يا جامع الصفات كلها نعبدك وحدك، ونستعينك لكسب الأعمال الحسنة كلها بما فيها عبادتك، أرنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، وأنقذنا من صراط الذين

سقطوا تحت غضبك (أي يقومون بالخذلقة والشر فيصرون مورد غضبك في هذه الدنيا)، وأنقذنا من صراط الذين نسوا صراطك ويسلكون سبلا ليست سبل مرضاتك، آمين.

انظروا الآن كم هي مليئة بالتوحيد هذه السورة القرآنية التي اسمها سورة الفاتحة! إذ لا يوجد فيها ادعاء من قبل أي إنسان بأنه جاء إلى الوجود تلقائياً دون أن يخلقه الله، كذلك لا يوجد ادعاء أن أعماله إنما هي نتيجة قوته وقدرته الشخصية. ولا يوجد فيها دعاء مثل الفيدا: أعطنا يا ربّ كثيراً من البقرات والأحصنة والمال المنهوب. بل علّمنا دعاء أن اهدنا الصراط الذي بالسلوك عليه يصل الإنسان إليك وينال إنعامك وإكرامك الروحاني ويجتنب غضبك ويجتنب سبل الضلال. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣ ص ٢٠٦-٢٠٧)

"وفي السورة إشارة إلى بركات الدعاء، وإلى أن كل خير ينزل من السماء، وإلى أنه من عرف الحق وثبت نفسه على الهدى، وتهدّب وصلاح فلا يُضيعه الله ويدخله في عباده المنعمين. والذي عصى ربه فيكون من الهالكين.

وفي السورة إشارة إلى أن السعيد هو الذي كان فيه جيش الدعاء، لا يعبأ ولا يلعب، ولا يعيس ولا ييأس، ويثق بفضل ربه إلى أن تدركه عناية الله فيكون من الفائزين.

وفي السورة إشارة إلى أن صفات الله تعالى مؤثرة بقدر إيمان العبد بها، وإذا توجه العارف إلى صفة من صفات الله تعالى وأبصره ببصر روحه، وآمن ثم آمن ثم آمن حتى فنى في إيمانه، فتدخل روحانية هذه الصفة في قلبه، وتأخذه منه، فيرى السالك باله فارغاً من غير الرحمن، وقلبه مطمئن بالإيمان، وعيشه حلواً بذكر المنان، ويكون من المستبشرين. فتتجلى تلك الصفة له وتستوي عليه حتى يكون قلب هذا العبد عرش هذه الصفة، وينصبغ القلب بصبغها بعد ذهاب الصبغ النفسانية، وبعد كونه من الفانين.

فإن قلت من أين علمت أن هذه الإشارة توجد في الفاتحة؟ فاعلم أن لفظ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يدل عليه، فإن الله تعالى ما قال: "قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ"، بل قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فكأنه أنطقَ فطرتنا وأرانا ما كان مخفياً في فطرتنا. وهذه إشارة إلى أن الإنسان قد حُلق على فطرة الإسلام، وأُدخل في فطرته أن يحمد الله ويستيقن أنه رب العالمين، ورحمن، ورحيم، ومالك يوم الدين. وأنه يُعين المستعين ويَهدي الداعين. فثبت من ههنا أن العبد محبوبٌ على معرفة ربه وعبادته، وقد أُشرب في قلبه محبته، فتظهر هذه الحالة بعد رفع الحجب، وتُجري ذكر الله تعالى على اللسان من غير اختيار وتكلف، وتنبت شجرة المعارف وتثمر وتؤتي أكله كل حين.

وفي قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إشارة أخرى، وهو أن الله تعالى خلق الآخرين مشاكلين بالأولين. فإذا اتصلت أرواحهم بأرواحهم بكمال الاقتداء ومناسبة الطبائع، فينزل الفيض من قلوبهم إلى قلوبهم، ثم إذا تم إفضاء المستفيض إلى المفيض وبلغ الأمر إلى غاية الوصلة، فيصير وجودهما كشيء واحد، ويغيب أحدهما في الآخر، وهذه الحالة هي المعبر عنها بالاتحاد، وفي هذه المرتبة يُسمى السالك في السماء تسمية الأنبياء لمشابَهة إياهم في جوهرهم وطبعهم كما لا يخفى على العارفين. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ١٢٥-١٢٦)

"والآن نرى أن نُوازن هذا الدعاء بالدعاء الذي علّمه المسيح في الإنجيل، ليتبين لكل مُنصف أيُّهما أشفى للعليل، وأدرأً للغليل، وأرفعُ شأنًا، وأتمُّ برهانا، وأنفع للطالبين. فاعلم أن في إنجيل لوقا قد كُتب في الإصحاح الحادي عشر أن المسيح علّم الدعاء هكذا (٢)¹ "فقال لهم (يعني للحواريين): متى صليتُم فقولوا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمُك، ليأت ملكوتُك، لتكنْ مشيئتك كما في السماوات كذلك على الأرضين. حُبِّزنا كفافًا أعطانا كل يوم واغفر لنا خطايانا، لأننا نحن

¹ أي الفقرة الثانية من الإصحاح المذكور. (الناشر)

أيضاً نغفر لكل من يُذنب إلينا (يعني نغفر للمذنبين). ولا تُدخلنا في تجربة لكن نَجِّنَا من الشرير. " هذا دعاء علّم للمسيحيين.

فاعلم أنه دعاء يفرط في الصفات الربانية، وكذلك ما يحيط على مقاصد الفطرة الإنسانية، بل يزيد سورة الحسرة الروحانية، ويجرّك القوى لطلب الأهواء الفانية، والشهوات المتفانية، مع الدهول عن سعادات يوم الدين. ومن جملة جُمْلِه فقرّة.. أعني "لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ"، فانظر فيها بعقلك وفهمك.. هل تجده حريّاً بشأن الأكمل الذي ليست له حالة منتظرة من حالات الكمال، ولا مرتبة مترقّبة من مراتب التقديس والجلال؟ فإن المحامد والتقديسات كلها ثابتة لحضرة العزة، ولا يُنتظر شيء منها في الأزمنة الآتية، وهذا هو تعليم القرآن، وتلقين كلام الله الرحمن، كما مرّ كلامنا في هذا البيان. ومن أقبل على الفرقان المجيد، وفهمه وتدبّر ونظره بالنظر السديد، فينكشف عليه أن الفرقان قد أكمل في هذا الأمر البيان، وصرّح بأن الله كمالاتاً، وكل كمال ثابت له بالفعل وليس فيه كلام، وتحويز الحالة المنتظرة له جهلاً وظلم واجترام. وأما الإنجيل فيجعل البارئ عز اسمه محتاجاً إلى الحالة المنتظرة، وضاجراً لكمالاتٍ مفقودة غير الموجودة، ولا يقبل وجود كمال شجرته، بل يُظهر الأمانى لإيناع ثمرته، وليس قائل استنارة بده، بل ينتظر زماناً علوّ قدره. كأن ربّ الإنجيل واجمّ من فقد المراتب، وعاجز عن إمضاء الإرادات. وكم من ليلة بأنّها ينتظر كمالاتٍ، ويترقّب تغيير حالات، حتى يئس من أيام رشاده، وأقبل على عباده ليتمنوا له حصول مراده، وليعقدوا الهمم لزوال كَمَدِه، وعلاج رَمَدِه. سبحان ربنا إن هذا إلا بُهتان مبین. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. ما لِلْبَلْبَالِ وَرَبِّ ذِي الْجَلال، رب العالمين؟

ثم دعاء المسيح دعاء لا أثر فيه من غير التنزيه.. كأنه يقول إن الله منزّه عن الكذب والتمويه، ولكن لا توجد فيه كمالات أخرى، ولا من الصفات الثبوتية أثر أدنى، فإن التنزيه والتقديس من الصفات السلبية كما لا يخفى على ذوى المعرفة والبصيرة، وأما الصفات السلبية فهي لا تقوم مقام الإثبات كما ثبت عند

الثقات. وأما ما عَلَّمَنَا القرآن من الدعاء، فهو يشتمل على جميع صفات كاملة توجد في حضرة الكبرياء، ألا ترى إلى قوله وَعَلَيْكَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، كيف أحاط صفات الله جُمُوعَهَا، وتَأَبَّطَ أصولها وفروعها؟ وأشار في: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أن الله ذات لا تُحصى صفاته، ولا تُعَدَّ كمالاته، وأشار في: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أن وَبَل رُبوبيته يعمّ السماوات والأرضين، والجسمانيين والروحانيين. وأشار في: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أن الرحمة بجميع أنواعها من الله القيوم القديم، والخالق الكريم، وأشار في قوله: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ أن مَالِكَ المجازاة هو الله لا غيره من المخلوقين، وأن أَبْجَر المجازاة جارية وهي تمرّ مرّ السحاب كل حين، وكل ما يرى عبداً من فضل الله وإحساناته بعد أعمالٍ صالحةٍ، وَصِدْقِهِ وَصَدَقَاتِهِ، فإنما هو صنعة مجازاته. ففي هذه المحامد إشارات رفيعة عالية، ودلالات لطيفة متعالية، على كل كمالٍ لحضرة الله جامعٍ كلّ جمال وجلال. ثم من المعلوم أن اللام في: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ للاستغراق، فهو يشير إلى أن المحامد كلها لله بالاستحقاق.

وأما دعاء الإنجيل.. أعني "ليتقدس اسمك" فلا يشير إلى كمال، بل يخبر عن خطرات زوال، ويظهر الأمانى لتقديس الرحمن، كأن التقديس ليس له بحاصل إلى هذا الآن. فما هذا الدعاء إلا من نوع الهذيان، فإنك تعلم أن الله قُدُّوسٌ من الأزل إلى الأبد، كما هو يليق بالأحد الصمد، فهو منزّه ومقدس من كل التدنسات، في جميع الأوقات، إلى أبد الآبدين، وليس محروما ومن المنتظرين....

ثم الإنجيل يذكر الله تعالى باسم الأب، والقرآن يذكره باسم الرب، وبينهما بون بعيد، ويعلمه من هو زكي وسعيد، وإن لم يعلمه من كان من الجاهلين. فإن لفظ الأب لفظٌ قد كثر استعماله في المخلوقين، فنقله إلى الرب تعالى فعلاً فيه رائحة من الإشراك، وهو أقرب للإهلاك كما لا يخفى على المتدبرين. (كرامات الصادقين،

"واعلموا أيها الناظرون والعلماء المستبصرون أن عيسى عليه السلام علّم تمهيداً قبل الدعاء، والقرآن علّم تمهيداً قبل الدعاء، والفرق بينهما ظاهر على أهل الدهاء، فإن تمهيد القرآن يُحرّك الروح إلى عبادة الرحمن، ويحرّك العباد إلى أن ينتجعوا حضرة الحنان، بإحاض النية وإخلاص الجنان، ويظهر عليهم أنه عين كل رحمة وينبوع جميع أنواع الحنان، ومخصوص باسم الرب والرحمن والرحيم والديّان، فالذين يطلعون على هذه الصفات فلا يزيلون أهلها ولو سقطوا في فلولات الممات، بل يسعون إليه ويوطنون لديه بصدق القلب وصحة النيات، ويتراکضون إليه خيلهم ويسعون كالمشوق، ويضطرم فيهم هوى المعشوق، فلا يناقش أهواءً أخرى عند غلبة هوى رب العالمين. فثبت أن في تمهيد هذا الدعاء تحريكا عظيما للعابدين....

ثم بعد ذلك ننظر إلى دعاء علّمه عيسى، وإلى دعاء علّمه ربنا الأعلى، ليتبين ما هو الفرق بينهما لذي النّهى، ولينتفع به من كان من الصالحين. فاعلم أن عيسى عليه السلام علّم دعاءً يتزّرى عليه إنصافنا، أعني: "حُبْرْنَا كَفَافْنَا"، وأما القرآن فعافَ ذَكَرَ الحُبْزِ والماء في الدعاء، وعَلَّمْنَا طريق الرشد والاهتداء، وحثَّ على أن نقول: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ونطلب منه الدين القويم، ونعوذ به من طرق المغضوب عليهم والضالين، وأشار إلى أن راحة الدنيا والآخرة تابعة لطلب الصراط وإخلاص الطاعة. فانظر إلى دعاء الإنجيل ودعاء القرآن من الرب الجليل، وكن من المنصفين.

وأما ما جاء في دعاء عيسى من ترغيب في الاستغفار، فهو تأكيد لدعاء طلب الخبز كأهل الاضطرار، لعل الله يرحم ويعطي خبزا كثيرا عند هذا الإقرار، فالاستغفار تضرّع لطلب الرغفان، وأصل الأمر هو طلب الخبز من الله المتان. ويثبت من هذا الدعاء أن أكثر أُمم عيسى كانوا عشاق الذهب واللّجين، وهاجري الحقّ للحجرين، وبائعى الدين ببخسٍ من الدراهم، ومحتبني خلاصة النضّ وتاركي ذيل الرب الراحم، والعائين عاصين. وحُبِّبَ إليهم أن يتخذوا الطمع شرعةً، وحُبِّبَ الدنيا نُجعةً.

فاستشرفِ الأناجيل ليظهر عليك صدق ما قيل، واتقِ الرب الجليل، ودعِ الأفاويل." (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ١٤٢ - ١٤٤)

روائع سورة الفاتحة

كذلك يجب الانتباه إلى الروائع العجيبة التي مُلئت بها هذه السورة المباركة بالإضافة إلى الحقائق المذكورة وكمال الإيجاز. لو بيّنا هنا تلك الروائع كلها لصار المقال دفترًا ضخماً، لذا سأكتفي ببيان بعض هذه الروائع والدقائق نموذجاً.

فنقطة المعرفة الأولى هي أن الله تعالى قد علّم في هذه السورة طريقاً حسناً للدعاء لا يُتصوّر أحسن منه. فقد اجتمعت فيه كافة الأمور الضرورية جداً لخلق الحماس القلبي في الدعاء. وبيان ذلك أنه من الضروري لاستجابة الدعاء أن يتحلى الدعاء بحماس لأن الدعاء الذي يعوزه الحماس وليس إلا تمتمة اللسان فقط فليس دعاءً حقيقياً. والمعلوم أيضاً أن خلق الحماس في الدعاء ليس بوسع الإنسان دائماً. بل هناك ضرورة ملحة أن تحضر في مخيلة الداعي عند الدعاء كل الأمور التي تمثل الدوافع الحقيقية للحماس. والواضح لكل عاقل أن هناك أمرين اثنين فقط لخلق الحماس؛ أولاً: أن يعتقد المرء أن الله تعالى كامل وقادر وجامع للصفات الكاملة كلها، وأن يرى رحمته وألطافه وأفضاله من البداية إلى النهاية ضرورية من أجل وجوده وبقائه وأن يعدّ الله وَعَلَى مبدأ جميع الفيوض.

ثانياً: أن يرى المرء نفسه وبني جلدته كلّهم عاجزين ومعوّزين ومحتاجين لنصرة الله وَعَلَى. فهذان هما الأمران اللذان يؤدّيان إلى نشوء الحماس في الدعاء، وهما الوسيلة الكاملة لخلق الحماس. والسبب في ذلك أنه لا ينشأ الحماس في دعاء الإنسان إلا حين يرى نفسه ضعيفاً إلى أقصى الدرجات وعديم الحيلة تماماً ومحتاجاً إلى عون الله، ويعتقد بالله تعالى اعتقاداً قوياً أنه كامل القدرة إلى أقصى الغايات ورب العالمين والرحمن والرحيم ومالك يوم الدين، وأن سدّ حاجات الإنسان كلها بيده وَعَلَى. فقد قيل في بداية سورة الفاتحة إن الله وحده متصف بالمحامد الكاملة كلها، وجامع

للصفات الحسنة كلها، وهو وحده رب العالمين ومنبع الرحمة كلها ويجازي الجميع على أعمالهم. فبيان هذه الصفات كلها قد بين الله تعالى بجلاء أن القدرة كلها بيده، وكل فيض يأتي من عنده. وقد بين ﷻ عظمته إذ جعل نفسه قاضي الحاجات في أمور الدنيا والآخرة، وعلة العلل لكل شيء ومبدأ كل فيض. وبذلك أشار أيضا إلى أنه لا يمكن أن يحظى أي ذي نفس منفوسة بالحياة والراحة والأمن بغيره ﷻ ودون رحمته. ثم علم العبد التذلل قائلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ومعناها: يا مبدأ الفيض كله، إننا نعبدك وحدك وبك وحدك نستعين. أي نحن عاجزون لا نستطيع أن نفعل شيئا من تلقاء أنفسنا ما لم يحالفنا التوفيق منك وتأيدك. فقد بين الله تعالى دافعين لخلق الحماس في الدعاء، أولهما عظمته ورحمته الشاملة، وثانيهما كون العباد عاجزين وأذلاء.

وليكن معلوما هنا أن الالتزام بهذين الأمرين ضروري جدا للداعين عند دعائهم. فالذين يتمتعون بمتعة الدعاء نوعا ما يعرفون جيدا أنه لا يمكن القيام بالدعاء أصلا ولا يمكن أن تُذكي نار حب الله لظاها أثناء الدعاء بغير تحقق هذين الدافعين.

فمن الواضح تماما أن الذي لا يتنبه إلى عظمة الله ورحمته وقدرته الكاملة لا يسعه الرجوع إلى الله تعالى بحال من الأحوال. والذي لا يعترف بعجزه وضعفه ومسكنته لا تخضع روحه أمام الله قط.

باختصار، إنها حقيقة لا حاجة لفلسفة عميقة بُغية فهمها بل حين يترسخ في قلب الإنسان عجزه وذلته وعظمة الله بصورة حقيقية فإن تلك الحالة الخاصة تُفهم الإنسان تلقائيا أن تلك هي الوسيلة الحقيقية للدعاء الخالص. يعرف العابدون الصادقون جيدا أن تصوّر هذين الأمرين هو الأهم للدعاء في الحقيقة. أي يجب أن يتصور المرء في قلبه أولا أن الله تعالى قادر على كل نوع من الربوبية والتربية والرحمة والجزاء، وأن صفاته هذه تعمل عملها دائما وباستمرار.

ثانياً: يجب أن يتصور المرء أيضاً أنه لا يستطيع أن ينال شيئاً دون توفيق من الله وتأييده. ولا شك أنه لو ترسّخت هاتان الفكرتان في القلب عند الدعاء لغيّرتا حالة الإنسان دفعة واحدة بحيث يجرّ المستكبر أيضاً على الأرض متأثراً بهما، وتسيل الدموع من عينيّ سفاك قاسي القلب. هذه هي الأداة التي تنفث الروح في غافل ميّت. وبتصور هذين الأمرين ينجذب كل قلب إلى الدعاء. فهذه هي الوسيلة الروحانية التي بسببها تتوجه روح الإنسان إلى الله تعالى، ويتنبه المرء إلى ضعفه وضرورة عون الله تعالى. وبسببها يصل الإنسان إلى عالم النشوة ولا يبقى أدنى أثر لوجوده المادي فلا يرى إلا جلال الذات الأعظم متلألئاً. ولا يُرى له إلا ذلك الإله الذي هو الرحمة الكاملة وعماد كل وجود وعلاج كل ألم ومبدأ كل فيض. وفي نهاية المطاف تظهر للعيان منها حالة الفناء في الله فلا يميل الإنسان إلى المخلوق ولا إلى نفسه، ولا إلى مشيئته الشخصية، بل يفنى في حب الله تماماً. وبظهور ذلك الوجود الحقيقي لله تعالى يبدو له وجوده ووجود الأشياء الأخرى كالمعدوم. وهذه الحالة قد سماها الله تعالى "الصراط المستقيم"، الذي لطلبه علّم العبد: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي اهدنا يا ربنا إلى طريق الفناء والتوحيد وحب الله تعالى الذي يُفهم من الآيات المذكورة أعلاه، وأبعدنا عن غيرك تماماً.

فلباب الكلام، لقد أعطى الله تعالى الإنسان، لخلق الحماس في الدعاء، أسباباً حقيقية تخلق في قلبه حماساً كبيراً وتُخرج الداعي من عالم الوجود وتوصله إلى عالم العدم والفناء. هنا يجب الانتباه أيضاً إلى أنه ليس صحيحاً مطلقاً أن سورة الفاتحة إحدى طرق الدعاء لطلب الهداية بل كما تبين من الأدلة المذكورة آنفاً أنها في الحقيقة الطريقة الوحيدة التي عليها يتوقف صدور الدعاء بحماس القلب، والتي تريد أن تسلكها طبيعة الإنسان بمقتضى فطرتها.

الحق أنه كما وضع الله تعالى قواعد ثابتة في أمور أخرى كذلك هناك قاعدة ثابتة للدعاء أيضاً. وتلك القاعدة هي الدوافع المذكورة في سورة الفاتحة. ولا يمكن أن

ينشأ في دعاء المرء حماس ما لم يوجد هذان الدافعان في مخيلته. فالطريق الطبيعي للدعاء هو ذلك الذي ذُكر في سورة الفاتحة. فمن روائع سورة الفاتحة الكريمة أنها تناولت بيان الدعاء مع الدوافع إليه، فتدبر.

نقطة المعرفة الثانية في هذه السورة أن فيها أسبابا كاملة للترغيب في قبول الهداية لأن التروغيب الكامل والمعقول يشكّل دافعا قويا. والمراد من التروغيب الكامل عند العقل وحده أن يشمل حصرا ثلاثة أجزاء. الأول، بيان الميزات الذاتية لشيء أريد التروغيب فيه. فقد بيّن ﷺ ذلك في الآية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي اهدنا إلى الصراط الذي يتسم بصفة الاستقامة والسداد بحد ذاته ولا عوج فيه قط. ففي هذه الآية بيّن ميزة الطريق الذاتية ورغب في الاهتداء إليه.

والجزء الثاني للترغيب هو بيان منافع الشيء الذي أُريد التروغيب فيه، فقد بيّن هذا الأمر في الآية: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي اهدنا الصراط الذي بالسلوك عليه نال السالكون السابقون الإنعامات والأفضال. ففي هذه الآية شوق إلى الطريق بذكر نجاح السالكين عليه. والجزء الثالث للترغيب هو بيان الشقاوة وسوء حالة الذين يُعرضون عن الشيء الذي يُراد التروغيب فيه. فقد بيّن هذا الجزء في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي جنّبنا صراط الذين تركوا الصراط المستقيم واختاروا طرقا أخرى فحلّ بهم غضب الله وضلّوا. ففي هذه الآية حذر من الضرر الذي ينتج عن ترك الصراط المستقيم.

باختصار، قد بيّن الله ﷻ في سورة الفاتحة الأجزاء الثلاثة المتعلقة بالترغيب على أروع وجه، إذ قد بيّن المنافع الذاتية ثم ذكر خيبة تاركه وسوء حالتهم أيضا لكي تميل إليه الطبائع السليمة بالاستماع إلى ميزاتهِ الذاتية، ولكي يتولّد الشوق - بالاطلاع على الفوائد الكامنة فيه - في قلوب الذين يودّون الاستفادة منه. ولكي يطلع الناس أيضا على الفساد الناتج عن تركه ويخافوا الوبال الذي سيلازمهم نتيجة انحرافهم عنه. فهذه دقيقة لطيفة وكاملة تم الالتزام بها في هذه السورة.

نقطة المعرفة الثالثة في هذه السورة أنها أبدت كمالاتها إلى جانب الالتزام بالفصاحة والبلاغة وهي أن العبارات المتعلقة بالدعاء التي وردت فيها بعد ذكر محامد الله ﷻ قد جاءت على أحسن وجه وبلّغ ونشر مرتّب بحيث يتعذر عادةً بيانها بهذا النقاء مع مراعاة كافة مدارج الفصاحة والبلاغة. يعرف ذوو الذوق السليم في مجال الأدب جيداً مدى صعوبة ودقة الالتزام بهذا النوع من اللفّ والنشر. وبيان ذلك أن الله ذكر من محامده الفيوض الأربعة أولاً وهي: رب العالمين، والرحمن، والرحيم، ومالك يوم الدين. ثم ذكر في سياقها فقرات التّعبد والاستعانة والدعاء وطلب الجزاء بكل دقة وروعة؛ فالفقرة التي كانت منسجمة مع فيض معين ذكرها في سياقه تماماً. فقد ذكر ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مقابل ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأن استحقاق العبادة يبدأ من الربوبية فكان من الأنسب والأولى إيراد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تحت ذلك البند وبمحاذاته. ثم أورد ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مقابل "الرحمن" لأن عون الله - في توفيق المرء للعبادة ونيل كل غاية له في الحقيقة والذي يعتمد عليه خيره في الدنيا والعقبى - ليس أجراً على عمل من أعماله بل هو نتيجة صفة الله "الرحمن" فقط. فالاستعانة مرتبطة بالرحمانية ارتباطاً وثيقاً. ثم أورد ﷻ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ مقابل "الرحيم" لأن الدعاء جهد وسعي، والثمرة التي تحملها المساعي والجهود إنما هي بتأثير صفة الرحيمية. ثم ذكر ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ مقابل: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لأن أمر الجزاء والعقاب يتعلق بمالك يوم الدين. فكان من الأنسب أن توضع بجذائها الفقرة التي تحتوي على طلب الإنعام والنجاة من العذاب.

نقطة المعرفة الرابعة هي أن سورة الفاتحة تشمل بالإجمال مقاصد القرآن الكريم كلها وكأنها إيجاز دقيق لمقاصد القرآن الكريم. وهذا ما أشار إليه الله تعالى في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٨) أي قد أعطيناك سبع آيات لسورة الفاتحة التي تشمل بالإجمال مقاصد القرآن الكريم، وأعطيناك

مقابلها القرآن العظيم أيضا الذي يفصل المقاصد الدينية. فمن هذا المنطلق سُميت هذه السورة "أم الكتاب" وسورة "الجامع". لقد سُميت بأم الكتاب لأن جميع مقاصد القرآن الكريم تُستنبط منها، وسُميت سورة "الجامع" لأنها تشمل علوم القرآن الكريم بجميع أنواعها بصورة مجملة. فمن هذا المنطلق قال النبي ﷺ: من قرأ الفاتحة فقد قرأ القرآن كله^١. كذلك يثبت من الأحاديث الشريفة أن سورة الفاتحة مرآة تُري القرآن الكريم. وبيان ذلك أن من مقاصد القرآن الكريم أنه يبين محامد الله تعالى الكاملة، ويذكر بوضوح الكمال التام الحاصل لذات الله ﷻ. فقد ذُكر هذا المقصد مجملا في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لأن من معانيها أن المحامد الكاملة كلها ثابتة لله تعالى الذي هو جامع لجميع الكمالات ويستحق العبادات كلها.

والمقصد الثاني للقرآن الكريم هو أنه يثبت أن الله تعالى خالق كامل وخالق العالمين، ويبين حالة بداية العالم، ويؤكد على أن كل من دخل دائرة العالم فهو مخلوق، ويوضح كذب الذين يعارضون هذه الأمور. فقد ذُكر هذا المقصد مجملا في: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. والمقصد الثالث للقرآن هو إثبات فيض الله دون استحقاق أحد وبيان رحمته العامة. فقد ذُكر هذا المقصد مجملا في: "الرحمن".

والمقصد الرابع للقرآن هو إثبات فيض الله الذي يترتب على السعي والجهد، فقد ذُكر هذا المقصد في: "الرحيم".

والمقصد الخامس هو بيان حقيقة عالم المعاد، وقد ذُكر هذا المقصد في "مالك يوم الدين".

والمقصد السادس هو بيان الإخلاص والعبودية وتجريد النفس عن غير الله، وعلاج الأسقام الروحانية وإصلاح الأخلاق الرذيلة وبيان التوحيد في العبادات. فقد ذُكر ذلك إجمالا في: "إياك نعبد".

^١ يبدو أنه عليه السلام يشير إلى الحديث: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ (البخاري). والله أعلم. (الناشر)

المقصد السابع هو عُدَّ الله تعالى فاعلا حقيقيا لكل فعل، وعُدَّ كل أنواع التوفيق والألطف والنصرة، والثبات على الطاعة والعصمة من العصيان والحصول على جميع أسباب الخير والصلاح في الدنيا والدين من الله تعالى وحده، والتأكيد على الاستعانة به في كافة هذه الأمور. فقد ذُكر هذا المقصد إجمالا في: "إياك نستعين".

المقصد الثامن للقرآن الكريم هو بيان دقائق الصراط المستقيم، ثم التأكيد على طلبه بالدعاء والتضرع. فقد ذُكر هذا المطلب إجمالا في: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

المقصد التاسع للقرآن الكريم هو سيرة الذين أنعم الله عليهم وحُلقهم، تثبيتا لقلوب طلاب الحق. فقد ذُكر هذا المطلب إجمالا في: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

والمقصد العاشر للقرآن الكريم هو بيان حُلق الذين غضب الله عليهم وطريقهم أو الذين ضلوا الطريق ووقعوا في أصناف البدعات، لكي يحذر طلاب الحق طريقهم. فقد ذُكر هذا المطلب إجمالا في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. فهذه المقاصد العشرة المذكورة في القرآن الكريم هي أصل الأصول لكافة الحقائق وجميع أنواع الصدق، وقد ذُكرت كلها في سورة الفاتحة إجمالا.

نقطة المعرفة الخامسة في سورة الفاتحة هي أنها تحتوي على تعليم أتم وأكمل هو ضروري لطالب الحق، وهي دستور العمل الكامل للترقي في القرب والمعرفة لأن الترتي في القرب يبدأ من نقطة انطلاق يقبل فيها السالك موتا ويجيز لنفسه كل مشقة ومجاهدة ويتخلى خالصا لوجه الله عن أهواء النفس كلها التي تُباعد بينه وبين مولاه الكريم، وتصرف وجهه عن الله وتوجهه إلى ملذات النفس وأهوائها وجذباتها وعاداتها وأفكارها وإراداتها وإلى المخلوقات، وتورطه في مخاوفها وأطماعها. والدرجة الوسطى للترقيات هي أن يبدو للسالك ما يتحملة من أصناف المشقة في المرحلة الابتدائية في سبيل قتل النفس الأمارة وما يتجشم من ألوان المعاناة والآلام تاركا

الحالة المعتادة بصورة الإنعام. وأن تتحول المشقة إلى المتعة، والحزن إلى الراحة، والضيّق إلى الانشراح والبشاشة.

والدرجة العليا من الترقّيات هي أن يُنشئ السالك انسجاماً وتوافقاً وحياً ووحدة بينه وبين مشيئة الله تعالى وإراداته حتى تتلاشى عينُ نفسه وتأثيرها كله، وأن يعكس في وجوده الشبيه بالمرآة ذات الله وصفاته دون أدنى شائبة من الظلمة ودون وهم الحلول، وأن ينعكس بكل جلاء ذاتُ الله وصفاته في مرآة الفناء الأتم الذي باعد بين السالك وأهوائه النفسانية بُعد المشرقين.

ليست في هذا البيان كلمة تؤيد أفكاراً باطلة لأصحاب مذهب وحدة الوجود وأتباع الفيدات لأنهم لم يعرفوا الفرق الأبدي بين الخالق والمخلوق، فوقعوا في مغالطات شديدة - نتيجة مخادعات الكشف المشكوك فيها التي تطل برأسها في حالة السلوك الناقص أغلب الأحيان، أو تكون نتيجة المجاهدات الباعثة على الجنون - أو أهمل أحدٌ في حالة السكر والنشوة التي هي نوع من الجنون الفرقَ بين روح الله وروح الإنسان من حيث القوى والقدرات والكمالات وأنواع القدسية. وإلا فمن الواضح أن القادر القدير الذي لا يخفى عن علمه الأزلي ذرة ولا يمكن أن يُنسب إليه نقصان أو خسارة، وهو منزّه عن الجهل والشوائب والضعف والهّم والحزن والألم والمعاناة والاعتقال؛ أتى له أن يكون عين كيانٍ معرّض لكل هذه الآفات؟ هل للإنسان الذي يتوقع لتقدمه الروحاني ظروفًا وحالات لا نهاية لها أن يماثل أو يكون عينَ ذاتٍ كامل لا ينتظر أية حالات ولا ظروف؟ أو هل لكيانٍ فإنّ تشمل روحه نقائص صريحة لكونها مخلوقة أن يساوي - مع كافة شوائبه ونقاط ضعفه وعدم طهارته وعيوبه ونقائصه - ذاتاً جليل الصفات الذي هو الأتم والأكمل من الأزل والأبد من حيث ميزاته وصفاته المقدسة؟ "سبحانه وتعالى عما يصفون". (الأنعام: ١٠١).

ما أقصده من الترقّي من النوع الثالث هو أن السالك يفنى ويهلك نفسه في حب الله تعالى حتى يقترب منه ذلك الذات الذي لا مثيل له ولا نظير بجميع صفاته

فتغلب تجليات الألوهية أهواءه النفسانية وتجذبه إلى نفسها حتى تتولد بينه وبين أهوائه النفسانية بل بينه وبين كل من كان تابعا لأهوائه عداوةً ومغايرةً تامة. والفرق بين هذا القسم والقسم الثاني للارتقاء هو أنه رغم حصول التوفيق التام في القسم الثاني بين رضا الرب تعالى ورضا السالك بحيث يبدو له إيلامه كإنعام، إلا أن العلاقة بالله لم تبلغ درجة تؤدي إلى نشوء عداوة ذاتية بينه وبين غير الله، ولا يبقى حب الله مقصد مهجته فقط بل يصبح فطرة القلب أيضا.

باختصار، في القسم الثاني من الارتقاء يكون هدف السالك هو الموافقة التامة مع الله والعداوة مع غيره، ففي نيله هذا الهدف تكمن متعته. أما في القسم الثالث من الارتقاء فتصبح الموافقة التامة مع الله تعالى والعداوة مع غيره فطرة السالك التي لا يمكنه الانفصال عنها بحال من الأحوال، لأن انفكاك الشيء عن نفسه محال، وذلك بخلاف القسم الثاني إذ يمكن فيه هذا الانفكاك. وما لم تبلغ ولاية ولي إلى القسم الثالث تبقى مؤقتة وليست في مأمن من الأخطار. والسبب في ذلك أنه ما لم يكن حب الله تعالى وعداوة غيره جزءا من فطرة الإنسان لا يتجزأ يبقى فيه عرق من الظلم لأنه لم يؤد حق الربوبية كما هو واجب عليه وما زال عاجزا عن الوصول إلى مرتبة اللقاء التام. ولكن حين يصبح حب الله تعالى والموافقة معه جزءا من طبيعته لا يتجزأ حتى يصير الله أذنه التي يسمع بها وعينه التي يرى بها ويده التي يبطش بها وقدمه التي يمشي بها لا تبقى فيه شائبة من الظلم ويصبح في مأمن من كل خطر. ولقد أشار الله تعالى إلى هذه الدرجة فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٣)

وليكن معلوما أن هذه الترتيبات الثلاثة التي هي الأصل لكافة العلوم والمعارف ولبّ الدين ومغزاه قد ذكرت في سورة الفاتحة بكل دقة وبرعاية الإيجاز وعلى أحسن وجه. فالقسم الأول من التقدم الذي هو الخطوة الأولى للسير في ميادين القرب قد علّمناه في الآية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأن الامتناع

عن كل نوع من الاعوجاج والغواية، والتوجه إلى الله تعالى بالاستقامة هي العقبة الصعبة التي سُمِّيت بتعبير آخر بالفناء لأن ترك السالك الأمور المألوفة والمعتاد عليها، ونبذ الأهواء النفسانية التي تعود عليها طول العمر دفعة واحدة، والتخلي عن كل عزة وشرف وعُجب، والإعراض عن الرياء وعدّ كل شيء سوى الله كالعدم والتوجه إلى الله تعالى بالاستقامة أمرٌ يساوي الموت في الحقيقة. وكما أن الحبة ما لم تدخل في التراب وما لم تتخل عن صورتها المألوفة لا يمكن أن تأتي إلى حيز الوجود حبةً جديدة، كذلك إن الجسد في الولادة الروحانية يتكوّن من الفناء. كلما تفتى نفس الإنسان ومشيتته وينعدم توجّهه إلى المخلوقات تتكون أعضاء ولادته الروحانية حتى عندما ينال الفناء الأتم يُعطى خلعة الوجود الثاني ويحين وقت ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٥). ولأن هذا الفناء الأتم مستحيل بغير نصره الله القادر وتوفيقه وعنايته الخاصة لذا علّمنا دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي ثبّتنا يا ربنا على الصراط المستقيم وأنقذنا من كل اعوجاج وسلوك سيء. وإن نيل الاستقامة الكاملة والسداد الكامل الذي أمرنا بطلبه لأمرٌ صعب جدا. وإن هجمته في المرحلة الأولى على السالك تكون كهجمة الأسد على فريسته إذ يتراءى الموت ماثلا أمام العينين. ولكن إن صمد السالك وتقبّل هذا الموت فلا موت له أكثر قسوة منه بعد ذلك. ولكن الله تعالى أرحم من أن يلقيه في جهنم الملتهبة.

فزبدة الكلام أن الاستقامة الكاملة فناء يقضي على وجود العبد قضاء نهائيا إذ يضطر للتخلي عن أهوائه وشهواته ومشيتته وكل أنانيته دفعة واحدة. وفي هذه المرتبة من مراتب السير والسلوك تلعب مساعي الإنسان ومجاهداته دورا كبيرا لبلوغها. وإلى هذا الحد تنتهي مساعي أولياء الله تعالى وجهود السالكين. ثم يأتي دور المواهب السماوية الخاصة التي لا دخل فيها لمساعي البشر بل يُعطى السالك من الله تعالى مطية من الغيب وبراقا سماويا لمشاهدة العجائب السماوية.

والارتقاء الثاني الذي هو الخطوة الثانية للسلوك في ميادين القرب قد عُلِّمَ في الآية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. فليكن معلوما هنا أن المنعم عليهم الذين ينالون من الله نِعْمًا ظاهرية وباطنية لا يخلون من مواجهة الشدائد بل يصابون في دار الابتلاء هذه من الصعاب والشدائد ما لو أصاب قوما آخرين لضاع إيمانهم. ولكنهم سُمُّوا المنعم عليهم لأنهم يرون الإيلاء إنعاما بسبب غلبة الحب. ويستمتعون بسبب نشوة العشق بكل ما يصيبهم من حبيبهم الحقيقي سواء أكان ألما أم راحة. فهذا هو النوع الثاني للارتقاء في مراتب القرب الذي يستمتع فيه الإنسان بجميع تصرفات الحبيب، وكل ما يأتي منه يبدو له إنعاما فقط. والسبب الحقيقي وراء هذه الحالة هو الحب الكامل والعلاقة الصادقة مع الحبيب. وهذه موهبة خاصة لا دخل فيها لسعي السالك أو جهده بل هي من الله تعالى فقط. فيتخذ السالك صبغة أخرى بعدها وتزول كل الأعباء من فوق رأسه ويرى كل إيلاء إنعاما دون أن يشكو من شيء قط. توحي هذه الحالة وكأن الإنسان أُحيي فيها بعد الموت لأنه يخرج من كل أنواع المرارة التي واجهها في الدرجة الأولى وكانت تنذر بالموت في كل حين وآن. أما في هذه الحالة فينال الإنعامات من كل حذب وصوب. فمن هذا المنطلق كان من الأنسب لهذه الحالة أن يُسمَّى السالك منعما عليه. إن هذه الحالة تُسمى البقاء بتعبير آخر لأن السالك في هذه الحالة يجد نفسه وكأنه كان ميتا من قبل وأُحيي الآن. ويشعر في نفسه بالحبوكة وانسراح الصدر إلى حد كبير وتزول عنه كل أنواع الانقباض البشري، وتترأى أنوار الألوهية -التي تربّيه- نازلة عليه كنعمة. وفي هذه المرتبة تُفتح على السالك أبواب كل نعمة، وتتوجه إليه أفضال الله تعالى الكاملة. هذه المرتبة تسمى السير في الله، لأن باب عجائب الربوبية تُفتح على السالك في هذه المرتبة. ويُعطى فرصة ليرى بأم عينيه نِعْمًا ربانية تكون خافية على الآخرين، ويحظى بالكشوف الصادقة ويُشرف بمخاطبات الله تعالى، ويُطالع على أسرار دقيقة من العالم الثاني، ويُعطى نصيبا وفيرا من العلوم والمعارف. باختصار، يُعطى قدرا كبيرا

من النعم الظاهرية والباطنية، حتى يصل إلى درجة اليقين الكامل وكأنه يرى الله تعالى، المدبر الحقيقي، بأم عينه. فهذا النوع من الإطلاع، الذي يُطَّلَع فيه السالك على الأسرار السماوية، يُسمَّى السير في الله. وهذه مرتبة يوهب فيها الإنسان حبَّ الله ولكن لا يُرْسَخ فيه بطريقة طبيعية، بمعنى أنه لا يُجعل جزءا لا يتجزأ من فطرته غير أنه يكون محفوظا فيها.

والنوع الثالث للارتقاء الذي يمثل الخطوة الأخيرة للسير في ميادين القرب قد علِّم في الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. ففي هذه المرتبة يصبح حب الله تعالى وعداوة غيره جزءا لا يتجزأ من فطرة المرء، وترسخ فيه كطبيعة. وإن صاحب هذه المرتبة يحب الأخلاق الإلهية بطبيعته كما هي محبَّة عند الله تعالى. ويترسخ حب الله تعالى في قلبه بحيث يستحيل انفكاكه من قبله. ولو ابتلي واعتُصر قلبه وروحه بصدمات الامتحانات والابتلاءات العظيمة لما خرج منهما شيء إلا حب الله تعالى. فهو في ألمه يتلذذ في سبيله وبعده وحده مدعاة لراحته الحقيقية. ففي هذا المقام تنتهي جميع أنواع الترقيات في مجال القرب، ويبلغ الإنسان منتهى كماله المقدر لفطرة البشر.

فهذه هي نقاط المعرفة الخمس التي كتبتُها غيضا من فيض، غير أن في هذه السورة من العجائب المعنوية وغيرها من الحقائق والمعارف ما لو كُتِبَ عشر معشارها لاحتجنا لكتاب ضخيم. أما الخواص الروحانية التي توجد في هذه السورة فهي محيرة للعقول حتى يضطر طالب الحق للاعتراف بالنظر إليها أنها كلام الله القادر القدير فعلا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٦٧-٦٢٦، الحاشية رقم ١١)

فهرس المواضيع

الصفحة	الموضوع
١	الاسم الأول لسورة الفاتحة، "فاتحة الكتاب" وسببه
١	سورة الفاتحة تُبشر بزمن المسيح الموعود ﷺ
٢	الاسم الثاني لسورة الفاتحة، "سورة الحمد"
٢	الاسم الثالث لسورة الفاتحة، "أمّ القرآن"
٢	الاسم الرابع لسورة الفاتحة، "أمّ الكتاب"
٣	الاسم الخامس لسورة الفاتحة، "السبع المثاني"
٤	مزايا فريدة لسورة الفاتحة
٤	مزايا الفاتحة الفريدة مثل مزايا الورد
٥	نسبة سورة الفاتحة الروحانية إلى الورد
٥	عجائب سورة الفاتحة الظاهرية والباطنية
٧	سورة الفاتحة تتضمن علاجا لأمراض روحانية مستعصية
٩	مزية سورة الفاتحة العظيمة
١٠	لا يمكن لإنسان أن ينافس مزايا سورة الفاتحة
١٠	الأدلة الأخرى على كون سورة الفاتحة عديمة النظير
١٤	الدليل على صفات سورة الفاتحة العظيمة
١٧	تأثير عظيم لسورة الفاتحة
١٧	معجزة سورة الفاتحة
١٨	سورة الفاتحة تحظى بالتواتر
١٨	المنطق في سورة الفاتحة

١٨	أفضلية سورة الفاتحة
١٨	الرد على الآريين
١٩	دحض معتقدات "ديانة سناتن"
١٩	ضرورة الأعمال والمجاهدات
٢٠	سورة الفاتحة وسيلة الحماية من الجحيم
٢٠	سورة الفاتحة تحيط بكل علم ومعرفة
٢٠	سورة الفاتحة شجرة تعطي ثمار المعرفة
٢١	أثر سورة الفاتحة في تنوير الباطن
٢١	سورة الفاتحة، مظهر الأنوار الإلهية
٢٢	عظمة سورة الفاتحة
٢٢	سورة الفاتحة حصن حصين
٢٣	فوائد سورة الفاتحة ومزاياها لا تُحصى
٢٣	الحكمة في وجوب قراءتها في الصلاة
٢٤	يجب ضمُّ البشر كلهم إلى دعاء سورة الفاتحة
٢٤	تأثير تكرار سورة الفاتحة في الدعاء
٢٤	سبع آيات لسورة الفاتحة مقابل سبعة نجوم معروفة
٢٥	الحكم بالاستعاذة والحكمة فيه
٢٦	في كلمة "الرجيم" في الاستعاذة ذكر قتل الدجال
٢٦	معنى الرجم
٢٦	زمن قتل الدجال
٢٧	لن يُقتل الدجال إلا بفضل الله
٢٧	المراد من الدجال ليس شخصا واحدا
٢٧	الحكمة في وصف الشيطان بالرجيم
٢٩	ترجمة معاني سورة الفاتحة

٢٩	تفسير آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
٢٩	تكرار آية ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في القرآن الكريم وقراءتها تيمنا واستعانة
٢٩	الحقائق الكاملة المذكورة في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
٢٩	الحقيقة الأولى المذكورة في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
٣٠	ذكر صفتي الله تعالى "الرحمن" و "الرحيم" والفرق بينهما
٣٠	ظهور صفة "الرحمن" بغير عمل سبقها
٣٠	نزول القرآن الكريم بحسب صفة "الرحمن".
٣٠	صفة "الرحمن" اقتضت نزول كلام الله الطاهر وإطلاع العباد عليه
٣٠	الاستفادة من بركة كلام الله تحصل تحت صفة "الرحيم"
٣٣	الحقيقة الثانية المذكورة في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
٣٤	المهام في العالم كله تحدث بسبب صفة "الرحمن" و "الرحيم"
٣٤	الحكمة في ذكر صفة "الرحمن" و "الرحيم" في مستهل القرآن
٣٤	ضرورة الاستعانة بصفة الله "الرحمن" و "الرحيم"
	الحكمة وراء عدم قبول الدعاء في بعض الأحيان
٤٠	اعتراض على "بسم الله" والرد عليه
٤٠	لماذا قُدِّمت صفة "الرحمن" على "الرحيم"
٤٣	اشتقاق الاسم من "وَسَمَّ" في بسم الله
٤٣	الاسم يكون ظلا لحقيقة الشيء الأصلي
٤٤	الفرق بين صفة "الرحمن" و "الرحيم"
٤٥	الرد على سؤال: لماذا ذكر الله ﷻ صفتيه فقط في "بسم الله"؟
٤٦	اجتماع الصفتين "الرحمن والرحيم" في شخص النبي ﷺ
٤٦	اسم النبي ﷺ "محمد" يندرج تحت صفة الرحمن واسمه أحمد يندرج تحت صفة "الرحيم"

٤٨	أصحاب النبي ﷺ مظاهر اسم محمد بسبب الرحمانية والجلال
٤٩	المسيح الموعود ﷺ مظهر اسم أحمد وملك صفة الجمال
٥٠	كلمة "الله" اسم جامد
٥٠	صفة الرحمن والرحيم تُظهران سر ذات الله
٥٤	الفرق العظيم بين التركيب المجوسي "ايزد" ما في كلمة "الله" وبين البسملة.
٥٤	الاسم "الله" هو اسم الله الأعظم
٥٥	كلمة "الله" تُطلق على من هو بريء عن العيوب كلها ومتصف بالصفات الكاملة كلها
٥٥	الرحمن مَنْ يعطي بغير استحقاق
٥٦	أتباع ديانة "سناتن" ينكرون صفة "الرحمن"
٥٧	الرحيم من يعطي جزاء حسنا على عمل حسن
٥٧-٥٩	نوعان من الرحمة: "الرحمن" و"الرحيم"
٥٧	صفة الرحمن تقتضي الدعاء
٥٧	صفة "الرحمن" تدحض القائلين بأنه لا يعطي دون العمل
٥٨	صفة الله الرحيم تدحض أفكار الذين يرون الأعمال لغوا
٦٧	تفسير الآية ﴿الحمد لله رب العالمين﴾
٦٧	معنى كلمة "حمد"
٦٧	لا يوجد معنى الحمد الحقيقي إلا في ذات الله الخبير والبصير
٦٧	كلمة الحمد تشير إلى أن الله تعالى هو المحمود والحمد بوجه كامل
٦٨	الفرق بين "الحمد" و"الشكر"، و"المدح"
٦٨	الحكمة في بدء القرآن الكريم بالحمد
٦٩	في "الحمد لله" إشارة إلى أن إلهنا كامل، وجامع لجميع الصفات والمحامد الكاملة

٧٠	دمار المشركين بسبب إعراضهم عن كمالات الله تعالى
٧٠	في "الحمد لله" إشارة إلى أن الله تعالى بريء من كل عيب
٧٠	في "الحمد لله" دحض لمعتقدات النصارى والوثنيين
٧١	عُلم المسلمون في "الحمد لله" أن إلههم وحده يستحق الحمد
٧١	"الحمد لله" تشير إلى وجود كمال الحسن والإحسان في ذات الله تعالى بصورة كاملة
٧٢	مزايا الإحسان الأربعة الموجودة في الله تعالى كأصل الأصول
٧٦	في "الحمد لله" إشارة إلى أسماء النبي ﷺ
٧٧	في "الحمد لله" تعليم التوحيد الكامل
٧٧	لا يؤمن دين سوى الإسلام بالله بريئاً عن جميع الرذائل ومتصفاً بالمحامد الكاملة
٧٨	الحقيقة المتضمنة في "الحمد لله" توجد في الإسلام وحده
٧٨	دحض الأديان الباطلة في "الحمد لله"
٨٣	سبعة معانٍ لكلمة "الرب"
٨٤	في رب العالمين إشارة إلى أن الله تعالى خالق كل شيء، ويأتي بأنوار الهداية بعد كل ضلال
٨٥	عندما يفنى العبد في العبادات يصبح عالماً من العالمين
٨٦	العالم يدل على المدبر بالإرادة والخالق
٨٦	المراد من العالمين هي المخلوقات كلها ما عدا الله الخالق
٨٦	الحكمة وراء اختيار كلمة "رب العالمين" بدلا من خالق العالمين
٨٧	في رب العالمين إشارة إلى أن الله ﷻ يربي تربية روحانية أيضا إلى جانب التربية المادية
٨٥	في رب العالمين إشارة إلى منزلة أولى لإحسانه أنه خالق كل شيء
٨٩	في رب العالمين إشارة إلى أن فيوض الله ليست خاصة بقوم

٨٩	في كلمات "رب العالمين" دحض لمعتقدات الآريين
٩١	في رب العالمين إشارة إلى أن في كل عنصر في العالم تعمل قوة أودعها الله تعالى
٩٥	ترتيب طبيعي في "رب العالمين"، "الرحمن"، "الرحيم" و"مالك يوم الدين"
٩٥	في الصفات الأربعة إشارة إلى فيوض الله الأربعة، الفيض الأعم، الفيض العام، الفيض الخاص والفيض الأخص
١٠٣	الرب، الرحمن، الرحيم ومالك يوم الدين هي أمهات الصفات
١٠٥	الصفات الأربعة مع اسم الله الذاتي هي خمسة أبحر فيوضها ممتدة
١٠٥	علاقة دقيقة بين الصفات الأربعة والآيات التي تتلوها
١٠٤	في صفة الرحيم دحض لأفكار المسيحيين
١٢٢	الرب، الرحمن، الرحيم صفات الله الذاتية
١٢٣	تم الحصر على الصفات الأربعة نظرا إلى هذه الدنيا
١٢٣	الصفات الأربعة هي الصفات الأصلية لصفاته الأخرى
١٢٣	المراد من عرش الله واستوائه عليه
١٢٥	من "الحمد لله" إلى "مالك يوم الدين" دحض الدهريين والملحدون وأتباع مذهب الطبيعة
١٢٦	في الصفات من "رب العالمين" إلى "مالك يوم الدين" أربعة حقائق عظيمة
١٢٦	الحقيقة الأولى: المحامد كلها خاصة بالله تعالى وحده
١٢٧	الحقيقة الثانية: أسباب قيام كل متنفس وبقاؤه ليس نتيجة عمل عامل
١٢٨	الحقيقة الثالثة: إن الله تعالى يُخرج النتائج لسعي الساعين
١٢٨	الحقيقة الرابعة: إن الله تعالى مالك الثواب والعقاب
١٢٨	ما هي السعادة العظمى والشقاوة العظمى؟
١٣٠	ظهرت الحقائق الأربعة المذكورة بكاملها بواسطة النبي ﷺ
١٣٣	ملخص الديانة المسيحية

١٣٣	اعتقاد برهمو سماج عن صفات الله الأربعة: الرب، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين
١٤١	الفرق بين فيوض الرب والرحمن والرحيم ومالك يوم الدين
١٤٣	إظهار الله تعالى صفاته الأربعة على النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم
١٥٠	في "يوم الدين" إشارة إلى عصر المسيح الموعود ﷺ
١٥١	ظهور صفات الله الأربعة في الفترة الأخيرة للأمة المحمدية
١٤٥	نكتة كشفية عن الصفات الأربعة
١٤٢	عدم الحاجة إلى الجهاد بالسيف
١٥٢	النبوة في الصفات الأربعة المذكورة في سورة الفاتحة
١٤٨	كان النبي ﷺ مظهرًا كاملاً لصفات الله الأربعة
١٥١	الإسلام يؤمن بصفات الله التي لا يمكن لأحد أن يجد فيها عيباً
١٥٢	صفات الله الأربعة تمثل مظهرًا أتم لألوهيته
١٥٣	معنى حمل العرش
١٥٤	إن النبي ﷺ مظهر أتم لصفات الله تعالى
١٥٥	نال الصحابة رضي الله عنهم النجاح في الدنيا نتيجة ظهور صفة "مالك يوم الدين"
١٥٦	الإسلام يعلم الالتزام بالاعتدال بواسطة "الصراط المستقيم"
١٥٧	دحض الآريين وأتباع مذهب سناتن في سورة الفاتحة
١٦٠	دحض الأديان الباطلة في سورة الفاتحة
١٦٣	فرعان للعبادة وأحكام الله وبيانهما في سورة الفاتحة
١٦٤	الدافع للعبادة: الحسن والإحسان وبيانهما في سورة الفاتحة
١٦٥	الصفات الأربعة المذكورة في سورة الفاتحة تتضمن جوده ﷺ
١٦٧	الدرس للإنسان في سورة الفاتحة
١٦٧	المقارنة بين دعاء الإنجيل ودعاء سورة الفاتحة
١٧١	حقيقة عرش الله وظهور وجوده الخفي بواسطة سورة الفاتحة

١٧١	يجب على كل أحمدي أن يؤسس في نفسه صفات الله الأربعة
١٧٢	تفسير الآية ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
١٧٥	الحكمة في تقديم ﴿إياك نعبد﴾ على ﴿إياك نستعين﴾
١٧٦	في ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ جُمع بين الدعاء والجهد
١٧٨	بيان الهدف من حياة الإنسان في ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
١٧٨	المراد من العبادة في ﴿إياك نعبد﴾ هو العبادة والمعرفة كلتاها
١٧٩	ملخص أصول العبادة
١٧٩	حقيقة العبادة
١٨٠	خُلق الإنسان للعبادة إلى الأبد
١٨١	الاستمداد الحقيقي من حق الله تعالى وحده
١٨١	يجب تكرار قراءة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ لاجتناب الذنوب
١٨١	في ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ نصيحة أن السعادة كلها تكمن في اتباع صفات الله تعالى
١٨٢	علاج مرض الرياء بواسطة ﴿إياك نعبد﴾
١٨٣	حقيقة العبادة التي يقبلها الله تعالى بفضله ولطفه
١٨٣	أفضل العبادات
١٨٤	مَنْ عكف على عبادة الله جعله ﷻ "أحمد"
١٨٤	المسيح الموعود هو أحمد آخر الزمان
١٨٥	من سأل الله بالدعاء والجهد كان متقيا
١٨٦	كراهية الذنوب تتسنى بالدعاء والجهد كليهما
١٨٦	المؤمن يدعو ويستخدم الأسباب أيضا في الوقت نفسه
١٨٩	علاقة "الحي القيوم" مع ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾
١٩١	ينبغي تكرار ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ للحصول على المتعة في الصلاة
١٩١	في ﴿إياك نعبد﴾ دحض الآلهة الباطلة والمشركين

١٩١	الأنواع الثلاثة للتوحيد ووسيلة الحصول عليها
١٩٢	معنى الاستغفار
١٩٣	أدعوا بما يُثبت أن الله حقّ
١٩٣	مَنْ هم المتقون الذين أُعطوا وعودا عظيمة في القرآن الكريم
١٩٤	تفسير ﴿اهدنا الصراط المستقيم... ولا الضالين﴾
١٩٤	أنواع الهداية
١٩٤	أمرنا في سورة الفاتحة بطلب هدي الأنبياء
١٩٥	ثلاثة أنواع لتعليم القرآن الكريم وهدى النبي ﷺ
١٩٥	ثلاثة وسائل لتلقي الهداية من الله تعالى
١٩٦	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إشارة إلى أنه لا يستحق تلقي الهداية إلا مَنْ ينطلق لسانه بذكر الله بكثرة
١٩٧	معنى "الصراط"
١٩٨	معنى الاستقامة والأمر بطلبها في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
٢٠٠	طرق مختلفة للحصول على الهداية
٢٠٤	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ذكر ثلاثة أحزاب: المنعم عليهم، واليهود والنصارى
٢٠٥	سورة الفاتحة تبشر بأن المسيح الموعود سيكون من هذه الأمة
٢٠٥	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بُشِّر أفراد الأمة المحمدية بإنعامات الذين خلوا
٢٠٦	دعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ينجي المرء من كل اعوجاج
٢٠٧	دعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ يشمل مراتب الناس كلها
٢٠٧	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أمر بطلب صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
٢٠٧	إن دعاء طلب الصراط المستقيم يفوق كل دعاء آخر
٢١٠	ثلاثة أنواع للصراط المستقيم: العلمي، العملي، الحالي

٢١٢	الصراط المستقيم هو النعمة العظمى وأصل كل نعمة
٢١٢	حقيقة الصراط المستقيم
٢١٤	ثلاثة أشياء للثبوت على الصراط المستقيم: القرآن، والسنة والحديث
٢١٤	الإسلام هو الاسم الآخر للاستقامة
٢١٥	أمر بطلب مراتب الكمال الأربعة في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
٢١٧	المراد من المنعم عليهم: الأنبياء، الصديقون والشهداء والصالحون
٢١٧	في ﴿أنعمت عليهم﴾ إشارة إلى جماعة النبي ﷺ وجماعة المسيح الموعود
٢٢١	تبين الآية ﴿اهدنا الصراط المستقيم...﴾ أن صراط كمالات الإمامة مفتوح دائما
٢٢٢	إذا كان مقدرا ألا تتلقى الأمة المحمدية إنعامات تلقاها الأنبياء عليهم السلام فلماذا علّمت دعاء: اهدنا الصراط المستقيم...
٢٢٥	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ دعاء لتلقي شرف مكالمة الله
٢٢٤	ثلاثة مدارج للعلم: علم اليقين، عين اليقين وحق اليقين
٢٢٧	وعدت الأمة المحمدية بنوال كل إنعام ناله الأنبياء والصديقون من قبل
٢٢٧	يمكن أن تنال الأمة المحمدية ظليلا نتيجة اتباعه ﷺ ما لم ينله أحد من أتباع الأنبياء الآخرين
٢٢٨	المراد من الإنعام في: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ هو الإلهام والكشف وغيرها من العلوم السماوية
٢٢٩	باب المكالمات والمخاطبات مفتوح للأمة المحمدية
٢٢٩	بعثة الأنبياء بين حين وآخر ضرورية للإيصال إلى مرتبة اليقين والحب
٢٣٢	في ﴿أنعمت عليهم﴾ ذكر أربعة أحزاب من المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين
٢٣٢	لو أنكرت مكالمة الله لكان الإسلام ديننا ميتا
٢٣٣	لا تبقى الأمة المحمدية خير أمة إذا كان باب النبوة مسدودا

٢٣٥	يريد الله تعالى أن يجعل الجميع أولياء
٢٣٨	نبوءة بعثة المسيح الموعود في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
٢٤٢	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أمر الإنسان بالاهتمام بثلاثة جوانب
٢٤٣	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ نبوءة لبعثة المسيح الموعود في الأمة المحمدية
٢٤٤	النجاة منوطة بفضل الله تعالى فقط
٢٤٤	يجب أن يكون الدعاء لإرضاء الله واجتناب المعاصي فقط
٢٤٥	المطلوب في دعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ هو أن اجعل أعمالنا كاملة وتامة
٢٤٥	إشارة عظيمة في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى تطهير النفوس من أدق سبل الشرك
٢٤٥	دعاء: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، هو لمواساة البشرية بوجه عام
٢٥٠	الفرق البين بين دعاء: اهدنا الصراط... ودعاء الإنجيل
٢٥١	لا يكفي كتاب واحد لبيان حقائق سورة الفاتحة ودقائقها
٢٥٣	ملخص الدعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ هو أن اجعلنا أمثال الأنبياء والرسل
٢٥٣	في بداية سورة الفاتحة إشارة قبول الدعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
٢٥٤	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إشارة إلى قبول الدعاء وآثار المقربين
٢٥٥	دعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ يحيط بالحاجات الدينية والدنيوية كلها
٢٥٦	لم يعلم نبي قبله ﷺ دعاء شاملاً وعجيباً مثل سورة الفاتحة
٢٥٦	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ دعاء للتوفيق للإيمان بإمام الزمان
٢٥٧	لماذا يدعو الأنبياء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾؟
٢٥٩	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إشارة إلى التكميل العلمي
٢٦٠	﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، أمّ الأدعية
٢٦١	إن الله تعالى لا يضيع المتقي
٢٦٢	نفس المؤمن تكتمل بشرب الشرايين، الشراب الكافوري والشراب الزنجبيلي

٢٦٣	الهدف من حياة الإنسان هو السلوك على الصراط المستقيم وطلبه
٢٦٦	الدعاء أمثل سلاح يخلص من كل طريق صعب
٢٦٦	ضرورة الاهتمام بثلاثة أشياء عند الدعاء: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
٢٦٧	الإنسان ليس بشيء يُذكر من غير العبادة
٢٦٧	ثلاثة أنواع من الحقائق في سورة الفاتحة
٢٧١	يثبت من ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أن الله تعالى يريد أن يقيم في هذه الأمة سلسلة الأنبياء على سبيل الظلية
٢٧٢	نبوءة كامنة في سورة الفاتحة
٢٧٢	المراد من ﴿المغضوب عليهم﴾ اليهود ومن ﴿الضالين﴾ النصارى
٢٧٣	في ﴿غير المغضوب عليهم﴾ إشارة إلى أنه سيكون اليهود حتما في هذه الأمة أيضا
٢٧٣	في تعليم ﴿غير المغضوب عليهم﴾ سر أن المسيح الثاني سيُبعث فيكم
٢٧٧	أين ذكر المسيح الموعود ﷺ في القرآن الكريم؟
٢٧٩	سورة الفاتحة أم القرآن
٢٨٠	في سورة الفاتحة ذُكرت ثلاث فئات: المنعم عليهم، المغضوب عليهم، الضالون
٢٨٠	عند خروج المغضوب عليهم، وجد الله أهل الأرض في الظلام من ثلاثة أنواع
٢٨٠	في ﴿غير المغضوب عليهم﴾ إشارة إلى أن فئة المسلمين سيكفر مسيحيهم مثل اليهود
٢٨١	من هم المقصودون بالمغضوب عليهم والضالين؟
٢٨٢	في ﴿غير المغضوب عليهم﴾ إشارة إلى المسلمين سوف يحذون حذو أهل الكتاب في الزمن الأخير
٢٨٤	خلق الله الأمة المحمدية مقابل الأمة الموسوية تماما
٢٨٤	﴿غير المغضوب عليهم﴾ تتضمن إشارة إلى ألا تتعثروا بإنكار المسيح

٢٩١	في "الضالين" إشارة إلى أن النصارى سيكونون أقوياء جدا في زمن المسيح الموعود
٢٩١	أمرٌ بقراءة أوائل آيات سورة الكهف عند رؤية الدجال
٢٩٢	في سورة الفاتحة علّم دعاء لاجتناب فتنين فقط
٢٩٢	في القرآن والحديث نسبة بين بعض العلماء واليهود في الزمن الأخير
٢٩٣	في نهاية الفاتحة إشارة إلى أن القيامة ستقوم على الضالين
٢٩٤	كان المقدر بحسب القرآن الكريم مجيء عدة أشخاص بروزا
٢٩٥	تحذير المسلمين جميعا بواسطة الدعاء: ﴿غير المغضوب عليهم﴾
٢٩٦	ذكر نزول المسيح الموعود في الأحاديث
٢٩٨	علاقة أول القرآن الكريم مع آخره
٢٩٩	في "الضالين" إشارة إلى مجيء المسيح لقتل الدجال وكسر الصليب
٢٩٩	تشابه السلسلة المحمدية مع السلسلة الموسوية
٣٠٠	يتبين من ﴿غير المغضوب عليهم...﴾ أن هناك ضرورة صفتين في شخص قادم
٣٠٣	زمنان مخيفان على الأمة المحمدية، عهد خلافة أبي بكر رضي الله عنه وزمن فتنة الدجال
٣٠٤	في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ترغيب في الدعاء للمعرفة الصحيحة
٣٠٥	في غير المغضوب عليهم إشارة إلى ضرورة التأدب مع الله عز وجل
٣٠٦	المراد من ﴿غير المغضوب عليهم﴾ أتباع القوى السبعية، ومن ﴿الضالين﴾ أتباع القوى البهيمية
٣٠٦	القرآن الكريم يذكر ثلاثة أقوام أو أناسا من ثلاثة أنواع
٣١١	الاعتقاد بحياة المسيح أساس ضلالات النصارى كلها
٣١١	المراد من الضالين هم القساوسة
٣١٢	الفرق بين عقوبة المغضوب عليهم وعقوبة الضالين
٣١٨	في سورة الفاتحة ذكر ثلاث فرق سابقة

٣١٩	ثلاثة أدعية في سورة الفاتحة
٣٢١	سورة الفاتحة ليست دعاء فقط بل تتضمن نبوءة عظيمة أيضا
٣٢٢	الحكمة في ذكر ثلاثة أقوام في سورة الفاتحة هي أن الأمة المحمدية أيضا سترث كل واحدة منها
٣٢٢	الفرق بين "المغضوب عليهم" والضالين
٣٢٥	سورة الفاتحة تشمل جميع الخيرات وتدحض المضرات كلها
٣٢٨	بعض التفاسير الوجيزة لسورة الفاتحة
٣٢٨	في تكرار "الحمد" في بداية سورة الفاتحة ونهايتها لفظا ومعنى إشارة إلى أحمدين
٣٢٩	سورة الفاتحة دعاء مفضل
٣٣٦	الآلهة المجازية الأربعة المذكورة في الفيدا تحمل أربع صفات مجازية
٣٣٩	الدعاء المذكور في سورة الفاتحة هي الصلاة
٣٤٠	ترجمة معاني سورة الفاتحة
٣٤١	في سورة الفاتحة إشارة إلى بركات الدعاء
٣٤١	في سورة الفاتحة إشارة إلى أن السعيد من كان فيه حماس غير عادي للدعاء
٣٤١	في سورة الفاتحة إشارة إلى أن صفات الله ﷻ تؤثر بحسب إيمان العبد
٣٤٢	مقارنة بين دعاء سورة الفاتحة ودعاء المسيح ﷺ
٣٤٦	دقائق سورة الفاتحة
٣٤٦	الدقيقة الأولى
٣٤٩	الدقيقة الثانية
٣٥٠	الدقيقة الثالثة
٣٥٠	الدقيقة الرابعة
٣٥٢	الدقيقة الخامسة

